الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القــــادر
للعلوم الاسلامية - قسنطينة-



كلية الآداب والحضارة الإسلامية
قسم التاريخ

الرقم التسلسلي: ....

رقم التسجيل: ....

الجغـــرافية التـاريخية لبلاد الـــزاب

من نهاية الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن 9 هـ

أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه ل م د في التاريخ

تخصص: تـــاريخ المغرب الأوسط وحضــارته في العصـــر الوسيــط

فـــرع: السلطة والمجتمع في بلاد المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط

من إعداد الطالب: الصادق زياني

إشراف الأستاذ الدكتور: علاوة عمارة

أعضاء لجنة المناقشة

الإسم واللقب	الرتبة	الجامعة الأصلية	الصفة
د/ ابراهيم بن محية	أستاذ محاضر أ	جامعة الأمير عبد القادر – قسنطينة-	رئيسًا
أ.د/ علاوة عمارة	أستاذ	جامعة الأمير عبد القادر – قسنطينة-	مشرفًا ومقررًا
أ.د/ الطاهر بونابي	أستاذ	جامعة محمد بوضياف - المسيلة-	عضوا
د/ نصيرة عزرودي	أستاذ محاضر أ	جامعة الأمير عبد القادر - قسنطينة-	عضوا
د/ عبد الجليل قريان	أستاذ محاضر أ	جامعة 08 ماي 1945 - قالمة-	عضوا
د/ سمير العيداني	أستاذ محاضر أ	جامعة محمد بوضياف - المسيلة-	عضوا

السنة الجامعية: 1439-1440 هـ / 2018-2019م


بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

- إلى روح والدي الطاهرة رحمة الله عليه، والذي تمنيت أن يطيل الله في عمره ليشاركني فرحتي
- إلى رمز الحياة، وأسمى معاني السعادة، وإشراقتي في هذه الدنيا والدتي العزيزة أطال الله في عمرها
- إلى زوجتي الغالية التي صبرت معي طوال سنوات إعدادي للأطروحة
- إلى أولادي: يحي–إيناس–زكرياء–محمد
- إلى إخوتي كل باسمه وشخصه
- إلى كل عائلة "زياني" كبيرهم وصغيرهم
- إلى كل سكان مدينتي الحبيبة مقرة
- إلى كل من علمني حرفا انتفعت به ونفعت به من الابتدائي وحتى الطور الجامعي
- إلى كل أصدقائي ورفاق دربي كل باسمه و شخصه
- إلى وطني الحبيب أدام الله عليه الأمن والهناء والرخاء .

إلى كل هؤلاء أهدي ثمرة جهدي

شكر وعرفان

الحمد لله الذي بفضله تتم الصالحات- الحمد لله حمدا كثيرا يليق بمقامه الكريم

وأفضاله التي لا تعد ولا تحصى علينا ، وأصل وأسلم على خير

الأنام سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى آله

وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين

أما بعد

- يطيب لي أن أتقدم بالشكر الجزيل إلى أستاذي الفاضل "علاوة عمارة"، والذي أحاطني بعنايته خلال إعدادي لهذه الاطروحة، وسهل لي كل عسير بعد الله سبحانه وتعالى، فله مني كل عبارات الشكر والامتنان.

- كما أتقدم بالشكر الوافر إلى كل من ساهم من بعيد أو قريب كل باسمه وشخصه في إخراج هذا العمل، فلكم مني فائق التقدير والعرفان.

مقدمة

مقدمة:

يعد موضوع الأطروحة من الدراسات الجديدة والهامة على السواء، والمتعلق بالجغرافية التاريخية خلال العصر الوسيط، هذا المجال البحثي المميز الذي كانت بداية الاهتمام بمجاله وليد مدرسة الحوليات الفرنسية، سرعان ما توسعت الكتابات حوله ليصل أخيرا إلى الباحثين الجزائريين[1]، مما أدى حتما إلى التخلي والجنوح عن الدراسات الكلاسيكية التي أهتلكت بشكل كبير، أين سيكون لتقاطع الوثائق والنصوص التاريخية الوسيطة مع المعطيات الأثرية مع ربطها بعلم اللسانيات دور بارز في الإجابة عن الكثير من التساؤلات المطروحة، وظلت إلى وقت قريب صعبة التحقق منها[2].

إن البحث في تاريخ الأماكن وتطورها في العصر الوسيط إنطلاقا من وضعيتها التاريخية القديمة، وبالاعتماد طبعا على الخرائط الأثرية ومصادر تاريخية (عربية ولاتينية)، في فترات متباينة من تاريخ بلاد المغرب، كل هذا سيؤدي بنا للوصول إلى معارف بقيت مبهمة لدى الباحثين لفترة طويلة. بالإضافة إلى هذا، قد يؤدي تقاطع الكثير من العلوم المساعدة للإجابة على مختلف الإشكاليات المتعلقة بالمجال والطوبونيميا، سيؤدي بنا إلى تجاوز مرحلة غموض معارفنا خلال الفترة الوسيطة، والخروج من الجانب الكلاسيكي المتعارف عليه، إلى ميدان علمي أكثر دقة وحصرا للمعطيات يدور كله حول الجغرافية التاريخية.

بالمقابل، سيكون للجانب اللساني دور هو الآخر كعلم مساعد في بلورة مفاهيم جديدة حول المدلول اللغوي للموقعية، وكذا أصولها الأولى، بالإضافة إلى ظروف تحول هاته التسميات من مرجعيتها إلى واقعها المعرب. ولن تكون العلوم الجغرافية والأثرية بمنأى عن هذا المجال البحثي، بل سينحل عنها ذلك الجمود المعرفي، وستساهم بشكل أو بآخر في حل جميع المعضلات المتعلقة بمعطيات غير حركية لتاريخنا الوسيط. وسيتحتم علينا في الجانب الاجتماعي، استخلاص الكثير من المعطيات المتحصل عليها من مختلف المصادر القديمة، ومحاولة دمجها، تبويبها وتحليلها للوصول إلى مجتمع ما قبل الفترة الاسلامية الوسيطة، والظروف التي أحاطت بهذه الجماعات السكانية قبل تحولها إلى واقع جديد بعد مرحلة الأسلمة والتعريب الجذري للسكان والجماعات.

---

[1] علاوة عمارة، "التحولات المجالية والطبونيمية لبلاد الزاب من الفتح الاسلامي إلى نهاية القرن الهجري الثامن/الرابع عشر الميلادي"، مجلة تراث الزيبان، أعمال الملتقى الوطني الأول حول التراث في منطقة الزيبان، بسكرة-الجزائر، 2016، ص 12-21.

[2] محمد حسن، الجغرافيا التاريخية لإفريقية من القرن الأول إلى القرن التاسع هـ/ 7-15م، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2004، ص 8.

لقد كان أحد أهم أسباب اختياري للموضوع هو محاولة التفرد بإنجاز بحث تاريخي جديد، وغير مطروق من قبل، في محاولة مني لملء الفراغ المتعلق بنقص الدراسات في مجال الجغرافية التاريخية للمغرب الأوسط وبالأخص لبلاد الزاب، وهو حافز كبير جعلني أنتقل من مرحلة التردد إلى مرحلة الاستقصاء والتحري عن هذا المجال البحثي المميز بمساعدة ودعم كامل من المشرف، ثم التوسع والغوص في فصول الموضوع بعدما استطعت جمع عدد لا بأس به من المادة العلمية المزدوجة، وأعني هنا: التاريخية الوسيطة، والمعطيات الأثرية والخرائط المتعلقة ببلاد الزاب أو ما قد يصطلح عليها مقاطعة نوميديا.

كما كان لمحاولة الخروج عن طابع الدراسات الكلاسيكية (السياسية، العسكرية، الثقافية...) أحد أسباب ودوافع التوجه لاختيار والخوض في الموضوع المطروق، فمتعة مزج المعطيات الوسيطة والرجوع بها إلى مرحلة التاريخ القديم كان له طعم آخر. بالإضافة إلى تحصيل مكتسبات حول التاريخ القديم في ظل نقص معلوماتي في هذا الجانب. أضف إلى هذا، محاولة التعرف على بعض اللغات بمختلف فروعها، فيما يتعلق بالعمق المحلي لأسماء المواقع، كأحد دوافع توجهي لاختيار الموضوع، والذي انتهيت إلى تحديد عنوانه، فوسمته بــ:

" **الجغرافية التاريخية لبلاد الزاب من نهاية الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن 9هـ**".

لقد تم حصر الإطار الزمني للدراسة في تسعة قرون كاملة، وهذا من منظور التمكن من ضبط أغلب التغيرات التي طرأت على الفصول الأربعة للجغرافية التاريخية، وأعني هنا: المجال، المسالك، الجماعات، والمواقع. فكلما كان الإطار الزمني أكثر اتساعا، كان حصر التحولات الطارئة أدق، وهو ما حاولت الوصول إليه، من خلال اعتماد التحقيب الزمني للدراسة مرتبطا بشكل كبير بالتطورات السياسية والمذهبية. وبالمقابل، كان المجال الجغرافي واضحا على العنوان مبهما ومتغيرا خلال مجريات البحث مرتبطا بعدة متغيرات، قد تكون: السلطة، الدين، والقبيلة، أبرز محدداته.

إن اهتمام بعض الباحثين ممن سبقوني ببلاد الزاب، انتهى بهم إلى إنتاج بعض المؤلفات العلمية لامست جوانب عدة، منها: السياسية، والاقتصادية، والحضارية، والثقافية، وحتى الاجتماعية. هذه الدراسات السابقة التي لا أنكر أنها ساهمت في انطلاقتي البحثية، لكنها بالمقابل كانت في مجملها بعيدة عن مجال الجغرافية التاريخية، باستثناء الإضافة التي قدمتها دراسات الباحثين: علاوة عمارة ومحمد مواق.

بداية مع أبحاث موسى لقبال في شكل مقالات صدرت أولاها بمجلة الأصالة في حدود 1978م، وهي : "طبنة مدينة الزاب، والأوراس في العصور الوسطى"[1]. بالإضافة إلى مقالين لنفس

[1] مجلة الأصالة، 60-61 (1978)، ص 83-102.

المؤلف:" قاعدة طبنة والشرعية الخلافية في بلاد المغرب الإسلامي"[1]، "طبنة في مجال العلاقة بين زناتة والفاطميين حتى نهاية عهد المنصور الفاطمي"[2]. ثم الدراسة المميزة لبول لوي كومبيزا (Paul-Louis Cambuzat)[3]، والتي أصدرها سنة 1986م، وتعتبر كمفتاح للدارسين فيما يخص تطور مدن الزاب خلال القرون الهجرية الأربعة الأولى.

مع علاوة عمارة، تظهر واحدة من الدراسات السابقة متعلقة بالجانب الاجتماعي لبلاد الزاب، بعنوان:" الهجرة الهلالية وأثرها في تغيير البنية الاجتماعية لبلاد الزاب"[4]، في محاولة جادة لعرض الوضعية الإثنية لبلاد الزاب مابعد الهجرات الهلالية مقارنة بالقرون الهجرية الأربع الأولى، وقد وفق لحد بعيد في طرحه، وهذه الدراسة ساعدتني في الجانب الاجتماعي خلال القرون الهجرية الخمسة الأولى. بالإضافة إلى مقال الطاهر بونابي المتعلق بالتصوف والجماعات الهلالية ببلاد الزاب، والموسوم بـ:"حركة المرابطين السنة في الزاب بين التصوف والرباط"[5]، منطلقا من الحضور الهلالي في الدراسات الفرنسية والمغربية، مع عرضه للتطور الكرونولوجي لظاهرة المرابطين وتوبة الهلاليين ببلاد الزاب، وأثر الحركة الصوفية لسعادة الرحماني في نفوس الجماعات الهلالية مابعد القضاء عليها.

وفي نفس السياق، عثرت على إحدى الدراسات السابقة المتعلقة بحضور الجماعات الإباضية ببلاد الزاب، من خلال ما قدمه علاوة عمارة: « Entre le massif de l'Aurès et les oasis : apparition, évolution et disparition des communautés ibâḍites du Zâb (VIIIe - XIVe siècle) »[6]، هاته الدراسة التي أعيد ترجمتها ونشرها من قبل عبد القادر مباركية[7]. كما استطاع نفس الباحث إصدار إنتاج آخر، وهو يعتبر أول دراسة حقيقية لباحث جزائري في التاريخ الوسيط متعلقة بمضلعي الجغرافية التاريخية خلال العصر الوسيط، ونقصد المجال والطوبونيميا (أسماء المواقع)، في عمله الذي ذكرناه سلفا: "التحولات المجالية والطبونيمية لبلاد الزاب من الفتح الاسلامي إلى نهاية القرن الهجري الثامن/الرابع عشر الميلادي"، وكانت دراسته المختصرة أحد ركائز بحثي، للمعرفة الجيدة للباحث بمجال الزاب من خلال دراساته المختلفة حول المنطقة.

[1] ص 91-102. https://www.asjp.cerist.dz/en/article/42548

[2] ص 41-54. https://www.asjp.cerist.dz/en/article/47125

[3] *L'évolution des cités du Tell en Ifrikiya du VIIe au XIe siècle*, O.P.U, Alger, 1986, 2 Vol.

[4] مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، 10 (2009)، ص 9-26.

[5] المجلة الخلدونية، 9 (2011)، ص 56-73. ويراجع مقاله: :" ظاهرة الاندماج الهلالي في المنظومة الصوفية بالمغرب الأوسط خلال القرن 8هـ/14م"، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، 12 (2011)، ص 141-170.

[6] *Revue des mondes musulmans et de Méditerranée*, 132 (2012), p. 115-135.

[7] مجلة المعارف، 9 (2017)، ص 244-281.

كما أضيف إلى ما سبق، دراسة تلي دراسة علاوة عمارة زمنيا لصاحبها صلاح الدين هدوش في شكل مقال صدر العام 2015م، والموسوم بـ:" المدينة ببلاد الزاب من خلال المصادر العربية من القرن 5هـ/11م إلى القرن 8هـ/14م"[1]. وكذلك دراسة عبد القادر بومعزة الذي نشر جزئها الأول سنة 2016م بعنوان: "بسكرة في عيون الرحالة الغربيين"[2]. إضافة إلى مقال للتونسي علي الهطاي، صدر سنة 2017م، بعنوان:" الجغرافية التاريخية لبلاد الزاب من الفتح إلى منتصف القرن الخامس الهجري/الحادي عشر ميلادي: دراسة في تطور المجالات والمواقع"[3]. لتصدر أحدث دراسة حول الجغرافية التاريخية في أواخر 2017م، لمحمد مواق (Mohamed Meouak)، أين قام بمسح زمني لكل الفترة الوسيطة، والحديثة، والمعاصرة على السواء لمجال بسكرة وواحاتها، وهي الدراسة الوحيدة المتخصصة، والتي ساهمت كثيرة في بحثي، بالأخص في الفصل المتعلق بالطوبونيميا (الموقعية)[4].

وفي انتظار مناقشة رسالة دكتوراه الطاهر طويل حول الجغرافية التاريخية للأوراس، والتي تتقاطع مع موضوع أطروحتي في الشق الجنوبي من الأوراس، وبالأخص خلال الفترة الإسلامية الأولى. تبقى مجالات بلاد المغرب الأوسط عموما وبلاد الزاب خصوصا تعاني من نقص واضح في الدراسات مقارنة بجيراننا، على سبيل المثال لا الحصر الدراسة التي ذكرناها سلفا، والتي خصصت لإفريقية من قبل محمد حسن تحت عنوان: الجغرافيا التاريخية لإفريقية.

بالإضافة إلى هذه العينة من المقالات، والكتب، فقد توصلت إلى ثلاثة رسائل جامعية حول بلاد الزاب ومدنها على غرار طبنة، حاول من خلالها الباحثين إبراز العديد من النواحي المتعلقة بالمنطقة ككل، دون أن نجد للجغرافية التاريخية حضور بها، حيث قدم عبد العزيز شهبي دراسته الحضارية: " مساجد أثرية في منطقتي الزاب ووادي ريغ"[5] عارضا مجموعة من المساجد انطلاقا من المادة الأثرية التي حصل عليها[6]. أما صورية مديازة صاحبة : "بلاد الزاب من الفتح الإسلامي إلى غاية انتقال الفاطميين إلى مصر (21-362هـ/642-972م)"، فقد حاولت دراسة تطور بلاد الزاب من كل النواحي وحتى

[1] مجلة علوم الانسان والمجتمع، 14 (2015)، ص 103-135.

[2] دار بن زيد للطابعة والنشر، بسكرة، 2016، ج1.

[3] مجلة المواقف، 12 (2017)، ص 9-30.

[4] Mohamed Meouak, *Les Ziban entre Aurès et Sahara:* une géographie historique de Biskra et de ses oasis du moyen age à la fin de l'époque moderne, Helsinki, 2017.

[5] رسالة دكتوراه الحلقة الثالثة في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 1984/1985.

[6] قام الباحث عبد العزيز شهبي بطباعة العمل في كتاب بحجم 307 صفحة، منشورات كنوز الحكمة، طبعة 2011.

تحول العاصمة إلى مدينة المسيلة سنة 315 هـ/927م في هذه الفترة، والتي تعتبر قصيرة مقارنة بفترة دراستي، ولا يمكن خلالها الاجابة على كل الاشكاليات والتساؤلات[1].

ومن منطلق دراسة حالة، حاول قراري عبد النور، التركيز على مدينة طبنة، والتي مثلت أحد المدن المشكلة للزاب، وعاصمته في الفترة (1-3هـ/7-9م)، مستفيضا في تطور المدينة والجوانب الاجتماعية، الاقتصادية، والحضارية للمدينة منذ العهود القديمة، وحتى نهاية القرن الهجري الخامس/الحادي عشر الميلادي من خلال مذكرة ماجستير تحت عنوان:" طبنة ودورها الحضاري من الفتح حتى نهاية القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي"[2]. وهذه الدراسة تمثل لوحة وعينة واحدة من مجمل دراستي المطروقة.

وتهدف الدراسة إلى البحث والتقصي للإجابة على اشكالية رئيسية متعلقة بالتغيرات والتحولات التي طرأت على بلاد الزاب من نهاية الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن الهجري التاسع/15م في أضلاعه الأربعة: المجال الجغرافي، الاجتماعي، الطوبونيمي، وضلع المسالك والطرق. ويندرج تحت هذه الاشكالية الرئيسة مجموعة من الأسئلة الفرعية حركت رغبتي للموضوع المطروق، والتي سأحاول الإجابة عليها في طيات فصول البحث، ويمكن تلخيصها في الآتي:

-ماهي مظاهر الاتساع والتقلص لمجال الزاب من نهاية الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن الهجري التاسع؟

-وكيف يمكننا تفسير هذه التحولات المجالية؟

-ماهي التركيبة الإثنية لمجتمع الزاب قبيل الفتح الإسلامي؟

-وماهي مظاهر التغيرات في البنية الاجتماعية للزاب مع وفود قبائل الجند: العرب والفرس؟

-وماهي التأثيرات التي مست بنية مجتمع الزاب مابعد الهجرات الهلالية في المدى القريب والبعيد؟

-وما أثر هذه التغيرات الاجتماعية على مواطن الجماعات المحلية خلال كل مرحلة؟

-ماهي وضعية خريطة المسالك الداخلية والخارجية لبلاد الزاب خلال الفترة المدروسة؟

-وما الأدوار المنوطة بهذه المسالك في مختلف المناحي؟

-وهل يمكن تأكيد أو تفنيد ظاهرة تواصل أو انقطاع المسالك الرومانية والبيزنطية خلال فترة الدراسة؟

-ماهي مظاهر التحولات الطارئة على أسماء المواقع لبلاد الزاب انطلاقا من ماضيها القديم؟

-وكيف نفسر تواصل التسميات المحلية بمجالات الزاب في الفترة المطروقة؟

-وهل كان لعملية التعريب دور في التغيرات التي طرأت على أسماء المواقع بالمجال الزابي؟

---

[1] مذكرة ماجستير، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2009/2010م.

[2] مذكرة ماجستير في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ، جامعة بن يوسف بن خدة، الجزائر، 2008/2009م.

وقصد الإحاطة بكل جوانب الموضوع من خلال تقديم إجابات وافية لجل التساؤلات المطروحة، مجتمعة في صورة نتائج الدراسة، اعتمدت المنهج التاريخي الوصفي، والتحليلي، بالإضافة إلى منهجا المقارنة والمقارنة. لقد قمت بجمع الخرائط الأثرية من مختلف الدراسات المتعلقة بالتاريخ القديم لبلاد المغرب، وهي الخرائط التي ارتكزت عليها في رسمي لخرائط المجال والمسالك للتاريخ الوسيط، وهذا انطلاقا من المادة الخبرية المستقاة من مختلف المصادر التي اعتمدت عليها، بالأخص الوصفية منها (الرحلة والجغرافيا)، ولم تكن العملية سهلة لأن طول الفترة وتتبع التغيرات في ظل نقص المعطيات النصية لفترات مختلفة، أدى في الغالب إلى ترجيح بعض النتائج المتوصل إليها.

وتبعا للمادة العلمية المتوفرة والمجموعة، فقد تم تقسيم الأطروحة إلى مقدمة وخاتمة وأربع فصول، يمكن تفصيلها كالآتي:

الفصل الأول تم تخصيصه لمجال الزاب تحت عنوان: "الخريطة المجالية لبلاد الزاب وتحولاها (1-9هـ/7-15م): التشكل- الامتداد- التقلص"، حيث تم التطرق فيه بداية إلى بروز تسمية المجال ضمن المصادر العربية التي واكبت الفتح، أو حتى المتأخرة، ومدى علاقة تسمية المقاطعة الأموية الجديدة بتسمية المقاطعة الأفريقية البيزنطية المندثرة نوميديا، محاولا الإجابة على تساؤل يتعلق بتحول طوبونيمي للمجال نفسه من نوميديا إلى الزاب. كما حاولت الاجابة على اشكالية مراحل توسع وتقلص مجال الزاب، وأهم المتغيرات التي ساهمت في هذه التحولات المجالية، والعوامل التي كان لها دور في اتساع وضيق المجال الزابي. وقد تطرقت بإسهاب في كل فترة مقرونة بالسلطة والقبائل والمذاهب إلى الحدود الجغرافية لبلاد الزاب، مع مناقشة حجم تقلصه أو تمدده، وكذا المدن المشكلة في كل مرحلة لمجاله، حتى انتهائه إلى ما يعرف بالزيبان.

وجاء الفصل الثاني الموسوم بـ:" تغيرات البنية الاجتماعية والخريطة البشرية لبلاد الزاب (1-9هـ/7-15م)"، لتبيان التحولات التي مست التركيبة الاثنية لمجتمع الزاب، منطلقا من وضعيته قبيل الفتح الأموي، ثم درست مرحلة حضور واندماج قبائل العرب والفرس بالمجالات المحلية القديمة، مما أدى إلى فقدان الكثير من الجماعات المحلية لمواطن نفوذها الأصلية، وتغير واضح في البنية الاجتماعية، دون أن أنسى علاقة هذه التغيرات مع بقايا الجماعات اللاتينو بيزنطية من جهة، وتأثيرات التعريب والأسلمة فيها من خلال اختفائها التدريجي، وتغير التسميات الاثنية القديمة تحت تأثير الأسلمة، في صورة برقجانة والمولدين. كما كان للهجرات الهلالية حيز في الفصل الثاني، حيث أثبتنا تأثير الوافدين الجدد على الخريطة البشرية للزاب، رابطين استقرارهم وانتشارهم بالتحولات التي طرأت على الزاب منذ نهاية القرن



الهجري الخامس وحتى نهاية القرن الهجري التاسع مرحلة تحول الزاب إلى مقاطعة حفصية، بعد زوال حكم بني مزني على ما تبقى من مجالاته في الزوابي أو الزيبان.

أما الفصل الثالث، فقد خصصته للمسالك الطولية والعرضية بشقيها: الداخلية والخارجية، حيث اتخذت من الخرائط الأثرية للفترة الرومانية والبيزنطية منطلقا لدراستها، محاولا من خلالها تأكيد تواصل أو انقطاع هذه المسالك خلال الفترة المطروقة. بالإضافة إلى ذلك، تطرقت بالتفصيل إلى المحطات والمواقف التي تخللت هذه المسالك سواء في المسالك الداخلية أو الخارجية، كما قدمت قياسات لتباعدها على طول المسلك. وفي ختام الفصل الثالث، تم عرض الأدوار المنوطة بالمسالك بشقيها في مختلف الجوانب، مبرزا الأهمية الاستراتيجية لهذه المسالك في ربط بلاد الزاب بمدنها الداخلية، واصلا كل مرحلة بالتغيرات التي طرأت على المجال الزابي. وكذا مع الفضاء الخارجي، على غرار مدن إفريقية، المغرب الأقصى، والحيز الجغرافي الكبير الذي ينتمي إليه بلاد الزاب، ممثلا في بلاد المغرب الأوسط بمدنه الساحلية، وغير الساحلية. وفي نفس السياق، تم حصر مجمل السلع والمنتجات بأنواعها المختلفة المتداولة على طول المسالك وفي الأسواق الداخلية والخارجية.

وكان موضوع الطوبونيميا خاتمة فصول الأطروحة، حيث خصصت لها فصلا بعنوان:" التحولات الطوبونيمية لبلاد الزاب 1-9هـ/7-15م): دراسة في تواصل وانقطاع أسماء المواقع" لهذا المجال البحثي الجديد، من خلال: التعريف به، تحديد أصنافه، وإبراز أهميته. ثم حاولت الإجابة على الاشكالية المتعلقة بتواصل أسماء المواقع ذات الطابع واللغة المحلية (البربرية)، وربطها بعملية التعريب، حيث توصلت إلى ترجيح مفاده: عدم قدرة التعريب على طمس ومسح الموروث المحلي القديم، من خلال النماذج التي عرضناها مفصلة في بطاقيات على شاكلة الدراسة المميزة ليوسف عييش:" الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية لبلاد المغرب أثناء الاحتلال البيزنطي". ثم أفردت جزءا خصصته للمواقع الكبرى والصغرى لبلاد الزاب، منطلقا من الوضعية في الفترة القديمة، ثم حضور الطوبونيم في المصادر العربية بمختلف أنواعها (الاخبارية، الجغرافية، الرحلاتية، الفقهية...إلخ)، مع محاولة تحديد أصل التسمية، ومدلولها اللغوي، مستعينا بمعاجم لغوية ودراسات لها صلة بذلك. وقد حاولت التمثل بمحمد حسن في أسلوب دراسته ومنهجه للطوبونيميا بمجالات إفريقية.

بعد اكتمال فصول البحث، كان لزاما حصر النتائج المتحصل عليها، والمستخلصة من الدراسة، والتي تم جمعها في خاتمة البحث، حيث أشرت إلى أن أبرز النتائج المتوصل إليها تبقى نسبية وغير نهائية، فهي محاولة جادة لملأ الفراغ المتعلق بالجغرافية التاريخية في المرحلة الوسيطة. كما أشرت في العنصر المتعلق

بآفاق البحث إلى مدى أهمية هذا المجال البحثي، وقيمة الدراسة المطروقة، ووجوب المضي قدما لمواصلة واستكمال النقائص الحاضرة بالبحث، باعتباره مجرد مفتاح لباقي الباحثين المهتمين بهذا التوجه.

دراسة وتحليل المصادر والمراجع:

1- المصادر:

لقد كانت فترة الموضوع المطروق طويلة نسبيا، وطبقا لنوعية الموضوع، فقد كان لزاما علي الاعتماد على جل أنواع المصادر حتى المخطوطة منها، وهذا بحثا عن المعلومة، التي غابت للأسف خلال القرنين الهجريين الأول/7م والثاني/8م، كما يلاحظ غيابها خلال القرن الهجري السابع/الثالث عشر الميلادي، ونهاية القرن الهجري التاسع. لقد أسهمت المصادر المعتمدة، كل في مجاله، بكم متباين من المعطيات، ويمكن تلخيص درجة الاستفادة من هذه المصادر في الآتي:

أ- النصوص الإخبارية:

بداية يجب التنويه إلى أن المصادر الاخبارية التي عنت بعمليات الفتح الأموي تحديدا قد كانت الأنيس الوحيد لي في مرحلة الغموض التي سادت مقاطعة الزاب خلال القرنين الأول والثاني/7 و 8م، ومن أهم المصادر الاخبارية المعتمدة:

-كتاب التاريخ لخليفة بن خياط العصفري (ت 240هـ/855م)، ومؤلف الكتاب عاش ما بين القرنين الثاني والثالث الهجريين/8-9م، وقد كان لمحتوى كتابه المبني على الحوليات أهمية في جوانب عدة بدراستي، فمنه تم تحديد بعض المسالك الداخلية لبلاد الزاب من خلال الحملات العسكرية للفاتحين الأمويين، إضافة إلى اسهامه في الفصل المتعلق بالجماعات السكانية والمذهبية من خلال العناصر المكونة لمجتمع الزاب خلال الفترة الاسلامية المتقدمة، من شاكلة بقايا الجماعات اللاتينو بيزنطية (الأفارقة-الروم)، ثم البربر، والعرب.

- كتاب الفتوح (مصر والمغرب/ إفريقيا والأندلس) لابن عبد الحكم (ت257هـ/871م)، ويمثل مصدره نموذجا للروايات المصرية حول الفتح الأموي، وقد استند فيها على رواية الليث بن سعد، حيث أفادني في معرفة طرق الحملات العسكرية ومنها تمكنت من مطابقتها بالمسالك القديمة. كما عرّف في كتابه المراحل الأولى للأمويين ببلاد المغرب، في محاولتي الجادة لتفسير الغموض الذي واكب تحول بلاد الزاب إلى مقاطعة أموية.

-فتوح البلدان للبلاذري (ت279هـ/892م)، وقد استند في جل كتابه على روايات منقولة عن بكر بن الهيثم، ومحمد بن سعد، والواقدي، وغيرهم، على أن المعلومات المتعلقة بالزاب شحيحة للغاية بمصدره، لكنه كان سندا لي في الجانب الاجتماعي من خلال التدليل على الجماعات التي شكلت

التركيبة الاجتماعية في نهاية القرن الهجري الأول، وأخص هنا الروم والبربر، وتحديدا بربر أوراس. كما لا يخلو المصدر نفسه من معلومات متفرقة حتى عن مرحلة حكم عمر بن حفص، كما أفادني في الجانب المذهبي من خلال الاشارة الواردة بخصوص حضور الجماعة الاباضية بالمنطقة.

-كتاب طبقات علماء إفريقية لأبي العرب بن تميم التميمي (ت 333هـ/944م)، وهو من مصادر الطبقات والتراجم، لكنه يبتدأ بمقدمة طويلة تخص فتوح إفريقية، ومعظم ما ورد به حول بلاد الزاب وإفريقية هي نقول عن شخصيات عايشت الفترة، وفيه بعض المعطيات المتعلقة بفتح الزاب، وموقعة تهودة، والجماعات التي كانت بمجالات الزاب وديانتهم النصرانية. ونفس المعلومات نجدها في كتابه الآخر (كتاب المحن)، الذي حققه عمر سليمان العقيلي، وطبع بالسعودية سنة 1984م.

- كتاب إفتتاح الدعوة للقاضي النعمان (ت 363هـ/974م)، ويأتي في مقدمة المصنفات الإسماعيلية، فهو مهم لدراسة وضعية الزاب ومدنه خلال الفترة الفاطمية، وأهم التحولات المجالية التي حدثت خلال القرن الهجري الرابع بعد تشييد مدينة المسيلة إلى الغرب. كما أمدني المصدر ذاته بالكثير من المعطيات المتعلقة بالجماعات السكانية والمذهبية فيما يخص تراجع المذهب والنفوذ الاباضي بالأرياف لصالح قوة الجماعات الاسماعيلية، بالإضافة إلى دور المصنف نفسه في تحديد الكثير من المسالك الداخلية متعلقة بالحملات التي قادتها الجيوش الفاطمية لحصار والاستحواذ على المدن الأغلبية.

- كتاب سيرة الأستاذ جوذر للعزيزي الجوذري (ت 390هـ/1000م) يأتي في الترتيب الثاني، بفضل معايشته للفترة الزاهية للدولة الفاطمية ببلاد الزاب خاصة، وقد أفادني ببعض المعطيات حول الجماعات النكارية، وكذا بعض أسماء المواقع بالأخص في المرحلة الختامية لحركة صاحب الحمار بغرب الزاب. دون أن ننقص من دور المصدر في الجانب السياسي، حيث مكننا من معرفة تحول التبعية السياسية للزاب في بداية القرن الهجري الرابع ثم ما بعد تولى عائلة بني حمدون لحكمها.

-كتاب تاريخ إفريقية والمغرب للرقيق القيرواني (ت 420هـ/1029م)، وقد اعتمدت عليه في الفصل المتعلق بالمسالك، إضافة إلى وضعية بلاد الزاب خلال المرحلة العباسية، والأغلبية، وكذا تمكنني من جمع مادة تاريخية مهمة فيما يتعلق بالتركيبة الاثنية لمجتمع الزاب خلال القرون الهجرية الثلاثة الأولى، وكذا حضور الجماعة الاباضية ببعض مدن الزاب على أيام عمر بن حفص بكل من القاعدة طبنة، وتهودة. كما أفادنا المصدر نفسه في حصر بعض أسماء المواقع التي جمعتها في الفصل المتعلق بالتحولات الطوبونيمية ببلاد الزاب.

-كتاب رياض النفوس لأبي بكر المالكي (ت حوالي 474هـ/1081م)، ويعتبر من النصوص القيروانية المهمة في الفترة المتقدمة من التاريخ الاسلامي للمنطقة، مع دمجه لبعض المعطيات ذات الطابع



الاسطوري كما هو حال رواية وصول أبي المهاجر دينار إلى عيونه غربا بنواحي تلمسان، وهي الرواية التي بقيت محل تشكيك من قبل بعض الباحثين على غرار علاوة عمارة، هذا الأخير أدرج الرواية في زاوية الأسطورة لميلادها المتأخر. المصدر يمكن إدراجه كذلك ضمن كتب الطبقات لاحتوائه في كلا جزئيه على الشخصيات المالكية التي وفدت على القيروان وإفريقية، لكنه أفادني في بداية جزئه الأول بالكثير من المعلومات التاريخية المتعلقة ببلاد الزاب، وكذا في جانب الطوبونيميا والمسالك التي تربط بين بعض مدنها على غرار المدن الواقعة إلى جنوب أوراس وأقصى الغرب من المسيلة، وهي المسالك التي يمكن تحديدها بالاستعانة بالخرائط الأثرية القديمة متبعين خط سير الحملات الأموية. كما كان للجانب الاجتماعي حضور في رياض النفوس، حيث مكنني من تقفي أثر الجماعات التي استقرت واستمرت بمدن الزاب وغيرها من المجالات المتعلقة بالمغرب الأوسط خلال مرحلة الفتح وبعده بفترة ليست بالقصيرة، على غرار الجماعات المحلية (البربر)، والبقايا اللاتينو بيزنطية بديانتهم المسيحية.

-كتاب المقتبس لابن حيان القرطبي (ت 469هـ/1077م)، وهو من المصادر المتعلقة بتاريخ الأندلس، واعتمدت عليه في تحديد الحراك القبلي لفصيل بني برزال وعائلة بني حمدون حكام الزاب، ودور السلطة الأموية على أيام المستنصر في خروجهم عن طاعة الفاطميين وارتحالهم إلى الأندلس أين شكلت جماعة بني برزال مملكتها بقرمونة. كما أفادني المصدر ذاته في الجانب المذهبي، من خلال تحديد المذهب التي اعتنقته بعض الجماعات من زناتة، على غرار بني برزال الذين اعتنقوا الاباضية النكارية.

- كتاب المن بالإمامة لابن صاحب الصلاة الباجي (ت على الأرجح 594هـ/1198م)، وهو من المصادر التي تناولت المرحلة الموحدية، وأفادني في مرحلة الهجرات الهلالية، واستقرار بني رياح ببلاد الزاب وإفريقية، واندماج هذه الجماعات دينيا واجتماعيا في مجتمع الزاب، وانقيادهم للسلطة الموحدية من خلال اشتراكهم في الغزوات الموحدية بالأندلس.

-كتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير (ت 630هـ/1233م)، من المصادر التي اعتمدت على الحوليات في ذكر الأحداث التاريخية، وبالرغم من تأخره، فإنه نقل عن روات إفريقية، على غرار ابن شداد الصنهاجي صاحب الجمع والبيان، إلا أنه كان سندا لي في فك الغموض المتعلق بالقرنين الأول والثاني، كما ساعدني في مبحث المسالك الداخلية، من خلال ما عرضه من حملات الفتح الأموي، صراع السلطة الأموية-العباسية، والأغلبية مع الجماعة الاباضية بمجالات الزاب: في طبنة وتهودة. أضف إلى ذلك المعلومات المتعلقة بالنصف الأول من القرن الهجري الرابع/العاشر الميلادي، والمتعلق بالصراع النكاري-الاسماعيلي ممثلا في حركة صاحب الحمار أبي يزيد، وكل هذه الأحداث ساهمت في المبحثين المتعلقين بالجماعات (السكان والمذاهب). بالإضافة الى مبحث المسالك سالف الذكر، وكذا أسماء

المواقع عبر محطات الحملات العسكرية بين الطرفين. كما لا يخلو المصدر ذاته من مختلف المعلومات التاريخية منها المفصلة، ومنها المختصرة، حتى النصف الأول من القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي.

-كتاب أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم لابن حماد الصنهاجي (ت 628هـ/1231م)، وهو من المصادر التي نقلت عن المصنفات الاسماعيلية، وأفادني بشكل كبير في تحديد الكثير من الطوبونيمات (أسماء المواقع) بشتى أصنافها، كما ساهم خلال دراستي في حصر عديد المسالك الطولية غرب أوراس وحتى غرب المسيلة عند جبل سالات، والمسالك العرضية من طبنة إلى حدود بسكرة. كما أعانني المصدر ذاته في حصر مجموعة الجماعات التي استقرت بمدن الزاب وحوله، كما هو الحال ببنطيوس وبسكرة والمسيلة ونقاوس وطبنة ومقرة. ولا يفوتني التذكير بأهمية المصدر في الجانب المذهبي، حيث جاء فيه اعتناق الجماعات المحلية للمذهب الإباضي بصنفيه النكاري، والشراة.

-كتاب المعجب لعبد الواحد المراكشي (ت 647هـ/1249م)، وهو من مصادر الفترة الموحدية، كان له فائدة جليلة في الجانب الاجتماعي من خلال ما ورده المصدر من معلومات حول الجماعات العربية الهلالية وأدوارها في المجتمع وعلاقتها بالغزوات الموحدية بالأندلس. كما أفادني المصدر ذاته في التبعية السياسية للزاب على العهد الموحدي. إلى جانب هذا، ساعدني المصدر في مبحثي المسالك الداخلية والخارجية، حيث تم حصر عدد من المسالك وأطوالها انطلاقا من نقاوس إلى حدود بسكرة بالاستعانة بالخريطة الأثرية. إضافة إلى المسالك الخارجية من الزاب مبتدئها بسكرة إلى الحدود الجنوبية التونسية عند قفصة وتوزر.

-كتاب نهاية الأرب للنويري (ت 733هـ/1333م)، بعض محتوى كتابه منقول عن الرواية القيروانية التي سمتها التأخر والأسطورة في بعض الأحيان، ونهاية الأرب من المتفردين بالمعطيات المتعلقة بالجهة الجنوبية للزاب، بالأخص المجال الممتد من طبنة إلى جنوب أوراس عند بادس، ولا نجد لهذه المعطيات حضور إلا في الرواية الجد متأخرة لابن أبي دينار (ت على الأرجح 1111هـ/1699م) في مؤلفه المؤنس في أخبار إفريقية وتونس. كما أمدني كتاب نهاية الأرب بالكثير من المعلومات التاريخية، ووضعية الزاب خلال الفترات المتعلقة بالكيانات السياسية المتداولة في طابعه الكرونولوجي المميز. وأفادني في حصر بعض المسالك الطولية والعرضية للزاب. بالإضافة إلى مساهمته في تحديد الجماعات التي استوطنت المجال المدروس، والتحولات التي طرأت على البنية الاجتماعية.

-كتاب العبر لصاحبه ابن خلدون (ت 808هـ/1406م)، وهو عبارة عن ديوان جمع فيه صاحبه كل الأحداث التاريخية، وقد اعتمدت على أجزاء ثلاثة منه. ساعدني الجزئين السادس والسابع في الفصل

المتعلق بالجماعات، لما فيهما من معطيات قيمة حول النسب المفصل للجماعات الزناتية، والهلالية على السواء. إضافة إلى المواطن القديمة لزناتة ودور الهجرة الهلالية في حصر مجالاتها، وأحيانا أخرى في حراكها القبلي القسري إلى الأرياف. كما أفادنا كتاب العبر في جوانب أخرى، كما في مبحث الطوبونيميا من خلال ذكره لمواقع لم ترد في المؤلفات الأخرى على غرار طوبونيم حياس، فرفار، لوطاية وغيرهم. كما أفادني الجزء الرابع في توكيد بعض المسالك التي توصلت إليها في الفترات الزمنية السابقة.

-كتاب اتعاظ الحنفا بأخبار الائمة الفاطميين الخلفا للمقريزي (ت 845هـ/1441م)، وهو من المصادر المهمة الناقلة عن المصنفات الاسماعيلية، وقيمته التاريخية ساعدتني من خلال جزئه الأول في حصر الجماعات التي استوطنت غرب الزاب، بالأخص بني برزال وبني كملان إضافة إلى المعلومات المتعلقة بالجماعات المذهبية، مع ثورة صاحب الحمار، وعملية الترحيل القصري لبعض القبائل المساندة له، على غرار بني كملان المستقرين بنواحي المسيلة. كما أفادني في الجانب السياسي، والتحولات البارزة على السلطة ببلاد الزاب، بالأخص خلال القرن الهجري الرابع/العاشر الميلادي.

-كتاب عيون الأخبار وفنون الآثار للداعي إدريس القرشي (ت 872هـ/1487م)، وهو من المصادر التي نقلت أيضا عن المصنفات الاسماعيلية على غرار ابن حماد الصنهاجي، وقد أفادني في فصلي المسالك، والطوبونيميا، فهو يورد مجموعة من أسماء المواقع التي لا نجدها في غيره ممن نقل عن المصنفات الاسماعيلية. أضف إلى ذلك، فقد ساعدني المصدر ذاته في تحديد بعض معالم التوطين ببعض مدن الزاب، وكذا في الجانب المذهبي.

-كتاب تاريخ مملكة الأغالبة لابن وردان، وهو أحد المصادر المتأخرة لأن صاحبه يكون قد عاش خلال القرن الهجري التاسع أو العاشر، وهو متعلق بالفترة الأغلبية (184هـ-296هـ/ 800-909م)، وقد أفادني في تحديد التبعية السياسية للزاب من نهاية القرن الهجري الثاني/8م وحتى نهاية القرن الهجري الثالث/9م تاريخ وصول الفاطميون، كما كانت له الإضافة في مبحث أسماء المواقع، وإضافة ثانية في مبحث الجماعات السكانية والمذهبية خلال مرحلة الزاب الأغلبي.

ولحاجتي في موضوعي المطروق إلى مصادر متعلقة بالنسب، فقد أدرجت جملة منها:

- جمهرة النسب لابن الكلبي (ت 204هـ/820م)، وقد أفادني في ضبط شجرة النسب للفصيل العربي الأول الذي ورد على مدن الزاب، واستقر بها، على غرار: بني تميم ببلزمة ونقاوس، وبني ضبة بمقرة. كما ساعدني في الجماعات الهلالية بتحديد أصولهم القبلية ونسبهم.

-معطيات أحياء البربر وقبائلهم في صورة الأرض لابن حوقل، وهي المعلومات التي أفادتني في تحديد جذور بعض البطون الواردة في المصادر المختلفة، ومطابقتها ببعض المعطيات الواردة في نصوص ابن

حزم، وابن خلدون. كما ساهمت معطيات ابن حوقل في فصل الطوبونيميا فيما يتعلق بأصل تسمية الموقع المشتقة من اسم القبيلة، على غرار: طوبونيم باغاية ومقاربته ببطن زناتة باجاية، طوبونيم دوسن ومقاربته ببطن زناتة دوسين.

- جمهرة أنساب العرب لابن حزم الأندلسي (ت 456هـ/1064م)، وقد أفادني ببحثي في جانبين، الأول يتعلق بمعلومات حول نسب العرب ممن استقر بمدن الزاب على أيام الفتوحات الأموية، أو الذين وردوا على دفعات في صورة قبائل الجند العرب خلال مرحلة الصراع مع الجماعات الصفرية والاباضية. كما ساهم بمعطيات مهمة حول شجرة البربر، في الفصل الموسوم بـ:" جمهرة من نسب البربر".

- تاريخ ابن خلدون، بالرغم من تأخر هذا المصدر، إلا أنه يمثل أحد المصادر الجليلة في الجانب الاجتماعي، فمنه استطعت تحديد المجالات القديمة للكثير من القبائل البربرية ما قبل التغريبة الهلالية، ومواطنهم الجديدة بعدها. كما أضاف لي معطيات كثيرة حول الجماعات الهلالية، فروعهم وحياتهم البدوية قبل دخول المغرب، مرحلة الولوج للمجال الزاب وتأثيرهم السلبي والايجابي في البنية الاجتماعية، ثم توزعهم بمدن الزاب، استقرارهم واندماجهم الاجتماعي والديني، دورهم الحضاري والجهادي، وغيرها من المعطيات المهمة حول هذه الجماعات الوافدة.

ب- النصوص الوصفية:

كما اعتمدت على عدد لابأس به من كتب الجغرافيا ومصادر الرحلة، ألخصها في الآتي:

- كتاب البلدان لليعقوبي (ت 284هـ/897م أو بعد 292هـ/905م)، وهو تأليف مشرقي، احتوى على معلومات قيمة حول بلاد الزاب، واعتمدت عليه في مبحث وضعية مجال الزاب خلال القرن الهجري الثالث/التاسع الميلادي، كما أفادني في مبحث تركيبة مجتمع الزاب خلال نفس الفترة. وساعدني في حصر مسالك، وتواصل أو انقطاع تسمية المواقع لبلاد الزاب للفترة ذاتها. لكن ما يؤاخذ على كتاب البلدان، ويبقي محل شك، هو المعطيات المتعلقة بتمدد مجال الزاب إلى حدود ميلة.

- كتاب أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم للمقدسي البشاري (ت على الأرجح 380هـ/990م)، وهو من المؤلفات المشرقية، وقد وقع في نفس سهو اليعقوبي، حين مدد مجال الزاب غربا إلى مدينة أشير زيري خلال القرن الهجرس الرابع/العاشر الميلادي، وهو ما شككت فيه، وربطت ذلك بجهل المشرقيين بجغرافية بلاد المغرب. وقد أفادني بشكل كبير في مبحث مجال الزاب في الفترة ذاتها، أين يظهر تمدد الزاب في جنوب نوميديا وأعني الفضاء البسكري الواحات. كما ساعدني في ضبط الشكل التركيبي للطوبونيميا، وتحديد الأطوال بين المحطات والمواقف باستخدام المرحلة. إضافة إلى إفادتي في مبحث

الانتاج الزراعي بمدن الزاب والذي يتم نقله عبر هذه المسالك لتداوله في الاسواق، من خلال وصفه النخيل وتمور بسكرة، والجوز والثمار الجبلية بنقاوس.

- كتاب صورة الأرض لابن حوقل النصيبي (ت 367هـ/977م)، فترة تأليف الكتاب متعلقة بالمرحلة الفاطمية، وقد أفادني كثيرا في جوانب عدة بالموضوع المطروق، فمنه استقيت بعض المعطيات حول وضعية الجماعات ببلاد الزاب، كما هو الحال بالنسبة لبقايا الموروث المسيحي المختفين، والذين عوضوا بفئة برقجانة، بعدما تحولت هذه الجماعات إلى الاسلام. كما أفادني المصدر في فصل المسالك لبلاد الزاب الداخلية، وحتى الخارجية للقرن الهجري الرابع، بعد مطابقتها ومقارنتها بما أورده المقدسي البشاري، وبعض معطيات كتاب المسالك لمحمد بن يوسف الوراق. ونفس الحال بالنسبة لأطوال الطرق والمحطات التي تقع على طولها، والسلع والمنتجات المختلفة بمدن الزاب التي تم تداولها على طول هذه المسالك. كما ساعدني في الجانب الطوبونيمي، من خلال المقارنات المتعلقة بالشكل التركيبي للطوبونيم.

- كتاب المسالك والممالك للبكري (ت 487هـ/1094م)، وهو من المؤلفات الأندلسية، وفيه تم نسخ واتمام المعطيات والنصوص الجغرافية لمحمد بن يوسف الوراق (ت 363هـ/974م)، وعليه يمكن ربط معلوماته بالقرنين الهجريين الرابع، وبداية القرن الخامس إلى ما قبل وصول الهلاليين، لغياب دلائل تامة عنهم في مؤلفه. وجغرافية البكري ساعدتني بشكل كبير في حصر التحولات الثقافية والاجتماعية بمدن الزاب، بالأخص ما تعلق بفئة بقايا الموروث البيزنطي أو اللاتيني أو فئة المولدين في نصوص البكري، بعدما اعتنقوا إسلاما مالكيا. كما قدم لي الاضافة حول الوضعية الدينية للجماعات في الأرياف بعد انتشار المذهب الاباضي في مواجهة مذهب أهل المدينة بالحواضر والمدن. زيادة على هذا، ساهمت المعطيات الجغرافية للبكري خلال دراستي في فصل المسالك، والتبادلات التجارية، إضافة إلى فصل الطوبونييما.

- كتاب نزهة المشتاق أو كتاب روجر للإدريسي (ت على الأرجح 560هـ/1160م)، استخدمته في دراسة وضعية الزاب خلال القرن الهجري السادس/الثاني عشر الميلادي، مع ربطه بالمعطيات التي وفرها لنا كتاب الاستبصار لمؤلف مراكشي مجهول عاش خلال القرن الهجري السادس، وقد أفادني بشكل كبير في جوانب عدة، على غرار الجانب الاجتماعي وحضور العرب الهلاليين بمجالات الزاب كما هو الحال بنقاوس، وطبنة، ودار ملول، وحصن بادس. وكذا أعانني في حصر المسالك، أطوالها، والمحطات والمواقف. إضافة إلى التبادلات التجارية عبر هذه المسالك.

- كتاب الاستبصار لمؤلف مجهول (كان حيا 6هـ/12م)، وهو من المؤلفات المهمة لوضعية الزاب في نهاية القرن الهجري السادس/12م، لما احتواه من معطيات مهمة في تحديد مجال الزاب، والمدن المشكلة

له خلال هذا الفترة سالفة الذكر. كما ساعدني في مقارنة معطيات الواردة في نزهة المشتاق، فيما يتعلق بالأشكال التركيبية لأسماء المواقع المشكلة لمجال الزاب، المسالك، وأطوالها. الجانب الاقتصادي لمدن الزاب من خلال ما عرضه المصدر من سلع وبضائع، والمبادلات التجارية الداخلية والخارجية، كما هو حال الجوز النقاوسي، الذي يحمل عبر الطرق الداخلية إلى قلعة بني حماد، وبواسطة المسالك الخارجية إلى مدينة بجاية والقيروان. كما كان قدم لي المصدر دعم للوضعية الجديدة للخريطة البشرية ما بعد الهجرات الهلالية، والتحولات التي طرأت على وضعية مواطن النفوذ القديمة للجماعات السكانية.

– وصف إفريقيا للحسن الوزان الشهير بليون إفريقيا (ت بعد 957هـ/1550م)، وقد اعتمدت عليه لملأ نقص المصادر حول الزاب خلال القرن الهجري التاسع/الخامس عشر الميلادي، حيث ساعدني كتاب الوزان في تحديد الخريطة المجالية للزيبان بعد انفصال زاب نقاوس، والبسيط الغربي أو الحضنة عنها، وكذا ساهم المصدر في حصر المدن المشكلة لمجال الزيبان.

– كتاب إفريقيا للإسباني مارمول كاربخال (ت بعد 979هـ/1571م)، وهو نسخ تام لمؤلف الوزان، أين تتشابه المعلومات بين المصدرين إلى حدود النقل الحرفي للمعطيات بينهما، وبالطبع لم تخرج الفائدة التي لمستها في كتاب كربخال عن فوائد مؤلف وصف إفريقيا للحسن الوزان.

– الرحلة العياشية لصاحبها عبد الله بن محمد العياشي (ت على الأرجح 1073هـ/1663م)، فبالرغم من أن المصدر تتجاوز فترته الاطار الزمني للدراسة، لكنني ارتأيت العودة إليه والاستعانة به لما فيه من معطيات مهمة حول مجال الزيبان والمدن التي ضمها، في ظل نقص مصادر القرن الهجري التاسع، من خلال مواكبة درب الحج الذي جاء وصفه بالأخص في الجزء الثاني من الكتاب. كما ساهم في ضبط الجماعات المسيطرة على المجال الزابي، ووضعية المسالك خلال القرنين التاسع والعاشر الهجريين، بالخصوص ما تعلق بالسطو والنهب التي ارتبطت واستمرت بفئة الأعراب حتى هذه الفترة الزمنية.

ت–المخطوطات: اعتمدت على مخطوط وحيد ممثلا في رحلة أبي علي اليوسي المغربي (ت 1102هـ/1691م)، وهو مخطوط في 26 ورقة عثرت عليه بالخزانة الإلكترونية لمركز ودود، تحت رقم 3128، ومصدره الخزانة الملكية بالرباط[1]، بحيث لم أستطع الحصول على النسخة المحققة الصادرة في 2018م، والتي أشار فيها المحقق إلى صاحب الرحلة، وأيضا إلى كاتب الرحلة، وهو محمد العياشي بن الحسن اليوسي (ت 1131هـ/1719م)[2]. وأفادتني الرحلة في الفصل الأول المتعلق بالمجال الزابي في نهاية القرن الهجري التاسع/15م، كذلك ساهمت الرحلة رفقة كتاب رحلة العياشي في

[1] http://wadod.com/bookshelf/book/694.

[2] رحلة اليوسي، تحقيق: أحمد الباهي، بيت الحكمة، تونس، 2018.

فصلي الجماعات العربية، و خريطة المسالك والطرق، من خلال تتبعي لوصفه المفصل لدرب الحج المار جنوبا في الفضاء البسكري وواحاته.

ث- المصادر الأثرية:

لقد قدمت المعطيات الأثرية والكتابات الايبغرافية (النقائش) إضافة كبيرة للبحث، بالرغم من انعدام معرفتي باللغة اللاتينية، ومن أبرز هذه المصادر أذكر ألواح بوتنغر[1] التي ساهمت في شقي: الطوبونيميا و والمسالك، وكان اسهام بيار سلامة هو الآخر كبير فيما يتعلق بالخرائط الأثرية لمسالك بلاد المغرب، من خلال دراسته: *" Les voies romaines de l'Afrique du nord"* ، رفقة الدراسة المميزة لجين باراداز "*Fossatum Africae*". بالإضافة إلى النقائش الواردة في الدراسات الأثرية على غرار أبحاث غزال: (*Les Monuments antiques de l'Algérie*)، وكذلك (*Atlas archéologique de l'Algérie*)، هذا الأخير أفادني في فصل الطوبونيميا لجمعه معطيات مختلف المصادر، على غرار: بلين القديم، وبروكوبيوس، والمسلك الأنطونيني، والمصادر المسيحية.

-كما أسهمت دراسات أجنبية مختلفة في الموضوع، اعتمدت هي الأخرى جملة من المصادر الأثرية، على غرار: مشارك، ومواق، وفيرجيني، ودولاتر، وكومبيزا، وبلونشي، وديهل، وموريزو، ودي تروسي، ونيوك، وقاسكو، ومارسي، وفيرو، وغيرهم. وكل هذه الدراسات أعانتني في مختلف جوانب دراستي، وكانت لي معينا بفضل ما احتوته من معطيات أضفتها لنصوص وروايات المصادر العربية، حتى يتسنى الإجابة ولو بشكل ترجيحي على أغلب الإشكاليات المطروحة.

2- المراجع:

-كتاب هشام جعيط تأسيس الغرب الإسلامي، والذي أفادني في مبحث مجال الزاب خلال العهد الأغلبي، كما قدم لي إضافة في فصل الطوبونيما. بالإضافة إلى دراسته "إفريقية العربية (86-184هـ/705-800م"، وهي الدراسة التي أفادتني بشكل كبير في الجزء المتعلق بتركيبة مجتمع الزاب خلال القرون الثلاثة الهجرية الأولى، بالأخص بقايا الجاليات اللاتينية والبيزنطية ببلاد الزاب ممثلة في فئة الأفارقة والروم.

- كتاب الجغرافيا التاريخية لإفريقية لمحمد حسن، وهي دراسة جد مهمة، سهلت لي الولوج إلى موضوعي من خلال القراءة المعمقة لطريقة دراسته لبلاد إفريقية في مؤلفه، كما أسهمت في جانب المسالك بالأخص الخارجية بين الزاب وإفريقية عبر معابر متعددة. كما ساهمت الدراسة في تحديد بعض المفاهيم

---

[1] Tabula Peutingeriana, P a r s V :
http://www.hsaugsburg.de/~harsch/Chronologia/Lspost03/Tabula/tab_pe05.html.

المتعلقة بأصناف الطوبونييما ومجالاتها. زيادة على دور الدراسة في الجانب الاجتماعي بفضل ما عرضته من جماعات مستقرة بإفريقية، والتي يعتبر بلاد الزاب أحد مقاطعاتها تحديدا في الفترة الاسلامية الأولى. كما كان لدراسته الثانية : المدينة والبادية بإفريقية في العهد الحفصي بعض الاضافات في الجانب الاجتماعي، بالأخص ما تعلق بالجماعات الهلالية.

-كتاب الطوبونيميا الأمازيغية في جزئه الأول لساعد خديجة، وقد أفادني في فصل الطوبونيميا، بالأخص العمق المحلي لاسماء المواقع بمجال الزاب، ومدلولاها اللغوي المحلي.

- دراسات علاوة عمارة على غرار: "الهجرة الهلالية وإشكالية انحطاط حضارة الغرب الإسلامي الوسيط: قراءة في نقاش تاريخي"؛ " الهجرة الهلالية وأثرها في تغيير الاجتماعية لبلاد الزاب"؛ " بين جبل أوراس والواحات: ظهور وانتشار واختفاء الجماعات الإباضية بالزاب (ق2-3 هـ/ 8-9م)" ترجمة عبد القادر مباركية؛ "التحولات المجالية والطبونيمية لبلاد الزاب من الفتح الاسلامي إلى نهاية القرن الهجري الثامن/الرابع عشر الميلادي"؛ "موقع تلمسان من كرونولوجيا انتشار الاسلام في بلاد المغرب (ق 2-6 هـ/8-12م)": مغرب أوسطيات. وقد اعتمدت على كل هذه الدراسات في كل فصول بحثي، لما احتوته من معطيات مهمة.

- الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية لبلاد المغرب أثناء الاحتلال البيزنطي ليوسف عيبش، وهي عبارة عن أطروحة دكتوراه أعاد الباحث نشرها في كتاب، وهي دراسة متخصصة في العهد البيزنطي، وقد تمثلت بطريقة عمل الباحث خلال عرضه للمواقع الأثرية في شكل لوحات، وهي نفس الطريقة التي اتبعتها في مبحثي أسماء المواقع الكبرى لبلاد الزاب. وأفادتني الدراسة في الجانب الاجتماعي، والطوبونيمي من خلال حصر أسماء المواقع في المصادر القديمة المختلفة، ومحاولة مقارنة التسميات المعربة في المصادر العربية، ثم البحث عن أصلها فيما بعد، ومدلولها في القواميس، مستعينا بأجزاء المعجم الأمازيغي العربي لمحمد شفيق، وقراءات كتاب الطبونيميا الأمازيغية لساعد خديجة، وبعض الدراسات ذات الصلة.

لقد واجهتني خلال إعدادي للأطروحة الكثير من المعوقات والصعوبات، أذكر منها:

- نقص معرفتي بالتاريخ القديم، وهو المشكل الكبير الذي أرهقني، لكن: بفضل الله تعالى، وبفضل توجيهات المشرف، وبعض المتخصصين في هذا المجال وهم مشكورون على ذلك، تمكنت من تجاوز الجزء الكبير من هذا العائق المعرفي.

- إشكالية الفترة الزمنية الطويلة للدراسة (1-9هـ/7-15م)، بالرغم من وجوب أن تكون كذلك، حتى أتمكن من حصر جل التغيرات التي مست المضلعات الأربعة للجغرافية التاريخية، إلا أن جمع

وتبويب المادة العلمية من مصادر تسع قرون كان صعبا ومتعبا، لذا قد يكون نسيان بعض المصادر التي لم أعتمد عليها بدراستي عفويا وغير مقصود بالمرة.

-نقص معرفتي باللغة البربرية وفروعها لتحديد المدلول اللغوي لبعض الطوبونيمات المحلية هو الآخر أحد الصعوبات التي واجهتني، وقد تغلبت عليها بفضل الاستئناس بالقواميس اللغوية، وبثلة من العارفين بخبايا هذه اللغة، وهم مشكورون على ذلك.

– قلة الدراسات المحلية السابقة المتناولة للجغرافية التاريخية في الفترة الوسيطة، باستثناء دراسات تعد على الأصابع.

-غموض وضعية الزاب في المصادر خلال مراحل مختلفة على غرار القرنين الأول والثاني، والقرن السابع الهجري، وحتى نهاية القرن التاسع الهجري، مما جعل الوصول إلى النتائج المرجوة من الدراسة صعبا للغاية، وانتهيت إلى نتائج أغلبها مبنية على الترجيحات والنسبية، بفضل الاسقاطات التي اعتمدتها من المصادر القريبة من نهاية الاطار الزمني للدراسة.

نوقشت بقسنطينة

يـــوم الخميس 08 ذو القعدة 1440هـ

الموافق لــ11 جويلية 2019م

الفصل الأول

الخريطة المجالية لبلاد الزاب وتحولاتها (1-9هـ/7-15م)

التشكل- الامتداد- التقلص

أولا- بلاد الزاب مقاطعة أموية

ثانيا- الزاب الأغلبي والقطيعة المجالية مع الماضي الأموي

ثالثا- الجماعات الإسماعيلية والخريطة المجالية للزاب

رابعا- الزاب الحمادي ومرحلة المقاطعات والقواعد الثلاثة: القلعة- نقاوس- بسكرة

خامسا: الهجرة الهلالية وأثرها في الخريطة المجالية لبلاد الزاب

سادسا: من بلاد الزاب إلى الزيبان

سابعا: بلاد الزاب حتى نهاية القرن الهجري التاسع/15م

الفصل الأول

الخريطة المجالية لبلاد الزاب وتحولاتها (1-9هـ/7-15م)

التشكل- الامتداد- التقلص

بعد مرحلة مليئة بالتجاذبات العسكرية والمقاومة، انتهت بنجاح الفاتحين الأمويين في السيطرة على المقاطعة البيزنطية بإفريقية وبقية بلاد المور بالمغرب، سرعان ما سيطغى طوبونيم "الزاب" بانقطاع التسمية القديمة الدالة على المقاطعة البيزنطية "نوميديا"، ليستعمل في النهاية المصطلح الجديد للدلالة على مقاطعة أموية، ستتحول تدريجيا تبعيتها السياسية مع توالي الكيانات السياسية، مع الحفاظ على تبعيتها الإدارية لإفريقية. خلال القرون الهجرية الثمانية الموالية، ستعرف الخريطة المجالية للزاب تحولات ملموسة ارتبطت بعدة متغيرات، وتراوحت بين الامتداد والتقلص، سرعان ما سينحصر مجالها في شكل "زوابي" بالفضاء البسكري وواحاته، ليتغير مصطلح المجال لصالح تسمية "الزيبان". وسنحاول وفق هذا تتبع هذه التحولات المجالية، مع عرض مراحل: التشكل، الامتداد والتقلص في المجال الزابي، كما سنتطرق إلى المدن المشكلة له في كل مرحلة.

أولا: بلاد الزاب مقاطعة أموية

1- من نوميديا إلى بلاد الزاب

قبل بروز الزاب كطبونيم جديد ببلاد المغرب، ومجال ممثل في مقاطعة تتبع للتقسيم الإداري الأموي، تشير دراسات عديدة إلى أن المجال القديم لبلاد الزاب لا يعدو أن يكون الشق الجنوبي لمقاطعة نوميديا[1]، وهي المقاطعة الافريقو-رومانية التي خلفت مملكة نوميديا القديمة[2]. برزت مقاطعة نوميديا بشكل ملحوظ ما بعد الإصلاحات المتتالية للأباطرة الرومانيين في شتى المجالات[3]، مع تواصلها بنفس

---

[1] نذكر منها: عبد الواحد ذنون طه، الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال إفريقيا والأندلس، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2004، ص 115؛ هشام جعيط، تأسيس الغرب الإسلامي القرن الأول والثاني هـ/ السابع والثامن م، دار الطليعة، بيروت، 2004، ص 54؛ الطاهر طويل، المدينة الاسلامية وتطورها في المغرب الأوسط (من النصف الثاني 1 هـ إلى 5هـ)، المتصدر للترقية الثقافية والعلمية والإعلامية، الجزائر، 2011، ص 102؛ علاوة عمارة، "الهجرة الهلالية وأثرها في تغيير البنية الاجتماعية لبلاد الزاب"، المجلة الخلدونية، 9 (2011)، ص 77؛ نفس المؤلف، "التحولات المجالية والطبونيمية لبلاد الزاب من الفتح الإسلامي الى نهاية القرن الثامن الهجري/الرابع عشر ميلادي، مجلة تراث الزيبان، 2016، ص 12.

[2] محمد البشير شنيتي، أضواء على تاريخ الجزائر القديم-بحوث و دراسات، دار الحكمة، الجزائر، 2003، ص 76.

[3] أحمد صفر، مدنية المغرب العربي في التاريخ (عشرون قرنا من تاريخ إفريقية من عصور ما قبل التاريخ إلى آخر العهد البيزنطي)، دار النشر بوسلامة، تونس، 1959، ج1، ص 332-334 (الطرق)؛ محمد البشير شنيتي، المرجع السابق، ص 109-118 (الزراعة والطرق)؛ خنيش عبد الفتاح، التوسع الزراعي في أفريقيا القديمة خلال الفترة الرومانية، مذكرة ماجستير في تاريخ الريف والبادية، إشراف: عقون محمد العربي، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة قسنطينة 2-الجزائر، 2012/2013، ص146-155=

الطوبونيم حتى وصول الفاتحين العرب وهزمهم للبيزنطيين، قبل التخلي الكلي عن طوبونيم (نوميديا) لصالح تسمية الزاب ذات الجذور الغامضة، قد تكون بابلية أو فارسية معربة استعملت لتدل في البداية على مجال حدوده نوميديا الجنوبية، والتي تمتد على طول وادي الأوراس الأعلى وما جاوره، ثم ما فتئ يتمدد مجاله ليعم مقاطعة نوميديا الافريقو-بيزنطية[1].

لقد تم إلغاء مملكة نوميديا القديمة من الخريطة السياسية لبلاد المغرب القديم بعد انتصار (يوليوس قيصر) في إفريقيا، حيث عوضت بمقاطعة رومانية جديدة على طول مجالها أطلق عليها إفريقيا الجديدة أو (*Africa Nova*)[2]، وبهذا يختفي الطوبونيم القديم للمملكة، ليحل محله فيما بعد على إثر التقسيمات الإدارية المعتمدة طوبونيما لمقاطعة بنفس التسمية القديمة للملكة النوميدية حملت إسم "نوميديا".

وتواصل حضور مقاطعة نوميديا حتى القرن الميلادي السادس، أين تمدد نفوذ الوندال والبيزنطيين إلى جنوب الأرواس، وهذا ما أكد يوسف عيبش إنطلاقا من ألواح ألبرتيني حيث جاء فيها ذكر مدينة نقرين، من خلال النقيشة المكتشفة، أين ذهب من خلالها إلى تأكيد التوسع البيزنطي إلى الجنوب الأرواسي[3]. كما كان لكتاب المنجزات للمؤلف البيزنطي بروكوبيوس تأكيد آخر على عودة مصطلح نوميديا البيزنطية، ومن خلال النص الذي قام بنشره دوسانج بعد مطابقته لعدة مدن به على غرار: بغاي، بادس، ومديلة، الدليل على وصول نفوذ البيزنطيين إلى الجنوب[4].

في النصف الثاني من القرن الهجري الأول/7م، وبعد سلسلة من العمليات والحملات العسكرية المنظمة من قبل الفاتحين الأمويين، والتي مست في الغالب الجهة الغربية من إفريقية البيزنطية[5]، اندمجت

= وينظر:

Jean Baradez, *Fossatum Africae. recherches aériennes sur l'organisation des confins sahariens à l'époque romaine.*, Arts et Métiers graphiques, Paris, 1949, p. 351-355 (voies/ Fossatum) ; Pierre Salama, *Les voies Romaines de l'Afrique du nord*, imprimerie officielle du gouvernement général de l'Algérie, Alger, 1951, p. 22-29 (voies) ; Denis Van Berchem, *L'armée de dioclétien et la reforme Constantinienne*, institut française d'archéologie de Beyrouth, Imprimerie nationale, Paris, 1952, p. 37-49 (Limes/Forts/ Castellum)

[1] هشام جعيط، المرجع السابق، ص 54-56. الطاهر طويل، المدينة الاسلامية وتطورها، ص 102؛ علاوة عمارة، "التحولات المجالية والطبونيمية"، ص 12.

[2] محمد البشير شنيتي، المرجع السابق، ص 76؛ خنيش عبد القادر، المرجع السابق، ص أ (الهامش).

[3] يوسف عيبش، الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية لبلاد المغرب، أثناء الاحتلال البيزنطي، أطروحة دكتوراه دولة في آثار وتاريخ المغرب القديم (منشورة)، تحت إشراف: محمد البشير شنيتي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة-الجزائر، 2007/2006، ص 47-48

[4] يوسف عيبش، المرجع السابق، ص 48.

[5] حول حملات الفتح الأموي لبلاد الزاب، يراجع: خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: أكرم ضياء العمري، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، 1405هـ/1985م، ص 251؛ ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، تحقيق عبد المنعم عامر، الهيئة العامة=

بلاد الزاب في الفلك السياسي للكيان الجديد ممثلا في الدولة الأموية، لكن التحول المجالي البارز في هذه المرحلة مثله الإختفاء التام للطبونيم الممثل لكامل المقاطعة النوميدية، وهذا التقلص الغامض أدى إلى انحصار مجال المقاطعة في حيز جغرافي مناطقه واقعة في الجنوب من جبال الأوراس[1].

لقد تزامن هذا التحول المجالي الذي طرأ على المنطقة ككل مع بداية تحولات هامة، وتخلص تدريجي من الإرث اللاتينو-بيزنطي، سينتهي في الأخير بقطيعة نهائية مع الماضي الرومان-بيزنطي في المنطقة لصالح تنظيم مجالي جديد، حيث كانت لعملية التعريب الدور المحوري في محو الكثير من التبعية للماضي الاستيطاني، أين اندثرت الحقيقة العرقية التي مثلها مفهوم نوميديا[2]، مع بقاء بعضا من الموروث الثقافي-الديني القديم بين أوساط ثلة من الجماعات المحلية، اللاتينية، والبيزنطية ببلاد الزاب خصوصا، وجل بلاد المغرب الأوسط عموما حتى القرن الخامس الهجري/11م[3].

إن هذا الواقع قد طرح عموما مجموعة من الاستفهامات، والتي بقيت تسيطر على كتابات الباحثين فيما يخص مصدر تسمية "الزاب"، وكيف تلقبت به المقاطعة؟ بالرغم من الفرضية التي راجت حول وجود اللفظ بالمنطقة قبل وصول الفاتحين، ومحاولة مطابقتها مع اسم المدينة البيزنطية زابي (*Zabi*) التي اشتهرت وارتبط بالإمبراطور البيزنطي جستنيانا؟ أم أن مرجعية التسيمة مشرقي؟ وهو ما يعني أنه لم يتوقف انتقال الموروث الثقافي المشرقي فقط. الأكيد أن القرن الأول للهجرة قد مثل نقطة تحول كبير في بروز مقاطعة الزاب خلفا للمقاطعة البيزنطية نوميديا، وقد انخرطت تدريجيا في الفلك السياسي للخلافة الأموية.

2- مجال الزاب: مرحلة التشكل

ليس بحوزتنا صورة كاملة عن الخريطة المجالية لمقاطعة الزاب-الأموي خلال القرن الأول للهجرة، حيث تنعدم النصوص المباشرة عن المقاطعة، لكن أقرب المصادر التي دلتنا على الخريطة المجالية لبلاد الزاب خلال هذه المرحلة هي بالدرجة الأولى الرواية القيروانية، التي كان لها مكانة هامة في تسليط الضوء على الفتح الإسلامي لبلاد الزاب بالتفصيل، وهذا انطلاقا من مبلورها الأول ممثلا في أبي العرب بن تميم

= لقصور الثقافة، القاهرة، 1961، ج1، ص 262-267؛ البلاذري، فتوح البلدان، تحقيق: عبد الله أنيس الطباع، المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، 1407هـ/1987م، ص 320-321؛ أبو العرب، كتاب المحن، تحقيق: عمر سليمان العقيلي، دار العلوم، الرياض، 1404هـ / 1984م، ص 290؛ نفس المؤلف، طبقات علماء إفريقية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، د.ت، ص 8-10.

[1] هشام جعيط، المرجع السابق، ص 54؛ علاوة عمارة، "التحولات المجالية والطبونيمية"، ص 12.

[2] هشام جعيط، المرجع السابق، ص 54-55.

[3] علاوة عمارة، "موقع تلمسان من كرونولوجيا انتشار الاسلام في بلاد المغرب (ق 2-6 هـ/8-12م)": مغرب أوسطيات (دراسات في تاريخ وحضارة الجزائر في العصر الإسلامي الوسيط)، مكتبة إقرأ، قسنطينة-الجزائر، 2013، ص 25-27.

صاحب الطبقات وكتاب المحن، وكذا الرقيق القيرواني والمالكي، وابن شداد الصنهاجي، ومن نقل عنهم مثل: ابن الأثير والنويري وابن خلدون[1]. فبالرغم من تأخر هذه الروايات بحوالي القرنين ونصف من الزمن أو أكثر عن أحداث الفتح الاسلامي، إلا أنها تبقى من مصادرنا في تثبيت أحداث ومعطيات معرفية كثيرة شملت الخريطة المجالية لبلاد الزاب خلال القرن الهجري الأول/7م في المعطيات الدلالية الآتية:

أ- أذنة: القاعدة الأولى لبلاد الزاب

أشارت الكثير من المصادر التاريخية إلى أن المدينة الرومية القديمة [أدنة][2] هي قاعدة بلاد الزاب الأولى مع ملاحظة هامة طبعت الطوبونيم بذكره بشكل تركيبي متباين ناتج عن أخطاء النساخ. ولعل الرواية القيروانية الشيعية التي مثلها الرقيق القيرواني (ت420هـ/1029م) تعد أبرز الشهادات على ذلك، ففي خضم حديثه عن الحملات العسكرية التي قادتها جيوش الفاتح عقبة بن نافع الفهري ببلاد الزاب خاصة، يورد لنا شهادته الدالة على أن أذنة هي قاعدة ملك الزاب القديم، فبعد أن افتتح مدينة باغاية، وهزم الروم في لميس [لمبيس/لمباز على الأرجح]، نزل عقبة بلاد الزاب:" فسأل عن أعظم مدائنهم قدرا فقالوا :مدينة يقال لها أذنة، ومنها الملك. وهي مجمع ملوك الزاب، وكان حولها ثلاثمائة وستون قرية، وكلها عامرة"[3].

إن هذه الشهادة ليست الوحيدة على أن أدنة كانت أول قاعدة ملك لبلاد الزاب خلال القرن الأول للهجرة، فالنص الوارد في رياض النفوس لأبي بكر المالكي (ت 474هـ/1081م)، يعد دليلا آخر على أن أدنة هي قاعدة الزاب، يقول في هذا:" ثم رحل يريد الزاب فسأل عن أعظم مدينة لهم، فقيل له أذنة وهي دار ملكهم وكان حولها ثلاثمائة وستون قرية كلها عامرة"[4].

قرنان بعد ذلك، تأتي روايات الكامل في التاريخ لأبي الحسن علي بن أبي الكرم المعروف بإبن الأثير الجزري المنقولة عن ابن شداد الصنهاجي[5] كدليل إضافي، مع ملاحظة بعض التغيرات الطفيفة في محتوى الشهادة، من حيث اختلاف معطيات بسيطة، لكن في المجمل تتفق مع ما أورده غيره من

---

[1] علاوة عمارة، "موقع تلمسان"، ص 19.

[2] الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، 1984، ص 20.

[3] الرقيق القيرواني، تاريخ إفريقية والمغرب، تحقيق: عبد الله العلي زيدان وعزالدين عمر موسى، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1990م، ص 11.

[4] المالكي، كتاب رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، تحقيق: بشير البكوش، مراجعة: محمد العروسي المطوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983م، ج1، ص 36.

[5] ما قام به ابن الأثير هو سلخ لكتاب الجمع والبيان في أخبار القيروان ومن فيها وفي سائر المغرب من الملوك والأيام لابن شداد عز الدين بن محمد عبد العزيز الصنهاجي، وفي هذا يراجع: علاوة عمارة، "ابن شداد الصنهاجي جامع تاريخ المغرب الوسيط"، مجلة التاريخ العربي، 21 (2002)، ص 89-90.

المصدريين حول أن أذنة قاعدة بلاد الزاب الأولى عند وصول الفاتحين خلال القرن الأول للهجرة، وفي هذا يقول: "فسار إلى بلاد الزاب وهي بلاد واسعة فيها عدة مدن وقرى كثيرة فقصد مدينتها العظمة واسمها أربة فامتنع بها من هناك من الروم والنصارى وهرب بعضهم إلى الجبال ..ثم انهزم النصارى وقتل كثير من فرسانهم"[1].

إن الغموض الواضح في الشهادة التي نقلها عن ابن شداد، وبالرغم من تأكيده على أن مدينة أدنة هي قاعدة الزاب الأولى عند حملة عقبة لبلاد الزاب، إلا أن المعطيات التي يوردها صاحب الكامل مبهمة خاصة في شقها المتعلق بالجماعات المستقرة بها، ونقصد هنا السكان المحليين من المور أو البربر الذين لا وجود لهم في الرواية.

فهل أذنة كانت ملكا للبيزنطيين فقط؟

أم أن المواصفات المذهبية للمدينة (النصرانية) هي التي وحدّت

الجماعات في بوتقة ليبرزوا في رواية ابن الأثير بالنصارى؟

وإذا كان كذلك فلماذا تظهر جماعة الروم[2] بصفة منفردة عن النصارى وفي نفس الرواية ؟[3]

لقد أبرز ابن الأثير في روايته سياسة التحالفات في أغلب مدن بلاد الزاب وماحولها، حين يظهر ذلك في الاتحاد الذي بنته الجماعات غير المحلية ممثلة في الروم والنصارى، مع الجماعات المحلية البربرية ضد الفاتحين الأمويين، أين عجزوا عن صد الحملات العسكرية الأموية بموقع "أدنة" التي أصبحت مدينة مفتوحة لما تقدم عقبة بن نافع باتجاه تاهرت القديمة[4]. إن هذه الشهادة المميزة بالرغم من تأخرها[5] إلا أنها تجيب عن التناقض الذي نقله ابن الأثير حينما أفرغ مدينة "أدنة" من البربر/المور، وجعلها ملكا بيد الروم والنصارى فقط.

---

[1] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، تحقيق: أبي الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1407هـ/1987م، مج3، ص 451.

[2] الروم لغتهم اليونانية، وديانتهم المسيحية الأرثوذكسية.

[3] حسين مؤنس، فتح العرب للمغرب، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ت، ص 188-190.

[4] ابن الأثير، المصدر السابق، مج3، ص 541.

[5] هناك شهادات غير متأخرة ومميزة في نفس الوقت للبينية الاجتماعية (التوطين البشري والجماعات المذهبية) ببلاد الزاب، قدمها لنا الكثير من المصدريين بالأخص خلال القرون الخمس الهجرية الأولى، على غرار: اليعقوبي وكتابه البلدان، ابن حوقل وكتابه صورة الأرض، البكري ومؤلفه المنسوخ عن ابن الوراق المسالك والممالك في جزئه الثاني المغرب. في هذا ينظر ما كتبه علاوة عمارة حول التغيرات في البنية الاجتماعية ببلاد الزاب من خلال المصادر سالفة الذكر في مقاله:" الهجرة الهلالية وأثرها في تغيير الاجتماعية لبلاد الزاب"، ص 74-86.

وقد أورد النويري (ت733هـ/1332م) أولية أدنة كعاصمة للزاب في رواية أخرى منقولة هي الأخرى عن ابن شداد الصنهاجي، حين يقول: "فرحل[1] إلى الزاب فسأل عن أعظم مدائنهم قدرا فقالوا: مدينة يقال لها أربة فيها الملك وهي مجمع ملوك الزاب وحولها ثلاثمائة قرية وستون قرية كلها عامرة"[2]. إنه وبالرغم من اختلاف الطوبونيم المتداول بين المصدريين بالأخص ما أورده صاحب نهاية الأرب، إلا أن الاتفاق كان واحدا على أنّ (أذنة) كانت موطن قوة ونفوذ، وعاصمة اقليمية للسلطة البيزنطية، حيث يؤكد ذلك النويري حين يصف زوال نفوذ هذه الجماعات من أذنة:" فانهزم القوم وقتل أكثر فرسان الروم وذهب عزهم من الزاب وذلوا آخر الدهر"[3].

أ- 1-المقاربة: أزبة- أدنة- أربة = زابي؟

Adna/Arba/Azba= Zabi ?

إن طوبونيم (أدنة) الوارد في الروايات بشكل متباين، يثير الكثير من المقاربات، فجاء عند الرقيق باللفظ:(أذنة)، ويورده البكري بدال مهملة: (أدنة)، فيما تتحول داله أو ذاله إلى راء وزاي في مصادر أخرى[4]، مما يجعل الباحث يحتار في تسمية الموقع قبل أن يحاول تحديد موقعه الجغرافي بدقة على الخريطة الأثرية. وأرجح أن تكون التسميات:[أربة، أدنة، أزبة، وأذنة] تنتهي كلها إلى طوبونيم واحد هو أدنة، وهنا تطرح إشكالية النسخ والنُسَّاخ، وكذا غياب علامات التشكيل في النصوص العربية القديمة.

مع بول لوي كومبيزا في دراسته حول تطور مدن إفريقية خلال القرون الهجرية الخمسة الأولى، تبرز نظرة جديدة من خلال المقاربات المنهجية-التاريخية للطوبونيمات (*Adna/Arba/Azba*)[5]، توصل أخيرا إلى أن الطوبونيم السابق يتوافق مع الطوبونيم الذي أشتهر في مرحلة الامبراطور جستنيانا حين شيد مدينة زابي، والذي ستتحول تسميتها لاحقا إلى الطوبوينم بشيلقة (*B'chilga*)[6].

---

[1] عقبة بن نافع الفهري.

[2] النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: عبد المجيد ترحيني، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ج 24، ص 14.

[3] النويري، المصدر السابق، ج24، ص 14.

[4] اليعقوبي، كتاب البلدان، مطبعة بريل، مدينة ليدن، 1892، ص 141؛ الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص 11؛ النويري، المصدر السابق، ج24، ص 14؛ ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب و البربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ضبط المتن والحواشي والفهارس: خليل شحادة، مراجعة: سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1431هـ/2001م، ج4، ص 237.

[5] *L'évolution des cités du Tell en Ifrikiya du VII^{e} au XI^{e} siecle,* vol. 2, p. 21-24.

[6] حول زابي جستنيانا، يراجع: سعاد سليماني، "الملف الأثري لموقع زابي-معطيات جديدة-"، مجلة آثار، 11 (2014)، ص 55-73. وينظر أيضا:=

لم تكن هذه الدراسة الوحيدة التي حاولت رفع اللبس والغموض عن طوبونيم أول قاعدة ملك لبلاد الزاب، فقد نهج يوسف عيبش نفس أسلوب المقاربة، حين حاول مطابقة التسمية القديمة زابي إنطلاقا من ذكرها في مختلف المصادر الرومانية، الأدبية والمسيحية، مع الطوبونيمات[أربة، أدنة، أزبة] المتباينة الواردة في شهادات: الرقيق، البكري، النويري، ابن خلدون، وغيرهم، والتي تقابل طوبونيم [بشيلقة][1]. في الأخير توصل إلى نفس المعطيات السابقة، مع محاولته لتحديد معنى "مجمع ملوك الزاب وحولها ثلاثمائة وستون قرية"، حين أشار إلى ترجيح أن يكون الرقم يقابل عدد الأبرشيات المسيحية[2]. مما يقدم بحسب رأيي صورة واضحة حول أحد المذاهب السائدة ممثلا في المسيحية بين البربر والجماعات اللاتينية والبيزنطية بها ماقبل وحتى بداية القرن الهجري الأول/7م.

هذه المقاربات يمكن اسقاطها على دراسة أ.ف غوتييه، حين يورد الحدود الجنوبية لإفريقية فيقول:"كان لإفريقية في عهد الرومان وقبل قدوم الجمل إليها حدود جنوبية مميزة، وقد استطاع علماء الآثار إعادة تخطيطها بدقة كبيرة، حيث كانت تقع على الحواف الجنوبية للأوراس (وأظن أنه يقصد لمبايسيس ودونها حتى طبنة)، وتضم بسكرة مرورا بهدنة (ونظنه يقصد الحضنة) وتمضي بمحاذاة التل الجنوبي قاطعة بوغار وتاهرت "[3]. إن الطوبونيم الذي يذكره غوتييه يتوازى مع طوبونيم (أدنة) مع تحريف بسيط في شكلها التركيبي بعد الترجمة إلى العربية، وقد يكون سبب التحريف هو اللهجة، فالألف في أدنة حُوِّلَ إلى هاء. وبحسب رأيي فغوتييه لا يقصد هنا (أدنة) قاعدة الزاب الواقعة غربا عند خرائب هاز، لكنه في الحقيقة يقصد المجال الجغرافي الواقعة به في البسط الغربي من أوراس ونقصد (بلاد الحضنة).

ومن هذا المنطلق أرى بأنه من الممكن أن يكون لفظ "أدنة" مقارب للفظ "حضنة" مع تحريف بسيط في رسم الحروف، ومن خلال التدقيق في المصادر الجغرافية يتضح جليا بأن الحضنة هي المنطقة التي تجاور هاز، ويمتد منها المسلك باتجاه بوغار (المدية)، وتيارت (تيهرت)[4].

Alexandre Poulle, « Ruines de Bouchilga, (ancienne Zabi)», *Revue Africaine*, 5 (1861), p.204-205 ;= Alfred Louis Delattre, « Excursion dans le Zab occidental », *Recueil des notices et mémoires de la société archéologique du département de Constantine*, 25/4-3 (1888), p. 262-268.

[1] يوسف عيبش، المرجع السابق، ص 325-328.

[2] المرجع نفسه، ص 326.

[3] إيميل فليكس غوتييه، ماضي شمال إفريقيا، ترجمة: هاشم الحسيني، مؤسسة توالات الثقافية، 2010، ص 107.

[4] يرى أحمد صفر بأنه بداية من النصف الأول من القرن الثالث للميلاد، كانت الفيالق الرومانية قد شقت مسلكها الممتد من نواحي المسيلة (بوسعادة) إلى بوغار، ثم يتبع طريقا استراتيجيا يمر أمام فج معروف يسمى (ثنية الاحد)، ثم يمر بتيهرت، ويستمر إلى أقصى اتساع له باتجاه الغرب وصولا إلى مغنية (*Numerus Syrorum (Mariana*). أحمد صفر، المرجع السابق، ج1، ص 307.

أ-2- المقاربة: أدنة- أذنة- أربة = ديانة؟

Adna/Arba=Diana ?

بالمقابل، أبرزت دراسات جديدة، وخلافا للمعطيات سالفة الذكر، وجود تفسير آخر لطوبونيم (أدنة)، وهذا انطلاقا من مقاربات تاريخية جديدة. ففي دراستها "زابي.. معطيات جديدة" تقدم لنا سعاد سليماني الكثير من المعلومات من خلال ما تم عرضه من قبل الأثري محمد المصطفى فيلاح، حين قارب بين الطوبونيمين (*Diana* = عين زانة/زانة البيضاء) الوارد في النصوص القديمة على غرار: المسلك الانطونيني، ألواح بوتنغر، وقائمة المجمع الديني لقرطاج سنة 411م، مع طوبوينم (أدنة)، وهذا إنطلاقا من التسميات التي نقلها عن مصادر الرحلة[1].

كما تُقدم لنا الدراسات الأثرية والميدانية التي قمت بها، دليلا آخر على أن هناك ارتباطا كبيرا بين إسم الموقعين (ديانة) و(أدنة)، وبغض النظر عن صحة هذه المقاربة إلا أنها تفتح لنا مجالا للتدقيق فيها، وهذا انطلاقا من الحجج والمعاينات التالية:

- تُظْهِر الكثير من الروايات خلال حملة عقبة ابن نافع الفهري الثانية ببلاد الزاب، بأن آخر موقعين وصل إليهما قبل "أذنة" هما باغاي لمبايسيس[2]= لميس[3]، وبالاعتماد على معطيات الخرائط الأثرية، والتي تبرز حقيقة وجود المسلك: لمبايسيس- باغاي. وهنا تتضح الاشكالية حول أن تزحف الجيوش الأموية من لمبيز إلى (أذنة = زابي)؟؟ قاطعة كل هذه المسافة الطويلة دون أن تلاقي فيها أي دفاع بيزنطي على مواقع حصونهم، خاصة وأن جل المواقع التي من المفروض أن تمر بها الحملة في الغالب محصنة أو عامرة بالحاميات البيزنطية على غرار: نقاوس (*Nicivibu*)؛ طبنة (*Thubunae*)؛ الخربة الزرقة (*Cellas*)؛ هنشير مروانة (*Lamasba*)؛ مقرة (*Macri*)، وصولا إلى زابي (*Zabi*)[4]. هنا نلحظ وجود غموض في الحملة، وكذا الشك في فرضية أن تكون (زابي) هي نفسها (أدنة).

---

[1] سعاد سليماني، المرجع السابق، ص 56؛ وينظر:

Mohamed El Mostefa Filah, « Diana Veteranorum (Ain Zana) »:http://filah.over-blog.org/article-diana-veteranorum-ain-zana-par-mohamed-el-mostefa-filah-72296333.html.

[2] أرجح صحة المقاربة لميس = لمبايسيس.

[3] لقد وجد تطابق العديد من أسماء المواقع في مجال إفريقية، هذه الأسماء لمواقع مشتركة لها عدة تفسيرات منها الجذور اللغوية الواحدة، أو اللسان واللهجة الواحدة، وهذا طبعا بعيدا عن تفسيرات الاصول القبلية الواحدة، وعلى سبيل المثال لا الحصر الطوبونيم (*Lamise*) الذي جاء ذكره عند المصدريين ببلاد الزاب؛ في حين يظهر نفس الطوبونيم تقريبا في تونس وهو لميسا (*Lamisa*). ينظر: محمد حسن، الجغرافيا التاريخية لإفريقية، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2004، ص 10-13؛ عقون محمد العربي، الاقتصاد والمجتمع في الشمال الافريقي القديم، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008، ص 46.

[4] حول شكل وصور بعض هذه التحصينات (القلاع والحصون)، يراجع: يوسف عيبش، المرجع السابق، ص 325-326، 353، 357، 374. .وينظر أيضا:

- تبرز خريطة المسالك القديمة: المصدرية [المسلك الأنطونيني، ألواح بوتنغر]، والمرجعية [الأطلس الأثري لغزال، مسالك بيار سلامة]، أن أقرب مدينة إنطلاقا من لمبيز، وتتطابق مع الطوبونيم (أدنة) هي مدينة ديانة =عين زانة (*Diana veteranorum = Ain Zana*)، ويتحقق المسلك إنطلاقا من طريقين فرعيين: الأول: يتجه من لمبايسيس أو تيمقاد نحو زانة، قاطعا (أم الأصنام ?؛ *Tadutti*))؛ بينما يتجه المسلك الثاني: من لمبايسيس إلى زانة عبر (سريانة ?a *Lamiggig*))[1]. وأظن أن هذا الأخير هو الأقرب، والذي قد يكون سلكه عقبة خلال حملته من لمبايسيس إلى أدنة = ديانة.

كما أن قراءة (أدنة) أو (أذنة) تظل ممكنة على ماجاء في المصادر الاسلامية، بالرغم من أن أغلب الدراسات قد طابقتها بـ (أزبة) أو (زابي)، هذه القراءة قدمها يوسف عبيش خلال عرضه انطلاقا من وقوع (زانة) على امتداد الطريق الممتد من لامبيز على مسافة 40كم من الناحية الشمالية الغربية بين السفوح الشمالية لمرتفعات بلزمة وكل من جبل مستاوة وزانة[2].

- بالعودة لموقع (زابي) أو (بشيلقة) الوسيطة والحالية، لاحظت تنافي محتوى الموقع مع ما أوردته الكثير من الروايات المصدرية، أين تذكر وجود جبال فر إليها الروم لما أحسوا بأس الفاتحين، حيث وقفت على الموقع ولم أجد سوى منطقة فسيحة ممتدة لا تتخللها أي أودية أو جبال على طول مرمى الناظر، وأقرب موقع جبلي لا يقل بعده عن الموقع بحوالي (20 – 30) كم، ونعني امتدادات سلسلة جبال المعاضيد. وعليه فإن ما أورده الرقيق حين يقول:" وهرب بعضهم[3] إلى الجبال والوعر"[4]، يتنافى مع الحقيقة الميدانية، لكنه يصح حين تتم مقاربة الموقع مع "زانة=ديانة"، حيث تمتد في جبال الأوراس، وعلى مقربة منها تتموقع لمبايسيس التي تحيط بها كتلة من الجبال: السفوح الشمالية لمرتفعات بلزمة وجبل مستاوة.

مما سبق، يمكن ترجيح بأن الروايات المصدرية التي أوردت طوبونيم أدنة كقاعدة للزاب خلال حملة عقبة الثانية تتقارب مع طوبونيم (زانة) بشكل كبير، مع بقاء إمكانية صحة المقاربات المتعلقة بأنه نفسها(زابي = بشيلقة)، خاصة وأنها ذكرت عند المصدريين بطوبونيم (أزبة) الذي يمكن أن يكون تحريفا للطوبونيم البيزنطي (زابي). كما خرجت بنتيجة استثنائية تطرح لأول مرة، وهي: إمكانية مطابقة

Deihl, *L'Afrique byzantine (Histoire de la domination byzantine en afrique 533-709)*,Ernest Leraux editeur, Paris, 1896, p. 200-203 et 216, 251, 253.

[1] Salama, *op. cit.*, Cartes.

[2] يوسف عبيش، المرجع السابق، ص 361.

[3] في رواية أخرى: "هرب أغلبهم".

[4] الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص 12.



التسميتين (أدنة) مع التسمية (حضنة)، حيث ذهبت إلى أن تكون أدنة تصحيف لأصل الكلمة حضنة، ويبقى تأكيده واقعيا شبه ممكن.

ب-صورة الخريطة المجالية في مرحلة التشكل:

مما لا شك فيه أن التقسيم الإداري للمنطقة الواقعة غرب جبال الأوراس قد تغير خلال القرن الأول الهجري/7م على ما كان عليه خلال الفترة التي سبقته، فسرعان ما اختفى طوبونيم نوميديا، وينفصل بذلك الجزء الشمالي من المقاطعة باتجاه السواحل، ويظهر طوبونيم جديد هو "الزاب"[1]، الذي امتد مجاله في المنطقة من خرائب هاز غرب المسيلة إلى تهودة وبادس[2]. إن هذا التحول المجالي يكون سببه حدوث قطيعة مجالية مع الماضي البيزنطي بعد وصول الفاتحين الأمويين[3]، لكن مع الحفاظ على الكثير من الموروث الثقافي التي استقر في نفوس الجماعات المحلية على غرار الديانة المسيحية[4].

لقد أوردت روايات الفتح الخريطة المجالية الجديدة لبلاد الزاب، والتي أصبحت حينها مقاطعة تابعة لإفريقية، وهذا انطلاقا من تتبع المدن التي وردت خلال الحملات العسكرية التي انتهت بالسيطرة على كل المنطقة، ولعل أول الروايات التي تساعدنا في تحديد مجالات بلاد الزاب هو الإخباري خليفة ابن خياط العصفري (ت 240هـ/855م)، فبعد عرضه للموقع الذي استشهد فيه الفاتح عقبة بن نافع الفهري وهي تهودة[5]، يعرض في حولياته سنة 79هـ/699م، وفيها يمكن القول بقرب اكتمال فتح الزاب بشكل تام، يذكر خلالها ابن خياط بعض المدن المشكلة للمجال الزابي فيقول:" أول قبيل من البرابر

[1] عبد العزيز الثعالبي، تاريخ شمال إفريقيا من الفتح الاسلامي إلى نهاية الدولة الأغلبية، جمع وتحقيق: أحمد بن ميلاد ومحمد إدريس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1407هـ/1978م، ص 50؛ هشام جعيط، المرجع السابق، ص 54؛ الطاهر طويل، المرجع السابق، ص 102.

[2] يتواصل حضور الحد الغربي للزاب حتى القرن الهجري الثالث/9م من خلال المعطيات الجغرافية لصاحب كتاب البلدان. اليعقوبي، المصدر السابق، ص 140-142. وحول امتداد الزاب إلى جنوب أوراس حتى تهودة وبادس، ينظر: علاوة عمارة، "التحولات المجالية والطبونيمية"، ص 12.

[3] هشام جعيط، المرجع السابق، ص 54-55.

[4] أثبت علاوة عمارة استمرار الموروث الثقافي الديني واللغوي في بلاد الزاب حتى القرن الثالث هجري/9م، فيقول في هذا:" من الناحية البشرية هناك تعدد كبير في العناصر والجاليات المستقرة بحوار الزاب، حيث يبرز بصورة جلية الانتشار الواسع للأفارقة والروم بالمدن طبنة وباغاي..، إنه لا مجال للشك في استمرارية الأفارقة كبقايا للثقافة اللاتينية بمسيحتيها الرومانية". ينظر: علاوة عمارة، "الهجرة الهلالية وأثرها في تغيير البنية الاجتماعية لبلاد الزاب"، ص 77-78.

[5] وردت في النصوص الاخبارية مأثورات منسوبة للنبي (ﷺ)، يتحدث فيها عن بقعة ملعونة يقال لها "تهودة"، وكان قد نهى عن سكناها، وقال: "سوف يقتل بها رجال من أمتي على الجهاد في سبيل الله تعالى، ثوابهم ثواب أهل بد وأحد، واشوقاه إليهم ! ". ينظر: أبو العرب، طبقات علماء إفريقية، ص 9-10؛ المالكي، المصدر السابق، ج1، ص 43.

غزاهم موسى بن نصير الذين قتلوا عقبة بن نافع، سار إليهم بنفسه، فقتل وسبى وهرب ملكهم كسيلة،.. قتل موسى وسبى حتى انتهى إلى طبنة"[1].

يظهر مجال بلاد الزاب في الرواية مبهما بعض الشيء، ويحتاج إلى الكثير من التحليل، فمبتدأ حملته كانت من القبيلة التي قتلت عقبة، ويقصد هنا لا شك (أوربة)[2]، مما يجعلنا أمام مجال واسع للزاب، يكون امتداده على الأرجح من جنوب الأوراس، فبعيدا عن فكرة التمييز التي اختلقتها الكثير من المصادر حول وجود قسمين للجماعات المحلية (البربر)، الأولى البتر، والأخرى البرانس، ودون الخوض في التسميات، وشجرة النسب[3]، فما يهمنا هنا هو مجال توسع (أوربة) لأنه يحدد لنا مبتدأ المجال الزابي، وقد أشار اليعقوبي إلى وجود فروع من أوربة بالقرب من نقاوس[4]، مما يرجح أن تكون هذه المدينة هي مبتدأ مجال بلاد الزاب، إذا ما استثنينا مدينة باغاي من المجال الزابي بحسب ما أوردته روايات الفتح بأن عقبة خلال حملته قد مر بموقع باغاي قبل أن يلج بلاد الزاب، مما يجعلها خارج حدود مجالها، وهذا ما أراه مستبعدا للغاية[5].

لقد أشار ابن خلدون (ت 808هـ/1406م) وهو أحد من تخصص في القبائل بالرغم من تأخره نسبيا، إلى أن القبيلة المسيطرة على كل البتر وهم أوربة، صنهاجة، وهوارة، لعهد الفتح كانت أوربة هؤلاء بما كانوا أكثر عددا وأشد بأسا وقوة، وقد كان حينها أميرهم بن بزريات، ولما توفي خلفه كسيلة بن لزم[6]، مع ضرورة ربط ما أورده ابن خلدون مع رواية ابن عبد الحكم حين يربط كسيلة بالكاهنة وجراوة، والتي كانت تسيطر على جبل أوراس، في حين نلاحظ امتداد نفوذ هوارة حتى الشمال الغربي من أوراس بنواحي الحضنة[7]، ومن المرجح أنها كانت تسكن بزابي (المسيلة)، والمدن المجاورة

---

[1] ابن خياط، المصدر السابق، ص 278-279.

[2] حول قبيلة أوربة، يراجع: ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 192-195؛ بوزياني الدراجي، القبائل الأمازيغية (أدوارها مواطنها وأعيانها)، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007، ج2؛ ص 11-15.

[3] حول تقسيم الجماعات المحلية الأصلية إلى البرانس والبتر، ينظر: ابن خلدون، ج6، ص 139-176(قسم البتر) و ص 182-273 (قسم البرانس)؛ وينظر: غوتييه، المرجع السابق، ص 111-126.

[4] اليعقوبي، المصدر السابق، ص 141.

[5] تُظهر كرونولوجيا الحملات العسكرية لعقبة قبل دخوله الزاب وبعده من خلال ما أورده الرقيق، المالكي، النويري، وغيرهم، على أن باغاي ولمبيز لم تكونا ضمن بلاد الزاب، ينظر: الرقيق، المصدر السابق، ص 9-12؛ المالكي، المصدر السابق، ج1، ص 35-37؛ النويري، المصدر السابق، ج24، ص 13-15؛ وينظر التحليل النقدي المميز لسير الحملات العسكرية للقائد عقبة في الدراسة المميزة لحسين مؤنس: المرجع السابق، ص 177-205.

[6] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 194.

[7] محمد الطالبي، الدولة الأغلبية التاريخ السياسي (184-296 هـ/800-909م)، ترجمة: الصيادي المنجي، مراجعة وتدقيق: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985، ص294.

لها[1]، ويقول ابن عبد الحكم في الرابط بين هوارة وكسيلة:" وخرج ابن الكاهنة البربري على إثر عقبة، كلما رحل عقبة من منهل دفته ابن الكاهنة فلم يزل كذلك حتى انتهى عقبة"[2]. إن هذه الرواية بما حوته من أساطير إلا أنها تربط جراوة بأوربة، مما يعني أن أوربة قد تمدد نفوذها في المنطقة لتزاحم بذلك أبناء عمومتها، لكن في اتجاه نفس الأهداف، وهو رد الحملات الأموية.

كل هذه المعطيات تحيلنا إلى مجال يمتد من جنوب جبل أوراس وصولا إلى طبنة ثم إلى تهودة كأقصى اتساع له، مع غموض واضح في مصطلح "صنهاجة" التي أخضعها موسى بن نصير في رواية ابن خياط[3]، فهل هذا يعني وجود امتداد لصنهاجة في مجالات الزاب؟ أم أن هناك خلط في الرواية؟

وبالرجوع إلى رواية الرقيق يتضح لنا أن مسار موسى كان باتجاه طنجة والسوس، حيث يقول:" وخرج موسى من إفريقية غازيا طنجة...حتى بلغ السوس الأدنى"[4]. مما يعني توجهه نحو غرب المغرب الأوسط، وهنا نرجح أن المقصود بصنهاجة هي الجماعات الحضرية المستقرة إلى الغرب بجبل التيطري، والتي سيكون لها ما بعد 361هـ/972م تاريخ رحيل المعز لدين الله الفاطمي نحو مصر، شأن كبير في بلاد المغرب الأوسط خلفا للكتاميين[5].

لقد أشار كذلك اليعقوبي إلى أن جماعات صنهاجة استقرت في الغرب من بلاد الزاب، فيقول: وإذا خرج الخارج من عمل الزاب مغربا...أول المدن التي في يده مدينة يقال لها هاز، سكانه قوم من البربر.. من زناتة أيضا، ثم مدن بعد ذلك سكانها صنهاجة"[6].

وعليه، فلن تكون تهودة هي آخر مجالات الزاب بحسب خليفة بن خياط، فإذا ما رجحنا خروج عقبة من تهوذة مباشرة فاتحا نحو الغرب دون العودة من نفس طريقه (طبنة-تهودة)، فإنه سيعبر الكثير

---

[1] أشار إلى ذلك البكري في مسالكه نقلا عن ابن الوراق فيقول:" وبقرب منها (ويقصد المسيلة /المحمدية) جبل عجيسة وهوارة وبني برزال، ولهم كانت أرض المسيلة،...وعلى مقربة منها مدينة للأول (ويقصد رومانية) خربة (أنقاض) يقال لها بشليقة..". ينظر: البكري، المسالك والممالك، تحقيق: جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت، 1424هـ/ 2003م، ج2، ص 239. في حين يشير الهادي روجي إدريس إلى زابي وما حولها (المسيلة حاليا) كان بها فرع من قبيلة هوارة ممثلة في بني كملان، والذين رحلوا في أعقاب حملة صاحب الحمار يزيد بن مخلد بن كيداد (333-336هـ/948م). ينظر: الهادي روجي إدريس، الدولة الصنهاجية (تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12م)، ترجمة: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992، ج1، ص 49 (الهامش).

[2] ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ج1، ص 267.

[3] خليفة ابن خياط، المصدر السابق، ص 279.

[4] الرقيق، المصدر السابق، ص 39.

[5] في أصل صنهاجة وانتقال السلطة إليهم من بعد الفاطميين، وحال المغرب الأوسط عامة، والزاب خاصة في عهدهم، يراجع: الهادي روجي إدريس، المرجع السابق، ج1، ص 31-285.؛ محمد الطمار، المغرب الأوسط في ظل صنهاجة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2010، ص 42-141.

[6] اليعقوبي، المصدر السابق، ص 142.

من المدن التي قد نُلْحِقُها بالتأكيد بالمجال الزابي، وبالضبط في جنوب نوميديا، والمسلك يشمل المدن: تهودة؛ بسكرة؛ جميلي؛ طولقة؛ الدوسن[1].

أما إذا رجحنا عودة عقبة من تهودة إلى طبنة، ثم توجهه منها غربا، فإن المعطيات هنا تختلف، والمجال يتغير، فالمسلك الذي سيقطعه من طبنة إلى تهودة يضم مدنا كثيرة يمكن ضمها إلى مجال الزاب، هي: تهوذة؛ بسكرة؛ برانيس؛ لوطاية؛ قصر سيدي الحاج؛ الضاية؛ طبنة[2]. وإذا ما اتبعنا مسار حملته نحو الغرب والسوس، فإنه سيقطع مدنا بحسب اعتبارنا هي ضمن المجال الزابي على غرار: مقرة؛ بشيلقة[3] لوقوعها إلى الغرب حتى حد الزاب عند خرائب هاز.

ويقدم لنا ابن عبد الحكم المدن المشكلة لبلاد الزاب حين يقول: "فانصرف إلى إفريقية، فلما دنا من ثغرها [طبنة] أمر أصحابه فافترقوا عنه، وأذن لهم حتى بقي في قلة، فأخذ على مكان يقال له تهوذة فعرض عليه له كسيلة"[4]. إن النقص الموجود في هذه الرواية نجده مكتملا بدقة في رواية الرقيق القيرواني حين يورد أجزاءً جديدة من مجال بلاد الزاب فيقول:" فرحل إلى بلاد الزاب فسأل عن أعظم مدائنهم قدرا فقالوا مدينة يقال لها أذنة .وكان حولها ثلاثمائة وستون قرية.. ونزل واديا بينه وبينها ثلاثة أميال.. وادي سهر"[5].

ومن الروايتين السابقتين، يظهر لنا بعض المدن المشكلة للمجال الزابي، فإذا ما أدرجنا بغاي ولمبايسيس ضمن بلاد الزاب، فيكون الامتداد الجغرافي لبلاد الزاب من: باغاي شرقا إلى خرائب هاز (*Auzia*)، ومن طبنة إلى بادس جنوب أرواس[6].

إنّ معطيات ابن عبد الحكم، وكذا الرقيق، نجدها متوفرة، ومكتملة بصورة أدق في رياض النفوس للمالكي، مع تطور وتمدد في المجال الزابي، فخلال وصفه لرحلة العودة من حملة عقبة نحو المحيط، يضيف لنا الكثير من المعطيات الدلالية حول مدن مقاطعة الزاب فيقول:" فلما انتهى إلى ثغر افريقية وهي طبنة

---

[1] Baradez, *op. cit.*, p. 307 ; Salama, *op. cit.,* p. Cartes ; Pierre Morizot, *archéologie aérienne de l'Aurès*, Paris, Comité Des Travaux Historiques Et scientifiques, 1997, p. 270-272.

[2] Stéphane Gsell, *Atlas Archéologique de L'Algérie*, T1-2, textes – cartes, impr-libr Adolphe Jourdan, Alger, 1911, F° 49, N°1-51-53; Eugène Albertini, «Le réseau routier de la Numidie méridionale», Comptes rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres- *CRAI*-, 75-4 (1931), p.363-370.

[3] A.A.A, F° 25, N°85 ; F° 26, N°111.

[4] ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ج1، ص 267.

[5] الرقيق، المصدر السابق، ص 11-12.

[6] ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ج1، ص 267؛ الرقيق، المصدر السابق، ص 11-12؛ اليعقوبي، المصدر السابق، ص 141؛ حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 197-198؛ علاوة عمارة، "التحولات المجالية والطبونيمية "، ص 12.

أذن لمن معه بالانصراف إلى القيروان، ومال في خيل يسير يريد تهودة لينظر قدر ما يكفيها من الخيل"[1]. نلاحظ هنا وجود طبنة وتهودة ضمن نطاق مجال بلاد الزاب، مع بقاء امتداد المجال إلى زابي كأقصى حد له غربا. مما يجعل المدن الآتية تدخل ضمن مجال بلاد الزاب على طول المسلك المباشر طبنة-تهودة: طبنة؛ الضاية؛ قصر سيدي الحاج؛ لوطاية أو برانيس؛ تهودة[2].

المجال نجده بشكل واضح في رواية صاحب نهاية الأرب المنقولة عن ابن شداد، مع تمديده لبلاد الزاب إلى جنوب أوراس عند مدينة بادس (*Badias*)، وهذا من خلال نقله لأحداث فتح عقبة لبلاد الزاب حتى وصوله المحيط، فيورد طريق عودته قائلا:" حتى انتهى إلى طبنة...وسار إلى تهوذة لينظر إليها وإلى بادس"[3]. إن هذه الشهادة تؤكد صحة المعطيات السابقة حول المدن التي تنتمي إلى جنوب نوميديا في المجال الزابي عبر المسلك من طبنة- بادس مرورا بتهودة[4].

معطيات النويري نجد لها حضور في كتاب المؤنس لابن أبي دينار، مع تطور في المعطيات الدلالية، وطغيان الأسطورة والتأخر في الرواية، فهو يؤكد في روايته بأن عقبة بن نافع قد وصل فعلا إلى بادس عند حدود الليمس البيزنطي-الجنوبي بجوار توزر وشط ملغيغ، وهي الشهادة الأشمل التي تبرز هذه المرحلة المتقدمة في حملات عقبة بن نافع الفهري ببلاد الزاب، يقول في هذا صاحب المؤنس: "وبقي في نفر يسير من أصحابه إلى أن بلغ تهوذة وبادس فغلقوا أبوابهم دونه"[5].

وعليه، يتأكد أن الحد الجنوبي لبلاد الزاب هو مدينة بادس، وبالتالي ضمه لكل المدن التي يمر عليها المسلك الواصل بين طبنة وتهودة في الجنوب-الشرقي، وهذا استنادا لنص صاحب رياض النفوس حين يقول:" ففتح كل ما مر عليه"[6]. مما يجعل بحسب رأينا المدن: طبنة؛ الضاية؛ قصر سيدي الحاج؛ الوطاية؛ بسكرة؛ تهودة؛ بادس تنتمي إلى المجال الجنوبي للزاب.

ويستفاد مما تقدم، أنه خلال القرن الأول للهجرة/7م تظهر صورة وملامح الخريطة المجالية التقريبية لبلاد الزاب كمقاطعة إدارية لإفريقية في مرحلة التشكل، مع ملاحظة أن خلال هذه الفترة تظهر بداية تحول مجالي طفيف، في صورة طغيان طوبونيم "طبنة" كثغر لإفريقية، والتي سيتحول تدريجيا إلى قاعدة

---

[1] المالكي، المصدر السابق، ج1، ص 39.

[2] Baradez, *op. cit.*, p. Cartes ; Salama, *op. cit.*, p. Cartes.

[3] النويري، المصدر السابق، ج 24، ص 15.

[4] A.A.A, F°49, N°51; De Torcy, « Note sur la route de Tébessa à Biskra par Négrine », *Recueil des notices et mémoires de la société archéologique du département de Constantine*, 44 (1911), p. 10 - 23.

[5] ابن أبي دينار، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، مطبعة الدولة التونسية، تونس، 1386هـ/1966م، ص 29.

[6] المالكي، المصدر السابق، ج1، ص 33.

جديدة لبلاد الزاب-الأموي، ومن المرجح أن الخريطة المجالية للزاب ترسم على النحو الآتي: من باغاي إلى زابي عند خرائب هاز غربا. ومن طبنة إلى بادس جنوب أوراس. وعليه تتكون لنا صورة واضحة وهذا إنطلاقا من ربط المعطيات المصدرية مع الخريطة الأثرية لمقاطعة أفريقيا البيزنطية والرومانية للمدن الترجيحية المشكلة لبلاد الزاب حتى نهاية القرن الهجري الأول/7م،: باغاي؛ لمبايسيس؛ زانة؟؛ بلزمة؛ مروانة؛ سريانة؛ نقاوس؛ طبنة؛ الخربة الزرقة؛ مقرة؛ زابي؟؛ الضاية؛ القنطرة؛ برانيس؛ الوطاية؛ قصر سيدي الحاج؛ بسكرة؛ تهوذة؛ بادس.

3- ملامح التحول في الخريطة المجالية في القرن الهجري الثاني/8م

أ- طبنة: القاعدة الجديدة للزاب-الأموي

من الصعب دراسة تطور الخريطة المجالية لبلاد الزاب خلال القرن الثاني للهجرة/8م، وهذا لغياب الشواهد النصية المباشرة خلال هذه المرحلة من تاريخ مقاطعة الزاب-الأموية، لكن هذا الغموض الذي تكرس في بداية القرن الثاني الهجري/الثامن ميلادي[1]، في ظل تغيرات سياسية[2]، اجتماعية-عمرانية[3]، ومذهبية[4]، سرعان ما بدأت ملامح فك أسراره من خلال الغوص وتحليل المعطيات التي حملتها بعض الشهادات الإخبارية. أول هذه الشهادات التي ستساعدنا في تحديد الخريطة المجالية لبلاد الزاب وبعض تحولاتها خلال القرن الثاني للهجرة هي نصوص الرواية العراقية بالرغم من تأخرها بحوالي القرن والنصف عن تمام الفتح الاسلامي لبلاد الزاب، وكذا غلبة الطابع الأسطوري عليها[5]، إلا أنه لا غن لنا عنها في ظل شح المصادر المتعلقة أساسا بالفترة.

---

[1] علاوة عمارة، "التحولات المجالية والطبونيمية"، ص 12-13.

[2] برزت تحولات على الصعيد السياسي انطلاقا من ارتباط إفريقية، والتي كان ولازال الزاب مقاطعة منها، مع بلاد المشرق، بالأخص منذ 132هـ/750م تاريخ تولي العباسيين للحكم خلفا للأمويين الذين التحقوا بالمغرب ثم فرّوا باتجاه الأندلس أين أحيوا دولتهم بقيادة عبد الرحمن الداخل، ثم تولي الأغالبة المهلبية مقاليد الحكم بإفريقية. ينظر: ابن وردان، تاريخ مملكة الأغالبة، تحقيق: محمد زينهم محمد عزب، مكتبة مدبولي، 1408هـ/ 1988م، ص 21-30؛ محمد الطالبي، المرجع السابق، ص 53-151.

[3] نور الهدى بوخالفة، "استقرار العرب وانشاء المدن والقرى في المغرب الوسيط"، أعمال الملتقى الدولي (التغيرات الاجتماعية في البلدان المغاربية عبر العصور- مخبر الدراسات التاريخية-جامعة منتوري قسنطينة)، دار الهدى للطباعة والنشر، الجزائر، د.ت، ص 51-68.

[4] نجحت الجماعات الصفرية في إنشاء قاعدة لها، وتوسيع نفوذ التابعين لها، حتى تأسست دولتهم التي زاحمت الأغالبة 140هـ/757م؛ في حين وبعدها بأربع سنين، بدأت الجماعات الإباضية في التحرك لنفس الهدف السابق، بمحاولة السيطرة على القيروان التي باءت بالفشل، حتى تأتى لهم تأسيس ملك بجوار بلاد الزاب، وبعده امتد نفوذهم حتى داخل المجال الزابي. عن هذا يراجع: الدراجي بوزياني، دول الخوارج والعلويين في بلاد المغرب والأندلس، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007، ص 75-91 (الصفرية)؛ ص 92-128 (الإباضية).

[5] يراجع القراءة المميزة لعلاوة عمارة في هذه المدرسة الإخبارية: مميزات الروايات القيروانية، مبلورها، وأهم ممثليها. علاوة عمارة، "موقع تلمسان"، ص 19-21.

بداية الروايات المتقدمة ممثلة في روايات الإخباري المشرقي خليفة بن خياط العصفري[1]، التي تعتبر أول معين لنا في تحديد صورة الخريطة المجالية لمقاطعة الزاب خلال القرن 2هـ/8م، ففي معرض حديثه عن ثورة الجماعات الإباضية والصفرية ضد والي إفريقية كلثوم بن عياض وعبد الرحمن بن عقبة بن نافع الفهري، يقدم لنا ملامح التحولات المجالية التي طرأت على بلاد الزاب[2]، وهذا بعد حدوث قطيعة مجالية جديدة مع الموروث القديم لمقاطعة نوميديا المختفية سلفا بالكامل، متمثلا في فقدان مركز ثقل الزاب القديم وهي (أدنة)، لينتقل إلى عاصمة جديدة مثلتها طبنة[3]، والتي ستتحول إلى أحد مجالات التقسيم الإداري لإفريقية عموما والزاب خصوصا، ففي رواية نسبت لسحنون بن سعيد يحدد من خلالها المجال الجغرافي لإفريقية، والتي امتدت من طرابلس شرقا، أما غربا فقد كان حدها طبنة[4]. فهل هذا يعني أن بلاد الزاب لم تتجاوز حدودها إلى خرائب هاز؟

إن هذه الأهمية الجغرافية، والتي مثلها موقع طبنة، يكون شاهدا على الحس العسكري للقدامى من الرومان والبيزنطيين في اختيارهم لها كمحرس للجهة الجنوبية، وكذا للحضنة، لوقوعها على حدود مقاطعتي نوميديا وموريطانيا[5]، والتي استمر مشهد نفوذها الجغرافي-الطوبونومي في عهد الأمويين، وما بعده عند العباسيين والأغالبة، يذكرها موسى لقبال مبرزا مكانتها، فيقول: "فهذه طبنة إنها لإحدى الكبر في إفريقية ومغربنا الأوسط جزائرنا العربية الإسلامية، قرينة القيروان، وتاهرت وسجلماسة والقيروان"[6].

لقد مثلت الجماعات الصفرية الخطر المحدق على سلطة دولة بني أمية وحدودها ببلاد المغرب خاصة على حدودها الشرقية ونقصد طرابلس، ثم ما فتأت تتحول وجهتهم نحو حدودها الغربية وبالضبط في المجال الزابي، والتي كانت طبنة عاصمة له[7]، وآخر حد لإفريقية الأموية حينها، فمنذ

---

[1] يعتبر ابن الخياط من أبرز من نقل عن الواقدي (ت207هـ/822م) بعد صاحب الفتوح البلاذري (ت279هـ/892م)، وهو من ممثلي الرواية العراقية، مع ملاحظة تأخرها عن المراحل الأولى للفتح الاسلامي، بالإضافة إلى الاعتماد على الروايات الشفوية- الأسطورية في تدوين المعرفة التاريخية في مؤلفه الذي خص فيه القرن الثاني للهجرة بمعلومات كثيرة. ينظر: كتاب التاريخ، ص 321-468.

[2] ابن خياط، المصدر نفسه، ص 230.

[3] من المرجح أن يكون هذا التحول المجالي دليلا إضافيا على أن مقاطعة الزاب الأولى ما هي إلا زانة، والتي أشرنا إليها سلفا في ترجيحين متقابلين للاحتمال بين المدينتين زابي وزانة.

[4] علاوة عمارة، "التحولات المجالية والطبونيمية"، ص 13.

[5] Cambuzat, *op, cit.,* vol. 2, p. 228.

[6] موسى لقبال، "طبنة في مجال العلاقة بين زناتة والفاطميين"، ص 42.

[7] ابن خرداذبة، المسالك والممالك ويليه كتاب الخراج، ليدن، مطبعة بريل، 1889، ص87.

انتفاضة ميسرة المطغري أو المدغري في سنة (122هـ/741م)[1]، أصبحت مقاطعة الزاب الأموية منطلقا لحملات الجماعات الصفرية التي تغير تشكيلها ما بعد ميسرة الحقير، يقول عنها خليفة بن خياط:" مات ميسرة الحقير الصفري ببلاد المغرب فافترقت الصفرية فرقتين: فرقة عليها خالد بن حُميد، وفرقة عليها سالم أبو يوسف الأزدي"[2]. إن هذا التحول في تركيبة الجماعات الصفرية، لم تغير من خططها وأهدافها، وهي السيطرة على عاصمة إفريقية، بعدما استطاعوا مد جذورهم في طرابلس، لذا كانت بلاد الزاب المعبر نحو تحقيق هذا الرجاء الصفري[3].

ب- الخريطة المجالية للزاب إلى نهاية القرن 2هـ/8م:

لقد مثل التحول نحو عاصمة جديدة لبلاد الزاب ممثلة في ثغر إفريقية (طبنة)، أحد أهم التغيرات الجذرية في الخريطة المجالية للزاب الأموي، نتحدث هنا عن فترة لا تتجاوز القرن والنصف، تحول فيها إقليم الزاب إلى الإسلام بشكل تدريجي ما بعد انتهاء الحملات العسكرية، وأصبح الولاء للسلطة الأموية، حتى حازت البلاد على مقاطعة إدارية خلال التقسيمات الأموية، والتي تبناها التوجه العام المرتكز أساسا على الجباية الاقتصادية والريع في المناطق الداخلية المشتهرة بأراضيها الزراعية الواسعة، وتوفرها أكثر على انتاج حيواني متنوع ووفير[4]، وسنحاول التدقيق في ملامح الخريطة المجالية لبلاد الزاب وتحولاتها في القرن 2هـ/8م من خلال تقسيمها كالآتي:

ب-1- مجال الزاب حتى نهاية العصر الأموي:

إن أول إشارة لمقاطعة الزاب-الأموي قد جاءت في كتاب الإخباري خليفة بن الخياط، من خلال عرضه للأوضاع المذهبية-السياسية في المنطقة بعد نشوء كيانات سياسية معارضة للسلطة الأموية، حيث يظهر أبرز حدث في تلك الفترة ونقصد (124هـ/741م)، والمتمثل في انتشار المذهب الصفري[5]، ليحتدم الصراع المذهبي-العسكري المباشر بين السلطة الأموية ممثلة في وإليها بالقيـــــروان وباقي النخب

---

[1] عن الفتنة المذهبية الصفرية التي ظهرت بأرض افريقية، والتي تنضوي بلاد الزاب كمقاطعة تحت لوائها الاموي يقول الرقيق:" وعظم البلاء وذلك سنة اثنين وعشرين ومائة، وهي أول فتن كانت بإفريقية.. خرج ميسرة المدغري..وفي المغرب يومئذ قوم فيهم دعوة الخوارج وفيهم عدد كثير وشوكة". الرقيق، المصدر السابق، ص 73-74.

[2] ابن خياط، المصدر السابق، ص 354.

[3] بلقاسم فيلالي، تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط- من الفتح إلى قيام الدولة الموحدية- مطبوعات كلية الآداب والحضارة الاسلامية، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة-الجزائر، 1436هـ/ 2015م، ص 26.

[4] علاوة عمارة، " الهجرة الهلالية وأثرها"، ص 77.

[5] ابن خياط، المصدر السابق، ص355-356.



المذهبية لبسط نفوذ على الساحة ببلاد الزاب وكل المغرب الإسلامي آنذاك[1].

لقد نتج عن فكرة تمييز العنصر العربي ومحاباته من قبل السلطة الأموية، رسم خريطة اجتماعية-طبقية غير متساوية، أضف إلى ذلك الغلو في فرض الضرائب من قبل ممثلي السلطة الأموية على أهل الأمصار المفتوحة، مما تسبب في يأس كبير لدى عامة الطبقة الثانية ممثلة في الفئة المستضعفة المسودة (الموالي)[2]. في هذه الظروف الخطيرة والمميزة بمقاطعة الزاب وكل المناطق التي تقع تحت سلطة الأمويين، وحتى النصف الأول من القرن الثاني للهجرة/الثامن ميلادي، وصلت الأفكار السياسية الثورية-المعارضة، أين استقرت بشكل واسع في مناطق بعيدة عن قبضة السلطة الأموية، فباختيار هذه الجماعات المحلية لاحتضانه تكون قد وضعت يدها على مكمن الجرح الحقيقي، واستطاعت بذلك مد جذورها بسهولة في أوساطهم[3].

ومن جهة أخرى، تبرز رواية أخرى، والتي اقترنت بالتأخر والأسطورية للرقيق القيرواني حين يقدم لنا ضمنيا مجال بلاد الزاب خلال الفترة الأخيرة من العهد الأموي، عند حديثه عن حملات الجماعات الصفرية، فيقول:" وكانا قد افترقا[4] من الزاب، فأخذ عكاشة على طريق مجانة". وباتباع المسلك الزاب - مجانة انطلاقا من الخريطة الأثرية، وربطها بالمصادر الجغرافية وكتب الرحلة، يتضح لنا تقريبا نفس المعابر المكملة للمسلك، وهي كما أوردها البكري[5]، تنطلق من:" مدينة مجانة المطاحن وهي مدينة قديمة ومنها إلى نهر قلاّق[ملاّق].. وفي الشرق منه مدينة تبسة وهي مدينة أولية..، ومنها إلى قرية مسكيانة ..ومنها إلى مدينة باغاية..، على مقربة منها جبل أوراس..، إلى مدينة قاساس، ومنها إلى مدينة مادغوس..، إلى بلزمة...وتسير إلى مدينة نقاوس،...وتسير (من) نقاوس إلى طبنة"[6].

---

[1] يذكر ابن عبد الحكم نقلا عن الليث بن سعد، أن كلثوم بن عياض قد قتل سنة (124هـ/741م) على يد الثائر ميسرة المطغري، صاحب أول ثورة للبربر على سياسة الأمويين، والظاهر أنها امتدت حتى ما بعد سقوط دولة الأمويين (132هـ/749م)؛ بل استمرت ثورة الاباضية والصفرية حتى في العهد العباسي ببلاد المغرب الأوسط. ينظر في هذا: ابن عبد الحكم، فتوح إفريقيا والأندلس، تحقيق: عبد الله أنيس الطباع، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، 1964، ص 96-98؛ الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص 69.

[2] عبد العزيز فيلالي، العلاقات السياسية بين الدولة الأموية، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، 1999، ص 43.

[3] عمارة علاوة، "انتشار المذهب المالكي ببلاد المغرب الأوسط (الجزائر)-قراءة سوسيو-تاريخية-": دراسة في التاريخ الوسيط للجزائر والغرب الإسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1429هـ/ 2008م، ص 127-128.

[4] يقصد حنظلة الهواري وعكاشة الصفري.

[5] المسلك الذي يورده البكري ينطلق من مجانة باتجاه مدن الزاب، وقد قمت بقلب اتجاهه أي من بلاد الزاب إلى مجانة حتى يتقارب ورواية الرقيق القيرواني، وقطعت حديث البكري الطويل بنقاط فاصلة، بما أحتاجه من نص يفيد الحجة المقصودة من الرواية.

[6] البكري، المصدر السابق، ج2، ص 227-228. وقد توقفت عند طبنة لأنها آخر مدائن الزاب وقاعدتها الجديدة، وآخر مجالات إفريقية. أورد ابن عذاري المراكشي أن ملك بني أمية لم يتجاوز الزاب، فيقول:" إذكان بنو أمية يجدون في الذرايات [الروايات] أن ملك

إن الإطار الجغرافي الذي تشكل منه المجال الجغرافي لمقاطعة الزاب قد أدى إلى انتشار أفكار الجماعات الثورية خاصة في القرن الثاني للهجرة/8م بكل سهولة[1]، فوقوع الزاب بين مختلف معاقل الجماعة الإباضية خصوصا في جبل أوراس وجبل سالات[2] موطن بني برزال، وبلاد قسطيلية ونفوسة، كل هذا سهل من تجذر أفكارهم بهذه المقاطعة التي ستتخلى في شقها الريفي عن سلطة الأمويين لتتبع مؤقتا سلطة الاباضية بشتى أطيافها[3].

إن الغموض الواضح على الخريطة المجالية لبلاد الزاب حتى نهاية العهد الأموي، خاصة في ظل غياب معلومات مصدرية تحاور تلك الفترة، قد يجعلنا نلجأ إلى مظاهر هذه الخريطة قبل اثنين وثلاثين سنة من احتضار الخلافة الأموية ببلاد الزاب، وبلاد المشرق والمغرب على السواء؛ فالمدن التي أمكننا جمعها من المصادر المتوفرة، والتي تقتصر في: باغاي؛ قاساس؛ مادغوس؛ بلزمة؛ نقاوس؛ طبنة[4]. وإذا أضفنا لها الحد الغربي (أدنة) المعروفة بمختلف الطوبونيميا[5]، والتي لا تنفصل إطلاقا عن مقرة وسيلاص (الخربة الزرقة) منذ العهد الوندالي مع المركز الجديد طبنة[6]، فإن الجهة الجنوبية حتى بادس ستكون ضمن المجال الزابي بمدنها: الضاية؛ الوطاية؛ سيدي الحاج؛ القصر؛ بسكرة؛ تهوذة؛ باديس[7].

ب-2- بداية المرحلة الأغلبية إلى نهاية القرن 2هـ/8م:

1- الزاب- الأغلبي بالمركز طبنة:

لقد اتسمت المرحلة الأخيرة من حياة الدولة الأموية بمظاهر كبرى لخصها عبد العزيز فيلالي في ثلاث: أولها تفشي العصبية والعنصرية بين القبائل العربية؛ وثانيها انتشار واعتناق الجماعات المحلية والنخب للأفكار الإباضية-الصفرية التي وردت عليهم من المشرق واستوطنت أغلب الأرياف آنذاك[8].

=القائمين عليهم لا يجاوز الزاب فتوهموا أنه زاب مصر، و إنما كان زاب إفريقية". إن حدود مقاطعة الزاب كآخر امتداد لإفريقية الأموية كان يتوقف عند حد طبنة ولم يتجاوزه في الغرب. ينظر: ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة: ج. س. كولان و إ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، 1983، ج1، ص 55.

[1] حول الخريطة المجالية والبشرية لمقاطعة الزاب النصف الثاني من القرن الثاني هجري حتى النصف الأول من القرن الثالث هجري، ينظر: اليعقوبي، المصدر السابق، ص 350-352.

[2] تقع جبال السالات بالضبط في بلدية أولاد سيدي براهيم على بعد 60 كم عن المسيلة، وبالقرب من مدينة بوسعادة إلى الجنوب بـ 10 كم، ويبلغ ارتفاعه حوالي 1500م.

[3] علاوة عمارة، "الهجرة الهلالية وأثرها"، ص77.

[4] البكري، المصدر السابق، ج2، ص 227-228.

[5] Cambuzat, *op, cit., vol. 2,* p. 21-24.

[6] Grange, *op, cit.,* p. 64.

[7] Baradez, *op. cit.*, Cartes ; Salama, *op. cit.*, Cartes.

[8] عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص42.

كل هذا والمظهر الثالث قد سطع وبدأت تجهز طبخته مثلته الانتفاضات، إن لم نقل الثورات العسكرية المباشرة، كان أولها سلسلة الانتفاضات التي مست إفريقية، وبالأخص سنة 122هـ/740م، عندما خرج ميسرة المطغري عن حكم الولاة الأمويين بالمغرب ووقعت الفتنة بالبربر[1]، ورغم اجتثاثها إلا أن الأمور لم تستتب في كل المقاطعات خاصة بعد التصادم الصفري-الإباضي مع ممثل السلطة الأموية بالقيروان كلثوم بن عياض سنة 124هـ/742م، وبسبب كل هذا يكون سكان مقاطعة الزاب وما حولها من المدن المشكلة لإفريقية قد أسسوا لقطيعة مع السلطة الأموية عندما مدوا أيديهم للفرق التي استوطنت أريافهم[2].

فبعد انقياد الدولة الأموية إلى خسارة معركتها في موقعة الزاب بالمشرق، والذي يوازيه بنفس الطوبونيم زاب إفريقية بالمغرب الأوسط، تكون الدولة العباسية قد حطمت آمال هذه الخلافة في الاستمرارية وتحقيق أحلام مؤسسها الأول معاوية[3]. لقد مثلت سنة 132هـ/750م نقطة تحول جديدة في حياة بلاد الزاب السياسية والمذهبية، فاستمرار طغيان التوجه الموالي للخلفاء في المدن التي تسيطر عليها الدولة العباسية لم يدم طويلا، فبعد تشكل الكيان السياسي الأغلبي حوالي السنة 184هـ/800م، استحوذوا على الموروث الأموي-العباسي بإفريقية والمغرب الأدنى والأوسط، لكن مع تحول واضح في الخريطة المذهبية نحو الأحناف والاعتزال في الحواضر، والإباضية في الأرياف[4]، وتغيير في الخريطة السياسية بتقوي الصفرية ثم الاباضية بعد تأسيس مملكتيهما: الدولة المدرارية صفرية المذهب (140-331هـ/758-942م)، والدولة الرستمية (160-296هـ/777-909م) بقيادة عبد الرحمن بن رستم ذات المذهب الاباضي والتي اعتمدت مدينة تيهرت قاعدة لدولتها[5].

---

[1] الطبري، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، 1979، ج7، ص191؛ نجم الدين الهنتاتي، المذهب المالكي بالغرب الإسلامي-إلى منتصف للقرن 5هـ/11م، دار تبر الزمان، تونس، 2004، ص128.

[2] ابن خياط، المصدر السابق، ص 355-356؛ الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص69؛ كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الاسلامية، ترجمة: أمين بنيه فارس ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، 1968، ص 158-159.

[3] ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص 63-64؛ الحافظ الذهبي، العبر في من غبر، تحقيق وضبط: محمد زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، 1985م، ج1، ص 142؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج3، ص 163.

[4] كان المذهب الحنفي الذي انتشر على عهد بني العباس في العراق مذهب الأغالبة الأول، فقد اعتد به كمذهب رسمي لدولتهم، أين كانت بلاد الزاب حينها مقاطعة إدارية تتبع للأغالبة، بل كان لها دور بارز في الصراع العسكري مع الجماعات الإباضية، والظاهر أن مدن بلاد الزاب كتهودة وبنطيوس قد دانت بالمذهب الحنفي واستمر بها حتى بعد تقوي المذهب المالكي خلال القرنين الثالث والرابع للهجرة حتى اكتساحه خلال النصف الثاني من القرن الخامس هجري، ينظر: علاوة عمارة، "انتشار المذهب المالكي"، ص 129؛ نجم الدين الهنتاتي، المرجع السابق، ص 135.

[5] السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق: جعفر ومحمد الناصري، دار الكتاب، المغرب، 1997، ج1، ص 179 و 184؛ بوزياني الدراجي، دول الخوارج والعلويين، ص 76-79؛ فيلالي بلقاسم، المرجع السابق، ص 40-44. وحول الجماعات =

لقد عمد الحكام العباسيون ومن بعدهم الأغالبة[1]، إلى تقسيم منطقة نفوذهم إلى مقاطعات عسكرية منسوخة على نمط الكور، بحيث تستقل كل مقاطعة عن الأخرى دون أن تكون هناك صلة بينها، استقلالا يتبع المركزية الأغلبية[2]؛ والأكيد أن بلاد الزاب قد بقيت محافظة على نفوذها كمقاطعة منذ العصر الأموي، حيث تشكل الزاب بالقاعدة طبنة تدريجيا كجدار يحافظ على سهول إفريقية، ومنطلقا لكل الحملات العسكرية ضد الجماعة الصفرية والإباضية فيما بعد[3]. إن صورة طبنة كعاصمة لمقاطعة الزاب تظهر بوضوح خلال سنة 150هـ/767م حينما اعتدها الأغلب بن سالم منطلقا لحملاته[4]، تجاه تلمسان ثم طنجة لكسر انتفاضة أبي قرة الصفري في انتفاضته، وحصنا ضد عساكر الجماعات الصفرية، التي تمكنت من السيطرة على مدينة تهودة قبل وصولها إلى العاصمة طبنة ومحاصرتها[5]، فطبنة الثغر الذي حمى عمرو بن حفص، مثلت كذلك مجمعا للجيوش، ونقطة انطلاق لردع الجماعات الصفرية والإباضية أينما انتفضت[6].

إن هذه التحولات قد سمحت لإبراهيم بن الأغلب بعد توليته[7] من جعل بلاد الزاب نقطة ارتكاز[8] بتشكيل خط أمامي حصين ووقائي ممثلا في طبنة الزاب "المدينة — الثغر"، أدى في النهاية إلى

=الإباضية، يراجع: = الدرجيني، طبقات المشايخ بالمغرب، تحقيق: إبراهيم طلاي، مطبعة البعث، قسنطينة-الجزائر، 1974، ج1، ص11-12؛ الباروني، مختصر تاريخ الإباضية، دار تاولت، د.ت، ص 32-38؛ علي يحي عمر، الإباضية في موكب التاريخ، مكتبة وهبة، القاهرة، د.ت، ج2، ص 21-23؛ جودت عبد الكريم يوسف، العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 23-36؛ بوزياني الدراجي، المرجع السابق، ص 92-93.

[1] استمر حكم العباسيين ببلاد المغرب من عهد محمد بن الأشعث (144-148هـ/761-765م) حتى آخر وال لهم وهو محمد بن مقاتل العكي (181-184هـ/797-800م)، وقد دامت فترتهم أربعين سنة، وخلفهم الأغالبة سنة 184هـ/800م، لما أسسوا ملكهم تحت راية إبراهيم بن الأغلب بن سالم التميمي، على عهد الخليفة هارون الرشيد (170-193هـ/786-808م). ينظر: ابن وردان، المصدر السابق، ص 12-34.

[2] هشام جعيط، المرجع السابق، ص 85.

[3] الطاهر طويل، "جغرافية العمران بالمغرب الأوسط": مغرب أوسطيات، ص 60.

[4] Paul Blanchet, « Excursion Archéologique dans le Hodna et le Sahara », *Recueil des notices et mémoires de la société archéologique du département*, 33 (1900), p. 289-290.

[5] الواضح أن الجماعات الصفرية والإباضية قد مكن لها في أرياف صنهاجة و زناتة وسدراتة و تيهرت، ويظهر ذلك في رواية ابن عذارى حين يعدد القبائل التي زحفت وحاصرت طبنة بعدما نزلت بلاد الزاب، ينظر: البيان، ج1، ص 75.

[6] الرقيق، المصدر السابق، ص 77-78 و 105 و 125؛ ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 75-76.

[7] ابن وردان، المصدر السابق، ص 30؛ الرقيق، المصدر السابق، ص 186-187؛ ابن الأثير، المصدر السابق، مج5، ص 313-314.

[8] علاوة عمارة، "الهجرة الهلالية وأثرها"، ص 77.

تربع الزاب على أهمية كبيرة ومكانة مرموقة لدى الأغالبة[1]، فهي مكتسب لقاعدة اقتصادية وعسكرية[2]، ستمكنهم في الأخير من الحفاظ على قوتهم السياسية بالمنطقة بعدما حدّوا من التوسع الإباضي[3]، ويورد لنا ابن عذاري أنموذجا لقوة الزاب كمركز ثقل لكل افريقية الأغلبية، في تعيين الولاة، وعزلهم، في روايته على الصراع بين أبي الجهم تمام الثائر، ومحمد بن مقاتل العكي أمير إفريقية المعين من قبل أمير المؤمنين، فيقول:" فنهض إليه إبراهيم بن الأغلب من الزاب؛ وكان أميرا عليه. فلما بلغ تماما إقباله إليه سار إلى تونس فدخل ابن الأغلب القيروان وابتدر المسجد الجامع وصعد المنبر وكان فصيحا بليغا؛ فأعلم الناس أنه ما وصل إلا لنصرة العكي محمد بن مقاتل، وأنه هو أميرهم عليهم من أمير المؤمنين"[4].

2- التحولات المجالية في بداية المرحلة الأغلبية:

لقد غلب الغموض والشح على المعطيات المتعلقة بالخريطة المجالية لبلاد الزاب حتى نهاية القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي، فأغلب المصادر القريبة والمتأخرة على السواء، تهمل بشكل لافت بسبب أو بدون سبب، ذكر المجال الزابي بالتفصيل، مع العلم أنه خلال هذه المرحلة، وقبله كان ثغرا عسكريا مهما، ففيه استشهد عقبة بن نافع بمدينتها تهوذة[5]، وعليه ظهرت جل الانتفاضات المسلحة للجماعات المحلية (البربر) على غرار مقاومة الكاهنة[6]، ولم يطل الوقت ببلاد الزاب حتى تحولت إلى مقاطعة ذات طابع عسكري-مذهبي بامتياز بمركزها طبنة، بالأخص ما بعد تجذر جماعات جديدة على غرار الصفرية، ثم الإباضية[7].

---

[1] الطاهر طويل، المدينة الاسلامية وتطورها، ص 124-125. ومن أمثلة المحطات التي كانت طبنة شاهدة فيها على هزيمة الجماعة الصفرية وانسلاخ الفرقة الإباضية بعدها عنهم هي موقعة سنة 155هـ/771م. يراجع: علي عشي، "الجيش الرستمي-دعوى الغياب ومقتضى الحضور-"، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، 12 (2011)، ص 103 والهامش.

[2] هشام جعيط، المرجع السابق، ص 112.

[3] الطاهر طويل، "جغرافية العمران"، ص 60.

[4] ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص 90.

[5] علاوة عمارة، "من القائد العسكري إلى القائد الأسطوري: صورة عقبة بن نافع في الدراسات الغربية" دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والغرب الاسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008، ص 47 و 54.

[6] حول شخصية الكاهنة، انتمائها القبلي، ديانتها، ينظر:

Mohamed Talbi, «Un nouveau fragment de l'histoire de l'Occident musulman (62-196/682-812). L'épopée de la Kâhina », *Cahiers de la Tunisie*, 73-74 (1971), p. 19-52 ; Mhamed Hassine Fantar: « La Kahina, Reine des Berbères », *Revue du Centre d'études de la civilisation phénicienne-punique et des antiquités libyques. –REPPAL-*, Institut national d'archéologie et d'art, Tunis, 3 (1987), p. 169-184; Yves Modéran, « Kahena », *Encyclopédie berbère*, 27 (2005), p. 4102-4111.

[7] السلاوي، المرجع السابق، ج1، ص 179-187؛ محمد عيسى الحريري، الدولة الرستمية بالمغرب الاسلامي (حضارتها وعلاقاتها =

إنّ أهم التحولات المجالية التي طرأت على مقاطعة الزاب العباسي-الأغلبي، مثله اختفاء تام لطوبونيم أدنة أو القاعدة القديمة لبلاد الزاب في نهاية العهد البيزنطي[1]، هذا الغياب في المصادر التي نقلت النصوص المتعلقة بالفترة العباسية-الأغلبية ناتج على الأرجح في حدوث قطيعة مجالية مع الماضي الأموي بصفة خاصة، بعدما فقدت المدينة (أدنة) مركزها في ثقل الزاب القديم، لينتقل إلى العاصمة الجديدة طبنة[2]، والتي ستتقوى على أيام عمرو بن حفص حين عمد إلى إحاطتها بسور في الجهة الخارجية لها[3]. ونفس الشيء فيما يخص مدينة (أدنة)، التي انمحى وجودها من الخريطة المجالية للزاب خلال هذه المرحلة، وهو ما يثير الكثير من التساؤلات؟

- أما أهم التواصلات المجالية التي نلحظها على الفترة الأغلبية وحتى نهاية القرن الثاني هجري/8م، فنوردها في المعطيات الآتية:

1- استمرار مقاطعة الزاب في ولاية إفريقية التي كانت مقسمة إلى ثلاث مقاطعات رئيسية هي: طرابلس وإفريقية والزاب[4]، لكن مع تغير في نموذج التبعية، أين يبرز نظام الكور العسكرية، حيث أعيد تحديد تقسيم ولاية إفريقية الاغلبية إلى أربع مناطق عسكرية بفصل مقاطعة إفريقية إلى كورتين هما تونس والقيروان، حيث تشكل لكل منها مركز، ودوائر تتبعها، وتمثلت هذه المناطق العسكرية في:

-منطقة تونس العسكرية. المركز تونس، وتتبعها 06 دوائر؛

-منطقة القيروان العسكرية. المركز: القيروان، وألحق به 05 دوائر؛

-منطقة طرابلس. المركز: طرابلس، لها فزان وجرمة كدوائر؛

-والمنطقة الرابعة هي الزاب العسكرية: المقر طبنة قاعدة كورة الزاب، وتتبع لها 06 دوائر[5].

= الخارجية بالمغرب والاندلس (160هـ - 296هـ))، دار القلم، الكويت، د.ت، ص 88-90؛ الدراجي بوزياني، دول الخوارج والعلويين، ص 155-186؛ بلقاسم فيلالي، المرجع السابق، 26-33.

[1] يختفي هذا الطوبونيم ولا يظهر إلا في حدود القرن 3 هـ/9م، عند اليعقوبي حين يعدّد لنا مدن الزاب، ليضع (أدنة) في آخر مجالاته، لكن مع تحريف بسيط في الطوبونيم حيث يوردها (أربة)، يقول في ذلك:" ومدينة أُرْبَة وهي آخر مدن الزاب مما يلي المغرب". ينظر: كتاب البلدان، ص 141.

[2] يتواصل تصدر طبنة لمركز ثقل الزاب حتى النصف الثاني من القرن الهجري الثالث/9م، حيث يظهر حضورها في جغرافية اليعقوبي، تحت المسمى [مدينة الزاب العظمى]. اليعقوبي، المصدر السابق، ص 140. وينظر: الطاهر طويل، "جغرافية العمران"، ص 59.

[3] البكري، المصدر السابق، ج2، ص 228. ويراجع:

-Blanchet, *op. cit.*, p. 289.

[4] يبدو أن هذا التنظيم الإداري الثلاثي ذو الصبغة العسكرية قد كان معتمدا منذ العهد العباسي، وتواصل تطبيقه في العصر الأغلبي. يراجع: ابن وردان، المصدر السابق، ص 18.

[5] هشام جعيط، المرجع السابق، ص 86-87 و 116-117.

2- تجذر موقع تهودة في الخريطة المجالية لبلاد الزاب منذ الفتح، وحتى هذه الفترة من تاريخ الأغالبة وحتى نهاية القرن 2هـ/8م[1]، فقد مثلت تهودة القريبة من مجالات الجماعات الإباضية نقطة ارتكاز لعبد الرحمن بن رستم وجيوشه[2] لتوسيع مناطق نفوذه ببلاد الزاب، ومحاولة عزله عن إفريقية، ويظهر هذا في قول الرقيق القيرواني وابن عذاري المراكشي: "فلما انصرف الصفرية وجه عمرو إلى ابن رستم عسكرا، وكان في تهودا فانهزم ابن رستم وقتل من أصحابه نحو ثلاثة آلاف، ووصل منهزما إلى تيهرت"[3].

3- تواصل موقع مدينة طبنة كمركز للزاب في الخريطة المجالية، مع تحولها إلى مقر للمنطقة الرابعة وهي كورة الزاب العسكرية، وهذا ما نلحضه في نص الرقيق القيرواني في خضم حديثه عن صراع العسكري بين عمرو بن حفص والجماعات الصفرية - الإباضية بكورة الزاب، وهذا حين يربط مدينة طبنة بكورة الزاب، وأهميتها المميزة في هذه الكورة، فيقول: " فلما رأى عمر بن حفص ما أحاط به من العساكر بمدينة طبنة الزاب، جمع قواده، فاستشارهم...فأشاروا عليه ألا يبرح من مدينة طبنة"[4].

لقد استطاع هشام جعيط من تحديد الخريطة المجالية لبلاد الزاب خلال العهد الأغلبي، وحاول التأكيد على أنه يمكن اعتماد هذه الخريطة المجالية على الحقبة السابقة، انطلاقا من دمج روايتي صاحبي البيان وكتاب البلدان[5]، فقد ضبط قاعدة الزاب في مدينة طبنة، وأقرها مركزا للكورة العسكرية الرابعة[6]، هذا التحديد يمكن تأكيد صحته بشكل مطلق من خلال المصادر المتعلقة بالفترة الأغلبية حتى نهاية القرن الثاني للهجرة/8م، أما المدن المشكلة للمجال الزابي، فقد حصرها هشام جعيط في 6 دوائر، وهي: ميلة؛ بغايا؛ نقاوس؛ مقرة؛ بلزمة؛ سطيف[7].

---

[1] يعتبر ابن وردان أفضل من تتبع تاريخ الأغالبة من عصر الرشيد إلى المقتدر بالله، والذي دام 112 سنة تقريبا، أي منذ تولي إبراهيم بن الأغلب لحكم إفريقية، والذي توقف بنا عند أبرز محطات المملكة الأغلبية منذ تأسيسها 184هـ/800م حتى وصول الجماعات الشيعية واستقرارهم بكتامة منذ 280هـ/893م إلى 296 هـ/909م. ينظر: ابن وردان، المصدر السابق، ص 21-62.

[2] لقد أثيرت إشكالية امتلاك الدولة الرستمية للجيش، وهو ما حاول علي عشي مناقشته في دراسته " الجيش الرستمي دعوى الغياب ومقتضى الحضور"، أين عرض مختلف الروايات المتعلقة بوجود أو عدم وجود جيش للرستميين، لينتهي بعد حوار طويل مع الحجج والبراهين إلى نتيجة مفادها: "أن الدولة الرستمية لم تخل في فترة ما من جيش يحمي مناطق نفوذها ويقيم سيادتها ". ينظر: علي عشي، المرجع السابق، ص 103-125.

[3] الرقيق، المصدر السابق، ص 105؛ ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص 76.

[4] الرقيق، المصدر السابق، ص 105.

[5] هشام جعيط، المرجع السابق، ص 86.

[6] المرجع نفسه، ص 85.

[7] نفسه، ص 87.

ومن خلال القراءة الأولية للمدن المشكلة لبلاد الزاب بحسب هشام جعيط، يظهر نقص واضح في تعداد المدن الحقيقية التي شكلت إلى وقت قريب مقاطعة الزاب الأموي، فبالمقارنة مع ما توصلنا إليه سلفا خلال تحديدنا للخريطة المجالية لبلاد الزاب الأموي، وانطلاقا من النصوص الشحيحة التي ذكرناها سلفا، يمكن إضافة مدن جديدة لمجال الزاب، على غرار مدينة سطيف. وبالإضافة إلى كل هذه المدن، يمكن إضافة مدينة تهوذة التي تواصل حضورها إلى غاية بداية تشكل إمارة الأغالبة؛ وكذا مجال الحضنة، باعتبار نفوذ هذه الإمارة قد بلغ دائرة مقرة.

4- أنه يمكن وضع (أدنة)[1] ضمن قائمة المدن التي مثلت التحولات المجالية ببلاد الزاب خلال هذه الفترة، فأول الملاحظات الجلية تُبْرِز إختفاءً تاما للطوبونيم، دون أن يعرف سبب لهذا الانقطاع الطوبونيمي، ومن المحتمل أن المدينة قد أصبحت خرابا خلال عمليات تأسيس المحمدية بداية من القرن الهجري الموالي، وهو ما يعطي مؤشرا على توقف الحياة بها، ويبرز هذا الرأي البكري:" وعلى مقربة منها مدينة للأول خربة يقال لها بشليقة"[2].

3- المقاربات التاريخية لزاب القرن الهجري الثاني/8م: الخرائط الأثرية والمصادر العربية

تتحدث الروايات المتعلقة بالقرن الهجري الثاني/الثامن الميلادي عن التجاذب المذهبي الحاصل على طول المجالات القريبة من نفوذ الإباضية، بالأخص في أرياف الزاب، وعلى طول المسلك أدنة- تيهرت، مما أدى إلى بروز الكثير من الأحداث المتفرقة، ومن الأمثلة على ذلك الحملات العسكرية التي قادها الوالي العباسي عمر بن حفص هزار مرد لرد المحاولات الإباضية للاستحواذ على جنوب الزاب. هذه الحملات كان مسارها إنطلاقا من فك الحصار عن القاعدة طبنة، ووصولا إلى تهودة[3].

وبمقارنة الروايتين: القيروانية بمبلورها الرقيق القيرواني (ت 420هـ/1029م)، والرواية والمغربية التي نقلت في مجملها عن المؤلفين القيروانيين على شاكلة ابن عذاري المراكشي (ت بعد 712هـ/1312م)، مع خريطة مسالك إفريقيا الرومانية والبيزنطية، سنحصل في الأخير على تفاصيل إضافية حول الخريطة المجالية للزاب حتى نهاية القرن الثاني هجري/8م. فالمحطات والمواقف والمسالك الفرعية على طول الطريق طبنة – تهودة، تتمثل في الآتي:

طبنة *Thubunae* ⟵ الضاية *Daya*.

الضاية *Daya* ⟵ قصر سيدي الحاج *Ad Aquas Herculis*.

---

[1] بافتراض صحة المقاربة أدنة مع زابي = بشيلقة .

[2] البكري، المصدر السابق، ج2، ص 239.

[3] الرقيق، المصدر السابق، ص 105؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص 78.

قصر سيدي الحاج *Ad Aquas Herculis* ⟵ الوطاية *Mesarfelta*

قصر سيدي الحاج *Ad Aquas Herculis* ⟵ برانيس *Branis*.

برانيس *Branis* ⟵ بسكرة *Vescera*.

لوطاية *Mesarfelta* ⟵ بسكرة *Vescera*.

بسكرة *Vescera* ⟵ تهودة *Thabudeos*.[1]

إن هذه المقاربة التاريخية بين وضعية مدن ومسالك مقاطعة الزاب (نوميديا الجنوبية القديمة) في إفريقية الرومانية والبيزنطية على الخريطة الأثرية، مع الروايات الإخبارية القيروانية- المغربية، تحيلنا إلى المدن المشكلة لمجال الزاب خلال نهاية القرن 2هـ/8م، فانطلاقا من المدن الرئيسية المشكلة لكورة الزاب وهي :ميلة؛ بغاي؛ نقاوس؛ مقرة؛ بلزمة؛ سطيف[2]. بالإضافة إلى المدن التي استخلصناها من مقاربة الروايات الاخبارية مع الطوبونيميا الواردة على الخريطة الأثرية لإفريقية الرومانية والبيزنطية، والممثلة في: طبنة؛ الضاية؛ قصر سيدي الحاج؛ برانيس؛ لوطاية؛ بسكرة؛ تهودة.

وبالمقابل، يجب أن لا نقلص من الخريطة المجالية لبلاد الزاب المدن الواقعة على طول رؤوس المدن المشكلة لكورة الزاب، فمثلا من بغاي إلى نقاوس نجد الكثير من المدن التي نرجح انتمائها إلى بلاد الزاب على غررا: زانة؛ سريانة؛ لمبايسيس. وعلى نفس الشاكلة يمكن إدراج مدن كثيرة في الحدود الباقية. وأغلب هذه المدن توصلنا إليها سلفا خلال تحديدنا للمدن المشكلة لمجال الزاب حتى نهاية القرن الهجري الأول. وعليه تكون الحدود والمدن المرجحة لبلاد الزاب حتى نهاية القرن 2هـ/8م ملخصة في الآتي:

القاعدة ======================== طبنة		
الحدود الجغرافية	الشمال	ميلة
	الجنوب	تهودة
	الشرق	بغاي
	الغرب	مقرة
المدن المشكلة لزاب القرن الهجري الثاني/الثامن الميلادي	بغاي-قساس-دوفانة-لمبايسيس-بلزمة- مروانة- سريانة- زانة-نقاوس-ميلة-سطيف-مقرة- الخربة الزرقاء-طبنة- الضاية- القنطرة- قصر سيدي الحاج- برانيس-لوطاية-بسكرة-تهودة.	

[1] Charles Tissot, *Géographie comparée de la province romaine d'Afrique*, , Imprimerie Nationale, Paris, 1884, t.2, p. 513-527 et Carte PI.XXII ; Salama, *op. cit.*, Cartes.

[2] هشام جعيط، المرجع السابق، ص 117.

ثانيا: الزاب الأغلبي والقطيعة المجالية مع الماضي الأموي

(بداية القرن الهجري الثاني/8م إلى حدود 296هـ/909م)

خلال النصف الأول من القرن الهجري الثالث/التاسع الميلادي، نلاحظ غيابا تاما للنصوص المتعلقة بمقاطعة الزاب، ماعدا رواية وحيدة تختص بالأوضاع المذهبية خلال الفترة الزاهية من حياة إمارة الأغالبة[1]، والواردة في طبقات أبي العرب بن تميم التميمي، والتي وظفها التونسي نجم الدين الهنتاتي في دراسته المتعلقة بانتشار المذهب المالكي ببلاد المغرب الأوسط إنطلاقا من قاعدة المالكية بإفريقية، حيث يورد بعضا من نماذج انتشاره بها، على غرار بلاد الزاب من خلال تولي الفقهاء المالكية للقضاء بها، وهذا منذ القرن الثالث هجري/9م، حيث كان تلميذ الإمام سحنون: بن خالد السهمي (ت 245هـ/859م)[2] أول من تولى القضاء ببلاد الزاب[3].

يتواصل غياب النصوص المباشرة حول مقاطعة الزاب-الأغلبي، وهذا تقريبا حتى المنتصف الثاني من النصف الثاني من القرن 3 هـ/9م، أين تبرز شهادات مميزة للجغرافي العباسي اليعقوبي، وفي ظل الشح الملحوظ في المصادر الإخبارية فإننا سنعتمد على روايات إضافية لتمكيننا من تحديد دقيق للمجال الزابي، من أمثلة نصوص القاضي النعمان في كتابه إفتتاح الدعوة الذي أنهى تأليفه في حدود 346هـ/957م، كتاب سيرة الأستاذ جوذر للعزيزي الجوذري، وكل من نقل عن هذه المصنفات الاسماعيلية. بالإضافة إلى بعض المصادر المتأخرة، على غرار نهاية الأرب، وكتاب العبر، وغيرهما، وتبرز وضعية الخريطة المجالية للزاب في الآتي:

1- اليعقوبي والتنظيم المجالي للزاب

تعد شهادة الجغرافي اليعقوبي (ت 897/284هـ) القادم من بغداد العباسية أول مساعد لنا في معرفة الخريطة المجالية لبلاد الزاب خلال القرن الثالث الهجري/9م، حيث يبرز مبتدأ المجال الزابي في مدينة باغاي، وهذا في مجمل حديثه عن الطريق الرابط بين عاصمة إفريقية (القيروان)، وبلاد الزاب وقصبتها (طبنة)، يقول في ذلك:" ومدينة الزاب العظمى طبنة، وهي التي ينزلها الولاة"[4]. هذا المسلك

---

[1] حول الواقع المذهبي في العهد الأغلبي وعلاقاتها الثقافية بجيرانها من الامارات، يراجع: محمود اسماعيل، الأغالبة (184-296) سياستهم الخارجية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية، القاهرة، 2000، ص 133-141؛ بلقاسم فيلالي، المرجع السابق، ص 57-63.

[2] هو أبو حاتم يحي بن خالد السهمي، نسبه من قريش، كان رجلا صالحا قليل الفقه من شيوخه عثمان بن صالح، ولاه الإمام سحنون قضاء الزاب، وقيل أنه مات بسم حية لدغته وهو بأرض الزاب قاضيا فيها، توفي سنة 245هـ/859م. أبو العرب، طبقات علماء إفريقية، ص 120-121.

[3] نجم الدين الهنتاتي، المرجع السابق، ص 135.

[4] اليعقوبي، المصدر السابق، ص 140.



نجد فيه نقصا في المحطات الواقعة على طوله، نحن نتحدث هنا إنطلاقا من الخريطة الأثرية القديمة، لأنه بحسب رأيي لم يذكر في أي مصدر من المصادر الوسيطة أية إضافة مست المسالك القديمة منذ الفتح الإسلامي وحتى القرن الهجري الثالث/9م.

إن نص اليعقوبي يحمل في طياته مجال بلاد الزاب من الشمال- الشرقي حتى حده الغربي عند خرائب هاز، ويعدد لنا مدن الزاب في قوله:" والزاب بلد واسع، فمنه مدينة قديمة يقال لها باغاية...ومدينة يقال لها تيجس من عمل باغاية ...ومدينة عظيمة جليلة يقال لها ميلة...ومدينة يقال لها سطيف...ومدينة يقال لها بلزمة ...ومدينة يقال لها نقاوس...وطبنة مدينة الزاب العظمى...والمدينة العظمى مقرة...ومدينة أربة وهي آخر مدن الزاب"[1].

معطيات كتاب البلدان نجدها مكتملة في روايات القاضي النعمان (ت 363هـ/974م)[2]، الذي يقدم لنا شهادة مميزة تتوافق، تكمل، وتضيف بعض الدلالات الضمنية والمجالية لمقاطعة الزاب الأغلبي حتى 296هـ/909م. إن كرونولوجيا الحملات العسكرية الواردة في إفتتاح الدعوة تبرز المدن المشكلة للزاب عند صاحب البلدان، لكن مع بعض الإضافات في عرضه للمسلك الرابط بين باغاي وطبنة في امتدادات المجال الزابي، فيقول:" فلما رأى إحجام أبي عبد الله زحف إليه بالعساكر التي معه حتى انتهى إلى كبونة[3]... فوقعت الهزيمة على ابن حبشي وأصحابه...وأسلموا الأثقال والأموال، وأخذوا طريق باغاية"[4].

إن المعطيات التي يوفرها لنا صاحب الافتتاح بالرغم من أنها تعتمد على روايات منقولة لأحداث عسكرية، إلا أنها تساعدنا في معرفة تواصل أو انقطاع الكثير من الجوانب المتعلقة بالجغرافية التاريخية لبلاد الزاب خلال تلك الفترة. هذا، ومن المدن الواقعة في المجال الزابي والتي يذكرها القاضي النعمان، نجد: بلزمة، وميلة، وسطيف، وبغاي، فيقول :" في ذي القعدة من سنة تسع وثمانين ومائتين...صار إلى سطيف، فلم يصل إليها حتى زاد في عسكره مثله، وتلقاه بنو عسلوجة أصحاب سطيف، وبنو تميم أصحاب بلزمة فيمن معهم، ومن حولهم"[5].

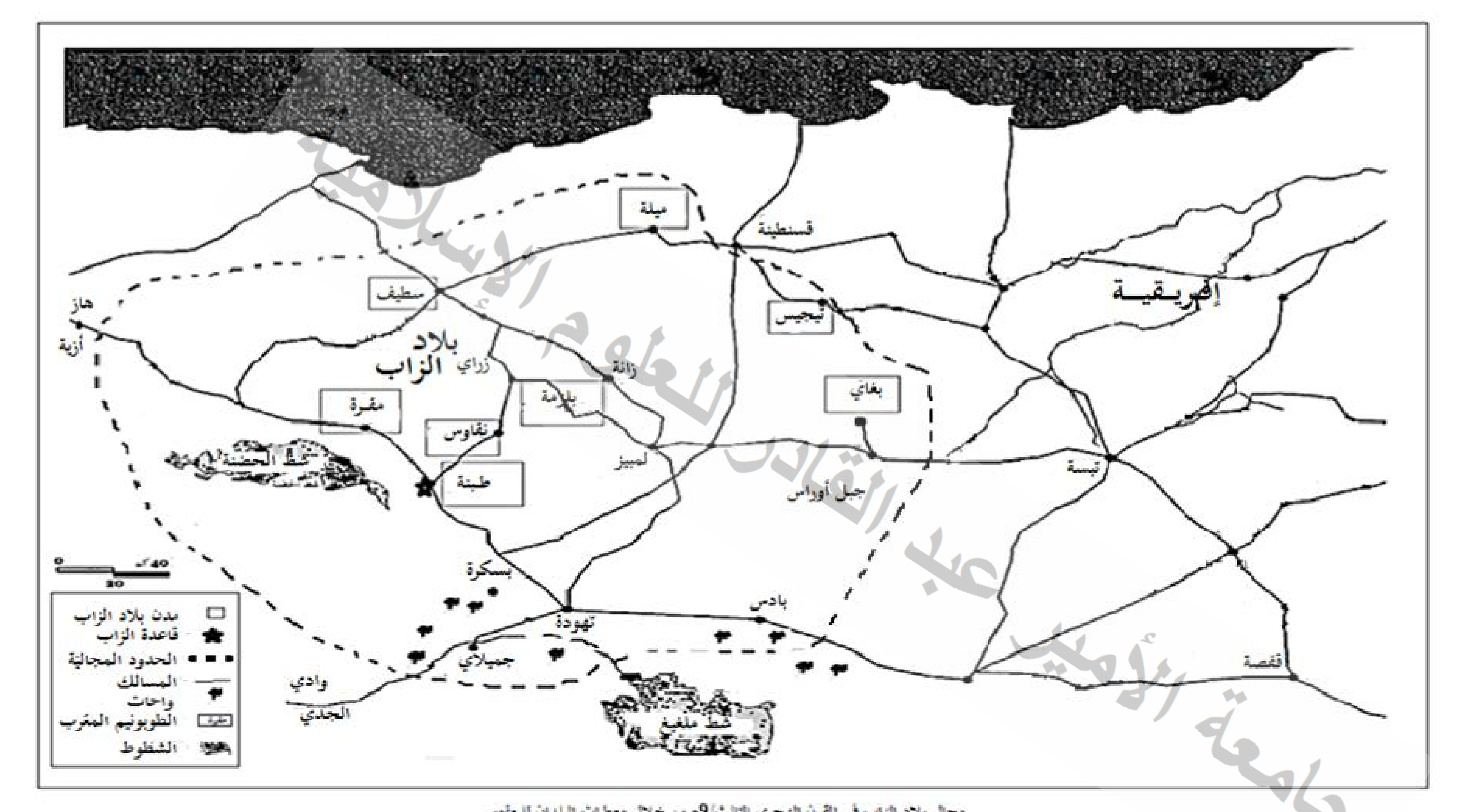
[1] نفسه، ص 140-141.

[2] القاضي النعمان، كتاب افتتاح الدعوة، تحقيق: فرحات الدشراوي، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1986.

[3] شمال بلزمة.

[4] القاضي النعمان، المصدر السابق، ص 171.

[5] القاضي النعمان، المصدر السابق، ص 140؛ وينظر: اليعقوبي، المصدر السابق، ص 140.



مجال بلاد الزاب في القرن الهجري الثالث/9م من خلال معطيات البلدان لليعقوبي

(المرجع : Ahmad M'Charek, "Continuité de l'ethnonymie...", p 451) –بتصرف–

وبالعودة إلى نص اليعقوبي الدال على أن طبنة قاعدة الزاب خلال هذه المرحلة من حياة الإمارة الأغلبية، نجده يتكامل مع شهادة القاضي النعمان في بلورة مجال الزاب، فما يطرحه اليعقوبي يكون قد أضاف لنا معلومات جديدة قد تساعدنا في تعديل الخريطة المجالية للزاب، وهذا انطلاقا من قوله:" مدينة الزاب العظمى، وهي في وسط الزاب"[1]، فهذا يعني أن الخريطة المجالية للزاب ستتوسع لزاما نحو الجنوب، خاصة وأن القاضي النعمان قد عرض علينا المدن التي تقع في الشمال والشرق، بما أن طبنة تتوسط بلاد الزاب، في حين توقف اليعقوبي في شهادته عند الحدود الغربية للزاب، والتي تنحصر غربا عند خرائب هاز، مع شهادته بنفسه حول اتساع الزاب في قوله:" والزاب بلد واسع، فمنه ...(وعدَّدَ المدن)"[2]، دلالة على وجود مدن أخرى تندرج ضمن المجال الزابي.

وبالاعتماد على فكرة أن طبنة تقبع بوسط الزاب، وهذا سيحيلنا إلى جهة موازية للمنطقة الشمالية- الشرقية للمجال الزابي، ونقصد هنا الجهة الجنوبية التي يمثلها الفضاء البسكري (مدن وواحات بسكرة)، حيث يلاحظ استمرار واضح لمعظم الطبونيمات القديمة على غرار (*Vescera ; Thabudeos ;Bades*)، مع عملية تعريب حرفية لها[3]. يؤشر بحسب رأيي إلى استمرار نفس الخريطة البشرية والمجالية للجهة الجنوبية لبلاد الزاب، الذي سيصل في أقصى جنوب أوراس عند بادس انطلاقا من وسط الزاب المعبر عنه بقاعدته طبنة.

2- التواصلات المجالية لبلاد الزاب خلال القرن الهجري الثالث/ التاسع الميلادي

أ- استمرارية طبنة كقاعدة لبلاد الزاب:

خلال القرن الهجري الثالث/9م يلاحظ تواصل طبنة كعاصمة للزاب-الأغلبي، وحتى السنوات الأربع الأولى من العصر الفاطمي[4]، حيث حافظت القاعدة طبنة على مركزها الذي استمدته من موقعها الاستراتيجي الهام، فبتوسطها المجال الزابي، تكون طبنة قد استمر دورها في مراقبة الجماعات الإباضية المنتشرة في هذا المجال، وهذا بفضل حصنها المزدوج المنيع، والذي طوره عمر بن حفص سنة 151هـ/768م . إن هذه الحصانة المميزة لقاعدة الزاب، قد مكنتها من جلب انتباه حكام الأغالبة نحوها، فاستقر بها أخلاط من الجماعات، باختلاف مللهم ونحلهم، فهي:" التي ينزلها الولاة وبها أخلاط

---

[1] اليعقوبي، المصدر السابق، ص 141.

[2] اليعقوبي، المصدر السابق، ص 140.

[3] علاوة عمارة، "التحولات المجالية والطبونيمية"، ص 13.

[4] حول غلبة المهدي أبو عبد الله الداعي لدولة الأغالبة، وتمكينه لدولته الاسماعيلية ببلاد المغرب، ينظر: القاضي النعمان، المصدر السابق، ص 135-240؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص 138-149؛ ابن وردان، المصدر السابق، ص 62-64؛ الدواداري، كنز الدرر وجامع الغرر، تحقيق: صلاح الدين المنجد، القاهرة، 1370هـ/1961م، ج6، ص 22-23.

من قريش والعرب والجند والعجم والافارقة والروم والبربر"[1]. إن هذه المعطيات المتعلقة بالخريطة البشرية نجدها غائبة خلال القرنين الأول والثاني، ماعدا ترجيحات باستمرار الموروث الثقافي القديم، سواء اللغة بشقيها المحلية والواردة، أو الديانة باختلافها[2].

كما تستمر طبنة كمركز للكورة العسكرية الرابعة للزاب، بدوائرها الرئيسية الستة وهي: ميلة؛ وبغاي؛ ونقاوس؛ ومقرة؛ وبلزمة؛ وسطيف[3]. لكن لماذا تم تغييب قسنطينة وقد كانت عاصمة لمقاطعة نوميديا القديمة؟ أم أن مركز الثقل قد تراجع لصالح القطب ميلة، وقد حلت محلها في جهة الشمال في محاولة لتسهيل مراقبة المناطق الغربية من بلاد كتامة، وبموازاتها مع طبنة كقطب ثان لمقاطعة الزاب في الجنوب؟[4]. وهل استطاع الأغالبة، العباسيون والأمويين من قبلهم من إحداث قطيعة نهائية مع الماضي الروماني، بتقليص حجم العاصمة القديمة لنوميديا، في محاولة لفرض نظام وسلطة جديدة بالمنطقة تحمل في طياتها وجه الدولة التي تسيطر على المنطقة؟ وهو الأمر الحتمي الذي أدى في النهاية إلى اختيار طبنة كمركز المنطقة العسكرية الرابعة للزاب، مع توسيع مجال المنطقة حتى الحدود الشرقية من جهة باغاي، والغربية في حدود خرائب هاز، والشمالية في حدود ميلة وسطيف.

ب- استمرارية الزاب ككورة عسكرية- أغلبية:

من بين التواصلات المجالية ببلاد الزاب، هو بقاء المجال الزابي كمنطقة عسكرية تستمد منه مملكة الأغالبة قوتها بالمغرب الأوسط، هذا في ظل بروز حركة مذهبية معادية في المنطقة، وبالأخص الريفية منها، مثلتها الجماعات الإباضية، والتي دخلت في صراع مذهبي- عسكري مباشر معهم[5]، فانطلاقا من توسع نفوذ الرستميين شرقا في جبل نفوسة، جزء من طرابلس، وتيهرت، مكن لهذه الجماعات من تشكيل شبكة قوية في محاولة منها لإيصال أفكارها الإباضية وزرعها وسط سكان الجماعات الريفية[6].

---

[1] اليعقوبي، المصدر السابق، ص 140.

[2] جورج مارسي، بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق الاسلامي في العصور الوسطى، ترجمة: محمود عبد الصمد هيكل، منشأة المعارف- الاسكندرية، القاهرة، 1991م، ص 77-87؛ علاوة عمارة، "الهجرة الهلالية وأثرها"، ص 77-78.

[3] لقد أشار هشام جعيط بالإضافة إلى التقسيم الذي قدمه انطلاقا من اليعقوبي وابن عذارى، إلى جورج مارسي الذي روج لفكرة وجود منطقتين مختلفتين خلال القرن الهجري الثالث/9م، تمثل الأولى المنطقة الشرقية وحدها شمال وجنوب تونس، بينما يضع القسم الثاني في نوميديا القديمة أو بلاد الزاب تمثل منطقة حدودية عسكرية تحت إمرة ولاة. ينظر: تأسيس الغرب الاسلامي، ص 107-109.

[4] هشام جعيط، المرجع السابق، ص 85.

[5] هشام جعيط، نفسه، ص 85-86؛ الطاهر طويل، "جغرافية العمران"، ص 49-50؛ علاوة عمارة، "الهجرة الهلالية وأثرها"، ص 77.

[6] ابن وردان، المصدر السابق، ص 35.

لقد اعتمد الأغالبة على نظام الكور العسكرية، المبني على استقلالية كل كورة بذاتها، مع اتصالها بالسلطة المركزية الأغلبية في النهاية، حيث تشكل مجالهم الجغرافي من أربع مناطق عسكرية تم إلغاء طوبونيم إفريقية من التقسيمات القديمة، وتوزع بين منطقتين، تونس والقيروان، بالإضافة إلى طرابلس وبلاد الزاب[1]. هذه الاختيارات لم تكن عشوائية بتاتا، فالزاب كان يمثل مستقرا لولاتهم ومحمية تتوزع فيها أخلاط من: [العرب؛ والروم؛ والبربر]، وهي تقع في آخر حدودها بمحاذاة نفوذ الجماعات الإباضية، حيث لا يفصل بين أدنة الحد النهائي للمجال الزابي، والعاصمة الرستمية تيهرت (عراق المغرب) إلا هاز، بعض المدن، والحصون[2].

إن مكانة كورة الزاب بمركزها طبنة، قد تجلت من خلال شهادة صاحب إفتتاح الدعوة خلال عرضه للأحداث التي أعقبت محاولات التوسع الفاطمي بالمجال الزابي، حيث يبرز الدوائر المشكلة للكورة- العسكرية الزاب، من فصوله في ذكر فتح كل دائرة يوردها منفصلة كالآتي:

- **ذكر افتتاح مدينة ميلة**: لما استقام لأبي عبد الله أمر كتامة جمع وزحف بهم إلى مدينة ميلة، وكان المتولى عليها حينها من بني الأغلب موسى بن العباس، ودار قتال شديد بين الفرقتين انتهت بالسيطرة على أولى مدن كورة الزاب ميلة، وعقد لأبو موسى ماكيون عليها[3].

-**ذكر افتتاح سطيف**: وكان علي بن حفص الأسدي الخزامي (عربي الأصل)، الملقب بابن عسلوجة، الوالي على مدينة سطيف، وقد حاول الفاطميون أن يكسبوا معركتها بواسطة أبي حوال مرتين قبل هذا لكنهم فشلوا لبسالة متوليها، وبعد تمكنه من امتلاك مدينة ميلة يكون الداعي قد استقام له الأمر بكتامة وما حولها، سار إلى سطيف في عساكر لا يحصى عددها حتى أحاط بها، وقاتل جيش ابن عسلوجة خارجها حتى غلبه، ودخل المدينة بعدما أخذ منه الأمان، واستعمل عليها عاملا يقوم بشؤونها ثم انصرف إلى القاعدة إيكجان[4].

- **ذكر افتتاح طبنة**: بعد ميلة وسطيف، يكون أبو عبد الله قد نزل بقسنطينة، ولا نعلم متى فتحت أو كيف؟ توعدا لفتح طبنة، وكان الحاكم عليها الحسن بن أحمد بن النافذ الملقب بأبي المقارع، وكان بها حصن قديم منيع، تحصن به جيش الأغالبة، في نزالهم مع أبي عبد الله الشيعي وجيشه، وقد استعمل أبو

---

[1] هشام جعيط، المرجع السابق، ص85- 86.

[2] اليعقوبي، المصدر السابق، ص 141.

[3] القاضي النعمان، المصدر السابق، ص 135-137؛ النويري، المصدر السابق، ج28، ص 56؛ الداعي ادريس عماد الدين، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب "القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار"، تحقيق: محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985، ص 108.

[4] القاضي النعمان، المصدر السابق، ص 165-167؛ النويري، المصدر السابق، ج28، ص 57.

المقارع وجنوده المجانيق حتى انكسر سهمها، ثم جريرته، وطال الحصار عليهم، حتى استسلموا، ووقعت مركز المنطقة العسكرية الرابعة في يد الفاطميين، ونصّب عليها أبو عبد الله يحي بن سليمان[1].

- **ذكر افتتاح بلزمة**: خرج إليهم أبو عبد الله في جيش كبير، فحاصرهم حصارا شديدا، حتى نفذ طعامهم، وخارت أجسادهم، حتى قيل أنهم أكلوا لحوم حيواناتهم وجلودها من شدة الجوع، فلما وعلم بحالهم الداعي أبو عبد الله دخلها عنوة، وقتل بها من المقاتلين، حتى صارت من المدن الاسماعيلية[2].

-**ذكر افتتاح مدينة باغاية**: دخلها أبو عبد الله بطلب من أهلها على رأسهم ابراهيم بن المزيلي، وعبد الله الردم، حمودة القصير، وغيرهم؛ واتفقوا على أن تصبح في سلطة الفاطميين دون قتال، واتفقوا على المهادنة، وسألوا الأمان بعد دخولها، واستعمل عليها أبو يوسف بن ماكيون[3].

ما يلاحظ في رواية صاحب الافتتاح غياب دائرتين هما: مقرة، ونقاوس، فأما المدينة الأولى فتقع إلى الغرب من طبنة، وفتوح الفاطميين لم تمتد في تلك المرحلة الفتية للدولة لهذه الجهة من مجالات الزاب، لأن الغاية كانت السيطرة على المناطق العسكرية للدولة الأغلبية ومراكزها القريبة من القيروان، وهو ما تم للداعي أبي عبد الله[4]. وأما نقاوس فالراجح أنها وقعت بالقرب من جبل أوراس معقل الإباضية، وهو بعيد عن مسار الحملات، لأن تحركات الجيوش الاسماعيلية كانت تنطلق من شمال سطيف (إيكجان)[5] باتجاه المدن المراد افتتاحها، ولأن المسلك الذي يقود إلى نقاوس لم تتم فيه حملة عسكرية، فالراجح أنها لم تفتح لهذا، ولم تذكر في رواية القاضي النعمان للسبب ذاته.

وعلى العموم فقد جاء ذكر افتتاح دار ملول وتيجيس من عمل باغاية في مجالات الزاب[6]، ولهذا يرجح أن تكون كورة الزاب، وكل بلاد إفريقية قد وقعت تحت سيطرة الفاطميين بأكملها طوعا، وكرها

[1] القاضي النعمان، المصدر السابق، ص 173-175؛ الداعي ادريس، المصدر السابق، ص 118.

[2] القاضي النعمان، المصدر نفسه، ص 178-179؛ الداعي ادريس، المصدر نفسه، ص 119.

[3] نفسه، ص 203-205، الداعي ادريس، نفسه، ص 123.

[4] يقول في هذا صاحب أخبار ملوك بني عبيد:" ثم وطئ إفريقية وملكها عنوة، وكان زيادة الله آخر ملوك بني الأغلب من عمال بني العباس فيها، فلما فل الشيعي على ملك بني الأغلب جموعه وملك عليه ملكه جميعه شمر أذياله وضم أثقاله ..أمر بهدم قصور بني الأغلب بجميع افريقية وتخريبها وطمس معالمها وحمو آثارها ورسومها..". ينظر: ابن حماد الصنهاجي، المصدر السابق، ص 38-42.

[5] ايكجان أو إكجان: حاليا بني عزيز الواقعة في شمال سطيف. مدينة أو جبل على مقربة من قسنطينة، والارجح أنها بين ميلة وسطيف، بل أقرب إلى مدينة ميلة، ارتبط اسمها بدار هجرة أبي عبد الله الشيعي، قومها كتامة، ولفظها البربري تعني أكجون أو أقجون، أو خربة الكلاب. ينظر: ابن حماد الصنهاجي، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تحقيق ودراسة: التهامي نقرة و عبد الحليم عويس، دار الصحوة للنشر، القاهرة، 1401هـ/1981م، ص37-38؛ الحميري، المصدر السابق، ص71-72؛ موسى لقبال، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية (من تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس الهجري/11م)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979م، ص 155-156؛ الطاهر طويل، المدينة الاسلامية وتطورها، ص 229-230.

[6] اليعقوبي، المصدر السابق، ص 140؛ القاضي النعمان، المصدر السابق، ص 182؛ الداعي ادريس، المصدر السابق، ص 120.

على السواء بعد حوالي سنتين على الأرجح حتى سنة 297هـ/910م من انتشار الشيعة الفاطمية ببلاد المغرب الأوسط وإفريقية:" فدعي له بالخلافة يوم الجمعة لتسع ليال بقين من شهر ربيع الآخر سنة سبع وتسعين ومائتين"[1]، ويقول في هذا ابن حماد:" وسلم عليه بالإمامة في شهر ربيع الآخر سنة 298"[2].

ت- أدنة = أزية (هاز)؟: الحد الغربي

تُبْرِز شهادة اليعقوبي أن حدود مملكة الأغالبة تنتهي في آخر المجال الزابي، والذي تمثله مدينة (أدنة)، فيقول:" ومدينة أربة وهي آخر مدن الزاب مما يلي المغرب في آخر عمل بني الأغلب ولم يتجاوزه المسودة"[3]. إن الملاحظة التي يمكن أن نشير إليها هنا، هو أن طوبونيم (أربة) الذي يذكره اليعقوبي في هذا النص، يختلف بعض الشيء في نصه الموالي، ففي محاولة منه لتحديد البعد بين هاز وآخر مدن الزاب فيقول:" وإلى هاز ينسب البلد وبينها وبين أَدْنة مسيرة ثلاثة أيام"[4]. فهل هناك طوبونيمين مختلفين هما أربة وأدنة كل منهما موقعه في خريطة الزاب؟ أم أن هذا يرجع إلى النسخ مما جعل التسمية تبرز بشكلها التركيبي المحرف أربة؟

إن بروز الطبونيم (أدنة) يمثل في حد ذاته تحولا مجاليا في خريطة الزاب، فخلال القرن الثاني للهجرة/الثامن الميلادي لاحظنا غيابا تاما لهذا الطوبونيم في المصادر، ماعدا المقاربات التي قمنا بها والتي استطعنا من خلالها إثبات وجود هذا الموقع ضمن المجال الزابي مع تغييبه ضمن المصادر. فلماذا يظهر ويغيب بعد قرن من الزمن؟ هل هذا راجع للتخريب؟ أم أن ميول كفة الموازين نحو طبنة، قد أهمل الموقع بشكل نسبي في العصرين الأموي والعباسي على السواء خلال القرن 2هـ/8م محدثة بذلك قطيعة مع الماضي القديم؟

وعليه، فالمنطقة العسكرية الرابعة الممثلة في بلاد الزاب تكون قد توسعت لتصل في أقصى اتساعها غرب المسيلة[5]، وعلى أغلب الظن فإن (أدنة) تكون قد ضُمَّت إلى مجال الزاب نظرا للمحاولات المتوالية للجماعة الإباضية من أجل السيطرة عليها وتمديد نفوذها، خاصة وأنه استقر حولها بنو برزال، وهم قبيل من زناتة، كانوا على سابق عهدهم على مذهب الإباضية، ثم استقروا خلال القرن الثاني للهجرة/8م بجبل سالات وما إليه من عمل المسيلة[6].

---

[1] نفسه، ص 299.

[2] المصدر السابق، ص 41.

[3] اليعقوبي، المصدر السابق، ص 141.

[4] المصدر نفسه، ص 142.

[5] اليعقوبي، المصدر السابق، ص 141.

[6] ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، تحقيق: ليفي بروفنسال، دار المعارف، القاهرة، 1948م، ص 463؛ ابن خلدون، ج7، ص 72.

ث- تقلص المجال في الجهة الجنوبية:

من أهم الملاحظات البارزة في نصوص القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، الغياب التام للمدن المشكلة للمجال الجنوبي للزاب وهي في الغالب أرياف محلية، حيث تختفي بشكل غامض مدن تهودة التي يتواصل ذكرها حتى نهاية القرن الهجري الثاني/8م من خلال محاولات الاباضية السيطرة والاستحواذ عليها، وبادس التي ذكرت بشكل صريح في روايات فتح عقبة بن نافع لبلاد الزاب وحتى نهاية القرن الهجري الأول/7م[1]، وإذا ما سلّمنا بهذا الطرح، فإن هذا يعتبر تحولا مجاليا مميزا، بموجبه حدث تقلص للمجال الزابي في الجهة الجنوبية منه، إذ لم تتعد الخريطة المجالية لبلاد الزاب مدينة طبنة[2]، وهو ما نراه صعب التصديق، وإذا ما كان كذلك فقد يرجع ذلك إلى توسع نفوذ الجماعة الإباضية في الأرياف المحلية المرتبطة أساسا بالأئمة الرستميين في تاهرت[3].

في المقابل، تتشكل صورة المدن في رواية اليعقوبي، وهذا من خلال رسمه للخريطة البشرية-المذهبية في هذه المدن، والتي اتسمت بتعدد العناصر البشرية لفّها تواصل صريح لبقايا الجاليات اللاتينو بيزنطية المعروفة باسم الروم والأفارقة بمدن طبنة، باغاي. في حين نلاحظ امتزاج واضح بين العرب والفرس في فئة الجند[4]. إن هذا هو التفسير الوحيد بحسب رأيي لاختفاء مدن المجال الجنوبي للزاب، خاصة وأن اليعقوبي عرف بميوله للخلافة ببغداد، مما يجعل فرضية طمسه لهذا الشق من مجال الزاب واردا على الأقل، كما قد يكون أصله المشرقي الذي يعني جهله بجغرافية المنطقة، سبب آخر يعزز تفسيري لغياب مثل هذه المدن من خريطة بلاد الزاب في مصادر القرن الهجري الثالث/الثامن الميلادي.

ج- السلطة الجديدة والتوجه التدريجي لتغير التبعية المجالية:

بعد سلسلة من الحملات والعمليات العسكرية التي عرفها مجال بلاد المغرب الأوسط عموما، ومجال الزاب-الأغلبي خصوصا في نهاية القرن الثالث هجري/السابع الميلادي، بدأت بلاد الزاب في الانخراط تدريجيا في الفلك السياسي للخلافة الفاطمية، ستنتهي في الأخير إلى استخلاف الأغالبة على مجالات الزاب، ونفس الحال جرى على الرستميين والسجلماسيين[5]. هذا الحدث جاء ليبرز تحولا مجاليا جديدا، كانت نتيجته تغير تبعية مجال الزاب من الأغلبي إلى الفاطمي، مع الحفاظ على نفس تشكيل الخريطة المجالية من المدن، حيث استمرت: باغاي كحد شرقي؛ طبنة كقاعدة للزاب؛ زناتة بنو برزال إلى

[1] النويري، المصدر السابق، ج24، ص15؛ ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 29.

[2] لم يرد في نصوص القرن 3هـ/9م أي إشارة لمدن الجنوب ما بعد طبنة.

[3] علاوة عمارة، "الهجرة الهلالية وأثرها"، ص 78.

[4] اليعقوبي، المصدر السابق، ص 140-141.

[5] القاضي النعمان، المصدر السابق، ص 135-179؛ ابن حماد الصنهاجي، المصدر السابق، ص 38-43.

خرائب هاز في الحدود الغربية، مع ترجيح استقلال ميلة شمالا عن بلاد الزاب. في حين نُلَّمِحُ إلى نفس الملاحظات السابقة، فيما يخص عدم وجود معلومات حول امتداد الزاب- الفاطمي نحو الجنوب.

ثالثا: الجماعات الإسماعيلية والخريطة المجالية للزاب

1- تأثير المدن الاسماعيلية- الصنهاجية في الخريطة المجالية:

في محاولة منها لتجاوز المرحلة الأغلبية، وبغرض تأمين توسع مجال الجماعات الإسماعيلية بمنطقة الزاب، وفي ظل محاصرتها من قبل الكثير من القبائل بتوجهاتهم وموالاتهم المذهبية المرتبطة بفضاء مناوئ للسلطة الفاطمية الجديدة ببلاد الزاب، وبالأخص في الأرياف، لجأ الفاطميون وحلفائهم من القبائل على غرار كتامة، إلى إحداث قطيعة مجالية مع هذه الجماعات المناوئة، من خلال تشييد مدن تكون رمزا للسيادة الفاطمية ببلاد المغرب الأوسط عامة، والزاب خاصة[1]، ودرعا حاميا لمنع الامتداد والتقدم الزناتي في المجالات الإسماعيلية[2]، في صراع مباشر بين زناتة والفاطميين لاستعادة السيطرة على إقليم الزاب مرة أخرى، بعد تراجع هذا النفوذ[3].

فتؤشر سنة 311هـ/924م على أحداث كانت نتائجها سلبية على السلطة الفاطمية ببلاد الزاب، يصف هولها ابن حماد فيقول: "وعظم الخطب في المغرب[4]، وتفاقم الأمر مع ما تقدم"[5]. هذه الأحداث جعلت الإمامة الفاطمية تفكر بجدية في ضرورة بناء درع واق من الهجمات المتكررة للجماعات الزناتية، وخلاله تكون هذه الأخيرة قد لجات إلى الصراع العسكري المباشر ضد الجماعات الاسماعيلية، رفضا منها لسلطتهم بالمنطقة، فبقيادة مغراوة الزناتية، استطاع محمد بن خزر المغراوي أن يلحق الخسارة بالحامية الفاطمية بالمجالات القديمة لبني برزال بجبل سالات[6].

وهذه الأحداث انتهت سنة 315هـ/928م بإعادة الفاطميين السيطرة على آخر مجالات الزاب عند بني برزال وخرائب هاز (أزية) تحت لواء ولي العهد أبا القاسم محمد، وترتب عنها فرض الحماية بالجهة الغربية للزاب بتشييد مدينتي المسيلة، وأشير[7]. ثم يتمكن بعدها حماد بن بلكين من بناء مدينة

---

[1] الطاهر طويل، المدينة الاسلامية وتطورها، ص 248-249.

[2] الهادي روجي إدريس، المرجع السابق، ج1، ص 47.

[3] حول كرونولوجية الصراع الفاطمي-الزناتي، ينظر: محمد بن عميرة، دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص 173-184.

[4] ويقصد انتصار محمد بن خزر على جيوش كتامة.

[5] ابن حماد الصنهاجي، المصدر السابق، ص 45.

[6] ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص 50.

[7] الهادي روجي إدريس، المرجع السابق، ج1، ص 42.

القلعة بجبل عجيسة بنواحي المعاضيد. وسنحاول تقديم عرض مختصر لتأسيس المدن الاسماعيلية، وعلاقتها بالتحولات المجالية لبلاد الزاب على العهد الفاطمي:

أ- المسيلة:

تعد حاضرة المسيلة المعروفة رسميا بالمحمدية نسبة لولي العهد[1] أول المدن[2] التي شيدها الفاطميون بمجالات الزاب، وتم الفراغ منها على الأرجح سنة 315هـ/927م[3]، فتأسيس هذه المدينة الجديدة قد مهد لتحول مجالي بارز، تغير بموجبه ولاء إقليم الزاب خلال النصف الأول من القرن الرابع هجري/10م إلى قاعدته السياسية الجديدة، وبالتالي تحول مركزه السابق ممثلا في طبنة إلى مدينة الفاطميين الجديدة المسيلة[4]. الأكيد أن بناء خلافة فاطمية قوية، تكون بلاد المغرب الإسلامي مهدا لها، وهذا قبل الجلوس على كرسي الخلافة بمصر، قد احتاج إلى الكثير من الموارد المالية ممثلة في الجباية، وكذلك التجارة[5]، لهذا قد يكون السبب الآخر لبناء المحمدية، هو السيطرة على كل مسالك ودروب التجارة، وحمايتها من الجماعات المناوئة مذهبيا وفكريا لسلطة الفاطميين، ولعل أبرزهم زناتة[6].

إن شهادة ابن حوقل النصيبي (ت 367هـ/977م) لها من الأهمية في إعطاء أول وصف للتحول المجالي الجديد في بلاد الزاب على العهد الفاطمي، فهو يمدنا بمعلومات مهمة عن تأسيس المسيلة فيقول عنها: "هي مدينة محدثة، استحدثها علي بن الأندلسي أحد خدم آل عبيد الله وعبيدهم"[7]. تكون المسيلة قد شيدت بنفس الخصائص وبنفس المواصفات التي ميزت مدينة طبنة هذه الأخيرة كان تحصينها

---

[1] عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص 132.

[2] هناك مدن أخرى شيدتها الجماعات الاسماعيلية في غير مجالات الزاب، على غرار المهدية، المنصورية، وغيرهما.

[3] يوجد تضارب في تاريخ تأسيس مدينة المسيلة، فمن المصدريين من يرى أنها شيدت في (313 هـ/925م)، في حين يذهب آخرون إلى ذكر سنة (315هـ/927م) تاريخا لتأسيس المدينة، لكن الأكيد أنها تأسست في عهد المهدي وحملت اسم ولي العهد أبي القاسم محمد، ثم اتبعت إلى إقليم الزاب، وحكمها علي بن حمدون بانيها ومعمرها. ينظر: ابن حوقل، صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1992، ص85؛ ابن حماد الصنهاجي، المصدر السابق، ص 45؛ ابن الأثير، المصدر السابق، مج7، ص 36؛ النويري، المصدر السابق، ج28، ص 70؛ ابن عذارى، المصدر السابق، ج3، ص268؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص 50-51.

[4] المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مطبعة بريل، ليدن، 1906م، ص 221؛ الطاهر طويل، "جغرافية العمران"، ص61؛ علاوة عمارة،"التحولات المجالية والطبونيمية"، ص 16-17.

[5] يراجع في هذا: محمد الصالح مرمول، السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الاسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983، ص 75 ومابعدها.

[6] الطاهر طويل، المدينة الاسلامية وتطورها، ص 249؛ رحلي صليحة، المسيلة وجهتها في العصر الوسيط، رسالة ماجستير، تحت إشراف: علاوة عمارة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الاسلامية، جامعة باتنة-الجزائر، 2013/2014م، ص 35.

[7] ابن حوقل، كتاب صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1992، ص85.

على يد أبي جعفر عمر بن حفص المهلبي لما سار لبناء السور عليها[1]؛ فكلتا المدينتين في الحقيقة بنيتا لتكون بمثابة سد في وجه التهديدات الإباضية النكارية، والتي قادتها قبيلة مغراوة الزناتية. يؤكد حصانة المدينة وثرواتها ابن حوقل فيقول: "وعليها سور حصين من طوب ولها واد يقال له وادي سهر فيه ماء عظيم منبسط...ولهم كروم وأجنة...وتكثر عندهم المواشي والدواب"[2].

إن معطيات كتاب صورة الأرض، نجدها متوفرة بصورة أدق في "أحسن التقاسيم" للجغرافي المشرقي المقدسي (ت 374هـ/984م) مع تطور في المعطيات الدلالية والمجالية، فخلال وصفه للمدينة الفاطمية الجديدة المسيلة يكون قد أكمل بدقة وصف ابن حوقل، وهذا عندما يبرز القاعدة الجديدة لبلاد الزاب، ويقول في هذا:" والزاب مدينتها المسيلة"[3]. أما التحولات التي طرأت في مجالات الزاب المتكون من وراء تشييد هذه المدينة الحديثة فيبرز جغرافيته في:" ولها مقرة، طبنة، بسكرة، بادس، تهوذا، طولقا، جميلا، بنطيوس، أدنة، أشير"[4].

لقد ساهم الإنتاج الجغرافي خلال القرن الهجري الرابع/العاشر الميلادي، وهذا على غرار كتاب أحسن التقاسيم للمقدسي في توضيح أربع حالات متعلقة في الأساس بانتقال المدينة من نسيجها القديم إلى نمطها الإسلامي، كما هو حال مدينة المسيلة، فهجران المدينة القديمة وبناء مدينة جديدة على أنقاضها، لا نلحظه فقط في المسيلة بعينها، بل يتعداها لمدن أخرى مثل المدية وكذلك مليانة[5]. إن بروز الكثير من الروايات والأساطير حول المدينة القديمة المسيلة ولو أنها بعيدة عن التاريخية، تجعلنا كباحثين لا نأخذ إلا بما هو منطقي ومبرر بحجج تاريخية[6]، ولننتقل إلى ثان المدن الإسماعيلية-الصنهاجية في أقصى مجالات الزاب، ممثلة في مدينة أشير:

ب- أشير:

في حدود (324هـ/936م) يكون زيري بن مناد الصنهاجي قد بدأ في مشروعه الرامي إلى تشييد عاصمة جديدة لملكه، وقد ساهم في انجاح فكرته القائم بأمر الله أبي القاسم محمد (322-

---

[1] Blanchet, *op. cit.*, p. 289.

[2] ابن حوقل، المصدر السابق، ص 85.

[3] المقدسي، المصدر السابق، ص 221.

[4] نفسه، ص221-222.

[5] علاوة عمارة، "النشاط التجاري للساحل الشرقي للجزائر(2-6هـ/8-12م)"، مجلة المعالم، جمعية التاريخ والمعالم الأثرية- قالمة، الجزائر، العدد 09، 1429هـ/2008م، ص 63.

[6] ينظر هذه الروايات مفصلة عند: رحلي صليحة، المرجع السابق، ص 31 (الهامش).

334هـ/934-946م)[1]، أين قدم الخليفة الفاطمي الجديد كل الدعم لزيري خلال مراحل تشييده للمدينة[2]، وقد كانت بلاد الزاب أحد مراكز الدعم، حيث عمد لتشييدها بناؤون من طبنة والمسيلة، حتى اكتمال تعمير المدينة الزيرية الجديدة[3]. وبحسب رأيي فهي تعتبر مدينة اسماعيلية لأنها شيدت بمباركة الخليفة الفاطمي، وبمساعدة مادية ومعنوية منه شخصيا، وبالتالي فهي تتبع لإرادة سياسية الغاية منها التحكم في مجالات بعيدة تهددها الجماعات الزناتية، وجمع الصنهاجيين حولهم لردع كل التحركات الزناتية بالمغرب الأوسط، أو حتى بالمغرب الأقصى.

لقد مثلت أشير نقطة دفاعية متقدمة في المجال الغربي للزاب، كما كان لها رابط قوي مع مدينة المسيلة، حيث كانت إحدى المراكز العمرانية بعد طبنة والمسيلة. ويقدم لنا ابن حوقل صورة مدينة أشير، فيقول:" أشير مدينة بحصن يسكنها آل زيري ابن مناد ولها سور حصين، وأسواق وعيون تطرد وأجنة ومزارع...ومنها إلى المسيلة مرحلة"[4]. ولم يطل الأمر بمدينة أشير حتى صارت عامرة بالتجار والعلماء والفقهاء، ومزدهرة غاية الازدهار، بل حتى سك بها زيري بن مناد النقود وتخلت خلالها المبادلات عن المقايضة، واحيطت بالجند فصارت آمنة على أهلها من غارات الزناتيين[5].

2-الحدود المجالية لبلاد الزاب خلال القرن الهجري الرابع/10م:

في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، تتفرد النصوص الوصفية كما في " أحسن التقاسيم" للمقدسي، أو في "صورة الأرض" للشيعي ابن حوقل النصيبي في تحديدها للخريطة المجالية لبلاد الزاب، حيث يحصر لنا المقدسي بلاد الزاب جغرافيا فيقول:" والزاب مدينتها المسيلة ولها: مقرة طبنة بسكرة بادس تهوذا طولقا جميلا بنطيوس أدنة أشير"[6]. إن الملاحظ على هذه الشهادة انفراد المقدسي بتمديد حدود بلاد الزاب غربا إلى التيطري عند المدينة الإسماعيلية-الزيرية (أشير)[7]، وهذا الحد المتقدم لم يكن موجودا خلال القرن السابق ، ونفس الملاحظة نجدها جنوبا، حيث تتأكد معطيات القرن الثالث الهجري/9م، أين توصلنا إلى أن بلاد الزاب تمتد جنوبا عند جميلى القصبات بجوار التقاطعات الثلاثة:

---

[1] الحموي، المصدر السابق، مج1، ص 202-203؛ الهادي روجي إدريس، المرجع السابق، ج1، ص 44.

[2] نفسه، ج6، ص 203-204.

[3] النويري، المصدر السابق، ج24، ص 88-89؛ الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1397هـ/1977م، مج1، ص 202؛ الهادي روجي إدريس، المرجع السابق، ج1، ص 44-45؛ ج2، ص 94-96؛ عبد الحليم عويس، دولة بني حماد "صفحة رائعة من التاريخ الجزائري"، مكتبة الاسكندرية، القاهرة، 1411هـ/1991م، ص 87.

[4] ابن حوقل، المصدر السابق، ص 89.

[5] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص203- 204؛ الهادي روجي إدريس، المرجع السابق، ج1، ص 44.

[6] المقدسي، المصدر السابق، ص 221.

[7] الهادي روجي إدريس، المرجع السابق، ج2، ص 94.

شط ملغيغ؛ وادي الجدي؛ ووادي بسكرة[1].

إن نص المقدسي كمصدر متفرد في تحديد مجال الزاب خلال هذه الفترة، نجد فيه الكثير من النقص، خاصة وأنه يقلّص الكثير من المدن الهامة في شهادته، على أن وفاته كانت بعد رحيل الفاطميين إلى مصر بعشر سنين فقط، وانهائه لمؤلفه كانت قبل وفاته بسنين، فترتيب المدن جاء عشوائيا في نصه، فهو يضع مثلا بادس قبل تهوذا وهذا لا يصح تماما، كما أنه يبتدأ بذكر المسيلة ويتبع المسلك الجنوبي من مقرة إلى بادس، وينهيه عند أدنة وأشير كآخر حد للزاب في الغرب، وهذا لا يصح كذلك. وهو ما يؤكد عدم درايته التامة بجغرافية المنطقة، مما يجعلنا نشكك في تمدد بلاد الزاب إلى حدود أشير.

كما تسقط شهادته من بلاد الزاب مدنا كانت ضمنه حتى أول العهد الفاطمي، على غرار: سطيف، ميلة، نقاوس، بلزمة، باغاي، دار ملول، تيجيس. في حين نلاحظ تناقضه الصريح حين يبقيها تتبع إفريقية دون الزاب:" وأما إفريقية فقصبتها القيروان ومن مدنها: باغاي...دوفانة، المسيلة، أشير، سوق حمزة،...بنطيوس، مسكيانة، دار ملول،...طبنة، مقرة، تيجس...القسطنطينية، ميلى...سطيف...أشير"[2] . .

فهل تقلص مجال بلاد الزاب إلى هذا الحد في الجهتين الشرقية والشمالية؟ وهل يمكن أن يكون تمدده غربا إلى حدود أشير زيري؟

هذه المدن كانت قد تم فتحها من قبل أبي عبد الله الداعي حتى سنة 298هـ/911م، ولم يذكر بحسب رأيي خلال القرن الموالي قرائن في المصادر تخلف أو خروج واحدة من هذه المدن عن المجالات الاسماعيلية[3]. وعليه نخلص إلى أن شهادة المقدسي شبه ناقصة، وقد يكون هذا كما أسلفنا إلى جهله بجغرافية المنطقة، ونحتاج بذلك إلى وسائط تاريخية مصدرية لاستكمالها لتحديد مجال بلاد الزاب.

يعد نص الرحالة والتاجر الشيعي ابن حوقل المتمم الأول لشهادة المقدسي، فشهادته حول المدن والمسالك الممتدة بين مختلف النقاط التي حصر فيها المقدسي بلاد الزاب، ستمكننا بعد تحليلها وربطها بالخريطة الأثرية، من توسيع المجال الزابي، والمدن التي تقع في حدود مجاله. فانطلاقا من مجالات نفوذ الاسماعيلية خلال نهاية القرن الثالث هجري/9م، نلاحظ تواصل نفوذها القديم، بل تمدد هذا النفـــوذ ليصل إلى التيطري بعدما استطاع القائم بأمر الله السيطرة على مجالات النكارية، وبعض المجالات مـــا

[1] يراجع حدود المجال الزابي جنوبا خلال القرن الثالث الهجري التاسع ميلادي في المبحث السابق.

[2] المقدسي، المصدر السابق، ص 217-218.

[3] القاضي النعمان، المصدر السابق، ص 165-182؛ ابن حماد الصنهاجي، المصدر السابق، ص 35-44؛ النويري، المصدر السابق، ج28، ص 56-57.



بعد ثورة محمد بن خزر المغراوي[1]، وموسى بن أبي العافية[2].

فخلال رصده للمدن الواقعة في المسلك الرابط بين إفريقية وتاهرت، يبرز لنا ابن حوقل بعض المدن بمجال الجماعات الاسماعيلية، والتي تمثل في نفس الوقت مدن المجال الزابي، ونتحدث هنا عن المدن المغيبة في شهادة المقدسي، والتي كانت خلال القرن السابق في مجالات الزاب قبل أن تتحول إلى مدن ثنائية التبعية الزاب–الاسماعيلي، وهي: تيجس؛ باغاي؛ بلزمة؛ نقاوس؛ سطيف. يذكر المسلك صاحب صورة الأرض فيقول:" ومن مجانة إلى تيجيس طريق قصد على مناهل وقرى خمس مراحل، ويفارق طريق بغاي قبل أن يصل إلى نهر ملاق؛ ومنها إلى مسكيانة قرية عليها سور، ...ومنها إلى مدينة باغاي وهي كبيرة عليها سور أزلي، وجبل أوراس منها على أميال"[3].

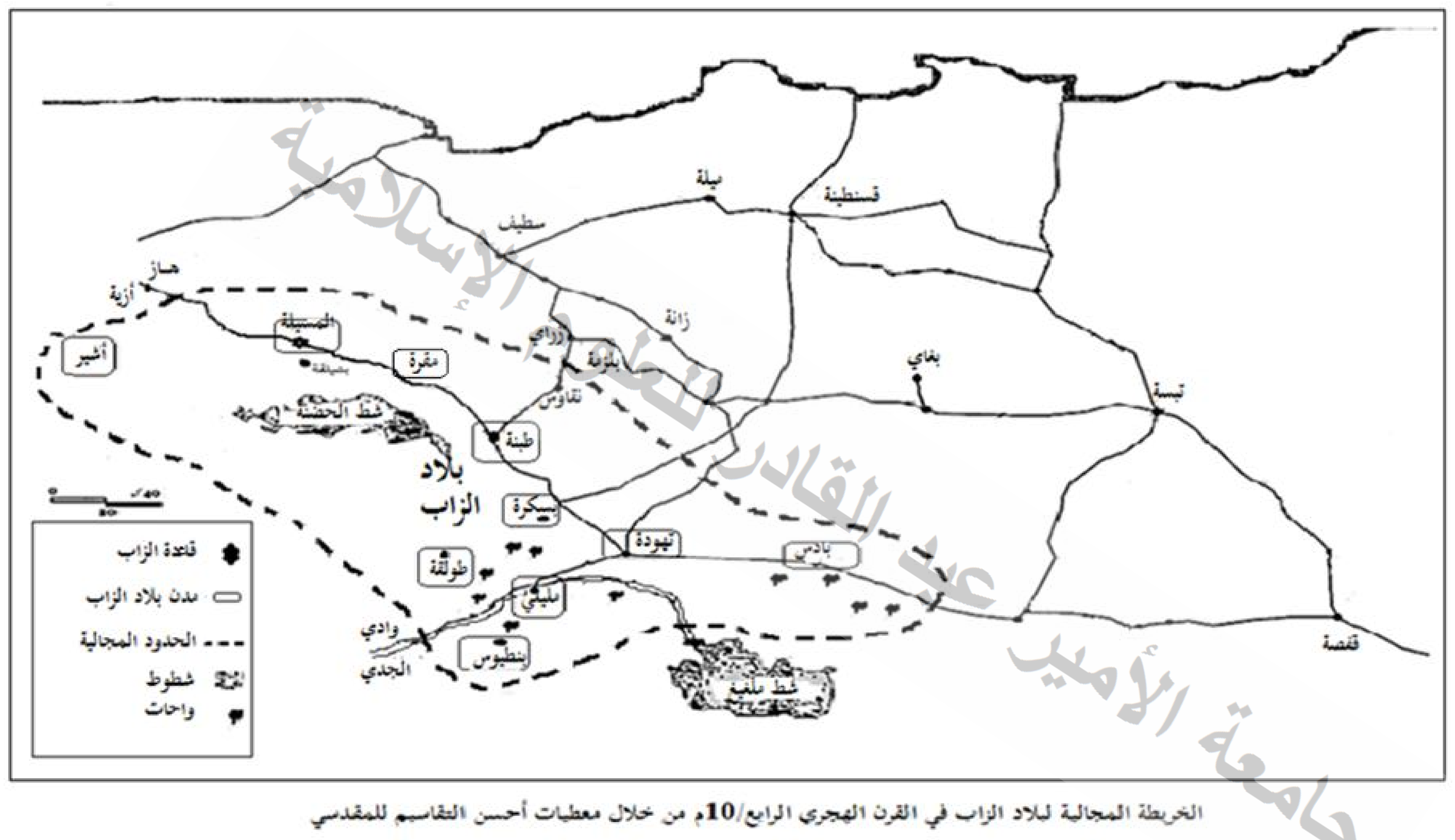
وبالمقابل، يقدم لنا معبرا آخر لباغاي يتصل بالمقطع السابق (مجانة–تيجيس)، وينتهي عند أشير زيري، فيقول:" ولباغاي طريق يأخذ الآخذ على بلزمة إلى نقاوس إلى طبنة، ويتصل بطريق مجانة إلى تيجيس فيمر.. من تيجيس إلى....ميلة إلى سطيف إلى المسيلة..، ومن أراد من سطيف إلى حائط حمزة إلى أشير بلد زيري"[4].

ينتج لنا من المسلك المدن الاسماعيلية التي كانت قبلا تتبع لزاب- إفريقية الأغلبية ما قبل 296هـ/909م والتي أتم الفاطميون فتحها عنوة وقصرا، وهذه المدن هي : تيجس؛ نقاوس؛ سطيف؛ ميلة ، في حين يبرز لنا مدن جديدة على غرار أشير زيري ، وهذا إذا ما أخذنا برأي المقدسي على أن أشير تمثل آخر مجال الزاب بالغرب .

يواصل ابن حوقل شهادته حول المجال الزابي مقرونة بشهادة المقدسي، فيتحدث عن حدها الجنوبي إنطلاقا من القاعدة القديمة طبنة حتى يتقاطع مع بلاد قسطيلية التي كانت معقلا للجماعات الإباضية، قبل فتحها هي وقفصة في جمادى الأولى (296هـ/909م) فيقول:" ومنها إلى طبنة، ومن طبنة إلى بسكرة مرحلتان، ومن بسكرة إلى تهوذا مرحلة؛ ومنها إلى بادس مرحلة، ومن بادس إلى ..قسطيلية بعض مرحلة.." . هذا النص يكمل بشكل دقيق ومرتب ما أروده المقدسي حين يتحدث عن بلاد الزاب وقاعدتها المسيلة بمدنها: مقرة؛ طبنة؛ بسكرة؛ تهودة؛ بادس ، مع وجود إضافة

[1] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 204؛ الهادي روجي ادريس، المرجع السابق، ج1، ص 42.
[2] ابن حوقل، المصدر السابق، ص 81؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص 50.
[3] ابن حوقل، المصدر نفسه، ص 84.
[4] نفسه، ص 85.





الخريطة المجالية لبلاد الزاب في القرن الهجري الرابع/10م من خلال معطيات أحسن التقاسيم للمقدسي
–بتصرف– (Ahmad M'Charek, "Continuité de l'ethnonymie...", p. 455 : المرجع)

مميزة يقدمها لنا في شهادته حين يمدد مجال الزاب باتجاه الجنوب الغربي إلى المدن: طولقة، جميلي، بنطيوس .

3- النصوص الوصفية والخرائط الأثرية

المقاربات:

أ- الطوبوينم أدنة يطابق الموقع زانة (*Diana*) بالقرب من سريانة .

ب- الطوبونيم جميلا يطابق جميلي (*Gemellae*) أو القصبات .

وحتى نتمكن من حصر الخريطة المجالية، وأغلب المدن المشلكة لبلاد الزاب خلال القرن الهجري الرابع/العاشر الميلادي، سنحاول الاعتماد على الخريطة الأثرية لتحديد المدن التي لم تظهر في النصوص المصدرية الوسيطة خلال هذه المرحلة:

- زانة ← طبنة: على طول الطريق عبر سريانة نجد المحطات الآتية: سريانة، وهنشير مروانة، وهنشير مافونة، ونقاوس. أما على طول نفس الطريق عبر بلزمة، فالمحطات هي: بلزمة، ونقاوس[1].

- طبنة ← بادس عبر تهودة: على طول المسلك يمكننا حصر العديد من المحطات الغائبة في النصوص الجغرافية والرحلاتية، وهذه المحطات هي: الضاية، وقصر سيدي الحاج، وبرانيس، ولوطاية[2].

- جميلي ← طولقة عبر بنطيوس: على طول الطريق وحول المحطات الرئيسية له جميلي، طولقة، وبنطيوس يمكن حصر الكثير من الواحات، على غرار: بيقو، ومليلي، وأورلال، وجربانية، والمخادمة؛ وليشانة، وفرفار[3].

-هذه النتائج تحقق المجال الجغرافي لبلاد الزاب ومدنه المشكلة له كالآتي:

القاعدة ==================المسيلة		
الحدود الجغرافية	المجال الشمالي	زانة شمال شرق نقاوس وما حولها شمال غرب
	المجال الجنوبي	بادس جنوب شرق الواحات الغربية لبسكرة جنوب غرب
	المجال الشرقي	؟
	المجال الغربي	الحضنة [من المسيلة إلى جبل سالات بنواحي بوسعادة (بني برزال)]

[1] Baradez, *op. cit.*, Cartes.

[2] Salama, *op. cit.*, Cartes.

[3] A.A.A, F°48, Carte Biskra.

المدن المشكلة لزاب القرن الهجري الرابع/العاشر الميلادي	زانة-سريانة- مروانة-هنشير مافونة- بلزمة-نقاوس- بيقو- مليلي- أورلال- جربانية، المخادمة- ليشانة- فرفار- الضاية-قصر سيدي الحاج-برانيس-لوطاية- تهودة-بادس-بسكرة- القنطرة-طبنة-الخربة الزرقاء-مقرة-المسيلة.[1]

4- التحولات المجالية الجديدة لبلاد الزاب خلال القرن الهجري الرابع/10م:

أ- المسيلة: القاعدة الجديدة:

أول التحولات المجالية لبلاد الزاب خلال القرن الرابع الهجري/10م تمثلت في حدوث قطيعة مجالية مع الماضي الأغلبي، برزت ملامحه في فقدان بلاد الزاب لمركز ثقلها في الوسط (طبنة) لينتقل في المجال الغربي عند المحمدية (المسيلة)[2]، هذا التحول لم تكن أسبابه ببعيدة عن التحولات السالفة، إذ كان للجماعات الزناتية دور واحد في اختيار قاعدة جديدة للزاب ممثلة للسلطة الاسماعيلية الجديدة، وجدار دفاعي مميز[3] لمنع تقدم الزناتيين إلى تخوم الزاب[4]، حيث تم تولية علي بن حمدون على المدينة المحرس، ثم على كل بلاد الزاب[5].

بالمقابل، أرجعت الكثير من الدراسات أسباب اختيار المسيلة كعاصمة جديدة لبلاد الزاب، ومحرسا للمجال الغربي خلفا للقاعدة الأغلبية (طبنة) إلى عوامل تجارية بحتة، فبحكم سيطرة سهوب الحضنة على المسالك التجارية من وإلى إفريقية- المغرب الأقصى؛ ومن وإلى إفريقية-بلاد السودان، كان لزاما على السلطة الفاطمية التفكير في حماية المصالح التجارية في المجال الغربي[6]، وهذا بتشييد الحصن-المرصد[7] للتحكم في مجالات تتاخم زناتة والجماعة الإباضية، وعليه نجده بعد نجاحه في هذا الاختيار، فيما بعد يمد زيري بالعون في تأسيس مدينته أشير[8] للتحكم والسيطرة على الطرق البحرية مابعد المجال

[1] يمكن أن يتجاوز المجال الغربي لبلاد الزاب الحضنة، ليصل إلى حد أشير زيري بحسب النصوص الواردة في أحسن التقاسيم للمقدسي.

[2] المقدسي، المصدر السابق، ص221 و 231.

[3] Cambuzat, *op. cit.*, vol. 2, p. 23.

[4] الهادي روجي ادريس، المرجع السابق، ج1، ص 47.

[5] العزيزي، سيرة الأستاذ جوذر، ص 175.

[6] رحلي صليحة، المرجع السابق، ص 35؛ الطاهر الطويل، المدينة الإسلامية وتطورها، ص 249.

[7] يذكر تحصينها ابن حوقل فيقول:" لها سور حصين من طوب"؛ ويضيف البكري الاصلاحات لأغراض دفاعية، والتي أضيفت للمدينة من خلال تشييد سور جديد على طولها، فيقول:" عليها سوران...يستدير بالمدينة له منافذ". ينظر: ابن حوقل، المصدر السابق، ص 85؛ البكري، المصدر السابق، ج2، ص 239.

[8] النويري، المصدر السابق، ج24، ص 88.

الغربي لبلاد الزاب، حيث كانت أشير زيري ترتبط مع المدن البحرية بطرق تجارية ثلاثة، مع: تنس، الجزائر، ومرسى الدجاج[1].

ففي حدود 315هـ/927م استطاع أبو القاسم محمد ولي العهد تأسيس مدينة قرب شط الحضنة طبعت باسمه (محمد = المحمدية)[2]، وعرفت فيما بعد بالمسيلة، لكن السؤال الذي يطرح هو: لماذا تم تأسيس مدينة المحمدية، وبالجوار مدينة زابي؟ وإذا كانت قد خربت كما يرى ذلك شارل فيرو[3]، فكيف يعاد تخريبها مرة أخرى على يد علي بن حمدون حاكم الزاب سنة 324هـ/936م[4]، والمسيلة قد أسست قبل هذا الحدث بتسع سنين، مما يدل على تواصل وجود المدينة خلال وقت بناء المحمدية، ليبقى بذلك الإشكال مطروحا حول ظروف وأسباب التخلي عن هذه المدينة المميزة، التي كانت متنزها للمنصور بالله الفاطمي أيام حربه مع النكاري صاحب الحمار[5]؟ مع تأكيد خرابها في القرن الخامس الهجري/11م عند البكري حين يقول:" المسيلة ..على مقربة منها مدينة للأول خربة يقال لها بشيلقة"[6].

ب- فرضية امتداد مجال الزاب إلى حدود أشير زيري:

خلافا لحدود المجال الزابي في القرن السابق، ينفرد المقدسي بذكر تحول مجالي طرأ على الخريطة المجالية للزاب خلال القرن 4هـ/10م، يتمثل في تمددها غربا[7] إلى حدود أشير زيري[8]، هذا التحول جعل لأول مرة بلاد الزاب تتخلى عن تبعيتها القديمة لمقاطعة نوميديا أو الزاب بالمسمى الوسيط[9]، أين تمددت

---

[1] كان من نتائج حركة أبي القاسم إلى الغرب انطلاقا من المهدية:" فتح مزاته، وهوارة، ومطماطة، ولماية، وكل من خالطهم من الصفرية والإباضية وبلغ إلى ما وراء تاهرت". النويري، المصدر السابق، ج28، ص 70؛ وينظر: ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص 50؛ الهادي روجي ادريس، المرجع السابق، ج1، ص 42-43؛ ج2، ص 94-95.

[2] ابن حماد الصنهاجي، المصدر السابق، ص 46.

[3] Feraud, *Histoire des villes de la province de Constantine:* Setif-Bordj-Bou-Areridj-Mesila-Bousaada, L. Arnolet libraire-éditeur, Constantine, 1872, p. 324.

[4] يذكر البكري تخريب المدينة فيقول:" ومنها إلى أدنة وهي خالية أخربها علي بن حمدون المعروف بابن الأندلسي في سنة أربع وعشرين وثلاثمائة في وقوع ميسور الفتى إلى المغرب". البكري، المصدر السابق، ج2، ص 328. وينظر: الحميري، المصدر السابق، ص20.

[5] الحميري، المصدر السابق، ص 21.

[6] البكري، المصدر السابق، ج2، ص 239.

[7] المقدسي، المصدر السابق، ص 221

[8] تقع أشير زيري في جبل التيطري بالقرب من عين بوسيف إلى الجنوب الشرق من الجزائر. يراجع: رشيد بورويبة، الدولة الحمادية" تاريخها وحضارتها"، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1397هـ/1977م، ص 9.

[9] هشام جعيط، المرجع السابق، ص 54؛ عبد الواحد ذنون طه، المرجع السابق، ص 115؛ الطاهر طويل، المدينة الاسلامية وتطورها، ص 102-103؛ علاوة عمارة، "الهجرة الهلالية وأثرها"، ص 77.

بحسب جغرافية المشرقي المقدسي خريطتها الجغرافية خلال هذه المرحلة الفاطمية-الزيرية في المقاطعة الموريطانية.

لقد كان لتشييد مدن إسماعيلية جديدة على غرار المحمدية وأشير زيري، الدور المميز في تغير الخريطة المجالية لبلاد الزاب، فسعي الفاطميين إلى تمديد نفوذ الجماعات الإسماعيلية غربا على حساب القبائل الزناتية الداعمة للإباضية[1]، وباقي القبائل الصنهاجية المدعمة لحركات التمرد الطوعية لابن أبي العافية، تبعا لانبثاق خلافة أموية جديدة متجددة بقرطبة الأندلس بقيادة عبد الرحمن الناصر (الثالث)[2]. هذا التوسع الاسماعيلي، زحزح معه مجال الزاب إلى مجال التيطري عند أشير، وبهذا تكون الخريطة المجالية لإقليم الزاب تمتد من:" الواحات جنوبا، إلى حدود صنهاجة بأشير غربا، وإلى جبال أوراس شرقا"[3]. وبحسب رأيي فهذه القراءة المشرقية قد لا تكون صحيحة لقلة معرفة المقدسي بجغرافية المنطقة بشكل جيد. وإذا صحت هذه الفرضية فإن الخريطة المجالية لبلاد الزاب قد عرفت خلال القرن الهجري الرابع /العاشر الميلادي أقصى اتساع لها، لن تعرفه بعد هذا القرن.

ت- تغير التبعية السياسية:

بعد إخضاع بلاد إفريقية وجزء كبير من بلاد المغرب الأوسط للسلطة الفاطمية في المهدية، أين خضعت أغلب قبائل المنطقة تباعا لسلطة الجماعات الاسماعيلية، بداية بالجماعات الكتامية[4]، ثم تحييد دور زناتة في مناطق نفوذها القديمة، وهذا ما لاحظناه غربا، حيث تم نفي زناتة الاباضية نحو المناطق الواحية، سرعان ما حاولت إعادة استرجاع نفوذها لكنها لم تفلح في ذلك، في حين اختار البقية النزوح إلى بلاد المغرب الأوسط، أو قطع البحر[5]، ثم جاء الدور بعدها على قبائل هوارة، ولماية وماجاورها من المعتنقين لأفكار الإباضية[6]، وأخيرا دخول صنهاجة في الكنف الاسماعيلي منذ مشاركتها في القضاء على

[1] أورد اليعقوبي مجمل القبائل الزناتية التي استوطنت المجالات الغربية لبلاد الزاب من بني دمر وحتى موطن الإباضية تيهرت، التي ستتحول خلال القرن الرابع هجري/10م إلى مجالات نفوذ الجماعات الكتامية-الاسماعيلية، فيقول:" وإذا خرج الخارج من عمل الزاب مغربا صار إلى قوم يقال لهم بني برزال وهم فخذ من بني دمر من زناتة وهم شراة كلهم...وأول المدن التي في يده مدينة يقال لها هاز، سكانها قوم من البربر القدم يقال لهم بنو يرنيان من زناتة أيضا...ثم إلى قوم يقال لهم بنو دمر من زناتة في بلاد واسعة وهم شراة كلهم...وآخر المدن...يقال لها سوق ابراهيم...ثم من هذه إلى تاهرت...رؤساء إباضية المغرب" . اليعقوبي، المصدر السابق، ص 141-143.

[2] موسى لقبال، دور كتامة، ص 374-378؛ الهادي روجي ادريس، المرجع السابق، ج1، ص 42-43.

[3] عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص 132.

[4] محمد بن عميرة، المرجع السابق، ص 165-170؛ موسى لقبال، المرجع السابق، ص 331-456.

[5] علاوة عمارة،" بين جبل أوراس والواحات: ظهور وانتشار واختفاء الجماعات الإباضية بالزاب (ق2-3 هـ/ 8-9م)، ترجمة: عبد القادر مباركية، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، 9 (2017)، ص 256.

[6] ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 191؛ موسى لقبال، المرجع السابق، ص 355.

ثورة صاحب الحمار المدعوم من قبل الجماعات الزناتية، واشتداد عداوتها لها[1].

لقد برز في الأفق تحول في التبعية السياسية لبلاد الزاب، أين حدثت قطيعة مع الماضي الأغلبي، وانخرطت الزاب تدريجيا وطوعا في الفلك السياسي الاسماعيلي-الفاطمي. كل هذا دون أن ننفي وجود منافس جديد ظهر للعيان في أقصى الشمال وفيما وراء البحر، ممثلا في الخلافة الأموية الموازية بقرطبة للخلافة الفاطمية، كان وسيكون لها صدى كبير في المغرب الأوسط[2]، وفي عاصمة بلاد الزاب المسيلة تحديدا[3].

لقد اكتملت أخيرا صورة زاب القرن الرابع هجري/10م – الفاطمي، بعدما أصبحت المحمدية كعاصمة له، وتم حماية نفوذ المجال الاسماعيلي في شمال بلاد الزاب بسلطة الجماعات الكتامية، في حين تم تمديد الزاب غربا وجنوبا: فبلغ غربا المسيلة ويرجح بلوغه جبل التيطري مراقبا حركة الجماعات الزناتية بأشير المدينة- الحصن أحد المحارس الغربية للنفوذ الاسماعيلي[4]؛ أما جنوبا فقد تمدد المجال الزابي ليشمل بادس جنوب أوراس، والفضاء البسكري وواحاته، وملامسا بذلك المعاقل الإباضية القصرية[5].

ث- تواصل مجالات الزاب ضمن إفريقية- الفاطمية:

في الجانب الإداري، تواصلت بلاد الزاب كمقاطعة تتبع ولاية إفريقية، مع تحول واضح في التبعية السياسية، يبرز هذا التواصل المقدسي في شهادته حول المدن المشكلة لولاية إفريقية خلال القرن الرابع الهجري/10م، فيقول في هذا:" وأما افريقية فقصبتها القيروان، ومن مدنها...باغاي...دوفانة، المسيلة، أشير، سوق حمزة...بنطيوس...مسكيانة...دار ملول، طبنة، مقرة، تيجس، مدينة المهريين، تامسنت، دكما، ...، القسطنطينية، ميلى، ...سطيف"[6]. الملاحظة الأولى على النص وجود خلط في ترتيب

---

[1] ابن الاثير، المصدر السابق، مج7، ص 191-194؛ محمد بن عميرة، المرجع السابق، ص 243-244؛ الهادي روجي ادريس، المرجع السابق، ج1، ص 53 و 56.

[2] ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص 40- 48؛ ابن خلدون، المصدر السباق، ج4، ص 164-160؛ عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص 65-69.

[3] حمدي عبد المنعم، دراسات في التاريخ الأندلسي (دولة بني برزال في قرمونة 404-459هـ/1013-1067م)، مؤسسة شباب الجامعة، القاهرة، 1990، ص 3-25؛ الدراجي بوزياني، المرجع السابق، ص 129-132.

[4] يقول في هذا الهادي روجي ادريس:" بفضل وجود زيري بن مناد غربا (ويقصد بأشير)، وعلي بن حمدون شرقا (بالمحمدية وما قبلها من الزاب)، أصبح الخليفة الفاطمي لا يخشى أي خطر جسيم في المغرب الأوسط، وفي مقدوره مقاومة البربر الموالين للأمويين (ويقصد بالأندلس)". الدولة الصنهاجية، ج1، ص 48.

[5] يؤكد موسى لقبال أن فشل حركة النكارية بقيادة أبي يزيد مخلد بن كيداد، قد قضت على كل أحلام الاباضية في إعادة نفوذها بالمنطقة، حيث اختارت هذه الجماعات لنفسها مجالات منعزلة في واحات الصحراء، وفي الشطوط، ثم توزعت فيما بعد على عدة قصور ومدن متقاربة. ينظر: دور كتامة، ص 348.

[6] المقدسي، المصدر السابق، ص 216-217

مقامات المدن، ومواقعها، قد يكون لجهل المشارقة لجغرافية المنطقة السبب. أما الملاحظة الثانية الأميز في النص فهي تضمين أغلب مدن الزاب في ولاية افريقية، مما يؤكد استمرارية المجال الزابي ضمن هذه الولاية التي أصبحت تحت السلطة الفاطمية الجديدة.

المدن الناقصة في نص المقدسي نجدها مكتملة في شهادته الموالية، حين يبرز مدنا جديدة تتبع ولاية إفريقية، ومشكلة للزاب[1]. الجديد في هذا النص إبرازه لمدن غابت عن نصه السابق من إفريقية، لكنه بسبب انتمائها للزاب، فإنها حتما ستتبع إفريقية، على غرار الحد الجنوبي للزاب: بسكرة؛ بادس؛ تهوذا؛ طولقا؛ جميلا (القصبات).

رابعا: الزاب الحمادي ومرحلة المقاطعات والقواعد الثلاثة: القلعة- نقاوس- بسكرة

1- التطورات السياسية وأثرها في مجال الزاب:

قبل سنتين تقريبا من نهاية القرن الرابع الهجري/10م، برزت ملامح تحولات مجالية على بلاد الزاب استمرت بشكل كبير خلال القرن الموالي مثلّه الطوبونيم الجديد (قلعة بني حماد)[2]، هذا الموقع الذي مثل ملجأً لصاحب الحمار أثناء حركته ضد الفاطميين[3]، لكن الطوبونيم كان مغايرا تماما لتسميته خلال القرن 5هـ/11م. لقد حمل الموقع تسمية كياتة كما ورد عند صاحب الافتتاح:"حتى انتهى إلى كياته قلعة بناحية الزاب"[4]؛ وفي نص حمل بعض المعطيات الدلالية الإضافية، عند ابن حماد الصنهاجي يورد طبونيمين هما: كيانة وتقربوست، يقول:"وارتفع أبو يزيد ودخل قلعة كياتة وهي تاقربوست المطلة على قلعة حماد"[5]. الأكيد أن تسمية الموقع ستعرف تغيرا ملحوظا ما بعد تحديث الموقع من قبل حماد بن بلكين، لكن الأهم هو أن الموقع كان خلال القرن الرابع الهجري/10م من أعمال الـــزاب[6]، وسيستمر

---

[1] المقدسي، المصدر السابق، ص 221.

[2] الظاهر أن طوبونيم (قلعة بني حماد) لم يبرز إلا في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، لأن البكري بقي يذكر الطوبونيم القديم خلال القرن الخامس الهجري/11م، حيث كانت تسمية الموقع تعرف بـ (قلعة أبي طويل)؛ وأول من قارب بين المصطلحين هو المراكشي صاحب الاستبصار، حين يقول: "مدينة قلعة أبي طويل، وهي قلعة حماد...وكانت دار مملكة بني حماد من صنهاجة". ينظر: البكري، المصدر السابق، ج2، ص 226 و 232 و 239؛ مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار "وصف مكة والمدينة، ومصر، وبلاد المغرب"، نشر وتعليق: سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء-الرباط، 1985، ص 167.

[3] البكري، المصدر السابق، ج2، ص 226.

[4] القاضي النعمان، المصدر السابق، ص 333.

[5] ابن حماد الصنهاجي، المصدر السابق، ص 71 -72.

[6] ينظر الموقع المقصود، وتضمينه في مجالات الزاب في خريطة مطاردة المنصور الفاطمي لأبي يزيد النكاري: إدريس الداعي، المصدر السابق، ص 388 و 411.

حتى 408هـ/1017-1018م تاريخ استقلال الفرع الحمادي وتشكيله لكيان المستقل[1].

لقد استطاع حماد بن بلكين أن يقيم دعامات قلعته التي اختطها:" بجبل كتامة[2]سنة ثمان وتسعين وثلثمائة، وهو جبل عجيسة"؛ استوطن بها أخلاط من عجيسة، و:"أهل المسيلة، وأهل حمزة، وجراوة"[3]. كما مهدّ له دهائه، شجاعته، وبسالته في حروبه ضد زناتة[4]، أن يصبح ملكا للزاب، واستمر في حكمها حتى 406هـ/1015م، أي حتى انتهاء ولاية باديس[5]، يبرز ذلك ابن خلدون فيقول:" ولم يزل حماد أيام باديس هذا أميرا على الزاب والمغرب الأوسط، ومتوليا حروب زناتة"[6]. ولم يطل بحماد حتى دخل في صراعات طويلة مع خليفة باديس وأبناء عمومته من صنهاجة، حتى 419هـ/1028م أين عرفت بحسب ابن الأثير العلاقات الكثير من الصفاء يقول في هذا:" وعظم على المعز موته لأن الأمر بينهما كان قد صلح"[7]، وبعدما تقارب الفرعين بالنسب[8]، ولم يطل به الأمر إلا أشهرا حتى رحل مؤسس الدولة الحمادية، وباني القلعة، ووُلِيَ بعده ابنه القائد على عهد المعز بن باديس[9].

لقد كانت المجالية – العائلية، كما هو الحال في زاب بسكرة خلال الفترة (447- 454 هـ/1055م)، إحدى معالم التحول المجالي لبلاد الزاب-الحمادي، أين كانت حينها تحت حكم جعفر بن علي بن رمان أحد أفراد عائلة بني رمان[10]، والتي استقرت بملك الكورة، شاقة بذلك عصى الطاعة

[1] عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 112.

[2] والأصح جبل كيانة.

[3] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 228.

[4] البكري، المصدر السابق، ج2، ص 373-377؛ وينظر نص الرواية عند صاحب الاستبصار المراكشي من القرن 6هـ/12م. ويصفه صاحب أعمال الأعلام فيقول:" وكان حماد نسيج وحده، وفريد دهره، وفحل قومه، ملكا كبيرا وشجاعا ثبتا، وداهيا حصيفا. قد قرا الفقه بالقيروان، ونظر في كتب الجدل". ابن الخطيب، أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلال من ملوك الإسلام وما يتعلق بذلك من الكلام، تحقيق: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، 1424هـ/2003م، ج1-2، ص 328؛ عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 112.

[5] ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص 266-267؛ ابن خلدون، المصدر نفسه، ج6، ص 209-210.

[6] ابن عذاري، المصدر نفسه، نفس الصفحة؛ الهادي روجي ادريس، المرجع السابق، ج1، ص 157-158.

[7] ابن الاثير، المصدر السابق، مج8، ص 157.

[8] ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص 272-273؛ عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 114؛ يوروبية، المرجع السابق، ص 38.

[9] يوروبية، المرجع نفسه، ص 39-40.

[10] بحسب الهادي روجي إدريس فإن مصطلح "رُمَان" يمكن أن يقرأ " رُومَان"، ويدل على ذرية السكان اللاتينيين الذين استقروا بولاية افريقية. الدولة الصنهاجية، ج1، ص 288. وبحسب رأينا فإن هذا اللفظ يقابل على الأرجح "rum"، وتعني في الأدبيات العربية بقايا الروم والبيزنطيين والمسيحيين الذين استقروا مابعد الفتح، وقد ذكرنا سلفا بعض مواقعهم على غرار أذنة. حول موضوع الروم ينظر: علاوة عمارة، "موقع تلمسان"، ص 25.

عن ولاتهم الحماديين، محاولين التمثل بهم في الحكم والاستقلال بمجال بسكرة لعائلتهم[1]. هذا الأمر دفع الأمير الحمادي بلكين بن محمد بن حماد إلى السيطرة على كورة بسكرة في حملة عسكرية ناجحة قتل خلالها جعفر الرماني، وكلف عروس بن سندي أحد أفراد عائلة بني سندي بزمام الحكم ببسكرة، بعدما أبرم معهم معاهدة صلح على الولاء للحماديين مقابل تملك بسكرة، واستمر بهم الحال حتى مقتل بلكين في أول رجب 454هـ/1062م، أين استعاد بنو رمان الحكم منهم[2].

إن عودة عائلة بني رمان بالقوة إلى حكم بسكرة، قد أعاد إلى فكرها الاطماع من جديد لتملك بسكرة مرة أخرى، وهذا على عهد الأمير الحمادي الناصر بن علناس (454-481هـ/1062-1088م)، هذا الأخير لم يتأخر في التحرك لاستعادة أحد أبرز معابر التجارة نحو الصحراء، ومعقل الجماعات الاباضية المناوئة لسلطته الجديدة[3] التي نادى بها بنو حماد موالين بذلك العباسيين[4]، وأدى في الأخير إلى إنهاء الجدل القائم حول بني جعفر بن رمان، حيث أعدموا بعدما نقلوا إلى عاصمة الحماديين القلعة[5].

ولم تمثل عائلة بني رمان الخطر الوحيد على مجالات ونفوذ العائلة الحمادية، والتي امتدت غربا لما استطاع بلكين بن محمد أن يتوغل انطلاقا من تيهرت في المغرب الاقصى، وتحكم في جزء كبير من مجالات المصامدة، حتى نزل فاس[6] حيث حدث وأن حاولت الجماعات الصنهاجية-الجنوبية (الملثمون) التمدد نحو الشمال داخل مجالات العائلة الحمادية-الغربية، كان هذا في حدود 454هـ/1062م، لكن جيوش الحماديين أعادتهم إلى مجالاتهم الأصلية في الجنوب، يذكر ذلك ابن خلدون فيقول:" استيلاء

---

[1] علاوة عمارة، "التحولات المجالية والطبونيمية"، ص 16.

[2] ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، دار الثقافة، بيروت، 1417هـ/1997م، مج1/ق1، ص 190-191؛ بورويبة، المرجع نفسه، ص 59؛ الهادي روجي إدريس، المرجع السابق، ج1، ص 288.

[3] عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 125.

[4] يذكر كل من ابن عذاري وابن خلدون، أن العائلة الحمادية قد كانت أول من شق الطاعة عن الفاطميين، وكان هذا في حدود 405هـ/1014-1015م، على عهد أميرهم الأول حماد بن بلقين:" فأبى حماد وخالف دعوة باديس وقتل الرافضة وأظهر السنة ورضي عن الشيخين ونبذ طاعة العبيديين جملة وراجع دعوة آل العباس وذلك سنة خمس وأربعمائة". ثم تبعهم إلى ذلك بعدها بربع قرن بنو زيري يقول في هذا:" وفي سنة 433، أظهر المعز (ابن باديس) الدولة العباسية. وورد عليه عهد القائم بأمر الله". وجاءت رواية ابن الخطيب مخالفة لهم بثمان سنين أي 441هـ، فيقول:" والمعز ابن تميم هذا هو اول من صرف دعوة العبيديين إلى غيرهم من بني العباس وأزال اسماؤهم من السكة في سنة إحدى وأربعين..". كتاب الاستبصار، ص 167؛ ابن عذارى، المصدر نفسه، ج1، ص 275-276؛ ابن الخطيب، المصدر السابق، ج1-2، ص 324؛ ابن خلدون، المصدر نفسه، ج6، ص 229؛ السلاوي، المرجع السابق، ج2، ص 148.

[5] ابن خلدون، نفسه، ج6، ص 230؛ بورويبة، المرجع نفسه، ص 59.

[6] نفسه، ج6، ص 229.



يوسف ابن تاشفين والمرابطين على المصامدة فنهض سنة أربع وخمسين وأربعمائة وفر المرابطون إلى الصحراء"[1].

2- الحدود الجغرافية للزاب الحمادي

أ- مرحلة التقطعات:

لقد عرفت الخريطة المجالية للزاب تقطعات كثيرة على العهد الحمادي مابعد 398هـ/1008م، تاريخ تأسيس قلعة قاعدة ملك بني حماد[2] وانخراطها ضمن المجال الزابي قبل أن تتحول لأحد الزوابي (زاب القلعة الحمادية)[3]. ثم تصادمهم مع الفرع الزيري بخلعهم الفاطميين وإتباع العباسيين[4]، مثله في مبتدئه باديس[5]، واستمر حتى تملك الحماديين بسكرة خلال حملتهم ضد بني رمان[6]. إن أول حركة لاقتطاع جزء من الزاب كانت على عهد حماد الأب، حيث نجح في ضم طبنة التي كانت تحت سلطة فلفول بن سعيد بن خزرون[7]، المسيلة، ومقرة إلى مصاف المدن الحمادية، والتي كانت إلى وقت قريب ضمن المجال الزابي[8].

كان الزاب الأسفل بقاعدته بسكرة تحت حكم صندل[9] حتى سنة 419هـ/1028م، ثم سرعان ما تنافس على حكمها عائلتان قويتان بهذه الكورة هما: بنو رمان (أو رومان)، وبنو سندي[10]. فعلى عهد الأمير بلكين حدث أول تحول مجالي وكان هذا على حساب نفوذ العائلة الحمادية باقتطاع بسكرة من مجال الزاب لصالح عائلة بني رمان، بعدما تحالفوا مع زناتة ضد الحماديين، وألبوهم للخروج عن طاعتهم، ولم يطل الأمر بهم حتى أعيدت إلى الفضاء الزابي، بعدما نجح الأمير بلكين بن محمد في دحر

---

[1] نفسه، ج6، ص 229. وينظر في تطور العلاقات الحمادية- المرابطية في القرن 5هـ/11م: عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 179-182.

[2] البكري، المصدر السابق، ج2، ص 226 و 232؛ الاستبصار، ص 128 و 166.

[3] ابن خلدون، المصدر نفسه، ج6، ص 227؛ عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 110.

[4] بوروبية، المرجع السابق، ص 22.

[5] ابن الأثير، المصدر السابق، مج8، ص 86-88. ابن عذارى، المصدر نفسه، ج1، ص 269.

[6] ابن خلدون، المصدر نفسه، ج6، ص 229؛ بوروبية، المرجع السابق، ص 56.

[7] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 238؛ بن عميرة، المرجع السابق، ص 303.

[8] بوروبية، المرجع السابق، ص 117.

[9] ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 273.

[10] سميرة السقا، "دولة بني مزني ببسكرة"، المجلة الخلدونية، العدد 09، 1432/2011، ص 17؛ علاوة عمارة، "التحولات المجالية والطبونيمية"، ص 16.

بني رمان[1] ومعاونيهم من زناتة، أين تولى سنة 450هـ/1058م الحكم عائلة بني سندي[2]، ويبدو أن أول من تولى منهم الحكم هو عروس بن سندي، حتى نهاية سنة 454هـ/1062م[3].

خلال عهد الأمير الناصر بن علناس سيعرف المجال الزابي تحولا مجاليا آخرًا، باقتطاع بني رمان لبسكرة من المجال الزابي من جديد، بعدما عادوا لتوليها بالقوة بمساعدة زناتة، لكن هذا الأمر لم يطل كثيرا حيث تم إعادة بسكرة إلى المجال الزابي تحت ولاية بني سندي[4]، والراجح أن هذه العائلة قد بقت في حكم بسكرة إلى عهد الموحدين، في ولاية عبد المؤمن بن علي لما سيطر على بلاد المغرب الأوسط، حيث سيحدث تحول مجالي آخر على بسكرة، أين طغت بشكل بارز المجالية- العائلية، فبتغلب الأثبج العرب الهلالية على مجالها، تكون عائلة بني زيان قد تملكت بسكرة خلفا لبني سندي، وظلوا رغم هذا أوفياء لصنهاجة[5].

إن أول النصوص المباشرة الواردة حول مقاطعة الزاب-الحمادي خلال النصف الأول من القرن الخامس هجري/11م، نجدها في شهادة الجغرافي البكري (ت 487هـ/1094م)، يعيننا في معرفة الفضاء البسكري من الداخل، فبسكرة بحسبه:" هي كورة فيها مدن كثيرة، وقاعدتها بسكرة، ..ومن مدنها: مدينة جمونة، ومدينة طولقة، ومدينة مليلي، ومدينة بنطيوس"[6].

ويضيف البكري في شهادته معلومات حول هذه المدن المشكلة لكورة بسكرة التي أصبحت ضمن نفوذ العائلة الحمادية، فيقول:" مدن بنطيوس: وهي ثلاث مدن يقرب بعضها من بعض..وبغربيها صحراء بنطيوس؛...طولقة (بجوفي بنطيوس): وهي ثلاث مدن، كلها عليها أسوار طوب وخنادق؛ ...ثم من بنطيوس إلى مدينة بسكرة؛...ومنها إلى مدينة بادس مرحلة، وبمدينة بادس حصنان"[7].

وبربط المعطيات الجغرافية مع الخرائط الأثرية، سنتمكن من الوصول إلى تحديد المدن الثلاثة لطولقة، وبنطيوس، التي وردت غامضة في نص البكري، ففيما يخص مدن كورة القصور الثلاثة الصغيرة

---

[1] بنو رومان: بعكس الروايات التي ترى فيهم أحفاد الجماعات غير المحلية ببلاد الزاب (الرومانيون- البيزنطيون- المسيحيون)، فإن رواية صاحب جمهرة الأنساب تضع بني رومان في خانة العرب من ولد طفرة بن طيّء، ويعددهم في قوله:" فولد رومان بن جنذب: ذهل وثعلبة، بطن. فولد ذهل بن رومان : جدعاء وثعلبة، فولد جذعاء بن ذهل: مالك وثعلبة". ابن حزم، المصدر السابق، ص 375-376.

[2] الهادي روجي ادريس، المرجع السابق، ج1، ص 288؛ بورويبة، المرجع السابق، ص 56.

[3] ورد في العبر النسخة التونسية: عروس بن سندي، وفي الباريسية: بن هندي. ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 231.

[4] الهادي روجي ادريس، المرجع نفسه، ج1، ص 303.

[5] نفسه، ج1، ص 288.

[6] البكري، المصدر السابق، ج2، ص 229-230.

[7] نفسه، ج2، ص 254-257.



لبنطيوس تظهر الخريطة الأثرية أنه على الأرجح هي طوبونيمات: قصر أورلال؛ بنطيوس؛ المخادمة[1]، وهذه المدن توجد في الجنوب الغربي من بسكرة على الطريق إلى طولقة[2]. أما المدن المنسوبة جغرافيا إلى الكورة الصغيرة طولقة، فتظهر في الخريطة الأثرية القديمة، وهي: فرفار؛ ليشانة؛ طولقة، وهذه المدن تقع كلها في الشمال من واحات بنطيوس[3]. لكن هذا يؤكد وجود مدن إضافية تنتمي إلى المجال الزابي في حده الجنوبي عند كورة بسكرة، من أمثلتها: جربانية؛ بوشقرون؛ العمري؛ بيقو؛ فوغالة؛ صحيرة...إلخ، هذه الواحات تقع في المجال الضيق بين بنطيوس وطولقة[4].

وبالزاب الأعلى وقاعدته نقاوس، فقد تم منحه حصرا للعائلة الحمادية، وكان أول من تولى إدارته الأمير خزر بن حماد [5]، هذا الجزء كان ضمن التحولات التي أحدثها الناصر بن علناس مابعد حادثة تواطؤ زناتة مع جعفر بن رمان في بسكرة[6]. ومع جهلنا التام بالمدن المشكلة للزاب الأعلى، ففي ظل شح المعومات بشكل لا يصدق حول هذه المرحلة من تاريخ الزاب الحمادي، فإننا نرجح أن تكون ضمنه مدن على غرار: نقاوس وماحولها، طبنة، ومقرة.

أما زاب القلعة، فالظاهر أن تنظيم الدولة الحماديية قد تم بتقسيم منطقة نفوذهم في شكل أعمال، حيث تولى كل عمل أحد أفراد العائلة أو المتحالفين معها، فيما بقيت المسيلة والقلعة الحمادية مؤقتا تحت السلطة المركزية للناصر شخصيا، مشكلا على أساسها زابا من الزوابي الثلاثة بقاعدته قلعة بني حماد بعد تراجع نفوذ المسيلة التي شكلت مركز الزاب وقاعدته خلال مرحلة الزاب الفاطمي.

من جهة ثانية، يذكر البكري بأن ميلة كانت في مجال بلاد الزاب، فيقول:" ميلة: وهي من غرر مدن الزاب"، نفس المعطيات ينقلها صاحب معجم البلدان:"ميلة: وهي من أصل مدن الزاب"[7]. وأظن أن هذه المعلومات تخص وضعية الخريطة المجالية لبلاد الزاب خلال الفترة التي سبقت عصر البكري ونقصد القرنين الثالث والنصف الأول من القرن الرابع الهجري/10م، خاصة وأن مؤلفه المسالك والممالك منسوخ ومتمم من النصوص الجغرافية لمحمد بن يوسف الوراق (292هـ-363هـ/905م-974م). وعليه يمكن التأكيد على أن مدينة ميلة والمدن الكتامية المجاورة لها على غرار سطيف،

---

[1] A.A.A, F° 48, N° 39-40-42 (Carte Biskra).

[2] Cambuzat, *op. cit.*, vol. 2, p. 51-52.

[3] A.A.A, F° 48, N°25-27 ; Cambuzat, *Ibid,* vol.2, p. 213.

[4] A.A.A, F° 48, N° 9-24-25-38-42-43.

[5] ابن خلدون، ج6، ص 229.

[6] ينظر تنظيم الدولة على أول عهد الناصر بن علناس: ابن خلدون، ج6، ص 229-230؛ بورويبة، المرجع السابق، ص 59.

[7] البكري، المصدر السابق، ج2، ص 245؛ الحموي، المصدر السابق، مج5، ص 244.

تيجيس، بلزمة قد خرجت من النطاق الجغرافي لبلاد الزاب خلال العهد الحمادي. ونفس الحال ينطبق على مدينة بغاي بالرغم من استمرار ذكرها في جغرافية البكري خلال القرن الخامس الهجري/11م.

ب- الحدود الجغرافية للزاب الحمادي:

في النصف الثاني من القرن الهجري الخامس/11م، زحف الهلاليون على مجالات الزاب وإفريقية[1]، هذا الحدث الاستثنائي كان له تأثيرات مباشرة على الخريطة المجالية للزاب من جهة، وعلى واقع التوطين البشري كذلك، أين تراجع نفوذ الجماعات المحلية-الريفية بشكل لافت، بعدما تحولت مجالاتها لمغتصبات هلالية تم اقتسامها فيما بينهم، وطردهم للسكان المحليين، خاصة في المجال الجغرافي الخاص بإفريقية وبلاد الزاب[2]، لكن الشيء اللافت هو توارثها لفكر التخريب الذي طغى بشكل بارز على أغلب كتابات البلاط الباديسي، على غرار إبن شرف القيرواني، وأبي الصلت، والاخبارية على غرار ابن خلدون، وأدى في الأخير الى توظيف هجرة بني هلال لأغراض ايديولوجية، رابطة إياها مع التراجع االثقافي والعمراني[3].

لقد تحول الزاب في هذه المرحلة، ونقصد مابعد موقعة سبيبة 457هـ/1065م، كما أشار إلى ذلك ابن الأثير، وابن أبي دينار، تحول إلى زاب الأثبج وزغبة، حيث سيطر هذان الفرعان على مجالاته، بل على كل إفريقية[4]. لقد عجزت العائلة الحمادية على صد الهجمات الهلالية التي اكتسحت المنطقة، واضطرت أخيرا للتحالف القسري مع فرع من فروعهم ممثلا في الأثبج الذين استطاعوا النجاح في كسب البوادي، ومكنوا لزغبة في المناطق القريبة منهم، بعدما وضع بنو زغبة أنفسهم على ذمة بني حماد[5]، وتعزز وجود العرب في سهول الزاب بعدما استحوذ عليها الاثبج[6]. ولم يطل بهم الأمر حيث بعد نصف

---

[1] ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 292-296؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 17-54.

[2] يقول في هذا ابن خلدون:" سنة ثمان وأربعين وأربعمائة ولسنة تسع... لم يزل هذا دأب العرب وزناتة حتى غلبوا صنهاجة وزناتة (وفي رواية ولما غلبوا صنهاجة اجتهدت زناتة في مدافعتهم...وعجزت زناتة عن مدافعتهم بأفريقية والزاب) على ضواحي أفريقية والزاب، وغلبوا عليها". ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 22؛ ج6، ص 27. وينظر الرواية الثانية: ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 294.

[3] يراجع الدراسات المميزة لعلاوة عمارة: "الهجرة الهلالية وإشكالية انحطاط حضارة الغرب الإسلامي الوسيط: قراءة في نقاش تاريخي"، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، دورية لكلية الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الامير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة-الجزائر، 4 (2004)، ص 31-75؛ " التحولات المجالية والطبونيمية"، ص 16-17؛ "الهجرة الهلالية وأثرها"، ص 80-82.

[4] ابن الأثير، المصدر السابق، ص 295 و 372-373؛ ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 83-84؛ السلاوي، المرجع السابق، ج2، ص 163-177.

[5] الهادي روجي ادريس، المرجع السابق، ج1، ص 289.

[6] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص27-31.

قرن من هذا اكتمل لبني رياح سيطرتها واستعادت منهم افريقية قاطبة، وطردت زغبة وعدي من مواطن نفوذهما، وتملكوا الزاب وإفريقية، يورد ذلك ابن عذارى، فيقول:" في سنة 466 [1074م] (وقيل 468 [1076م]) طردت زغبة من إفريقية، طردتهم رياح منها"؛ "وفي سنة 491 [1098م]، خرجت عدي من إفريقية أمام رياح"[1].

لقد تزامن التنظيم المجالي الجديد الذي استحدثه الناصر بن علناس مع الهجرة الهلالية إلى المنطقة[2]، وذلك باستحداث الزاب الأعلى وقاعدته نقاوس (*Nicivibus*) ، والزاب الأسفل وقاعدته بسكرة (*Vescera*)، ومنهيا بذلك فكرة القاعدة الواحدة لهذا المجال الواسع مابعد القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي[3]، سيتحول خلالها الزاب إلى ثلاث مقاطعات بثلاث عواصم:

- الزاب الأعلى: ومركزه نقاوس.
- الزاب الأدنى: وعاصمته بسكرة.
- زاب القلعة: بقاعدته قلعة بني حماد.

إن هذه الهجرات المقننة، والمدعومة من قبل الخليفة الفاطمي في مصر[4]، قد مهدت لاكتساح تام لإفريقية، أدى في الأخير إلى تأثير مباشر على بلاد الزاب والمجالات الحمادية، حيث:" تمكنت العرب ونهبت الناس وخربت البلاد وانتقل كثير من أهلها إلى بلاد بني حماد لكونها جبالا وعرة يمكن الامتناع بها من العرب"[5].

لقد كان أول من استقر من العرب هم أقوام من عدي والأثبج، يذكر ذلك صاحب الكامل نقلا عن ابن شداد الصنهاجي:" في هذه السنة كانت حرب بين الناصر بن علناس بن حماد ومن معه من رجال المغاربة من صنهاجة ومن زناتة ومن العرب: عدي والأثبج"[6]؛ ويؤكد ذلك ابن خلدون فيقول:" ثم وقعت بين العرب الهلاليين فتن وحروب ووفد رجالات الأثبج صريخا به على رياح، فأجابهم ونهض إلى مظاهرتهم في جموعه من صنهاجة وزناتة"[7].

---

[1] ابن عذارى المصدر السابق، ج1، ص 300 و 302؛ ويذكر صاحب المؤنس سنة 466هـ/1074م تاريخ استحواذ رياح على إفريقية وطردهم زغبة. ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 84.

[2] علاوة عمارة، "التحولات المجالية والطبونيمية"، ص 16-17.

[3] كان آخر قاعدة واحدة للزاب هي المحمدية (المسيلة).

[4] ابن الأثير، المصدر السابق، مج8، ص 295-296؛ ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 288؛ ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 81-82.

[5] ابن الأثير، المصدر السابق، مج8، ص 372؛ ابن أبي دينار، المصدر نفسه، ص 81-84.

[6] ابن الأثير، المصدر نفسه، مج8، ص 372.

[7] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 230.

في حدود 457هـ/1065م سيعرف الزاب تحولا مجاليا لافتا، فخلال موقعة سبيبة بين الحماديين ملوك الزاب، المغرب الأوسط، وما فتح من المغرب، وجموع من زناتة وصنهاجة، ضد العرب الهلاليين[1]؛ وقد كان الفشل حليف الحماديين، بعد الخيانة التي تعرض لها من حليفته زناتة[2]، ومن حلفائه عرب عدي والأثبج، الذين تحالفوا خفية مع إخوانهم (حمية العرب) ضد الناصر[3]. لقد كانت نتائج الموقعة شديدة التأثير في مجالات الحماديين، يذكر ذلك صاحب الكامل نقلا عن ابن شداد الصنهاجي:" وبهذه الوقعة تم للعرب ملك البلاد فإنهم قدموها في ضيق وفقر وقلة دواب فاستغنوا"[4].

بعد هذه الموقعة بفترة قصيرة، كان مجال الزاب وما حوله من ريغه قد تحولت تبعيته، من زاب – بني حماد إلى زاب – زناتة، فقد أقطعه الناصر للثائر المستنصر بن خزرون الزناتي لما تقوى عليه ببني عدي في أشير والمسيلة، وقد حملهم معه من صحراء طرابلس بعدما استحوذت زغبة والأثبج على نفوذهم هناك[5]؛ لكن هذا الإنقطاع المجالي (التقلص) للزاب-الحمادي، لم يطل كثيرا حيث استطاع بنو سندي حكام بسكرة من القضاء على هذه الوضعية الجديدة عندما مكروا بالمستنصر الزناتي ببسكرة، ليعود الزاب وريغه لحكم الحماديين، بإمرة الناصر بن علناس[6].

بعد وفاته سيخلفه إبنه المنصور في حدود 481هـ/1088-1089م[7]، لكن قبل هذا كان الناصر قد اختط مدينة الناصرية، التي عرفت باسم بجاية، وقد شيد بها قصريه (اللؤلؤة) و(أميميون أو أميون)[8]. وعليه يكون قد تراجع تدريجيا دور القلعة الحمادية لصالح عاصمة الحماديين الجديدة (بجاية)[9]. التحول البارز في الجانب المجالي، هو تغير سلطة حاكم القاعدة الغربية للزاب، أين أصبحت القلعة عاصمة لمقاطعة يديرها ولي العهد بعد الانتقال إلى العاصمة الحمادية الجديدة بجاية.

---

[1] ابن الأثير، المصدر نفسه، مج8، ص 372؛ ابن خلدون، المصدر نفسه، ج6، ص 230.

[2] الظاهر أن زناتة قد كانت تكن العداء للناصر والحماديين بعد حادثة مقتل زعيمهم جعفر بن أبي رمان في بسكرة، وقد حانت الفرصة لرد الدين للحماديين، بعدما اتفقت مع تميم بن المعز الزيري لهزيمته مع العرب.

[3] ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 299؛ ويذكر هذا الحدث ابن كثير فيقول:" ثم دخلت سنة سبع وخمسين وأربعمائة، وفيها كانت حروب كثيرة بين تميم بن المعز بن باديس، واولاد حماد، و العرب والمغاربة بصنهاجة وزناتة". ابن كثير، البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، القاهرة، 1419هـ/1998م، ج16، ص 5.

[4] ابن الأثير، المصدر السابق، مج8، ص 373.

[5] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 230-231.

[6] بوروبية، المرجع السابق، ص 72.

[7] يقول ابن عذارى في تولية المنصور:" وفي سنة 481، مات الناصر بن علناس بن حماد الصنهاجي، وولى ابنه المنصور". ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 301.

[8] الاستبصار، ص 129؛ الحموي، المصدر السابق، مج1، ص 339؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 232.

[9] ابن الأثير، المصدر السابق، مج8، ص 374؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 27 و 232.

مما سبق ذكره، نخلص إلى أن الخريطة المجالية لبلاد الزاب الحمادي قد عرف تقطعات، وتحولات كثيرة، تكرست خلالها فكرة القواعد الثلاثة، زاب غربي بقاعدته قلعة بني حماد، وزابين أسفل وأعلى أستحدث من قبل الأمير الناصر بن علناس، أين امتلكت العائلة الحمادية الزاب الأعلى بعاصمته نقاوس، ومنحت لبني رمان، ثم بني سندي حكم الشق الأسفل بقاعدته بسكرة بعد أن اقتطعها من واليها الأول صندل متولي الزيريين والفاطميين.

خامسا: الهجرة الهلالية وأثرها في الخريطة المجالية لبلاد الزاب

1-تشكل المجالات الريفية الهلالية:

بعد قرن تقريبا من انتشار الجماعات العربية بالأخص بالمناطق السباسبية وشبه الصحراوية[1] على غرار بلاد الزاب وحتى النصف الأول من القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، ظهرت تغيرات على الوضعية المجالية له، بخضوع الجماعات السكانية المحلية لسلطة الوافد الجديد على مجالاتهم[2]. إن هذه الوضعية الجديدة قد أفرزت انفرادا لبني رياح بالمجالات الريفية، بعدما تخلصوا من زغبة، ومن تلاشي السلطة الحمادية، وحليفتيها الأثبج، وعدي[3]، وهي المرحلة التي وصفها صاحب نزهة المشتاق في قوله:" العرب تملك أرضه وتمنع أهله من الخروج عنه إلا بخفارة رجل منهم"[4].

وتظهر ملامح هذه التغيرات في المعطيات الجغرافية في كتاب نزهة المشتاق للإدريسي (ألف عام 548هـ/1153م)، مبرزا تحولات في تبعية مدن الزاب بعد سيطرة العرب عليها، من بلاد زناتة الواقعة تحت حكم الحماديين، إلى بلاد رياح الهلاليين، فيصف حال القلعة والحصون المجاورة: "أهلها مع العرب في مهادنة وربما أضر بعضهم ببعض غير أن أيدي الأجناد فيها مقبوضة وأيدي العرب مطلقة في الإضرار"[5]؛ أما حصن بادس:" وهو في أسفل طرف جبل أوراس ثلاث مراحل وهو حسن عامر بأهله

---

[1] محمد حسن، المدينة والبادية بإفريقية في العهد الحفصي، منشورات كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة تونس1، ج1، ص36-37.

[2] علاوة عمارة، " الهجرة الهلالية وأثرها"، ص 81.

[3] ابن عذارى المصدر السابق، ج1، ص 300 و 302؛ ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 84؛ محمد حسن، المدينة والبادية، ج1، ص 40. وينظر آثار التواجد الهلالي- الرياحي بعد قرن من وصولهم بلاد الزاب في الدراستين: "الهجرة الهلالية وأثرها"، ص 82-85؛ "التحولات المجالية والطبونيمية"، ص 17.

[4] الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1422هـ/2002م؛ مج1، ص 264.

[5] المصدر نفسه، مج1، ص 263. ويذكر ابن خلدون حال القلعة أيام طغيان بني رياح عليها:" فنازلوها وخربوا جنباتها واحبطوا عروشها، وعاجوا على ما هنالك من الأمصار (ولعله يقصد المعاضيد والزيتون وماجاورهما)". ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص27.

والعرب تملك أرضه"[1]؛ ومدينة باغاية:" كانت الأسواق فيه، وأما الآن فالأسواق في المدينة والأرباض خالية بإفساد العرب لها...وكانت لها بواد وقرى وعمارات والآن كل ذلك قليل فيها وحولها عمارات برابر يعاملون العرب"[2].

وكذلك الحال بطبنة والمسيلة وماجاورهما، أين: "ملكوا عليهم الضواحي يتحيفون جوانبهم ويقعدون لهم بالمرصاد، ويأخذون لهم الأتاوة على التصرف في أوطانهم"[3]؛ وبعيدا عن بلاد زناتة، وإلى الشرق من القلعة على بعد أربع مراحل منها تستقر مدينة ميلة، أما حالها فلم يختلف عن باقي مدن بني حماد، فقد كان: "أهلها من أخلاط البربر جملة والعرب تحكم بخارجها وكانت في طاعة"[4]. ولم تنقض سنة إحدى وأربعين وخمسمائة حتى افترق الأثبج الموالين للحماديين من مجالات القلعة والزاب، بعدما رحلوا إلى عاصمتهم الجديدة بجاية، وانقرضوا بعدما أفلت الإمارة الحمادية، وتملك بطن بن علي بن رياح مجالاتهم[5]، وكان على هذا العهد متوليهم وأميرهم محرز بن زناد بن باذخ[6].

لقد أدى في النهاية هذا التحول إلى لعب الجماعات الجديدة المستقرة بالزاب دور الجهاز السياسي والجبائي، على حواف المدن، وفي الأرياف، معتمدين سلطة الغلبة والغصب، وهو ما أكده صاحب المعيار في قوله:" الأعراب...أخذوه غصبا وهم مشهورون بالنهب"[7]، وقوة المجتمع الريفي الحربية، هذه الحالة لم تقتصر فقط على الجماعات الرياحية، بل كانت في القريب ممتدة في أوساط جماعات بشرية ريفية بالأوراس، مما يؤكد عدم ربطها بأي مركب اجتماعي بعينه، يذكر ذلك الادريسي في قوله:" جبل أوراس وطوله نحو اثني عشر يوما وأهله مسلطون على من جاورهم"[8].

في بداية النصف الثاني من القرن السادس للهجرة/12م، تواصل انفراد وتملك بنو رياح بمواطنهم، فبعدما استحوذ الموحدون على بلاد المغرب، نقلوا الكثير من فروع الاثبج إلى المغرب الأقصى، وتفرد بنو

---

[1] الادريسي، المصدر نفسه، مج1، ص 264.

[2] نفسه، مج1، ص 276-277.

[3] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 27.

[4] الادريسي، نفسه، مج1، ص 265.

[5] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 28.

[6] ورد في النسخة التونسية للعبر: محرز بن زناد بن فارغ. ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 28؛ ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، تحقيق عبد الهادي التازي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1987، ص 72.

[7] فتوى السيوري في المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل افريقية والأندلس والمغرب، تحقيق: محمد حجي وآخرون، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1401هـ/1981م، ج9، ص 545. [وسئل عمن هرب من الأعراب وهو يدعي الحرية أو وجد بأيديهم يدعي أنه مملوك للغير أو الحرية وأخذوه غصبا وهم مشهورون بالنهب...]

[8] الإدريسي، المصدر السابق، مج1، ص 277.

رياح بإفريقية، حتى صاروا بمجالات قسنطينة، يذكر ذلك ابن خلدون فيقول:" فلما ملك الموحدون أفريقية نقلوا منهم إلى المغرب: العاصم ومقدما وقرة وتوابع لهم من جشم، وأنزلوا جميعهم بالمغرب كما ذكرنا واعتزت رياح بعدهم بإفريقية، وملكوا ضواحي قسنطينة"[1]. الأمر لم يتوقف عند هذا الحد، بل الظاهر أن فروعا من رياح على غرار الذواودة قد استطاعت أن تتوسع على حساب بقايا الجماعات الأثبجية بأرياف بلاد الزاب بقيادة مسعود بن زمام[2]، يقول في هذا ابن خلدون:" فاعتز الزواودة على الأمراء والدول، وساء أثرهم فيها وغلبوا بقايا الأثبج، فنزلوا قرى الزاب، وقعدوا عن الطعن وأوطنوا بالقرى والآطام"[3].

ولم يطل انفراد بنو رياح ببلاد الزاب، أين استطاع بنو سليم[4] أن يزرعوا منافسا لهم من بطونهم، في صورة كرفة-الأثبج[5]، حيث:" اصطنعوا كرفة من بطون الأثابج، فكانوا حربا لرياح وشيعة للسلطان"[6]. هذا الصراع العائلي، سيبرز من خلاله تحول مجالي جديد لبلاد الزاب، أين تحول من زاب –رياح الذواودة، إلى زاب شرقي لرياح –كرفة، وتعدى نفوذهم إلى الجانب الشرقي من جبال الأوراس، وتمكنوا أخيرا من تقليص نفوذ بني رياح بالزاب، حيث استوطنت أحد بطون كرفة، وهم السرحانية أولاد سرحان بن فاضل بالقرب من مدينة تهوذة؛ وزاب– غربي، شمالي، وجنوبي، تحت حكم بني رياح التي انفردت بهذا المجال الواسع من الزاب بزعامة الذواودة[7].

2- الزاب الموحدي:

لقد برز في الأفق كيان سياسي جديد، استغل ضعف الحماديين، وتنازع العرب على الاقطاعات، فاكتسح جميع الأقطار مما كان يملكه المرابطين بالمغرب الأقصى[8]، والمجالات الغربية لبني حماد[9]، ثم سرعان

---

[1] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 31؛ السلاوي، المرجع السابق، ج2، ص 150-151.

[2] مسعود بن سلطان بن زمام الذواودي من بني ذواد بن مرداس بن رياح. السلاوي، المرجع السابق، ج2، ص 151.

[3] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 31.

[4] عمر رضا كحالة، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1418هـ/1997م، ج4، ص 258.

[5] الأثبج من الهلاليين، ومنهم: الضحاك وعياض ومقدم والعاصم ولطيف ودريد وكرفة، وغيهم؛ وأثبج هو ابن ربيعة ابن نهيك بن هلال، وكرفة هو ابن الأثبج. ينظر: أبو علي هارون بن زكريا الهجري (ت نحو 300هـ/913م)، التّعليقات والنّوادر، ترتيب: حمد الجاسر، د.م، د.ت، مج4، ص 1662-1663.

[6] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 31.

[7] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 31.

[8] ابن أبي زرع، الأنيس المطرب في روض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، تصحيح وترجمة: كارل يوجن تورنبورغ، دار الطباعة المدرسية، أوسبالة، 1843م، ص 404.

[9] البيدق، أخبار المهدي ابن تومرت وبداية دولة الموحدين، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1971، ص 52-60.

ما تمدد شرقا باتجاه المغرب الأوسط بعدما كسر شوكة زناتة، للاستيلاء على مملكة بني حماد[1]. هذا الحدث كان له تأثيرين بارزين: على التوطين البشري، وأيضا على المجالات الجغرافية، فقد تمكنت قبائل المصامدة من حشد بطونها وهي التي كان يخافها عبد المؤمن، ويتودد اليها خشية الانقلاب عليه أو اغتياله[2]، وكذلك فعل بني كومي أهل عبد المؤمن بن علي حتى صار فيهم ولاية العهد[3]، واستطالوا على زناتة والعرب، هؤلاء انقسموا إلى شقين، جزء منهم ممثلين في بني سليم، وعلى رأسهم الأثبج بقيادة أبي الجليل بن شاكر، وجشم بزعامة حباس بن مشفر، نزلوا في طاعة الموحدين، فعقدوا لهما على قومهما[4]؛ والشق الثاني ذواودة بنو رياح ملوك الزاب بزعامة محرز بن زناد، والذين ساندوا دعوة الحماديين في محنتهم[5]، فكانت واقعة سطيف في حدود 547هـ/1152م[6]، والتي انتهت بهزيمة نكراء للعرب وبني رياح، حتى:" استكانوا لعزّ الموحدين وغلبهم، فدخلوا في دعوتهم وتمسكوا بطاعتهم"[7].

مما سبق، سيظهر تنظيم مجالي جديد على بلاد الزاب، حيث حدثت قطيعة مجالية جديدة، مثلها تحول في التبعية السياسية له، من زاب رياح وبني حماد إلى زاب الموحدين، واندثر ملك بني حماد من المنطقة ككل،

وهذا على عهد يحي بن العزيز[8]، هذا الأخير الذي سيدخل في طاعة الموحدين[9]، وينتقل ما بين مراكش، وسلا، حتى وفاته، يذكر ذلك صاحب الاستقصا:" ونقله إلى مراكش بأهله وخاصته فسكنها،

---

[1] ابن الخطيب، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تصحيح: البشير الفورني، مطبعة التقدم الاسلامية، تونس، 1329هـ/ 1911م، ص 112-113؛ ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج6، ص 28؛ ابن غلبون، التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من أخبار، تصحيح وتعليق: الطاهر أحمد الزاوي، دار المدار الاسلامي، 2004، ص 125.

[2] رسائل موحدية: مجموعة جديدة، تحقيق ودراسة احمد عزاوي، منشورات كلية الآداب و العلوم الانسانية، القنيطرة-الرباط، 1422هـ/2001م، ج2، ص 69.

[3] حول تمكن الخليفة عبد المؤمن من تولية كومية الحكم الموحدي في أبنائه، ينظر: ابن غلبون، المرجع السابق، ص 126. وفيما يخص قبيلة كومية مواطنها-أعيانها، ينظر: الدراجي بوزياني، القبائل الأمازيغية، ج1، ص 92-114.

[4] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 28.

[5] رسائل موحدية، المرجع السابق، ص 68-69؛ ابن غلبون، المرجع نفسه، ص 125.

[6] تصحح الرسائل الموحدية (الرسالة رقم 9) تاريخ الموقعة التي بحسبها كانت لأول ربيع الآخر لسنة 548هـ/1153م. المرجع السابق، ص 69 (الهامش).

[7] ابن خلدون، نفسه، ج6، ص 28؛ رسائل موحدية، المرجع السابق، ص 69.

[8] يقول صاحب المعجب:" ودخل عبد المؤمن بجاية، وملكها، وملك قلعة بني حماد، وهي معقل صنهاجة الاعظم...أخرجهم من ذلك كله وملكه بأسره وضمه إلى مملكته ". عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: محمد زينهم ومحمد عزب، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، القاهرة، 1994، ص 174؛ ويرثي ابن خلدون بني حماد لما ضاع عليهم الملك، فيقول:" ثم غلب عليهم الموحدون...وانقرض ملك بني حماد والبقاء لله وحده...والله وارث الأرض ومن عليها". المصدر السابق، ج6، ص 336.

[9] ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 404.

وأفاض عليه سجال الاحسان، وأنزله منزلة رفيعة، ثم انتقل إلى سلا ...إلى أن مات من سنته رحمه الله"[1].

قبل هذا، يكون الموحدون قد حاصروا بجاية وملكوها في حدود 547هـ/1152م، ثم انتقلوا إلى أول حد بلاد إفريقية بالمغرب الأوسط، وهي بونة حيث استطاعوا افتتاحها، ثم تقدموا إلى قسنطينة فاحتلوها، واعتقلوا الأمير الحمادي يحي بن العزيز، بعد هذا مُكِّن للموحدين في بجاية والقلعة الحمادية وأعمالهما، واستعمل عليها ولي العهد عبد الله بن عبد المؤمن بن علي[2]، ويورد مراحل الفتح صاحب المعجب، فيقول:" جمع جموعا عظيمة وخرج من مراكش يقصد مملكة يحي بن العزيز...في شهور 540، فحاصر بجاية وضيق عليها،...حتى أتى مدينة بونة،... ثم خرج منها حتى أتى قسنطينة، ... ودخل عبد المؤمن بجاية وملكها، وملك قلعة بني حماد وهي معقل صنهاجة الأعظم"[3].

والظاهر أن الموحدين قد عانوا من انتفاضات كثيرة، بعدما امتلكوا مجالات إفريقية والمغرب الأوسط والأقصى، ولم يكن المجال الزابي بمنأى عنها، ففي حدود 580هـ/1184م، سيتمكن بني غانية الميورقيين[4] من شق عصى الطاعة على عهد يعقوب المنصور بن يوسف، بعدما كانوا قبل هذا في حكم المرابطين[5]، وقد نزل بنو غانية المسوفيين لمبارزة الموحدين في مجالاتهم، فاقتطعوا منهم خلال هذه السنة بداية مدينة بجاية:" فدهم بجاية علي بن اسحاق بن حمو بن غانية المسوفي سنة 580 أول ولاية الخليفة"[6]. ثم استطاعوا التغلب بمجالات الزاب الغربي على القلعة الحمادية[7]. لكن الأمر لم يطل إلا أربع سنين، حتى استعاد الموحدون مدنهم من بني غانية، يقول في ذلك صاحب الاستبصار:" فسارع لغزوه أمير المؤمنين، واستئصل شفته، ومات لعنة الله عليه برشقة سهم على توزر عقب سنة 584 [1188م]"[8].

هذه العائلة سيكون لها شأن في القرن السابع الهجري/13م، بعدما استقرت ببلاد الجريد على عهد يحي بن اسحاق بن غانية، واتحدوا مع قراقوش ضد الموحدين لما شق عصى الطاعة عنهم سنة

[1] السلاوي، المرجع السابق، ج2، ص 108.
[2] الحلل الموشية، ص 112-114؛ السلاوي، المرجع السابق، ج2، ص 108.
[3] عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 174.
[4] في الخبر عن شأن ابن غانية، يراجع: ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 325-328.
[5] السلاوي، المرجع السابق، ج2، ص 142.
[6] الاستبصار، ص 131؛ عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 226؛ ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 426؛ السلاوي، المرجع السابق، ج2، ص 143.
[7] السلاوي، المرجع السابق، ج2، ص 143.
[8] الاستبصار، ص 131.

586هـ/1190م، والظاهر أن بني غانية سيتقوون في نهاية القرن السادس الهجري/12م، وسيتحكمون في أغلب مدن الموحدين بالمغرب الأوسط، وسيسقطون الزاب السفلي الذي قاعدته بسكرة في حدود 599هـ/1203م بعدما هزموا الموحدين بقسنطينة، ويرجح أن تكون كل الزاب إن لم نقل أغلب مدن الزاب قد أصبحت بيد بني غانية في تحول جديد، انقلب فيه تبعية الزاب من زاب الموحدين إلى زاب بني غانية[1].

3- مجال بلاد الزاب في نهاية القرن الهجري السادس/12م

عرفت بلاد الزاب تحولات مجالية جديدة خلال القرن السادس الهجري/12م، وأصبحت تشكل رقعة جغرافية واحدة على طرف الصحراء، وتنتهي عند بادس في سمت الجريد[2]، بعدما كانت خلال العهد الحمادي قد انفصلت إلى: زاب قلعة بني حماد، زاب نقاوس، وزاب بسكرة[3]. هذا التحول واكبته تغيرات سياسية بارزة، حيّدت تبعية الزاب فنقلته من زاب رياح إلى الزاب الموحدي، وهذا مابعد موقعة سطيف (548هـ/1153م)[4]. وعليه يمكن تحديد مجال الزاب ضمنيا خلال هذه الفترة، أين أصبح يدل حصرا على زابين: -واحات بسكرة الشرقية والغربية -نقاوس والمدن القريبة منها، وهذا انطلاقا من معطيات صاحب نزهة المشتاق، والاستبصار، دون أن نتمكن من تأكيد صحة مضامين النصوص الواردة، أو الإطار الزمني المتعلق بهذه المعطيات، إن كانت تتضمن العهد الحمادي فقط أم تتجاوزه؟ بالأخص عندما يغيب الحضور الموحدي في نصوصهم، كما تبرز علامات النقل المتعلقة بقرون هجرية سابقة ضمنيا في نصوص نزهة المشتاق، وكتاب الاستبصار.

لقد أورد صاحب النزهة معطيات جغرافية حول مجال بلاد الزاب خلال النصف الأول من القرن الهجري السادس/12م، ضبط فيها قاعدة الزاب[5]، كما يبرز في شهادته بسكرة كقاعدة للزاب الأدنى، حين يقول:" مدينة بسكرة، وهي مدينة كبيرة، وحواليها حصون كثيرة وقرى عامرة وهي قاعدتها"[6]. وقد أكد ابن سعيد المغربي (ت 685هـ/1286م) تواصل بسكرة كقاعدة لهذا الفضاء حتى القرن الهجري

---

[1] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 259.

[2] الاستبصار، ص 171. (ويقارن معطيات حدود الزاب حتى بلاد الجريد خلال القرن الخامس، وتواصلها في القرن السادس للهجرة : المسالك والممالك، ج2، ص 257).

[3] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6 ص 229-230.

[4] رسائل موحدية، المرجع السابق، ج1، ص 69.

[5] يلمح الإدريسي إلى أن طبنة هي مدينة الزاب في قوله:" وطبنة مدينة الزاب وهي مدينة حسنة كثيرة المياه والبساتين والزروع"، ويذكرها ثانية فيقول:" ومن باغاي إلى طبنة الزاب أربع مراحل". الإدريسي، المصدر السابق، مج1، ص 263 و 277. وهذا لا يصح خلال فترة القرن الهجري السادس/12م.

[6] الاستبصار، ص 171.

السابع:" مدينة بسكرة قاعدة بلاد الزاب وهي بلاد نخل وزرع"[1]، وهذا لما يتقلص المجال الزابي ليشمل فقط فضاء وواحات بسكرة.

إن معطيات الإدريسي نجدها متوفرة بصورة أدق عند صاحب الاستبصار (عاش خلال القرن السادس هجري/12م) مع تطور في بعض المعطيات الدلالية. فعن حدود الخريطة المجالية لبلاد الزاب فهو يحددها انطلاقا من تعداد مدنها أولها وآخرها:" مدينة المسيلة أقرب بقلعة حماد من بلاد الزاب....مدينة بادس هي مدينة كبيرة وهي آخر بلاد الزاب"[2].

سيعرف الزاب تحولا جغرافيا مهما في نهاية القرن الهجري السادس/12م، أين سينفصل عنه ناحية الحضنة لتشكل في النهاية مجالا جغرافيا وبشريا منفصلا، لينحصر مجاله في: زاب أعلى بقاعدته نقاوس، وأسفل بقاعدته بسكرة[3]. هذا التقسيم أشار إليه صاحب البيان خلال تفصيله لحدود المغرب وإفريقية، نقلا عن أبي مروان صاحب المقباس، وابن حماده صاحب القبس، في قوله:" بلاد الزاب الأعلى ويلي هذه البلاد بلاد الزاب الأسفل"[4].

وبربط المعطيات الجغرافية الواردة عند صاحبي الاستبصار والنزهة، والاخبارية لصاحب البيان مع الخرائط الأثرية يمكننا تمديد، وإضافة مدن أخرى لبلاد الزاب: فبداية بالمجال الممتد من نقاوس وماحولها إلى حدود طبنة ويضم مدنا كثيرة، فيما يتمدد الزاب جنوبا ليمثل بسكرة وواحاتها حتى سمت الجريد عند مدينة بادس[5]، هذا المجال الجنوبي يضم في فضائه مدنا كثيرة، على غرار: لوطاية؛ قصر سيدي الحاج؛ الضاية؛ تهودة ؛ بادس؛ بسكرة[6]. وبسكرة بدورها تضم في كورتها المدن: جمورة؛ طولقة؛ جميلا؛ الدوسن؛ بنطيوس؛ قصر أورلال؛ قصر جربانية؛ واحات المخادمة؛ بوشقرون؛ العمري؛ بيقو؛ فوغالة؛ صحيرة؛ البرج؛ ليشانة؛ فارفارة؛ القنطرة؛ سبع مقاطع؛ حصن بشر؛ ليوة؛ كدية القلال؛ الطوال[7].

---

[1] ابن سعيد المغربي، كتاب الجغرافيا، تحقيق: إسماعيل العربي، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1970، ص 126.

[2] الاستبصار، ص 171 و 175.

[3] علاوة عمارة، "بين جبل أوراس والواحات"، ترجمة: عبد القادر مباركية، ص 249.

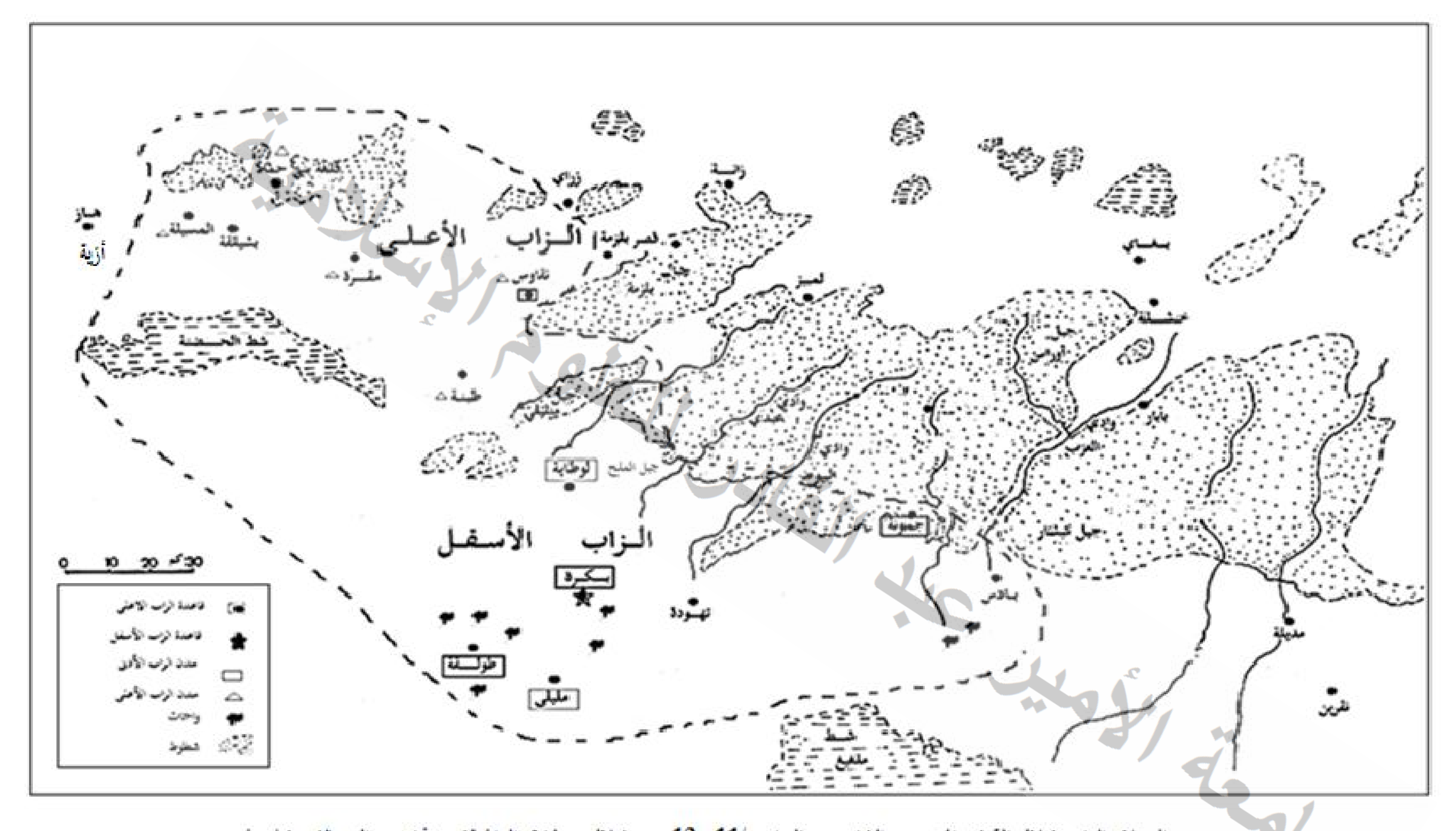
[4] ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص 5.

[5] البكري، المصدر السابق، ج2، ص 257؛ ابن سعيد المغربي، المصدر السابق، ص 126.

[6] A.A.A, F° 49, N°51 ; Albertini Eugène, *op. cit.*, p.363-370.

[7] البكري، المصدر السابق، ج2، ص 229 -230 و 254-257. ويراجع :

-C. Niox, *Algérie: Géographie Physique*, Librairie Militaire de L. Baudoin et C^{e}, Paris, 1884, P. 237-239 ; Delattre, *op. cit., p. 262-275 ;* A.A.A, *op. cit.*, F° 48, N° 24-38-39-41-42-43 ; Cambuzat, *op. cit.*, vol.2, p. 51, 213 ; Fentress, *op. cit.*, p.525-526.



مجال بلاد الزاب خلال القرنين الهجريين الخامس و السادس/11 و12م من خلال معطيات البيان لابن عذارى و العبر لابن خلدون

(المرجع: Yves Modéran, les Maures et l'Afrique Romaine IVe-VIIe Siècle, Carte ch.8) – بتصرف–

سادسا: من بلاد الزاب إلى الزيبان[1]:

1- الحركة الصوفية وتأثيرها في تغيير تبعية الفضاء البسكري

في الربع الأول من القرن الهجري الثامن/الرابع عشر الميلادي، برز تحول مجالي جديد لبلاد الزاب، طبعته الصبغة الصوفية- المرابطية، قاده أحد شيوخ بنو رياح، المدعو سعادة الرحماني من مسلم إحدى فروع رياح[2]، وقد قامت هذه الدعوة المرابطية على تغيير المنكر والإصلاح الديني، ثم سرعان ما تحولت إلى محاربة قطاع الطرق من أشرار البوادي، حيث اشتد على قاطع الطريق من شرار البوادي، في هذه المرحلة بالذات التف حوله شيوخ قبائل رياح وزغبة، والذين عاهدوه على التزام طريقته، واستمر في محاربة قطاع الطرق واللصوص،وتأمين المسالك منهم، كل هذه الأمور كانت بالأرياف[3].

لقد استطاع سعادة الرياحي من فرض سلطته بداية على طولقة، ثم تحول عنها حين أكمل بناء زاويته، والتي استقر بها أتباعه الذين بايعوه على السنة والموت دونه في ذلك[4]. ثم انتقل إلى محاصرة قاعدة الزاب، وعاصمة بني مزني مدينة بسكرة في حدود 703هـ/1703م، وبعدها انتقل إلى السيطرة على مليلي (القصبات) في حدود 705هـ/1705م، وهي المرحلة التي عرفت تدخلا من الحلف المكون من (بني مزني–الذواودة–والي بجاية من بني حفص)، بعدما أحسوا باقتراب فقدانهم لقسم من مجالاتهم جنوبا، حيث تمكنوا من حصر حركة المرابطين، واستعادة الحكم نسبيا ببلاد الزاب[5].

ثمان سنين بعد هذا، تعود صورة بلاد الزاب السابقة (زاب–المرابطين أو زاب–سعادة)، في تحول مجالي قديم–جديد، فقد كان حينها أثر التصوف السعادي مازال قائما في نفوس من تخلف من أتباعه بقيادة الشيخ أبي يحي بن أحمد وحلفائه من: أولاد محرز قومه؛ أولاد سباع؛ أولاد عساكر؛ أولاد عطية[6]. لقد تمكن هؤلاء من محاصرة بسكرة مرة أخرى، كما استطاعوا الانتقام من بني مزني حينما أتلفوا النخيل بقطعها، وأعدموا عمال بني مزني وحلفائه من الذواودة، وبعد مقتل زعيمهم علي بن منصور بن مزني بالصحراء في السنة 713هـ/1313م، عادت بلاد الزاب بيد المرابطين، حيث سيطر عليها الشيخ أبو

[1] البكري، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق وضبط: مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت، د.ت، ج1، ص 691-692.

[2] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 51.

[3] الطاهر بونابي، "حركة المرابطين السنة في الزاب بين التصوف والرباط"، المجلة الخلدونية، 9 (2011)، ص 67.

[4] ابن خلدون، السابق، ج6، ص 51.

[5] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 52.

[6] نفسه، ج6، ص 52.



يحي، ثم من بعده ابنه عيسى على بلاد الزاب، حتى وفاتهما أين اقتصر حكم عائلة سعادة في زاويتهم، في حين حافظوا على هيبتهم من خلال استمرار احترام حكام بسكرة من بني مزني لهم[1].

لقد أدى في النهاية تحول وانحراف توجهات المرابطين خلال هذه المرحلة إلى نهاية هذه الحركة الفتية، وقدم لنا صاحب العبر وصفا لنهاية هذه الحركة مابعد 713هـ/1313م، بأنها انتهت في ثوبها المرابطي-المزني، وتواصلت في ثوبها الجديد وهي الصراع الهلالي: البدوي -البدوي[2]، وهذا تمثلا بمجريات صراعهم سابقا بأرض المشرق، وقد اكتملت صورة الوصف بما ذكره صاحب المدينة والبادية، حين صور لنا نهاية مرحلة المرابطين، بأنها تحول إلى النمط التقليدي في الاقتتال بين العرب ببلاد الزاب[3]. وأخيرا استطاع بنو مزني على عهد يوسف بن مزني بالاتحاد مع قبيل من أولاد محمد ممثلا في علي بن أحمد بن محمد، من انهاء هذه الحركة بشكل نهائي بعدما منحوا قضاء بسكرة لزعيمها الشيخ الفقيه أبو عبد الله محمد ابن الأزرق المقري، حيث توارت بشكل تام صورة الحركة، بالأخص بعدم اجتثوا قائدها العسكري حسن بن سلامة في حدود 740هـ/1339م[4].

2- مرحلة التقلص والانكماش

عرفت بلاد الزاب تحولات مجالية جديدة، بعد تقلص البسيط الغربي من مجالاتها، ولم يعد الزاب محصورا إلا في السهوب الدالة على بسكرة وواحاتها الشرقية والغربية حصرا. وقد قدم لنا ابن خلدون الخريطة المجالية لهذه الفترة على النحو الآتي:

أ- تقلص البسيط الغربي:

أطلق ابن خلدون على المجالات الواقعة إلى الغرب من جبل أوراس مصطلح البسيط الغربي واشتملت على: نقاوس، مقرة، والمسيلة. بداية بانفصال ناحية الحضنة في نهاية القرن الهجري السادس/12م ليتحول إلى كيان جغرافي وبشري منفصل[5]، ثم انفصل على الأرجح في نهاية القرن السابع الهجري/13م الزاب الأعلى بقاعدته نقاوس، وقد مثل إلى وقت قريب جزءا مهما منها.

لقد توزعت في البداية السلطة بالفضاء الحضني بين الجماعات الرياحية، حيث اختص سباع بن شبل بالمسيلة، وامتلك أولاد عمر مقرة، في حين اقتطعت نقاوس لأولاد عساكر[6]. ولم يطل الأمر بهم،

[1] الطاهر بونابي، المرجع السابق، ص 68.
[2] نفسه، ص 68.
[3] محمد حسن، المدينة والبادية، ج2، ص 775؛ الطاهر بونابي، المرجع نفسه، ص 68.
[4] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 53.
[5] علاوة عمارة، "بين جبل أوراس الواحات"، ترجمة: عبد القادر مباركية، ص 249.
[6] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 46.



حيث حدثت قطيعة مجالية مع سلطتهم بهذه المجالات بعدما استحوذت العائلة المزنية برئاسة الفضل بن علي بن مزني على مواطن نفوذهم حينما عقد لهم عليها السلطان أبي اسحاق إبراهيم في حدود 678هـ/1279م[1]. وسرعان ما اتسعت إمارة بني مزني لتضم بالإضافة إلى الفضاء البسكري وواحاتها، كلا من: الحضنة، جنوب جبل الأوراس، وادي ريغ، ووراكلا، بعدما اتخذت العائلة المزنية من مدينة بسكرة عاصمة لإمارتها، مشيدين قصرهم بها خوفا من طغيان بقايا عرب رياح عليهم[2].

ب- بسكرة القاعدة:

يذكر ابن خلدون أن بسكرة هي قاعدة الزاب أو بمسمى القرن الهجري الثامن/14م وما يليه بالزيبان، في قوله:" هذا البلد بسكرة هو قاعدة وطن الزاب لهذا العهد"؛ ويردف قائلا عن بسكرة مقارنة بالزوابي:" وبسكرة أم هذه القرى كلها"[3]، وهذه الشهادة تتطابق بشكل كبير مع ما أورده صاحب رحلة الفيض في قوله:" الوصول إلى بسكرة قاعدة الزاب". لقد كانت بسكرة في موضع جيد مكنها من تولي زمام المبادرة في هذه المنطقة، لأنها تتمتع بموقع مركزي واستراتيجي، وقدرتها على الربط بين الشمال والجنوب، فاستحقت بذلك أن تكون ملكة ومركز قيادة الزيبان[4].

ت- بلاد الزيبان: المجال وتشكيلة المدن

بعد تقلص وانفصال البسيط الغربي أو بلاد الحضنة عنها والذي كان ضمن مجال الزاب الأعلى، إضافة إلى طبنة وما يليها إلى حدود الفضاء البسكري، لم تعد بلاد الزاب خلال القرن الهجري الثامن/14م تمثل سوى ناحية بسكرة ومنطقة السهوب المحصورة بواحات النخيل[5]. الخريطة المجالية يبرزها شاهد عيان على هذه المرحلة بالذات ممثلا في صاحب العبر، حيث ينقل لنا التقسيمات الثلاث لبلاد الزاب: زاب غربي؛ زاب شرقي؛ وزاب الوسط بقاعدته بسكرة[6]. قبل أن يطرأ تحول نهائي لمجال الزاب إنتقل بموجه إلى شكله الجغرافي النهائي بالمسمى بلاد الزيبان، وتظهر صورة خريطته المجالية حتى نهاية القرن الهجري الثامن /14م كالآتي:

---

[1] ابن الشماع، مفاخر الدولة الحفصية، تحقيق: الطاهر بن محمد المعموري، الدار العربية للكتاب، 1984، ص75.

[2] روبار برنشفيك، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي (من القرن 13 إلى نهاية القرن 15)، ترجمة: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988، ج1، ص 140؛ حفناوي بعلي، "عبد الرحمن بن خلدون... في ضيافة إمارة بني مزني"، المجلة الخلدونية، 9 (2011)، ص 36.

[3] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 585.

[4] Niox, *op. cit.,* p. 237; Marc Cote, « Biskra », *Encyclopédie berbère,* 10 (1991), p. 1518

[5] علاوة عمارة، " بين جبل أوراس والواحات": ترجمة: عبد القادر مباركية، ص 249.

[6] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 47.

– **الزاب الغربي**: قاعدته طولقة[1]، ويطلق عليه كذلك تسمية الزاب الظهراوي، ويضم مساحات رملية شاسعة، والكثير من السباخ[2]. إنطلاقا من المعطيات الأثرية، يمكن ترجيح المدن المشكلة للزاب الغربي، وهي: بوشقرون، ليشانة؛ فرفار؛ طولقة؛ برج بن عزوز؛ فوغالة؛ العمري. كما تندرج ضمن الزاب الغربي المواقع التي تمتد إلى منحدر وادي الجدي، وتتشكل من: مليلي؛ بيقو؛ أورلال؛ بنطيوس؛ جربانية؛ المخادمة؛ صحيرة؛ القنطرة؛ ليوة[3] ؛ الدوسن، التي يذهب ديلاتر إلى وضع الدوسن ضمن الزاب الغربي، وأثبت ذلك من خلال الخرائب الكثيرة الدالة على وجود مدينة رومانية قديمة مندثرة بالقرب من مدينة القصر وقبة سيدي حزاز، وأولاد بوزيد[4].

– **الزاب الأوسط**: عاصمته بسكرة[5]، بالإضافة إلى أنها تمثل قاعدة بلاد الزيبان[6].

– **الزاب الشرقي**: قاعدته بادس[7]، ويضم كذلك المجال المحصور بين الجهة الجنوبية للأوراس وشط ملغيغ، إلى الشرق من وادي بسكرة[8]. وبالاعتماد على الخرائط الأثرية، يمكن ترجيح المدن المشكلة للزاب الشرقي، وهي: تهودة؛ شتمة؛ مزيرعة؛ عين الناقة؛ زريبة الوادي؛ بئر باردو؛ ليانة؛ خنقة سيدي ناجي؛ بادس؛ زريبة حامد؛ الفيض؛ تنومة[9].

وانطلاقا من هذه المرحلة، ستعوض الزيبان التسمية القديمة الزاب[10]، وقد امتاز وطن الزيبان بقرى متعددة ومتجاورة، حيث عرف كل منها مشتملا باسم الزاب، فبالإضافة إلى: زاب بسكرة، زاب الدوسن، وزاب بادس، تكتمل صورة الزوابي الأخرى في شهادة ابن خلـــدون حين يقول:" وأولـها زاب

---

[1] علاوة عمارة، "التحولات المجالية والطبونيمية"، ص 18.

[2] Niox, *op. cit.,* p. 238.

[3] A.A.A, F°48, Carte Biskra; Niox, *Ibid,* p. 238 ; Baradez, *op. cit*., p. 147-149 ; Albertini, *op. cit*., p. 363-370.

[4] بالمقابل يرى نيوكس أن الدوسن ليس من مدن الزاب، يقول في هذا:" في الغرب من مدينة العمري، واحة الدوسن، التي لا تعتد ضمن بلاد الزاب". وفي رأينا الدوسن من مدن الزاب القديمة، ولا يمكن أبدا إسقاطها من مجالات الزاب بتاتا، لذا فالراجح أن قراءة ديلاتر هي الأدق من خلال رحلته إلى الزاب الغربي التي سار اليها في نهاية 1886م. يراجع:

- Niox *op. cit*., p. 236-237 ; Delattre, *op. cit*., p .262-273.

[5] ابن خلدون، المصدر نفسه، ج6، ص 47.

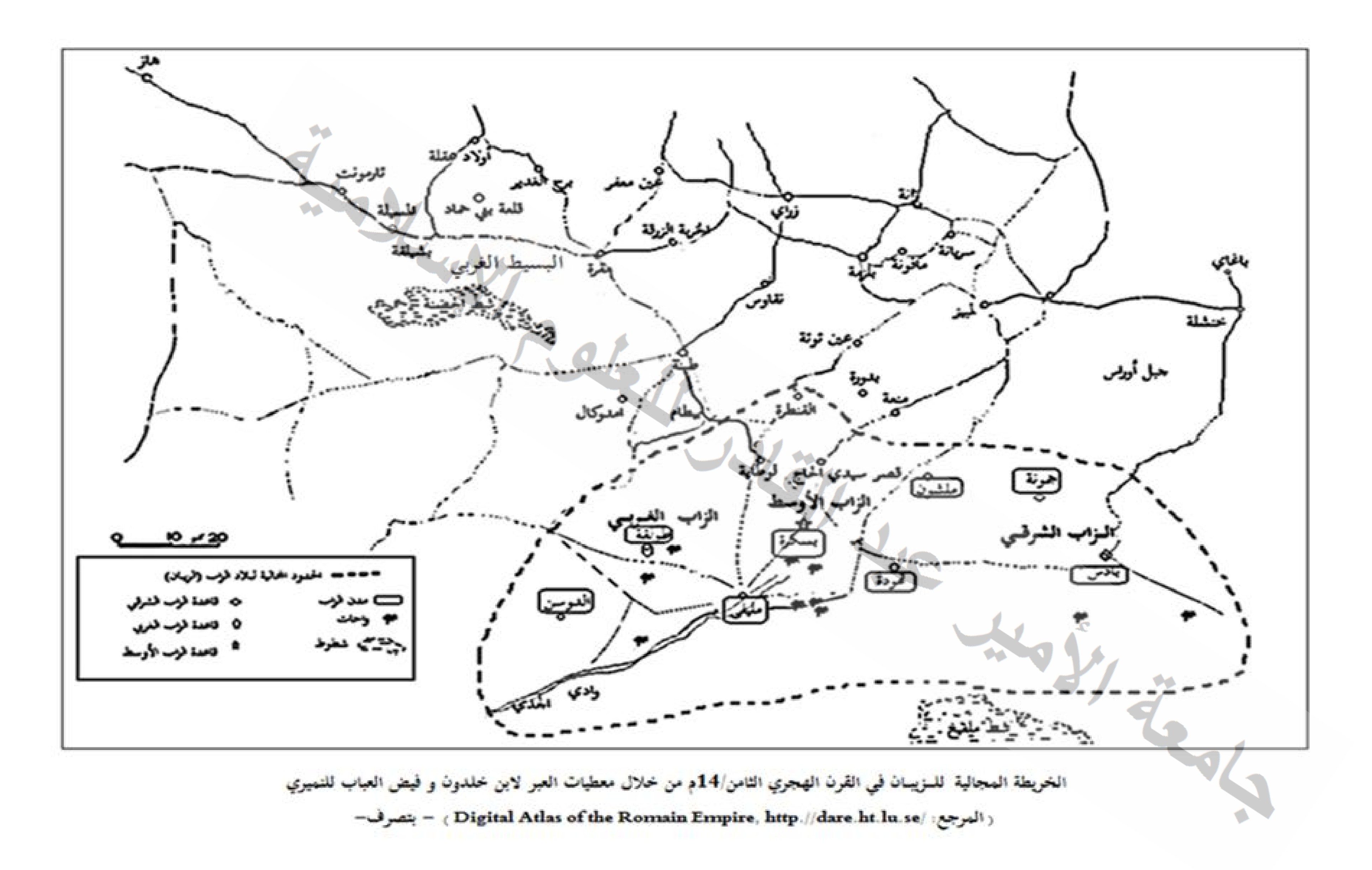
[6] Niox, *op. cit*., p. 237.

[7] ابن خلدون، نفسه، ج6، ص 47.

[8] Niox, *op. cit*., p. 237.

[9] Niox, *op. cit*., p. 237; De Torcy, *op. cit*., p. 20-23, A.A.A, F°49, Carte (Sidi Okba).

[10] علاوة عمارة، " بين جبل أوراس والواحات"، ترجمة: عبد القادر مباركية، ص 249.



الخريطة المجالية للزيبان في القرن الهجري الثامن/14م من خلال معطيات العبر لابن خلدون و فيض العباب للنميري

(المرجع: Digital Atlas of the Romain Empire, http.//dare.ht.lu.se/) – بتصرف–

الدوسن، ثم زاب طولقة، ثم زاب مليلة، وزاب بسكرة، وزاب تهودا، وزاب بادس"[1]. وقياسا بالمدن المشكلة للزوابي الثلاثة سالفة الذكر، تظهر بعض مدن وقرى الزاب المعروفة قبل هذه الفترة، وخلالها، نتحدث هنا عن: مليان؛ لميودة؛ جمونة؛ ملشون؛ حصن بشر[2].

كل هذه المعطيات السالفة تمكننا من ضبط الأضلاع الأربعة التقريبية لحدود الزاب خلال القرن الهجري الثامن/الرابع عشر الميلادي، حيث يكون محصورا شرقا وغربا، شمالا وجنوبا، كالآتي: جنوب أرواس؛ مجالات أولاد نايل والأغواط؛ البسيط الغربي بما فيها شط الحضنة- طبنة (ما يصطلح عليه الجزء المتقلص من الزاب الأعلى)؛ شط ملغيغ والواحات التي تلي الفضاء البسكري على طول طريق ورجلان وسوف.

3- الحفصيون ومحاولات الاسترداد:

في نهاية القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي ظهرت أزمة سلطة في الجنوب بين الحلف المكون من بني مزني وبني رياح، مع السلطان الحفصي أبي العباس، وهذا حين أعلنت عائلة بنو مزني العصيان والتمرد على بني حفص الذين بدأت شوكتهم تتقوى من جديد بعد الضعف الذي مس الجانبين الزياني، والمريني[3]. إن سياسة التسلط التي أظهرتها عائلة بني مزني ببلاد الزاب، وتقويهم بفرع الذواودة من بني رياح، قد مكنهم من تحدي السلطة المركزية الحفصية، حتى صار أحمد بن مزني:" مضطرب الطاعة يجير على السلطان ويمنع في أكثر السنين المغارم معولا على مدافعة العرب الذين ملكوا ضواحي الزاب والتلول دونه"[4].

إن استقبال أحمد بن مزني لصهره يحي بن يملول بعدما طرد من توزر، واستوطناه بلاد الزاب، وهو العدو اللدود للحفصيين، يذكر ذلك الزركشي قائلا:" وارتحل يغذ السير إلى توز وقد طار الخبر بفتح قفصة إلى ابن يملول فركب لحينه واحتمل أهله وما خف ولحق بالزاب"[5]، هذا الأمر أثار حفيظة السلطان أبو العباس أحمد، خاصة وأنه لما استعاد توز وملكها لابنه المستنصر[6]، اكتشف أن حاجب ابنه

---

[1] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 585.

[2] علاوة عمارة، " بين جبل أوراس والواحات"، ترجمة: عبد القادر مباركية، ص 249- 250.

[3] محمد العروسي المطوي، السلطنة الحفصية (تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986، ص 522.

[4] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 574.

[5] الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق: محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، د.ت، ص 109.

[6] ابن الشماع، المصدر السابق، ص 110.

الخلف ابن الخلف كان يراسل ابن يملول، يعقوب بن علي، وبن مزني ببلاد الزاب لإثارة الفتنة بمناطق الجنوب التي تملكها السلطان الحفصي كلها، وهو ما أكد للسلطان الحفصي النية السيئة لحكام الزاب، وخداعهم له[1].

لقد كانت موقعة تهودة إحدى فصول المواجهات المباشرة بين الحفصيين وبنو مزني-الذواودة، ففي حدود 786هـ/1384م يكون السلطان أبو العباس الحفصي قد تنبه للخداع السياسي الممنهج، والمتبع من قبل آل مزني، وتخفيهم وراء قوة شيوخ الذواودة من رياح[2]، هذا الانكشاف الواضح في سياسة بني مزني تجاه السلطة المركزية الحفصية، جعل السلطان يتجه للمواجهة العسكرية بعدما استحوذ بنو مزني على كل مداخيل المغارم والجبايات، يقول في ذلك ابن القنفد:" واستخلص الخليفة بعد استقراره بالحضرة جميع البلاد كلها إلا طرابلس وبسكرة فكانت تحت طاعته بنظر شيخهما(ويقصد أحمد المزني ويعقوب الذواودي) وتحرك الخليفة إلى الزاب سنة ست وثمانين وسبعمائة.."[3]. إن فشل الطرف الحفصي في هزم العرب، قد مهد إلى الدخول في أحلاف سرية مع الذواودة لتأليبهم ضد حليفهم بني مزني، لكنه فشل في مسعاه، لأن يعقوب بن علي الذواودي قد كان يخاف تمكن الحفصيين على مجالاتهم، وتقليص نفوذهم بالمنطقة لبني سليم[4]، وهو ما أجبره على الدخول في مفاوضات طويلة من السلطان الحفصي لتأمين توقفه عن المواجهة العسكرية، وهو ما حصل فعلا حيث ت مكنت بنو حلف الذواودة ومزني من العودة إلى الاستبداد بمجالاتهم القديمة-الجديدة، مع تظاهرهم بالولاء للسلطة الحفصية من خلال دفع المغارم من جديد لهم[5].

سابعا: بلاد الزاب حتى نهاية القرن الهجري التاسع/15م

1- مرحلة القطيعة مع العائلة المزنية:

في حدود 798هـ/1395م، وفي عهد آخر عظماء سلاطين بني حفص" أبو فارس عبد العزيز (796-838هـ/1394-1434م)[6]، تكون قسنطينة قد انتصبت إمارة حفصية بعد تقلبات كثيرة،

---

[1] الزركشي، المصدر نفسه، ص 109؛ ابن خلدون، المصدر نفسه، ج6، ص 574.

[2] ابن خلدون، المصدر نفسه، ج6، ص 574؛ محمد العروسي المطوي، المرجع السابق، ص 522-523.

[3] ابن القنفد، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تقديم وتحقيق: محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، تونس، 1968، ص 188.

[4] يقول في ذلك ابن خلدون:" واعصوصب الذواودة ومن معهم من قبائل رياح على المدافعة دون بسكرة والزاب غيرة من بني سليم أن يطرقوا أوطانهم أو يردوا مراعيهم إلى بني سباع بن شبل من الذواودة، فإنهم تحيزوا إلى السلطان (الحفصي يقصد)". المصدر السابق، ج6، ص 575.

[5] محمد العروسي المطوي، المرجع السابق، ص 523.

[6] الزركشي، المصدر السابق، ص 114-115.



كان آخرها تمرد أخيه السلطان أبو يحي أبو بكر، واشتغاله باللهو والملذات، وترك أمور الرعية، يقول في ذلك ابن الشمّاع[1]:"وكان أخوه المولى أبو بكر ولي العهد، فكان عاجزا عن القيام بأمر الخلافة، وذلك لاشتغاله باللهو وبما لا يفيد، فرضي بولاية قسنطينة"[2]؛ والظاهر أن حصار المدينة والذي طال أمده، وقارب في زمانه ثلاثة أسابيع قد أنهى بشكل شبه تام تلك الاضطرابات التي صاحبت إلحاق قسنطينة بالسلطة الحفصية[3]. الأكيد أن عيون بني مزني من بسكرة على ما يحدث في منطقتهم المفضلة، مازالت تلاحق أحداثها، والواجب إذا على أبي فارس العزيز أن يفكر مليا في قطف آخر عناقيد التمرد والطمع المزني على دولته الحفصية[4].

لقد توجت قناعة سلطان الحفصيين بضرورة استئصال كل الكيانات الصغرى التي كانت ولازالت تؤرق راحته واستقرار دولته، ولزاما اجتثاثها عن بكرة أبيها؛ فبعد وضعه حدا لدويلات طرابلس وقفصه وتوزر، لم يتبقى لبسط نفوذه التام على جنوب قسنطينة سوى استئناف حملته التي ابتدئها سنة 800هـ/1397م[5]. إن التشدّد الذي أبداه صاحب الزاب وبسكرة، وآخر أمراء بني مزني "أحمد بن يوسف"، قد انتهى إلى الأبد، ففي نهاية سنة 804هـ/1402م، كان أبو فارس عبد العزيز في عاصمته تونس، وقد تثبت ملك الحفصيين أخيرا بعدما دخل مدينة بني مزني منتصرا غانما[6]، وبحلول سنة 827هـ/1425م، صارت إفريقية والمغرب الأقصى والأوسط، بل والأندلس كلهم تحت السلطة الرمزية لأبي فارس العزيز، وبهذا استطاع هذا السلطان أن يستقر بدولته التي أصبحت أكثر اتساعا واستقرارا[7].

القطيعة المجالية مثّلها انتهاء حكم بني مزني، وتحول تبعيته بشكل نهائي إلى حكم أمير حفصي جديد، منهيا بذلك أمدا طويلا من الاستبداد المزني-المتغير بين بني مرين، الزيانيين، ثم الحفصيين، وقد وصف صاحب الفارسية جور، ظلم، واستبداد أحمد بني مزني فيقول:"ودعوة المظلوم قد تمكنت منه،

[1] الشمّاع: هو أبو العباس أحمد بن محمد الهنتاتي المشهور بـ "الشمّاع"، أخذ العلم عن بن عرفة، مثله مثل البرزلي و ابن ناجي وغيرهما، عاصر عظيم سلاطين الحفصيين أبي فارس العزيز، وقيل أنه هو من قرأ البيعة له كسلطان سنة 827هـ/1424م، شغل وظائف سامية في سلطنة أبي فارس، فعين كقاض لمحلته، وإماما خطيبا لجامع القصبة، ويقال أنه كان جليسا للسلطان، ومرافقه، مثلما كان عليه ابن الجزي مع ابن بطوطة، ولشهرته ومكانته العالية في دولة الحفصيين، فقد سميت إحدى مدراسهم باسمه "المدرسة الشماعية". ينظر: ابن الشماع، المصدر السابق، ص 15-16؛ الزركشي، المصدر السابق، ص 128.

[2] ابن الشماع، المصدر السابق، ص 111-112.

[3] روبار برنشفيك، المرجع السابق، ج1، ص 243.

[4] نفسه، ج1، ص 225 و 244.

[5] الزركشي، المصدر السابق، ص118؛ محمد العروسي المطوي، المرجع السابق، ص 564.

[6] روبار برنشفيك، المرجع السابق، ج1، ص 244 ؛ محمد العروسي المطوي، المرجع نفسه، ص 565.

[7] الزركشي، المصدر السابق، ص 126؛ السلاوي، المرجع السابق، ج4 (القسم الثاني/الدولة المرينية)، ص 91 (الهامش).

وازالت ما اعتاد من الستر عنه، وكانت نية الخليفة إبقاءه على ولايته، ولشناعة ظلمه وشكاية رعيته أمر الشرع بإزالته فأصرف"[1]، وأبرز صاحب تاريخ الدولتين نهاية حكم بني مزني بالزاب فيقول:" في سنة أربع وثمانمائة: رفع معه ابن مزني المذكور وقدم في البلد قائدا من قواده بعد أن مضت لأولاد ابن مزني بها المشيخة المستقلة نحو مائة وأربعين عاما منها لأحمد هذا أربعون سنة"[2].

2- إلحاق الزاب بقسنطينة الحفصية[3]:

تحولات جديدة طرأت على بلاد الزاب خلال النصف الثاني من القرن 9هـ/15م، فبعد أن أصبح الزاب إقليما حفصيا، تحت حكم قائد يعينه السلطان مباشرة، في النصف الأول من القرن التاسع الهجري، وقد كان أول حكامها أبو زيد بن عبد الرحمن الكلاعي[4]، وبحلول سنة 859 هـ/1455م قام السلطان أبو عمرو عثمان بن المنصور (839-894هـ/ 1435-1488م)[5] بضم مدن بلاد الزاب وتقرت إلى مجالات إمارة قسنطينة، وصارت تحت حكم مباشر من قبل ابنه وولي العهد أبي فارس عبد العزيز بن عثمان الحفيد الحاكم الجديد ببجاية، وقد نصب على رأس بسكرة والزاب حاكمها الجديد فارح بن منصور أبي علي المزوار، خلفا لأبي زيد الكلاعي، وهذا خلال الحركة التي استهلها السلطان في نهاية 858هـ/1454م، بعد أن ضيق" المفسدون بأطراف بجاية على قائدها (أبو المنصور المزوار) ومنعوه التصرف"[6].

في حدود 864هـ/1460م يظهر تغير في قائد بلاد الزاب بعد تغيير حاكم قسنطينة، حيث عزل السلطان أبو عمرو عثمان الحاكم القديم فارح، وقدم القائد ظافر بن جاء الخير "وصرفه إليها في أول محرم فاتح شهور عام أربع وستين(وثمانمائة)"[7]. ولم يطل بالقائد ظافر حكم قسنطينة، فبعدها بثلاث

---

[1] ابن القنفد، المصدر السابق، ص 198.

[2] الزركشي، المصدر نفسه، ص 122.

[3] يختصر الحسن الوزان بلاد الزاب في بسكرة، ويذكر أنه قد:" تعاقب على حكم المدينة رؤساء كثيرون.."، في حين يبرز الحاقها في قوله:" فكانت مدة خاضعة لملك تونس حتى وفاة الملك عثمان (أبو الحسن)". أي حتى 894هـ/1488م. ويؤكد إلحاقها بولاية قسنطينة، واستمرارها في عمالة قسنطينة صاحب جغرافية القطر الجزائري حين يقول:" عمالة قسنطينة وهي أعظم العمالات...أشهر مدنها بسكرة مدينة النخيل". ويفصّل في الزيبان حين يبرز واحاتها، فيقول:" وفيها بسكرة؛ سيدي عقبة (تهودة)؛ طولقة؛ ليشانة؛ أولاد جلال". الحسن الوزان، وصف افريقيا، ترجمة: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983، ج2، ص 138؛ أحمد توفيق المدني، جغرافية القطر الجزائري، تونس، 1948، ص 45و 67 و 92.

[4] الزركشي، المصدر السابق، ص 145؛ محمد العروسي المطوي، المرجع السابق، ص 622.

[5] ابن القنفد، المصدر السابق، ص 121(الهامش) و ص 140.

[6] الزركشي، المصدر السابق، ص 148.

[7] نفسه، ص 151.



سنين يتم عزله ويعقد للقائد بشير، يذكر ذلك صاحب تاريخ الدولتين في قوله:" وقائدا في البلد القائد بشيرا وعزل القائد ظافر"، في حين أصبح حفيد السلطان أبو عبد الله محمد المنتصر أميرا على قسنطينة[1].

والظاهر أن بعض من تبقى من الذواودة حكام الزاب القدامى، قد راهنوا على نصر بن صولة الذواودي للتملك لهم على قسنيطنة، واستعادة أمجاد قبيلهم بها، ففي جمادى الآخرة من سنة 869هـ/1465م يكون شيخ الذواودة قد استملك عنوة من مزوار قسنطينة القائد منصور الصبان بعض مدنه، وعلى الأرجح قد تكون بسكرة وماحولها مما امتلكه هذا الشيخ، لكن الأمر لم يدم طويلا، فقد عُهِد لولي العهد عبد الله محمد المسعود الأمر لاستعادة ما اغتصبه شيخ الذواودة من الحفصيين، واستطاع خلال شهر رمضان من نفس السنة من استعادة مدن ولاية قسنطينة إلى حكم الحفصيين، والقضاء على هذه الانتفاضة الرياحية[2].

ولم يستمر استقرار إمارة قسنطينة، فعلى عهد حاكمها أبي عبد الله المنصر الحفيد، حدثت انتفاضة كبيرة بجنوبها، بورقلة وتوقرت من بلاد ريغ، حيث استطاع أهلها أن يخرجوا عن حكم الحفصيين، مخالفين قوادها، والظاهر أن من تبقى من شيوخ الذواودة، هم من قاد هذه الانتفاضة، وعلى رأسهم محمد بن سباع بن أبي يونس الذواودي[3]، وقد سار السلطان بنفسه لردعهم، يذكر ذلك الزركشي، فيقول:" وفي ثاني عشر لذي الحجة من العام المذكور-869 خرج السلطان بمحلته ونزل بالزعترية وسار إلى بلاد ريغ وهدم سور تقرت لأجل فساد أهلها ومخالفتهم لقواده وألزمهم مالا عقوبة لهم فدفعوه، ثم سار إلى قرب وركلة فقدم فيها عاما، وأخذ منها ومن بلد ميزاب مالا جليلا وانصرف قافلا فوفد عليه في اثناء قفوله حفيده ...صاحب قسنطينة"[4].

بحلول سنة 882هـ/1477م، سيتم للدولة الحفصية الاستقرار بعد انجلاء ثورة العرب من مجالاتها، وسيتوفر ببلاد الزاب وماحولها الكثير من الأمن بعد أن دخل شيخ الذواودة بن صولة في حكم السلطان الحفصي، يذكر ذلك صاحب نزهة الأنظار فيقول:" وفي اواسط محرم سنة اثنين وثمانين وثمانمائة ورد على السلطان أبي عمرو عثمان، نصر بن صولة شيخ الذواودة طالبا عفوه فعفا عنه وأكرم نزله"[5].

[1] نفسه، ص 153.

[2] الزركشي، المصدر السابق، ص 155-156.

[3] نفسه، ص 157.

[4] نفسه، ص 156-157.

[5] محمود مقديش، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والاخبار، تحقيق: علي الزواوي ومحمد محفوظ، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1988، مج1، ص 604.

وقد دام عز الحفصيين حتى وصول النصارى إلى بلادهم أيام ضعف آخر سلاطينهم الحسن بن محمد بن الحسن[1].وستبقى بلاد الزاب في امارة قسنيطنة تحت حكم أبي زكرياء يحي بن محمد مسعود، الذي كان حتى السنوات العشر الأخيرة من القرن التاسع الهجري حاكما على قسنطينة، ثم يتحول إلى ولي عهد السلطان الحفصي بعد وفاة والده محمد المسعود في حدود 893هـ/1489م[2]، وبعد ارتقائه إلى سدة حكم الدولة الحفصية، خلفه على قسنطينة وبلاد الزاب ابن أخيه أبو بكر المنتصر[3].

3- المعالم الختامية لمجال الزاب نهاية القرن الهجري التاسع/15م:

لقد كان للقوى القبلية والأسرية التأثير العميق في حصر بلاد الزاب في واحات بسكرة، وهو التنظيم المجالي الذي ظهر منذ القرن السابع الهجري/13م، بعدما تقلص الزاب الأعلى من مجال الحضنة، إضافة إلى نقاوس، وحتى طبنة[4]، وسيتواصل حتى نهاية القرن التاسع الهجري/15م. تزامن هذا التنظيم المجالي مع حدث بارز مثله تغير في النظام السياسي في بلاد الزاب بعد إنهاء سلطة بني مزني منها[5]، أين أصبح ضمن إمارة قسنطينة الحفصية بقاعدتها بسكرة، وتحت حكم قادة يعينهم السلطان[6]، ثم تغير نظام الحكم فأصبحت إمارة قسنطينة ومدنها تحت حكم أمير من العائلة، في شاكلة أبي زكرياء يحي بن محمد، وأبي بكر المنتصر[7].

تُكمل المعطيات الجغرافية معرفتنا بمعالم الزاب في نهاية القرن التاسع الهجري/15م، ولعل أهمها الشهادة الواردة في وصف إفريقيا للوزان (توفي بعد 957هـ/1550م)، حيث يبرز المجال الجغرافي لبلاد الزاب في قوله:" يبتدئ غربا من تخوم مسيلة، ويحده شمالا جبال مملكة بجاية، ويمتد شرقا إلى بلاد الجريد التي توافق مملكة تونس، وجنوبا إلى القفاز التي تقطعها الطريق المؤدية من تقرت إلى وركلة"[8]. هذه المعطيات نجد لها حضور تام ومتصل في كتاب إفريقيا للمؤرخ والعسكري الاسباني مارمول كربخال (توفي على الأرجح بعد 979هـ/1571م)، وهو الكتاب المنسوخ بشكل كبير عن الحسن الوزان، مؤكدا على فرضيتنا التي طرحناها أول الدراسة، والمرتبطة بتحول طوبونيمي جاء نتيجة إختفاء نوميديا، ليحل محلها

[1] محمود مقديش، المرجع السابق، مج1، ص 606-608.

[2] محمد العروسي المطوي، المرجع السابق، ص 641.

[3] برنشفيك، المرجع السابق، ج1، ص 307.

[4] علاوة عمارة، " التحولات المجالية والطبونيمية"، ص 16؛ نفسه، "بين جبل الأوراس والواحات"، ترجمة: عبد القادر مباركية، ص 249.

[5] الزركشي، المصدر السابق، ص 122؛ ابن القنفد، المصدر السابق، ص 198.

[6] الزركشي، نفسه، ص 148.

[7] الزركشي، نفسه، ص 153؛ برنشفيك، المرجع السابق، ج1، ص 307؛ المطوي، المرجع السابق، ص 628-629 و 641.

[8] الحسن الوزان، وصف افريقيا، ج2، ص 138.

لفظ الزاب للدلالة على جنوب وصحراء نوميديا، يبرز في نصوصه بتكامل تام نفس معطيات الوزان في تحديد مجال الزاب[1].

أول الملاحظات في شهادتي الوزان وكربخال، انحصار المدن المشكلة لهذا الاقليم في خمسة مدن فقط، وهي: بسكرة؛ البرج؛ نفطة؛ طولقة؛ الدوسن[2]. كما نلاحظ كذلك غياب المدن والواحات المشهورة للزيبان خلال القرن الهجري الثامن/14م دون أن نجد لذلك أي تفسير. الجديد في شهادتهما ورود طوبونيم جديد، ونقصد (نفطة). الغموض الواضح في الطبونيم حاول تفسيره محمد حجي ومحمد الأخضر، والاعتقاد بأن الموقع المقصود في نص الوزان ومارمول هي أوماش الواقعة جنوب بسكرة[3].

وبالرجوع إلى المجال الجغرافي الوارد في كتابي وصف إفريقيا وإفريقيا، فإننا سنحصل على مدن كثيرة أخرى تنتمي إلى بلاد الزاب-البسكري على هذا العهد، ففي ذكره للحدود الغربية، يرى بأنها تبتدئ من تخوم المسيلة[4]. أما الحد الجنوبي فيضبطه بالمواقع التي تقطعها الطريق المؤدية إلى تقرت[5]، ووركلة[6]، ويمكن تمييز الكثير من المدن الواقعة في هذا القفاز[7]. والجانب الغربي فحده صحراء المسيلة والقريبة منها على غرار مجالات أولاد نايل والأغواط بمحاذاة الدوسن[8].

إن الحصر المجالي للزاب، والذي يظهر في نصوص القرن التاسع الهجري/15م، والتي جاءت حصرا عند الحسن الوزان ومارمول كربخال، لا تعدوا أن تكون تواصلا للمجال الزابي خلال القرن الماضي، والذي حددت أضلاعه الأربعة مصادر القرن الثامن/14م ممثلة في النميري، وابن خلدون: البسيط الغربي وشط الحضنة؛ جنوب أوراس، وهذا الحد برز منذ القرن الخامس الهجري، وتواصل حتى

---

[1] مارمول كربخال، إفريقيا، ترجمة: محمد حجي وآخرين، دار النشر المعرفة، الرباط، 1408-1409/1988-1989م، ج3، ص 167.

[2] الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 138-141؛ كربخال، المصدر السابق، ج3، ص 168-170.

[3] نفسه، ج2، ص 140 (الهامش). في حين يكون قد جانب الصواب تفسير مترجموا كتاب مارمول كربخال، أين طابقوا الموقع نفطة مع الموقع القريب من توزر التونسية، وهذه القراءة لا تصح لأن الفضاء البسكري لم يصل إلى حدود نفطة حتى في أقصى إتساع له، فما بالك بمرحلة التقلص الضمني خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين في الفضاء البسكري وواحاتها الشرقية والغربية.

[4] بمقارنة الحد الغربي للزاب البسكري بين القرنين الثامن عند ابن خلدون، والتاسع عند الوزان، فإننا نجد تواصلا تاما لهذا الحد. ابن خلدون، ج6، ص 46؛ الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 138.

[5] الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 134.

[6] كربخال، المصدر السابق، ج3، ص 166.

[7] الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 138؛ كربخال، المصدر السابق، ج3، ص 167.

[8] كربخال، المصدر السابق، ج3، ص 170.



القرن الثامن الهجري/14م:"مدينة بادس: وهي آخر بلاد الزاب"[1]؛ القفار التي تقطعها الطريق المؤدية من تقرت إلى وركلة[2]، تفصيل المدن المشكلة لحدود المجال الجنوبي للزاب نجدها عند صاحب تاريخ الدولتين:" بلاد ريغ، تقرت، وركلة، بلد ميزاب"[3]؛ ومجالات أولاد نايل، والأغواط[4].

يتواصل حضور صورة الخريطة المجالية للزيبان المحصورة في الفضاء البسكري وواحاته في النصوص الرحلاتية التي تلي الإطار الزمني للدراسة، على غرار رحلة العياشي، وفيها يظهر الزاب الجنوب شرقي بحده الملامس لخنشلة ومن ورائها الجنوب التونسي كما يذكر في طريق رحلته العياشي:" ارتحلنا من مدينة توزر...مررنا بنفطة، ونفطة مدينة كبيرة أيضا قريبة من توزر...ثم ارتحلنا من حاسي السلطان ولم نبت إلى قرب الكلابية...وارتحل الناس من الكلابية ونزلنا قرب الأعرج وفي ذلك اليوم خرجنا من الرمل إلى أرض صحيحة وجئنا إلى زريبة حامد ووجدنا عليها عرب"[5].

ويظهر بوضوح تواصل بسكرة كعاصمة للزيبان خلال رحلة العياشي:" بسكرة قاعدة بلاد الزاب"[6].

الحد المقابل لمجال الزيبان يمثله الزاب الغربي وتظهره بوضوح رحلتي: اليوسي، والعياشي، هذا الأخير يتحدث عن المواقع القريبة من آخر مدى للزاب الغربي، وبحسبه أولاد جلال وسيدي خالد وما يليهما، حيث يبرز للعيان المدن الجنوبية للمسيلة على غرار عين الريش؛ الأغواط؛ وبعض مجالات أولاد نايل[7]. معطيات العياشي نجدها متشابهة في رحلة اليوسي خلال عرضه لمسار رحلته من المغرب الأقصى، وهي مسار رحلات الحج المعتادة حين يتحدث عن مواقف ومحطات تنتمي لمجالات أولاد نايل والأغواط، قبل أن يلج إلى حدود الزاب الغربي[8].

[1] الاستبصار، ص 175. ويقارن حدود مجال الزاب شرقا خلال القرن الخامس الهجري/11م عند البكري، ج2، ص 257. مع ما أورده كل من: ابن خلدون ج6، ص585. والنميري برحلة فيض العباب في نهاية القرن الثامن الهجري/14م.

[2] الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 140.

[3] الزركشي، المصدر السابق، ص 156-157.

[4] العياشي، الرحلة العياشية، تحقيق: سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، دار السويدي، الإمارات، 2006، ج2، ص 545-546؛ اليوسي، رحلة اليوسي (الحجازية)، مركز ودود للمخطوطات، رقم 3128، ص 4-5 و.

[5] العياشي، المصدر السابق، ج2، ص 537.

[6] العياشي، المصدر السابق، ج2، ص 542.

[7] نفسه، ص 545.

[8] اليوسي، المصدر السابق، ص 4-5.

الفصل الثاني

تغيرات البنية الاجتماعية والخريطة البشرية لبلاد الزاب

(1-9هـ/7-15م)

الفصل الثاني

تغيرات البنية الاجتماعية والخريطة البشرية لبلاد الزاب (1-9هـ/7-15م)

لقد كان للحراك القبلي من خلال وفود جماعات جديدة على مجال الزاب، دور في تغيرات مستمرة للتركيبة الإثنية لمجتمع بلاد الزاب، كانت البداية مع الفاتحين الأمويين، ثم استمرت تدريجيا مابعد الصراع المذهبي الذي سيتحول تدريجيا إلى عسكري مع انتشار أفكار الجماعة الصفرية، ثم انبثاق الفصيل الإباضي محاولا خلق فضاء ونفوذ له بالأخص ببلاد الزاب.

هذا التغيير كان له أثر مباشر على نفوذ الكنفدراليات المحلية، والتي كانت يطلق عليها اسم "المور"، سرعان ما سيختفي هذا التصنيف من الخريطة البشرية للزاب، ويختفي معها كذلك بقايا الموروث اللاتينو-بيزنطي بعد تحولهم إلى اعتناق إسلام مالكي المذهب. بعد القرن الهجري الخامس/11م، سيكون التاريخ الاجتماعي للزاب مع مرحلة جديدة مثلها الحراك القبلي الهلالي إلى مجالاته، وهو ما سيعيد ترتيب الخريطة البشرية من جديد. هذه التغيرات التي طرأت على مجتمع الزاب منذ الفتح الأموي وحتى نهاية القرن الهجري التاسع/15م، سنحاول التطرق إليها بالتفصيل في الفصل الثاني، مع التعمق في انتشار وتوزع كل فئة في المدن المشكلة لمجال الزاب في كل مرحلة:

أولا: البنية الاجتماعية لبلاد الزاب من الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن 3هـ/9م

1- من المور إلى البربر: التحول الاجتماعي والعرقي الغامض

إن تبني التصنيف الوارد في المصادر العربية المتقدمة منها والمتأخرة، من خلال جمع كل الجماعات السكانية المستوطنة ببلاد المغرب إجمالا، والزاب خصوصا في مصطلح: البربر (*Barbarius*) بشقيه البتر والبرانس، وهي التسمية العرقية المتعارف عليها في الأدبيات اللاتينية إلى حدود القرن الميلادي الثالث[1] بالتفسير المتخلف والهمجي. هذا التصنيف في رأيي قد لا يصح، لأن تغييب الجماعات المورية "*Maures*"[2] من التركيبة الإثنية لمجتمع بلاد المغرب، يعد إلغاءً لهذه الجماعات التي كان لها حضور على أقل تقدير حتى القرن الميلادي السادس، بل أكثر من ذلك، كان لها طموح سياسي واضح، من خلال: "استرجاع الجغرافية المغربية وتشكيل ممالك، ولو أنها ظلت إقليمية وظرفية من الناحية الزمنية"[3].

مع إيف موديرن (Yves Modéran) تظهر أولى القراءات المتعلقة بهذه العناصر السكانية، ففي دراسته: "*Les Maures et l'Afrique romaine (IV^{e}-VII^{e} siècles*"، يحاول الإشارة إلى دور المور في

---

[1] علاوة عمارة، " التحولات المجالية والطبونيمية"، ص 14.

[2] محمد العربي عقون، الأمازيغ عبر التاريخ، التنوخي للطباعة والنشر والتوزيع، الرباط، 2010، ص 42.

[3] يوسف عيبش، المرجع السابق، ص 210.



الفتوحات الإسلامية الأولى على أيام الخليفة الأموي معاوية، وهو ما أظنه تأكيدا ضمنيا على أن مصطلح "المور" ليس المقصود به الجماعات التي كونت مقاطعة الموريطانية فقط من جهة، ومن جهة أخرى، على أن هذه الجماعات كان لها مواطن بحسب موديرن بكل من قفصة وبلاد الجريد، بل كل بلاد قسطيلية[1].

وانطلاقا من مصادر القرن الميلادي السادس على غرار الجوهانيد لكوريبيوس الذي اعتبر المور سبب البلاء في زمنه، وحرب الوندال لبروكوبيوس الذي ألصق بهم صفة اللاتحضر، بالإضافة إلى اعتماده مختلف النصوص المسيحية والأثرية، حاول يوسف عيبش تقصي الملف الموري، وانتهى إلى أربع مجموعات أساسية، لا يمكن تغييبها عن مجتمع بلاد المغرب، على غرار القبائل الصحراوية الطرابلسية في صورة لواتة (*Laguatan*)، وهوارة (*Avares*)[2].

وبحسب يوسف عيبش دائما، فقد إنتهى الكثير من الباحثين من شاكلة: برانغل وديهل وكورتوا، إلى فكرة أساسية انتهوا من خلالها إلى أن فترة القرن الميلادي السادس كانت فيه القبائل المورية متواجدة في كل المقاطعات الإفريقية، من خلال المطابقة والاعتماد على تواصل معالم الرومنة[3].

هذه الفكرة نجدها في قراءة إيف موديرن، انطلاقا من نصوص حرب الوندال لبروكوبيوس، يظهر المصطلحان: المور والبربر مترادفان دائمًا، ويستخدمان بشكل غير مباشر، أو حتى في وقت واحد لتعيين نفس المجموعة السكانية. وتظهر صورة لواتة (*Levathai*) إحدى القبائل الطرابلسية الصحراوية من خلال عدائها الدائم للإمبراطورية البيزنطية، مرتبطة بالمصطلح الإثني المزدوج "*les barbares Maures*". كما يظهر نفس المصلح الاثني السابق ونقصد" البرابرة الموريون" كأصدقاء وحلفاء للقائد الموري جيليمار "*Gélimer*" في آخر معاقله بجبل "*Pappua*"[4].

---

[1] « Comme peut-être déjà 'Muʿâwiyya' quelques années avant, 'Ukba' commença son invasion par un détour par le pays de Kastîlîya (le Djérid) et surtout par Gafsa, qui, outre la réputation de richesse de ces régions, fut probablement dû à la nécessité de soumettre des groupes maures voisins jugés inquiétants, les mêmes qu'en 647-648. Après des premiers succès marqués par la fondation de Kairouan, les Arabes rencontrèrent ensuite, au début des années 680 (?), une résistance organisée à Tahuda (Thouda, l'Antique Thabudeos), immédiatement à l'ouest de l'Aurès, qui fut fatale à 'Ukba ibn Nâfi'». Yves Modéran, *Les Maures et l'Afrique romaine (IVe-VIIe siècles)*, Publications de l'École française de Rome, Rome, 2003, p.761-810 (Chapitre 18. Les *Botr*, les *Branès*, et le monde berbère au vii^e siècle).

[2] يوسف عيبش، المرجع السابق، ص 195 و211.

[3] نفسه، ص 202 (الهامش).

[4] « Quant à la distinction entre barbares et Maures, elle s'avère, pour qui se penche sur l'intégralité de l'œuvre de Procope, absolument illusoire. Dans la Guerre vandale, les deux termes sont toujours synonymes, et employés indifféremment, ou même simultanément pour désigner le même groupe. Ainsi, par exemple, quand Procope décrit le mont Pappua, qui fut « la dernière retraite de =

وفي رأيي، يكون من الصعب تفسير الصورة الضبابية للتحول الذي طرأ على التسمية الاثنية للجماعات التي استقرت ببلاد الزاب خصوصا قبل زمن الفتح الاسلامي بفترة ليست بالطويلة، دون أن يكون هناك أي تفسير واضح لاختفاء مصطلحات إثنية أخرى كما هو حال الجيتول الذي يرجح اختفائه قبل مصطلح المور بفترة ليست بالقصيرة، وإلا كيف نفسر عدم حضوره في نصوص بروكوبيوس المتأخرة عن الفترة البيزنطية.

لقد أدت عملية الأسلمة والتعريب إلى تحول جذري في جوانب عدة، كان من بينها الشق الاجتماعي، فحضور مصطلح "البربر" على ساحة التوطين ببلاد الزاب، واختفاء مصطلح "المور" بشكل غامض وسريع من ساحة التوطين، مع ملاحظة استمرارية واضحة لبقايا الجاليات اللاتينو بيزنطية على غرار الأفارقة والروم لثلاثة قرون على الأقل بعد الفتح الأموي[1]، يجعل الإحاطة بالموضوع صعبا للغاية، وإعطاء أي تفسيرات من ضرب اللامنطقي في ظل تكرس الغموض بالأخص فيما يتعلق بالنصوص المصدرية الخاصة بالقرنين الأول والثاني الهجريين. وبحسب موديرن، فقد سقط الصمت الذي دام نصف قرن حول هذه الجماعات المورية مابعد أو غارة أموية في البيزسان (المزاق) أو الساحل[2].

2-العناصر المكونة لمجتمع الزاب من الفتح الإسلامي إلى نهاية (ق 3هـ/9م):

طرأ على العناصر المكونة لمجتمع بلاد الزاب تحولات جلية بعدما كانت قبل الفتوحات الاسلامية مستقرا لعناصر محلية تمثلها الكنفدراليات البربرية، بالإضافة إلى المركب البشري الثاني وهم الروم، سرعان ما سيؤدي وفود قبائل الجند في شقيها: العنصر العربي (المصرية والشامية)، بالإضافة إلى العنصر الفارسي، وبروز الجاليات المسيحية في صورة الأفارقة. تعدد العناصر والجاليات المستقرة بمدن الزاب بصبغتها الدينية (الإسلام)، أدى في الأخير إلى الاختفاء التدريجي لبقايا الجاليات اللاتينو بيزنطية، في حين ستنتزع قبائل الجند الحواضر من العناصر المحلية، وتنزاح هذه الأخيرة إلى الأرياف متأثرة في النهاية بإسلام على المذهب الإباضي. يمكن عرض العناصر المشكلة لمجتمع الزاب حتى نهاية القرن الهجري الثالث/التاسع الميلادي كالآتي:

= Gélimer» : des barbares Maures, amis et alliés de Gelimer, y habitent...Ou encore lorsqu'il évoque les grands ennemis de l'Empire en Tripolitaine : les barbares Maures, ceux qu'on appelle Levathai...A aucun moment, quel que soit le statut de leur chef, Procope ne songe à distinguer des Maures qui ne seraient pas des barbares ». Y. Modéran, *op. cit.*, p. 315-345 (Chapitre 8. Les Maures de l'intérieur au temps de la reconquête byzantine).

[1] اليعقوبي، المصدر السابق، ص 140.

[2] Modéran, *op. cit.*, p. 645-681 (Chapitre 15. L'Empire et les Maures, de 548 à la conquête Arabe).



أ- العناصر المحلية: البربر ــــ *Berbère* ــــ

أول العناصر المشكلة للتركيبة الإثنية لمجتمع بلاد الزاب مثلته فئة الجماعات المحلية، وتأتي أول إشارة إليهم من خلال الحملات العسكرية التي قادها عقبة بن نافع لفتح أحد أبرز مقاطعات إفريقية البيزنطية نوميديا أو بلاد الزاب، مثلته بداية الكنفدرالية القبلية الكبرى ببلاد هوارة، والتي حافظت على استمرارية الموروث الديني القديم، في صورة النصرانية،:" غزا عقبة ابن نافع، واستخلف على القيروان زهير بن قيس البلوي...فلقيه كسيلة بن كيزم[1] وكان نصرانيا "[2].

معطيات كتاب التاريخ لخليفة بن خياط نجدها مكتملة بصورة أدق في نصوص الرواية المصرية الممثلة خصوصا بابن عبد الحكم، والتي تستند في معظمها إلى سلطة الليث بن سعد المعنوية[3]، حيث يبرز عنصر البربر كأحد مكونات البنية الاجتماعية للزاب حتى نهاية القرن الهجري الأول، فيقول:" فانصرف إلى إفريقية، فلما دنا من ثغرها أمر أصحابه، فافترقوا عنه، وأذن لهم حتى بقي في قلة، فأخذ في مكان يقال له تهوذة، فعرض له كسيلة بن لمزم في جمع كثير من البربر"[4].

وتضيف لنا الرواية القيروانية الكثير من المعلومات حول هذه الفئة من مجتمع الزاب على عهد الفتح الأموي، وفي مقدمتهم أبي العرب بن تميم، فمن خلال قراءة متأنية لكتابه طبقات علماء إفريقية تبرز صورة البربر كعنصر تركيبي لمجتمع الزاب مقترنا في تحالف مع الجاليات اللاتينية (الروم) بتهودة كنموذج من مدن الزاب ضد الفاتحين الأمويين، يقول في هذا:" ذلك عقبة وأصحابه قتلهم البربر والنصارى بتهودة"[5].

---

[1] زعيم قبيلة أوربة ونجده في روايات أخرى: كسيلة بن لمزم/لمرم أو بن لزم.

[2] خليفة ابن خياط، المصدر السابق، ص 251.

[3] الليث بن سعد: هو الإمام أبو الحارث الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي (ت 175هـ/791م)، مولده بمصر، وأصل عائلته من أصبهان (فرس/عجم)، عاصر الإمام مالك بن أنس، وكان من أصدقائه على ذاك الزمان، ويقال أنه جاوزه علما، اشتهر بذكائه، وعلمه، وثرائه، قال فيه ابن وهب" لولا أن الله أنقذني بمالك والليث لهلكت"، وكان ممن يشار في الروايات إذا اشتبهت على الأئمة، كان بينه وبين الإمام مالك خلافات فقهية كثيرة، على غرار العمل بعمل أهل المدينة الذي اعتده مالك ركنا من أركان مذهبه، وقد روى عنه خلق كثير منهم ابن عجلان شيخه، وابن لهيعة، وهشيم، وابن وهب، وابن المبارك. يراجع: ابن قتيبة، المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، دار المعارف، القاهرة، 1981، ص 505-506؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1971، ج4، ص 129-132؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، 1422هـ/2001م، ج8، ص 137-147؛ أبو المحاسن، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب، د.ت، ج2، ص 82؛ السيد أحمد خليل، الليث بن سعد، فقيه مصر، دار المعارف، القاهرة، 1969، ص 62 ومابعدها.

[4] ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ج1، ص 267-268.

[5] أبو العرب، طبقات علماء إفريقية، ص 10.



إن القراءة الشاملة لكتاب رياض النفوس تسمح بتمييز كذلك عنصر البربر كفئة أساسية من المجتمع ببلاد الزاب على الأقل حتى عهد الفتح الأموي، وينطلق المالكي من روايات شهر بن حوشب، أبي عبد الله الأجدابي، وأبي العرب بن تميم، مبرزا على مكانة البربر في مجتمع الزاب، وقوته مقارنة بالجماعات الغازية والدخيلة[1]. وتبرز لنا الروايات المصدرية تزعم أوربة للبربر في هذه الفترة من خلال قيادتها للحلف المشترك للجماعات المحلية وبقايا الجالية اللاتينية أو فئة الروم، منذ عهد المهاجر ابن أبي دينار، وحتى على عهدي عقبة وزهير بن قيس البلوي[2].

إن النص الوارد في تاريخ ابن خلدون يبرز بوضوح فروع الجماعات البربرية التي كانت تتزعمها أوربة:" كانت البطون التي فيها الكثرة والغلب من هؤلاء البربر البتر كلهم لعهد الفتح أوربة وهوارة وصنهاجة من البرانس، ونفوسة وزناتة ومطغرة ونفزاوة من البتر، وكان التقدم لعهد الفتح لأوربة هؤلاء بما كانوا أكثر عددا وأشد بأسا وقوة"[3].

خلال القرن الهجري الثاني/الثامن الميلادي ستنزاح المجموعات السكانية المحلية إلى الأرياف بعدما استحوذ العنصر العربي والفارسي ممثلين في الجند الوافد على مدن الزاب، مما أكسبهم مواطن قديمة كانت تحت نفوذ العناصر المحلية. هذه الوضعية الجديدة مهدت لتقوي الفكر الإباضي بالمجالات الريفية بعدما تحول إلى تشكيلة محلية (البربر) بإسلام إباضي يتبع إلى مركزه بتاهرت[4].

لقد تخلت أخيرا الجماعات المحلية عن تحالفها القديم بعدما تحول البعض من الشريك القديم ممثلا في بقايا الجاليات اللاتينو بيزنطية (الأفارقة-الروم) إلى الجنوب في محاولة منها لتفادي تأثيرات مراكز الأسلمة والتعريب على موروثهم الثقافي بشقيه اللغة والدين، في حين استمرار حضور البعض الآخر من هذه الجاليات مستقرة بمواطنها القديمة حتى النصف الثاني من القرن الهجري الثالث/التاسع الميلادي[5]. لقد نجحت أخيرا الجماعات المحلية (البربر) في تشكيل حلف مذهبي جديد لأغراض سلطوية، متجاوزين بذلك طبيعة العناصر الجديدة التي ستتحالف معها ضد السلطة الأموية[6] ثم العباسية والأغلبية[7]، مما يحيلنا إلى مقاطعة على الأقل بمذهبين، أولهما بالمدن ممثل للسلطة، والآخر ريفي- محلي إباضي.

[1] المالكي، المصدر السابق، ج1، ص 39 و44.

[2] نفسه، ج1، ص 33 ؛ الرقيق، المصدر السابق، ص 15-18؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 193-194.

[3] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 192.

[4] علاوة عمارة، " الهجرة الهلالية وأثرها"، ص 78.

[5] اليعقوبي، المصدر السابق، ص 140.

[6] خليفة بن خياط، المصدر السابق، ص 355؛ الرقيق، المصدر السابق، ص 80.

[7] الرقيق، المصدر السابق، ص 105؛ النويري، المصدر السابق، ج24، ص 42-43.

سيتواصل خلال القرن الهجري الثالث/التاسع الميلادي حضور العنصر المحلي بشكل لافت في جل أرياف الزاب كما هو الحال بطبنة التي كان حولها بطون كثيرة من زناتة على غرار بني زنداج وكريره وسادينه، وبريف بغاي استقرت بقايا هوارة بمواطنها الواسعة والممتدة حتى جبل أوراس، ونفس الحضور للعنصر المحلي نجده بتيجس أين نلاحظ استقرار البربر الذين زاوجوا بين لغتهم ولغة العجم ويظهر ذلك من خلال مصطلح "بربر عجم"[1]. وبريف نقاوس استقر بطن زناتة مكناسة وحولهم قبيل أوربة. وبجنوب المسيلة سكنت جموع بني برزال الزناتية معتنقين اسلاما إباضيا[2].

ب- بقايا الجاليات اللاتينو بيزنطية: الروم والأفارقة

ب-1- الروم ـــــ *Rûm* ـــــ

العنصر الثاني الذي برز بوضوح منذ القرن الهجري الأول/السابع الميلادي بالأخص في روايات الفتح الأموي، وشكل أحد عناصر التركيبة الإثنية لبلاد الزاب جنبا إلى جنب مع الجماعات المحلية، وسيستمر حضور بعضها ضمن العناصر البشرية المكونة لبلاد الزاب حتى النصف الثاني من القرن الهجري الثالث /التاسع الميلادي، ويتعلق الأمر بفئة الروم[3]. إن هذا الاثنونيم يبقى غامضا لحد كبير، نظرا لعمق المصطلح في حد ذاته، مما أدى إلى ظهور نقاش متباين حول هذا المصطلح في عدد من الدراسات[4].

فهل يمكن تأكيد تمدد الرومان والبيزنطيين في الجنوب النوميدي؟ وماهي الشواهد على استقرار جالياتهم بهذا المجال من المقاطعة الافريقو بيزنطية ؟

ليس هناك أدنى شك في بلوغ التغلغل الروماني أقصى اتساع له نحو الجنوب النوميدي ونقصد هنا بسكرة وواحاتها، في حين يبقى الغموض يكتنف العهد البيزنطي الذي دار بخصوصه الكثير من النقاش حول الشواهد الدالة على هذا التمدد البيزنطي في الجنوب: من ضمن الباحثين الذين ينفون وجود شواهد على تغلغل النفوذ البيزنطي في جنوب أوراس، نذكر: ديهل (Diehl)، غزال (Gsell)، ولاسوس (Lassus)، هذا الأخير يستبعد بشكل كلي فرضية امتداد النفوذ البيزنطي بالجنوب[5]. بالمقابل نجد بعض الدراسات التي أكدت وجود تغلغل بيزنطي في جنوب أوراس، على غرار ألبرتيني (Albertini) معتمدا

---

[1] اليعقوبي، المصدر السابق، ص 140.

[2] نفسه، ص 141.

[3] يشير اليعقوبي إلى تواصل وجود جماعات (الروم) في مدن الزاب إلى غاية النصف الثاني من القرن الثالث الهجري/9م.

[4] يراجع هذه الدراسات عند: علاوة عمارة، " موقع تلمسان"، ص 25 (الهامش).

[5] يوسف عيبش، المرجع السابق، ص 48.



الألواح المكتشفة وخصوصا نقيشة نقرين، والتي اعتبرها دليلا قطعيا على وجود بيزنطي بجنوب أوراس[1]. هذه الفرضية نجدها كذلك عند دوسنغ (Desanges) منطلقا من كتاب المنجزات لبروكوبيوس مقاربا مدنا ظهرت به مثل بغاي وبادس. أما تروسي (Trousset) فقد اعتمد خلال دراسته للتخوم الجنوبية على المسلك طبنة- الجريد الذي حدد بسط النفوذ البيزنطي بالجنوب[2].

لقد أشارت النصوص المصدرية الأولى إلى استقرار الروم ببلاد الزاب في المدن، من خلال انتشار حاميات بيزنطية بالمناطق الشمالية، الشرقية، والغربية لبلاد الزاب، ومن الأمثلة على ذلك، الحاميات الموجودة في مدينة باغاية، يذكرها الرقيق:" ودخل بقية الروم حصنهم"، وكذا الحامية الموجودة بقاعدة الزاب أدنة:" فلما بلغهم قدوم المسلمين عليهم هربوا إلى حصنهم"[3].

وهناك من يرى تغلغل الروم في الأرياف وبها استقروا، ويبرز هذا في الروايات التي تظهر تحصينات بيزنطية في عمق الزاب، مثلتها مدينة تهوذة التي ارتبطت باستشهاد عقبة بن نافع وأصحابه[4]، مما يؤكد على تغلغل التوطين بالنسبة لعنصر الروم ببلاد الزاب، تبرز في رواية صاحب نهاية الأرب:" وسار إلى تهوذة لينظر إليها وإلى بادس، ويعرف ما يسدهما من الفرسان"[5]، وهذه الرواية نجدها مكتملة عند إبن أبي دينار في قوله: "وبقي في نفر يسير من أصحابه إلى أن بلغ تهوذة وبادس فغلقوا أبوابهم دونه وشتموه من أعلى أسوارهم"[6].

وبحسب فيرجيني بريفوست (Virginie Prévost) فمصطلح الروم يشير إلى البيزنطيين الذين رفضوا النزوح الناجم عن وصول العرب الفاتحين، بل حافظوا على موروثهم اللغوي والديني، باستثناء أولئك الذين اعتنقوا الإسلام، والذين بقوا في مواطنهم القديمة محتفظين بممتلكاتهم أو إقطاعاتهم؛ وبقت هذه الجماعات الرومية متميزة عن نظيرتها اللاتينية (الأفارقة) على الأقل إلى غاية القرن الثالث الهجري/9م[7].

[1] يوسف عيبش، المرجع السابق، ص 48.

[2] نفسه، ص 49.

[3] الرقيق، المصدر السابق، ص 10؛ المالكي، المصدر السابق، ج1، ص 35-36

[4] أبو العرب، طبقات علماء إفريقية، ص 10؛ نفسه، كتاب المحن، ص 290.

[5] النويري، المصدر السابق، ج 24، ص 15.

[6] ابن أبي دينار، المرجع السابق، ص 29.

[7]« Rûm sont les Byzantins qui ont manqué l'exode provoqué par l'arrivée des Arabes et sont restés de pure race ; ils disparaîtront rapidement. Furent forcés d'émigrer « à l'exception de ceuxqui se sont convertis à l'islam, qui sont restés dans leur région et ont conservé leurs biens ». Virginie Prévost, « Les dernières communautés chrétiennes autochtones d'Afrique du Nord », *revue de l'histoire des religions*, 4 (2007), p. 464 - 469.

هذه النظرية نجدها حاضرة في دراسة هشام جعيط[1]، حيث أكد بأن كلمة الروم (*Rûms*) تشير إلى بقايا البيزنطيين أو ذريتهم، والذين أدمج بعضهم لاحقا في الإدارة، والبعض الآخر عمل في التجارة أو الزراعة لاسيما في بلاد الزاب والجريد[2].

إن النصوص التي يوردها التجاني في رحلته، تؤكد المجالات التي استقر بها الفصيل المتبقي من فئة الروم بعد الفتح الإسلامي، بالأخص في الجنوب من بلاد الزاب، وتوزر التي لا يفرق بينها وبين بادس الزاب إلا أول بلد سماطة قيطون بياضة، وبينها وبين بسكرة خمسة أيام[3]، وفي هذا يقول:" وأهل توزر من بقايا الروم الذين كانوا بإفريقية قبل الفتح الإسلامي، وكذلك أكثر بلاد الجريد لأنهم في حين دخول المسلمين أسلموا على أموالهم، وفيهم قوم من العرب الذين سكنوها بعد الافتتاح، وفيها أيضا من البربر الذين دخلوها في قديم الزمان...حتى جاء الإسلام وافتتحت البلاد فر جميع من فيها إلا من أسلم أو أدى الجزية كأهل الجريد"[4].

لقد قدمت لنا نادية الشيخ تفسيرا لكلمة (*rūm*)، حين أشارت إلى أنها تشير إلى الرومان، والبيزنطيين والمسيحيين الملائكيين[5]، وهذه النظرة إنما قُدِّمت إنطلاقا من سرعة إختفاء هذه الجماعات من ساحة التوطين ببلاد الزاب خصوصا، أين لا يظهر مصطلح (الروم) في التركيبة الإثنية لبلاد الزاب مابعد القرن الرابع الهجري/10م[6]، مما يرجح تحولهم التام إلى الاسلام بصبغته المالكية تحت مسمى برقجانة. كما طبع تادوتش لفيتشكي (Tadeusz Lewicki) على كلمة (الروم) صبغة دينية بحتة، مثلت بقايا الجماعات الرومانية-المسيحية بشتى أطيافها (محلية وغير عربية)، والتي بقيت مستقرة بالأرياف بحسبه حتى مابعد ثورة صاحب الحمار، وهذا من خلال عرضه، لآثار ثورة يزيد النكاري "خراب العنصر المسيحي-الروماني من المغرب"[7].

---

[1] « L'Afrique arabe au VIIIe siècle (86-184 H./705-800) », *Annales. Économies, Sociétés, Civilisations*, 28-3 (1973), p. 601-621.

[2] « Rûms étaient donc les Byzantins restés sur place ou leurs descendants. Certains furent intégrés à l'administration, d'autres s'adonnèrent au commerce ou à l'agriculture notamment dans le Djérid et dans le Zâb ». Djait, *Ibid*, p. 613.

[3] البكري، المصدر السابق، ج2، ص 257.

[4] التجاني، رحلة التجاني، تقديم: حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، ليبيا-تونس، 1981، ص 159-160.

[5] «Dans la littérature arabe. Le mot ***rūm*** apparaît dans la littérature arabe pour désigner indifféremment les Romains, les Byzantins et les Chrétiens melkites… ».Voir : Nadia el-Cheikh and Bosworth, C.E, «***Rūm***», Encyclopédie de l'Islam, Leiden, Brill, Online : http://dx.doi.org/10.1163/9789004206106_eifo_COM_0939.

[6] Prévost, *op. cit.*, p. 461.

[7] Tadeusz Lewicki, « Une langue romane oubliée de l'Afrique du Nord. Observations d'un arabisant », *Rocznik Orientalistyczny*, 17 (1951-1952), p. 421.

مع جورج مارسي (Georges Marçais)[1] تكتمل صورة مفهوم إثنونيم الروم بشكل واضح، فيرى مارسي أنهم يمثلون بقايا الموروث القديم، وعاشوا جنبا إلى جنب مع الأفارقة في نفس المجالات سابقا، على غرار طبنة الزاب[2]، وهو ما يؤكد فعلا على توازي موروثهم الثقافي (اللغة والدين)، وسعيا منهم للمحافظة عليه، نلاحظ نزوح هذه الجماعات في اتجاه الجنوب بعيدا عن مراكز التعريب، للحفاظ على موروثهم اللغوي اللاتيني من جهة، وموروثهم الديني-المسيحي من جهة ثانية، حيث تمددوا باتجاه بلاد الجريد جنوب الزاب، واصطنعوا لأنفسهم مجالات جديدة[3].

وبالرجوع إلى المصادر الوسيطة، فالمعطيات الدقيقة التي يقدمها النويري حول إثنونيم (الروم)، وهذا خلال عرضه لحملة حسان بن النعمان الثانية، وفكرة تخريب إفريقية:" وكانت إفريقية من طرابلس إلى طنجة"[4] كما روي عن ابن أنعم[5]، من قبل الكاهنة، تؤكد على أن (الروم) هم على الأرجح بقايا الموروث الديني- اللغوي للبيزنطيين ببلاد الزاب، ويظهر هذا في قوله:" لقيه جمع من أهلها من الروم يستغيثون به من الكاهنة"[6].

وقد أشار ابن وردان إلى أن لفظ الروم أطلق على البيزنطيين الذين وجدوا أثناء الفتح العربي لبلاد المغرب، وكانوا حكام البلاد على ذاك الزمان، لكنهم بدأوا في الاندثار تدريجيا، ولم تظهر صورهم إلا في جماعات قليلة بقرطاجنة خاصة ببلاد إفريقية، وفي بلاد الجريد أين نزحوا على هناك، لكن مع مرور الوقت سيختفي هذا المصطلح نهائيا من التركيبة الإثنية لبلاد الزاب خاصة، حيث أن:" أغلبهم اعتنقوا الإسلام وذابوا في سكان البلاد إلا من هاجر منهم إلى صقلية وغيرها"[7].

وتبرز الفئة النصرانية ضمن مكونات مجتمع الزاب بالخصوص خلال القرن الهجري الأول/السابع الميلادي، وجاءت الإشارة لها عند خليفة بن الخياط في معرض حديثه عن استشهاد عقبة بن نافع في

---

[1] Georges Marçais, « La berbérie au IX^{e} Siècle D'après El- Ya'qoubi», *Revue Africaine*, 85 (1941), p. 40-61.

[2] اليعقوبي، المصدر السابق، ص 140.

[3] Marçais, *Ibid*, p. 48-49.

[4] جاء في رواية الرقيق والنويري أن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم قد حدد مجال إفريقية من طرابلس إلى طنجة.، وأغلب الظن فإفريقية لم تتجاوز في حدودها الغربية الثغر (طبنة) خلال هذه الفترة بحسب المصدرين، ولم تتعد أشير زيري في القرن الخامس هـ/11م، فكيف تكون طنجة ضمن مجالاتها، وقد يقصد هنا طبنة وليس طنجة. يراجع الكتابات الفقهية التي نسبت للفقيه محمد سحنون، والواردة في دراسة: علاوة عمارة، "التحولات المجالية والطبونيمية"، ص 13.

[5] هو عبد الرحمن بن زياد بن أنعم، سمع من جلة التابعين، تولى القضاء في إفريقية (القيروان)، وكان عدلا صلبا في قضائه، توفي سنة 161هـ/778م. أبو العرب، طبقات علماء إفريقية، ص 27-33؛ الرقيق، المصدر السابق، 127-130

[6] النويري، المصدر السابق، ج24، ص 19.

[7] ابن وردان، المصدر السابق، ص 21.



تهودة، فيقول عن أولية النصرانية في أوساط الجماعات المحلية ببلاد الزاب وغيره، على غرار قبيلة أوربة: "واستخلف على القيروان زهير بن قيس البلوي، فأتى السوس القصوى فغنم وسلم وقفل، فلقيه كسيلة بن كيزم[1] -وكان نصرانيا- فقتل عقبة بن نافع وأبو المهاجر من الأنصار وعامة أصحابه"[2].

ويرى صاحب العبر، بأن أوربة قد دانت بالنصرانية، وكانت رياسة البربر لكسيلة بن لزم، وهو رأس البرانس، ومرادفه سكرديد بن رومي بن مازرن من أوربة، وكان على دين النصرانية فأسلما لأول الفتح، وقيل في عهد أبي المهاجر دينار، ثم ارتدوا في ولاية عقبة بن نافع بعدما سخر من زعيم أوربة كسيلة، واستهان به[3].

ب-2- الأفارقة ــــ *Afâriqa* ــــ

المركب البشري الثالث لمدن الزاب مثلته فئة الأفارقة بقايا الثقافة اللاتينية بديانتها المسيحية كشاهد على تغلغل الثقافة الرومانية بهذه المدن على غرار طبنة، واعتناق العناصر المحلية (البربر) لها[4]. ويقدمهم العربي العقون على أنهم نتاج التعقدات السوسيولوجية أو العرقية، فهم البربر المترومنون في المدن والأرياف وحتى في عمق البلاد أحيانا[5]. في حين أشارت فيرجيني بريفوست، إلى أن لفظ (الأفارقة) تعبر عن الجماعات المنحدرة من البربر المترومنين، ويدينون بالمسيحية كأقدم ديانة بولاية إفريقية بالمدن والأرياف، محافظين بذلك على الموروث اللغوي اللاتيني والديانة حتى بعد الفتح الاسلامي[6]. والظاهر أن الأفارقة لم يقتصر وجودهم ببلاد الزاب فقط، بل توزعوا بكامل المجالات القريبة منها، خصوصا الأرياف التونسية على غرار توزر[7].

---

[1] هذا اللفظ للقب كسيلة لم يرد في أي من النسختين التونسية، ولا الباريسية، ففي النسخة الباريسية ورد بلفظ (لمرم)، أما في النسخة التونسية فقد ورد (لمزم)، وهو الراجح في أغلب المصادر. ينظر: ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 193 (الهامش).

[2] ابن الخياط، المصدر السابق، ص 251.

[3] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 192-193؛ وللاستزادة ينظر نفس الرواية في المصادر المتقدمة قبل ابن خلدون: المالكي، المصدر السابق، ج1، ص 33 و 40؛ وينظر أيضا: يوسف عييش، المرجع السابق، ص 144. وقد أشار علاوة عمارة إلى أن رواية [وصول أبي المهاجر إلى تلمسان] تكاد تكون أسطورية، خاصة وأن أبو المهاجر دينار يكون قد تمركزت حملاته في نوميديا الشمالية، والتي تمتد حتى ميلة أول حدود بلاد الزاب في الشق الجنوبي لمقاطعة نوميديا، كما رجح علاوة عمارة إلى أنه من الصعوبة تصديق توجيه حملة انطلاقا من الهضاب باتجاه الغرب ناحية تلمسان، وأغلب الجهة الشمالية لتيهرت مجالات للجماعات النصرانية. للاستزادة، يراجع: علاوة عمارة، " موقع تلمسان "، ص 16-17.

[4] علاوة عمارة، "الهجرة الهلالية وأثرها"، ص 78.

[5] العربي العقون، المرجع السابق، ص 42.

[6] Prévost, *op. cit*., p. 469-470.

[7] « Les Afâriqa, descendants des Berbères romanisés, forment la population christianisée la plus ancienne de l'Ifrîqiya ; ils sont le plus souvent sédentaires, citadins ou ruraux. Si les Rûm perpétuent l'usage du grec, les Afâriqa parlent un latin typiquement africain, lié au culte chrétien=



ويقدم لنا هشام جعيط مدلول الأفارقة، حين يشير إلى أنهم الشاهد الحقيقي على الوجود الروماني بالمنطقة، وهم نتاج عن التلاقح الروماني-البربري، حيث تحول البربر من عناصر أصيلة إلى عناصر مرومنة بفعل تأثرهم بسياسة الرومنة، وحملوا بذلك الديانة الرومانية ممثلة في المسيحية، وأكد على أن هذه الجماعات قد حافظت بشكل لافت على الموروث الروماني القديم من لغة ودين، واستمرت بينهم ببلاد الزاب وحتى بلاد الجريد، وكذلك الجماعات المحلية من البربر التي اعتنقت المسيحية، واستقرت بالخصوص في بلاد الزاب وبلاد الجريد، وقد قبلت هذه الجماعات الاستقرار في كنف حكام جدد، مع الحفاظ على موروثهم الثقافي (الدين-اللغة)، معترفين بقوانين دفع الجزية[1]، والخراج على الاراضي التي بقت ملكهم[2].

بالإضافة إلى كل هؤلاء، حاول مارسي أن يضبط مفهوم الأفارقة من خلال اندماج الجماعات البربرية في اللاتينية وفئة اللاتينيين في الافريقية، فالبربر يكونون قد تأثروا باللغة اللاتينية، وأصبحوا يتحدثون بها، ويمزجونها مع لغتهم الأصيلة، واللاتين تأثروا بالثقافة البربرية بفضل اتصالهم المباشر معهم[3]، هذا التعايش السلمي، جعلهم يتحولون إلى لاتين-أفارقة، ونرجح تعلمهم التام للغة البربر، كما يشير إلى مواطن الاستقرار الخاصة بالأفارقة وأنها نفس تقريبا المناطق الخاصة بفئة الروم[4].

ت- قبائل الجند: العنصرين العربي والفارسي

تشير الشواهد التاريخية إلى أن عملية الأسلمة والتعريب التي شملت أغلب بلاد المغرب، قد كان لها دور في استقرار بعض الجاليات العربية- المشرقية بإفريقية عموما، وبنواحي بلاد الزاب خصوصا[5]،

= région éloignée des centres d'arabisation, les Afâriqa ont pu conserver leur langue et leur foi, ou tout au moins le souvenir de leur récente conversion ». Prévost, *Ibid*, p. 480.

[1] « Les Afâriqa, eux, étaient des Romains, entendons par là des Africains— essentiellement d'origine berbère — romanisés et christianisés. Ils étaient en somme les témoins vivants de l'ancienne domination romaine...Arrachés de longue date à leurs liens tribaux, ils furent intégrés à la civilisation latine sous les deux formes urbaine et rurale. Aussi devaient-ils au poids de ce passé d'être des éléments d'ordre et de rester fidèles à leurs croyances chrétiennes tout autant qu'à la langue latine. Plus tard, les géographes arabes les mentionneront dans le Sud... A n'en pas douter, ils devaient y être aussi fixés…et dans le Zâb». Djait, *op. cit*., p. 608-613.

[2] يورد ابن عبد الحكم ما طبق من قوانين الخراج في حق غير المسلمين من البربر والروم و الأفارقة والعجم على عهد حسان بن النعمان، فيقول:" ودون الدواوين، ووضع الخراج على عجم إفريقية، وعلى من أقام معهم على النصرانية من البربر، وعامتهم من البرانس إلا قليلا من البتر". يراجع: ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ج1، ص 271. ويراجع: التجاني، المصدر السابق، ص 159.

[3] وهناك إشارات إلى وجود حالات مصاهرة فعلية حدثت في تلك الفترة، وقبلها، مابين البربر والبيزنطيين اللاتين.

[4] « Les Afriq, Berbères latinisés ou Latin africanisés, se localisent à peu près dans les mêmes régions que les Roûm ». Marçais, *op. cit*., p. 48.

[5] محمد حسن، الجغرافيا التاريخية لإفريقية، ص 14-15.



لكن أول الإشارات لهذا الاستقرار بمجالات الزاب كانت في عهد أبي المهاجر دينار[1] مولى مسلمة بن مخلد الأنصاري، والذي تم تعيينه سنة 55هـ/674م من قبل الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان خلفا لعقبة بن نافع في حملة فتوحاته الأولى[2]، ويشير خليفة بن خياط إلى استقرار العرب بمجالات الزاب من خلال عمليات الفتح التي نجح فيها أبي المهاجر حين وصل إلى مدينة ميلة واستقر بها لمدة تقارب العامين، فيقول:" وانتهى المهاجر إلى عيون أبي المهاجر وافتتح ميلة، وكانت إقامته في هذه الغزاة نحوا من سنتين"[3].

وأغلب الظن أن ميلة قد كانت من بين المدن التي مر بها خلال حملته العسكرية غربا[4]، مع غياب تام لمسار هذه الحملات في الروايات المتعلقة بالفتح[5]، لكن الأكيد أنها انطلقت من عاصمته الجديدة (تيكروان)[6]، والتي تقع على بعد ميلين من قاعدة عقبة (القيروان)[7]، وانتهت على الأرجح بعد إسلام كسيلة وبلوغه عيونه بمدينة تلمسان غرب المغرب الأوسط[8].

---

[1] لقد أشار الدراسون لأبي المهاجر دينار على غرار عبد الواحد ذنون وكذا حسين مؤنس، إلى أن المعلومات حول شخصية هذا الفاتح تبقى قليلة، من مولد ومكان، وحياته قبل تول الولاية بإفريقية، سوى التأكيد على أنه مولى لمسلمة بن مخلد الأنصاري وكان قد أعتقه لقربه منه وإحساسه بذكائه وفضائله، والترجيح بأن يكون من إسكندرية مصر أو من أحد قراها، كما يرجحون بأنه ممن خاض مع معاوية نضاله السلطوي ضد علي بن أبي طالب للوصول إلى الخلافة إنطلاقا من مصر، ويكون تعيينه وال على إفريقية من قبل مولاه لمسلمة بن مخلد انتصارا له، ومكافأة على صنيعه. عبد الواحد ذنون طه، المرجع السابق، ص 109-110؛ حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 158.

[2] حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 157.

[3] خليفة بن خياط، المصدر السابق، ص 226.

[4] يرى علاوة عمارة بأن الرواية المتعلقة بوصول أبي المهاجر غربا عند تلمسان قد تكون محل نقاش طويل، هذا لتأخرها من جهة، وكذا لوجود عوائق كثيرة لتحققها من شاكلة بعد المسافة، ووجود الجماعات غير المسلمة من النصارى في مجالات شمال تيهرت على الخصوص، كما نبه الباحث إلى طبونيم عربي هو (عيون) الذي ذكرته الرواية القيروانية ، مما يجعل الشك يحيط بهذه الرواية أكثر، خاصة وأن منطقة الغرب مازالت لم يصلها مد التعريب والأسلمة حتى هذه الحملة المذكورة. علاوة عمارة، "موقع تلمسان"، ص 16-17.

[5] تنفرد الرواية القيروانية بذكر حملة أبي المهاجر دينار دون ذكر مسارها، أو أهم المدن التي مر بها، فيقول المالكي عنها:" ثم إن أبا المهاجر صالح بربر افريقية، وفيهم كسيلة الأوربي، وأحسن إليه، وصالح عجم إفريقية، وخرج بجيوشه نحو المغرب، ففتح كل ما مر به...". المالكي، المصدر السابق، ج1، ص 33. وجاءت الرواية مختلفة بعض الشيء عند صاحب النجوم الزاهرة:" ثم افتتح أبو المهاجر المذكور = ميلة، وكانت إقامته بها في هذا الغزو نحوا من سنتين". يراجع: أبو المحاسن، المصدر السابق، ج1، ص 152.

[6] النويري، المصدر السابق، ج24، ص 13؛ حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 171.

[7] ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ج1، ص 266.

[8] خليفة بن خياط، المصدر السابق، ص 226؛ عبد الواحد ذنون طه، المرجع السابق، ص 111.

باستثناء هذه الروايات الأسطورية-المتأخرة، لم يرد أي إشارة لاستقرار العرب بنواحي الزاب قبل ولاية أبي المهاجر لإفريقية[1]، مع التأكيد على أن جاليات عربية استقرت دون الزاب، أين هجرت الجماعات المحلية قراها، واجتمعت على الأرجح إلى الشرق بمجالات الزاب، ونعني هنا منطقة الأوراس وماحولها، وقد جاء الذكر على قبيلة (فهر)، وهي من عشيرة القائد عقبة بن نافع[2].

وحتى عهد حسان بن النعمان (73هـ-78هـ/693-698م) الذي وافقت حملاته ذكر التوطين بجزء من مجال الزاب ممثلا في الأوراس وباغاي[3]، والذي يظهر فيه العنصران: البربر بقيادة جراوة وزعيمتها الكاهنة، والتي خلفت أوربة (البرانس)كقوة منافسة للعرب الفاتحين بالمنطقة بعد مقتل كسيلة على يد زهير بن قيس البلوي في حملته التي ابتدئها سنة 69هـ/689م[4]. والروم[5] وهم بقايا الجماعات المحلية ممن حافظوا على الموروث الثقافي، خصوصا الجانب الديني، مع تغييب تام للعرب في تركيبة الجماعات المستقرة بالمجال الشرقي لبلاد الزاب، وهو ما يرجح عدم استقرار العرب في كل مجالات الزاب منذ بداية الفتوحات ما عدا استقرارهم بالمجال الشمالي (ميلة) على عهد أبي المهاجر.

بعد سلسلة من الحملات العسكرية التي عرفتها الجهة الغربية من إفريقية، وبعد تحولات سياسية بارزة بالمشرق، انتهت بتولي معاوية-الأموي الخلافة، وانجر عنها انخراط بلاد الزاب في الفلك السياسي لهذه الخلافة الجديدة[6]حتى نهايتها[7]، فإن النقص الفادح في النصوص المتعلقة بالقرن الهجري الثاني، أدخل المنطقة ككل في غموض تام، وبالأخص في شقها الاجتماعي، أين ظهرت بصورة مفاجأة عناصر جديدة على ساحة التوطين، ممثلة في الجاليات العربية (الشامية والمصرية)[8]، كما برزت في الأفق مظاهر التصادم المذهبي بين الجماعات السنية مثلتها السلطة الأموية، وكذا الجماعات الصفرية والإباضية

---

[1] المالكي، المصدر السابق، ج1، ص 33.

[2] عبد الواحد ذنون طه، المرجع السابق، ص 111.

[3] الرقيق، المصدر السابق، ص 23-24.

[4] النويري، المصدر السابق، ج24، ص 19؛ حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 223 و 242.

[5] الرقيق، المصدر السابق، 24؛ النويري، المصدر السابق، ج24، ص 19.

[6] يضع ابن عذارى بلاد الزاب كآخر حد لسلطة الأمويين ببلاد المغرب، فيقول:" كان بنو أمية يجدون في الروايات أن ملك القائمين عليهم لا يجاوز الزاب، فتوهموا أنه زاب مصر، وإنما كان زاب إفريقية". ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 55.

[7] خليفة ابن خياط، المصدر السابق، ص 182-203؛ الرقيق، المصدر السابق، 93-95؛ النويري، المصدر السابق، ج24، ص 34-36؛ ابن حجر العسقلاني، الاصابة في تمييز الصحابة، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ/1995م، ج6، ص 120-123.

[8] هشام جعيط، تأسيس الغرب الاسلامي، ص 79-70.

بأفكارها الثورية التي بدأت في صنع مجالات لها خارج نطاق طرابلس وماحولها، هذه المرحلة لم تكن بلاد الزاب بمنأى عنها[1].

خلال النصف الأول من القرن الهجري الثاني/الثامن الميلادي، يظهر حضور لافت للعرب ببلاد الزاب، يأتي هذا في خضم الحملات التي قادها وال إفريقية كلثوم بن عياض القشيري ضد الأفكار الثورية للصفرية والإباضية العام 124هـ/741م[2]، وتظهر بعض معالم استقرار الجند في قول خليفة بن خياط:" ومضى عبد الرحمن فنزل الزاب فصام فيه شهر رمضان"، ويضيف حول وجود مزيج اجتماعي بالزاب من عرب وغير العرب، فيقول:" فخرج عبد الرحمن في أهل الزاب فالتقوا يوم الخميس للنصف من ذي القعدة سنة أربع وعشرين ومائة"[3]. والراجح أن عبد الرحمن حفيد عقبة قد رافقه في حملته نفر من الجند العرب المستقرين بالزاب، مع اندماج المسلمين من الجماعات المحلية (البربر)[4].

وتبرز في المصادر منطقتين مهمتين لاستقرار الجند، الأولى وهي ثغر افريقية طبنة[5]؛ والثانية هي تهودة[6]. والواضح أن فرسان الشام قد كانت من بين العناصر الجند التي نزلت بلاد الزاب، يذكر ذلك الطبري:" وفي هذا السنة قتل كلثوم بن عياض القشيري الذي كان هشام بن عبد الملك بعثه في خيول أهل الشام إلى إفريقية"[7].

ويشير ابن عذاري إلى دخول عناصر من الشام والمصريين إلى إفريقية خلال الاضطرابات التي واكبت ولاية كلثوم بن عياض القشيري، فيقول:" بعث كلثوم بن عياض هذا إلى إفريقية، وعقد له على إثني عشر من أهل الشام، فصارت عمال مصر...معه حتى قدم إفريقية"[8]. ويقدم لنا صاحب نهاية الأرب إجمالي ما بلغ مع كلثوم من الجند:" وهم في ثلاثين ألفا"[9]. ويفصل ابن عذارى هذا العدد ليبرز

[1] ابن الأثير، المصدر السابق، مج4، ص 457؛ النويري، المصدر السابق، ج24، ص 31-33.

[2] ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص 54-56.

[3] خليفة بن الخياط، المصدر السابق، ص 355.

[4] وردت إشارات مصدرية لقبل هذا العهد على مشاركة البربر للعرب الفاتحين كجند خلال الحملات العسكرية، على غرار شهادة ابن عبد الحكم في قوله:" وكان مع حسان جماعة من البربر من البتر، فولى عليهم حسان الأكبر من ابن الكاهنة وقربة، ومضى حسان ومن معه". ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص 271. ويقدم لنا ابن عذارى تعداد البربر الذين أسلموا ساروا مع حسان لمجابهة الكاهنة، حين طلب منهم ذلك، فيقول:" يعطوه من قبائلهم اثني عشر ألفا يجاهدون مع العرب، فأحابوه وأسلموا على يديه". ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 38.

[5] خليفة بن خياط، المصدر نفسه، ص 355.

[6] الرقيق، المصدر السابق، ص 78.

[7] الطبري، المصدر السابق، ج7، ص 191.

[8] ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 54.

[9] النويري، المصدر السابق، ج24، ص 32.

عنصرا جديدا في التوطين يمثله (قريش) فيقول:" فيهم عشرة آلاف من صلب بني أمية، وعشرون ألفا من سائر العرب"[1].

وقد أشار هشام جعيط إلى أن حجم التوطين العربي لم يتجاوز خمسين ألف شخص بكل إفريقية، محددا العناصر التي انتشرت خلال العصر الأموي في العنصرين: الشاميين وكذا المصريين، مبرزا مراكز التجمعات الكبرى غرار القيروان، تونس، وبلاد الزاب[2].

بعد استيلاء العباسيين على السلطة في المشرق[3]، واصل عبد الرحمن بن حبيب تمثيل هذه السلطة الجديدة ظاهريا بإفريقية، وهذا منذ توليته على أيدي بني أمية سنة 127هـ/745م[4]، لكن الأحداث التي مست إفريقية بزحف الجماعات الصفرية باتجاه العاصمة القيروان، انتهت بزوال حكم عبد الرحمن بن حبيب الموالي للعباسيين، على أن هذه الانتفاضة قد واكبها الكثير من الأحداث[5]، وأدى في النهاية إلى تعيين محمد بن الأشعث سنة 143هـ وقيل 144هـ/762م واليا جديدا على إفريقية بجيش قوي[6].

وأوردت النصوص الإباضية، ممثلة في طبقات الدرجيني (ت 670هـ/1272م) ومصدرها روايات شفوية منقولة، تفاصيل عن الجند العرب من مصر والشام، والذين استقروا على العهد العباسي ببلاد إفريقية، فيقول:" وذكر بعض أصحابنا أن عدد أهل العسكر خمسون ألفا، وقال: بعضهم سبعون ألفا". في حين يذكر لنا ابن عذارى أن قوام جيش المسودة قد كان أربعين ألفا[7].

ومن الناحية البشرية، يبرز تواصل حضور الجند العرب من المصريين والشاميين بمدن الزاب العباسي، على غرار طبنة التي استقر بها عمر بن حفص بن قصيبة[8] مع خمسة عشر ألفا خمسمائة من المصريين والشاميين، وهم أغلب الجند الذين كانوا مستقرين بالقيروان[9]، بعدما حاصره هناك التحالف

---

[1] ونرجح أن يكون عدد الجند من مصر قد يصل حدود ثمانية آلاف أول أقل من ذلك، والباقي هم من جند الشام والمقدر بإثني عشر الفا. ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 55.

[2] Djait, *op. cit.*, p. 611.

[3] ابن الأبار، الحُلَّة السِّيَراء، تحقيق: حسن مؤنس، دار المعارف، القاهرة، 1985، ج2، ص 355 و(الهامش)؛ ابن وردان، المصدر السابق، ص 21-30؛

[4] الرقيق، المصدر السابق، ص 86 و 93؛ ابن وردان، المصدر السابق، ص 8.

[5] الرقيق، المصدر السابق، ص 103 ومابعدها.

[6] ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 72.

[7] الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص 32؛ ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 72.

[8] جاءت اشارة النويري على اقامة عمر بن حفص بطبنة في قوله:" ثم سار إلى الزاب ونزل طبنة....وعمر مقيم بطبنة". النويري، المصدر السابق، ج24، ص 42.

[9] ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 75.

المذهبي-العسكري المكون من أبي قرة الصفري، أبو حاتم، عاصم السدراتي، والمصور الزناتي، وغيرهم[1]، وبعد أن استطاع غلبتهم، رجع هو إلى القيروان، واستخلف على طبنة المهنا بن المخارق بن غفار الطائي، والظاهر أن أبا قرة الصفري[2] قد رجع مع جموعه لمحاصرة المهنا بن المخارق بطبنة مع جموعه من البربر الصفرية، فـ:"انهزم أبو قرة واستباحوا عسكره"[3].

كما نلاحظ حضورهم بمدينة تهودة، وهذا بعدما استطاع عمرو بن حفص طرد الجماعات الإباضية منها بقيادة عبد الرحمن بن رستم، أين استقر العرب بمدينة تهوذة، يذكر ذلك الرقيق في قوله:" فلما انصرفت الصفرية وجه عمر بن حفص معمر بن عيسى العبدي في ألف وخمسمائة إلى ابن رستم، وهو في تهودة"[4].

واستقرت بميلة عناصر من جند حمص[5]، وهم فصيل من مجموع الجند الشاميين الذين استقروا ببلاد الزاب، وكان على رأسهم والي ميلة مالك بن منذر الكلبي[6]، وقد أورد النويري الجيش الحمصي الذي كان مستقرا بميلة، خلال ذكره لأخبار انتفاضة بن الجارود على عهد العلاء بن سعيد أمير الزاب، فيقول:" وأقبل عليهم أبو عبد الله مالك بن المنذر الكلبي من ميلة، وكان واليا عليها في عدد كثير"[7].

وتشير المصادر الاسماعيلية إلى أن ميلة قد كانت موطن"بنو أبي خنزير قوم من ديار ربيعة، ويعرفون بالسناجرة لأن أولهم من سنجار[8]، وكان زعيم أهل ميلة ورئيسهم موسى بن عباس. ومن فروع ربيعة بكر وتغلب، وكلها مواطن من الجزيرة بين دجلة والفرات إلى حدود الأناضول[9].

والأكيد أن عمر بن حفص وجنده من العرب قد استقروا بطبنة لمدة طويلة، وهذا بأمر من المنصور الذي أمره في كتاب: "بالشخوص إلى الزاب لبناء طبنة"[10]. وقد استطاع أن يقيم سورا حول

---

[1] بلغ جند الاباضية والصفرية بحسب الرقيق وابن عذارى حوالي ثلاثة و سبعون ألفا، في حين يشير ابن الرقيق إلى وجود عدد آخر من الجماعات الصفرية والاباضية لم يذكرهم. الرقيق، المصدر السابق، ص 104(النص مقطوع)؛ ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 75.

[2] الرقيق، المصدر السابق، ص 105؛ ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 74-75؛ النويري، المصدر السابق، ج24، ص 41-43.

[3] الرقيق، المصدر السابق، ص 105؛ النويري، المصدر السابق، ج24، ص 43.

[4] الرقيق، المصدر نفسه، ص 105.

[5] عبد الله بن علي الزيدان، المرجع السابق، ص 125.

[6] نفسه، ص 158-159 (الهامش).

[7] النويري، المصدر السابق، ج24، ص 50.

[8] حول سنجار، يراجع: البكري، معجم ما استعجم، المصدر السابق، ج1، ص 760؛ الحموي، المصدر السابق، مج3، ص262.

[9] الداعي ادريس، المصدر السابق، ص 109 والهامش.

[10] النويري، المصدر نفسه، ج24، ص 42؛ ابن وردان، المصدر السابق، ص 48.

المدينة لحمايتها من ضربات الجماعات الاباضية، والصفرية على السواء، حتى صارت حصنا منيعا للعباسيين ضد تهديدات الجهة الغربية من المغربين الأوسط والأقصى، يذكر ذلك البكري في قوله:" الذي بناها أبو جعفر عمر بن حفص المهلبي المعروف بهزار مرد"[1]. وسيتواصل استقرار الجند بطبنة خلال العهود التي تلي عمر بن حفص، يذكر ذلك ابن عذارى حين يقول:" وفي سنة 156، بعث يزيد بن حاتم العلاء بن سعيد المهلبي مددا للمخارق بمدينة طبنة بالزاب"[2].

لقد تطرقت الروايات إلى بروز جالية جديدة قد تكون استوطنت بلاد الزاب، وهم الجماعات الخراسانية التي نزلت مع جند الشام خلال العمليات التي تلت سيطرة فصيل ورفجومة على إفريقية[3]، وصد الهجمات الصفرية والإباضية على ولاية إفريقية العباسية[4]، وجاء ذكر جند خرسان في قول الرقيق:" وبعث يزيد بن حاتم المخارق إلى آخر الزاب، فنزل طبنة، وكان عبد الرحمن بن حبيب مع أبي حاتم فهرب حتى أتى كتامة فنزل بجيجل، فكتب يزيد إلى المخارق بالمسير إليه، فسار حتى نزل كتامة، وضم يزيد إليه قوادا من أهل خرسان، وأهل الشام"[5].

إن هذه العناصر الجديدة قد كان لها حضور بارز بين العرب ممن ورد مع العباسيين إلى إفريقية، ويظهر وجودهم في بلاد كثيرة غير الزاب، فقد استقر الخرسانيون بتونس، كما استوطنوا القيروان، والظاهر أنهم حملوا معهم الكثير من موروثهم المشرقي، لكنهم في الغالب انصهروا في أوساط العرب وغيرهم من الجماعات المحلية (البربر)، وكذا الأفارقة-العجم، وتظهر ملامح وجودهم في شخصيات عدة على غرار المحارب بن هلال[6]، بن فروخ، وعيسى بن موسى الخرساني[7].

---

[1] البكري، المصدر السابق، ج2، ص 228.

[2] ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 79.

[3] الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص 26-27؛ ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 70-71.

[4] وتشمل ولاية إفريقية العباسية كل من: طرابلس، إفريقية، وبلاد الزاب والجريد، وقد وردت بلاد الزاب خلال العهد العباسي مقترنة بكتامة في إمارة واحدة، كما وردت إشارة لابن عذارى مفادها ان بلاد الزاب تدخل ضمن نطاقها بلاد الجريد. يراجع: الرقيق، المصدر السابق، ص 125؛ ابن عذارى المصدر السابق، ج1، ص 92؛ ابن وردان، المصدر السابق، ص 18.

[5] الرقيق، المصدر السابق، ص 125.

[6] ثالث القادة الذين بعثهم أبو جعفر المنصور، ومعه الأغلب بن سالم، و المخارق بن غفار، مع وال افريقية على ذلك العهد محمد بن الأشعث، في جيش قوامه ثلاثين ألف من خرسان و عشرة آلاف من الشام. وقيل أنه مات قبل وصوله إلى إفريقية.
النويري، المصدر السابق، ص39.

[7] بحسب صاحب نهاية الأرب، فهو من قادة جند خرسان الذين قدموا مع ابن الاشعث لرد ثورة الصفرية، تولى ولاية إفريقية خلفا لمحمد بن الأشعث في ربيع الأول من سنة ثمان وأربعين ومائة بعدما فسد عليه جنده، بعدما وصلهم الخبر بأن المنصور قد نحاه من الولاية وهو رافض لذلك. وقد ثار عليه المضرية لما علموا بأنه من الفرس من غير العرب، لكنهم تراضوا عليه. يراجع: النويري، المصدر السابق، ج5، ص 40.

والظاهر أن هذا الفصيل من الجند العباسي، الذين استقروا بمدن إفريقية قد اتسموا بحب النفوذ والمال، وقد ثاروا مرتين على ولاة افريقية لهذا الأمر، وكانت الأولى على عهد الأغلب بن سالم التميمي عندما رفضوا ملاحقة الثائر الصفري أبو قرة من بلاد الزاب إلى أرض زناتة[1]؛ وأما الثانية فكانت لعهد ابراهيم بن الأغلب عندما ثار أحد قادة الجند الخراسانيين ممثلا في تميم بن تميم ضد الوالي الشرعي محمد بن مقاتل العكي، وقد استطاع بن الأغلب نصرة الوالي الشرعي، والقضاء على هذه الانتفاضة، وقد كافأه الخليفة الرشيد بتوليته بلاد الزاب[2].

بتحولها إلى منطقة عسكرية، جلبت بلاد الزاب إليها العديد من الجند العرب من مصر والشام، والكثير من الخراسانيين، الذين شكلوا فصيلا مهما من الجيش المستقر ببلاد الزاب، وامتزج البربر المسلمون في بوتقة واحدة داخل هذه التركيبة الاجتماعية الجديدة[3]، ليؤدي في الأخير إلى تشكيل جيش بلاد الزاب، وتحول قائده ابراهيم ابن الأغلب[4] من قائد للجيش، إلى وال على بلاد الزاب[5].

لقد أكد بلونشي على أن المدن الكبرى بالأخص ببلاد الزاب، كانت مجرد المدن العسكرية البيزنطية المحصنة، والتي أعيد تجديد هياكلها، على غرار بغاي، تيجيس، طبنة، بلزمة، وغيرها، في حين أكد على أن صورة المدينة البيزنطية قد حافظت على مكانتها وقاومت بعكس المدن الاغلبية، ليس هذا فحسب، بل امتدت صورة هذه التحصينات على مدار القرون الهجرية الأربعة الأولى[6]. هذه النظرية أكدها كذلك هشام جعيط حين يقول:" استطاع العرب أن يتبعوا النظام الدفاعي البيزنطي ويستغلوه، غير أنهم بسطوه كثيرا، فقد أقاموا في أغلب الأحيان في حاميات وحصون قديمة مثل بغاي"[7].

خلال النصف الأخير من القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي برزت بلاد الزاب بشكل لافت على صورة الأحداث، حيث شكل نقطة انطلاق لإبراهيم بن الأغلب في سيطرته على ولاية افريقية منذ توليته على بلاد الزاب سنة 180هـ/797م بمباركة من هرثمة بن أعين بعدما لاطفه وأرغد عليه بالهدايا.

[1] ابن الأثير، المصدر السابق، مج5، ص 186-187.

[2] ابن الأثير، المصدر السابق، مج5، ص 312؛ ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 90-92.

[3] هشام جعيط، تأسيس الغرب الاسلامي، ص 139.

[4] هو ابراهيم ابن الأغلب بن سالم بن عقال التميمي، يرجع نسبه إلى الأغلب بن سالم، وينتمي إلى عرب بني تميم، كان فقيها وعالما، أديبا و شاعرا، حازما شديدا، استقر بادئا بطبنة، ثم صب على الزاب في عهد الرشيد سنة 184هـ/800م، كان له دور في اخماد ثورة تيميم بن تميم التميمي لما ثار على العكي، وعين بعدها وال على افريقية. توارث أبناؤه الحكم من بعده، فخلفه لموته أبي العباس عبد الله. الرقيق، المصدر السابق، ص 176؛ ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص92؛ ابن وردان، المصدر السابق، ص 53-54.

[5] وكانت ولايته الزاب من قبل الخليفة هارون الرشيد. الرقيق، المصدر السابق، ص 177.

[6] Blanchet, *op. cit.*, p. 292-293.

[7] هشام جعيط، تأسيس الغرب الاسلامي، ص 141.

لقد كان لاستقرار جماعات من بني تميم العربية، قوم بني الأغلب وحلفه، السند القوي لإبراهيم بن الأغلب، وقد وردت إشارات كثيرة لاستقرار بنو تميم بالزاب، حيث أقر بذلك الرقيق حين يقول:" وجمع إبراهيم أهل بيته و وبني عمه، وخاصته، وكانوا سبعين فارسا". ويذكر ابن الأثير أن بلاد الزاب قد كانت منزلا للكثير من بني تميم، وهم قوم بني الاغلب، وهذا الامر قد كان له محفزا للسيطرة على افريقية، ثم اعلان قيام دولته المنشودة[1]، يقول في هذا:" فجمع ابراهيم بن الأغلب التميمي جمعا كثيرا وسار إلى القيروان.."[2].

والظاهر أن العرب من بني تميم لم يستقروا بمفردهم ببلاد الزاب وماحولها، بل سكن إلى جوارهم الجماعات المحلية (البربر) والروم[3]، وباقي الجنود الأمويين الذين استقروا حول جبال الأوراس بعدما تم تسريحهم من قبل بني العباس[4]، كما بقي فصيل من فهر (قريش) الأوائل[5] في مجالات الزاب ونظنهم توزعوا بها بعدما انتقلوا اليها من القيروان[6]، واختلط معهم لأول مرة العرب(مصر-الشام)[7] والعجم (الخرسانيين)[8]، مما شكل في نظرنا، وحتى نهاية القرن الهجري الثاني مقاطعة زاب-أغلبي متعددة العناصر البشرية.

3- اندماج العناصر الوافدة والجاليات القديمة بالزاب خلال القرن الهجري الثالث/9م:

أ- صور الاندماج في النصوص الوصفية:

المصدر الرحلاتي والجغرافي الوحيد الذي يبرز وضعية التوطين بمجال الزاب الممتد من باغاي شرقا إلى خرائب هاز غربا، ومن ميلة شمالا[9] إلى بادس جنوبا[10]، يمثله كتاب البلدان للجغرافي اليعقوبي (ت284هـ/897م). إن المعطيات التي يوردها لها من الأهمية بمكان في تقديم أول وصف بشري لبلاد الزاب حتى النصف الثاني من القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، حيث يقدم لنا شهادات مميزة

---

[1] الرقيق، المصدر السابق، ص 176؛ ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 92؛ ابن الأثير، المصدر السابق، مج5، ص 313.

[2] ابن الأثير، المصدر نفسه، مج5، ص 312.

[3] ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ج1، ص 267.

[4] الرقيق، المصدر السابق، ص 103.

[5] ابن حزم، المصدر الاسبق، ص 167-168.

[6] البكري، المصدر السابق، ج2، ص 195.

[7] ابن وردان، المصدر السابق، ص 28.

[8] لما انتقل الأمر إلى بني العباس كانت دولتهم أعجمية سقطت فيها دواوين العرب، وغلب عجم خراسان على الأمر، فكانوا على كثرة ببلاد الزاب، وماجاورها من الكور الأخرى في ولاية إفريقية. ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 64.

[9] اليعقوبي، المصدر السابق، ص 140-141.

[10] هذا الحد لا يرد في شهادة اليعقوبي، لكن رجحنا أن يكون قد تواصل منذ القرن الهجري الأول/7م وفق ماذكرته النصوص المصدرية.

حول العناصر البشرية التي استوطنت بلاد الزاب، مبرزا تعدد كبير في العناصر والجاليات المستقرة بحواضره وأريافه:

بمدينة بغاي شكل العنصر العربي والعجمي[1] الوافد في صورة قبائل الجند المركب البشري في هذه المدينة، ومثل العنصر المحلي (البربر) هوارة التي امتد نفوذها حتى جبال الأوراس، وتواصل وجود (الروم) الذين تحولوا إلى مستوطنين محليين، بفضل استقرارهم الطويل بمجالات الزاب وغيرها، وتداخلهم التام مع العناصر المحلية البربرية[2]، هذا الامتزاج أدى في النهاية إلى تمكن الموروث الثقافي البيزنطي-روماني في نفوس الجماعات المحلية (البربر)[3]، ويظهر ذلك جليا في مدينة تيجيس من عمل بغاي:" باغاية بها قبائل من الجند وعجم من أهل خرسان وعجم من عجم البلد من بقايا الروم حولها قوم من البربر من هوارة.. تيجيس من عمل باغاية حولها قوم بربر عجم يقال لهم نفزة"[4].

أما مدينة الزاب العظمى[5]، وثغر ولاية إفريقية (طبنة)[6]، فيظهر بها امتزاج العديد من الجاليات، يوردها اليعقوبي فيقول:"وبها أخلاط من قريش والعرب والجند والعجم والأفارقة والروم والبربر"[7]. فالعناصر القرشية التي يظهر وجودها بطبنة من المؤكد أنها من فصيل الفهريين الأوائل الذين حضروا على عهد عقبة بن نافع الفهري، وتواصل حضورهم مع ابنه عبد الرحمن بن عقبة بن نافع الفهري[8]؛ أما العجم فهم من المحتمل الجند الخرسانيين الذين وطئوا بلاد الزاب في حملات الولاة العباسيين في أحداث ورفجومة، وكذا مجموعة الانتفاضات الثورية-المذهبية، والثورية-التميمية الأخرى[9]، وقد برز الفصيل العجمي بقوة على ساحة التوطين ببلاد الزاب نتيجة التحولات السياسية التي مست السلطة بالمشرق أين تراجع نفوذ العرب لصالح الجماعات العجمية-الخرسانية على ذلك العهد[10].

---

[1] توافدت جماعات من خرسان إلى بلاد إفريقية عموما، والزاب خصوصا، والظاهر أنهم قد صنعوا لأنفسهم مواطن عدة به.

[2] لقد ناقش علاوة عمارة وغيره، تواصل فصيل من الروم ببلاد الزاب وفي غيره من بلاد المغرب الاوسط (قصر الإفريقي، تيهرت، تلمسان)، مما يعطي انطباعا واضحا على استمرار جماعات غير مسلمة ببلاد الزاب وغيره من البلاد المفتوحة حتى القرن الرابع الهجري/العاشر ميلادي، معتمدين على الشواهد المصدرية على غرار شهادة اليعقوبي، ابن حوقل، ابن الوراق، البكري، وابن الصغير.

[3] Djait, *op. cit.*, p. 613.

[4] اليعقوبي، المصدر السابق، ص 140؛ ابن حوقل، المصدر السابق، ص 102.

[5] اليعقوبي، المصدر نفسه، ص 140.

[6] خليفة بن خياط، المصدر السابق، ص 355؛ المالكي، المصدر السابق، ج1، ص 39.

[7] اليعقوبي، نفسه، ص 140.

[8] الرقيق، المصدر السابق، ص 77.

[9] الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص 26-27؛ ابن الأثير، المصدر السابق، مج5، ص 312؛ ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 70-71 و 90-92.

[10] ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، 64.

ولزاما، سيكون للجماعات القديمة في خريطة الجاليات المستقرة حضور بمدينة طبنة تحديدا[1]، والتي لازم ذكرها في المصادر منذ عهد الفتوحات العربية-الإسلامية، وعلى أغلب الظن، فالجماعات المحلية المقصودة هنا هم جموع البرانس تحديدا، وخصوصا أوربة، هوارة[2]. أما العنصر الآخر الذي أصبح بمرور الوقت مندمجا في خانة المحليين، هم فئة الروم، وهي بقايا الجاليات التي رفضت النزوح عن مجالاتها، وقبلت الاستقرار تحت السلطة الدينية والسياسية الجديدة مقابل الشروط المفروضة من جزية وخراج[3].

كما كان للعرب من بني سليم حضور بميلة، وكان على رأسهم موسى بن العباس بن عبد الصمد السليمي[4]، واستوطنها قبلهم عناصر من جند حمص[5]، وهم فصيل من الشاميين الذين استقروا ببلاد الزاب[6]، وكان على رأسهم مالك بن منذر الكلبي [7].

لكن أين موقع الجماعات المحلية من التوطين في مدينة ميلة؟ ولماذا سكوت اليعقوبي عن جماعات كتامة؟ حيث لا يظهر لهم وجود حتى في مدينة سطيف، والتي ذكر أنه قد سكن بها قوم موالين لبني الأغلب، وهم بنو الأسد بن خزيمة، ونجد على هذا العهد، ونقصد الأغلبي، يذكر ابن خلدون استمرارهم بمواطنهم[8]، وتفصل في أمرهم النصوص الشيعية، بشكل قطعي على وجودهم بمدينتي سطيف، وميلة وغيرهما[9].

الحقيقة أن مدينة ميلة قد استقر بها فصيل من البرانس من أحفاد كتام ابن برنس، وهم كتامة، ولم يقتصر وجودهم بها فقط بل كانوا في مجالات:" إيكجان وسطيف وباغاية، ونقاوس وبلزمة وميلة وقسنطينة والسيكرة [بسكرة] والقل وجيجل من حدود جبل أوراس إلى سيف البحر ما بين بجاية

[1] اليعقوبي، المصدر السابق، ص 140؛ ابن وردان، المصدر السابق، ص 28.

[2] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 192.

[3] ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ج1، ص 271؛ Djait, *op. cit.*, p. 605-608

[4] وأوردت المصادر التي نقلت عن المصنفات الاسماعيلية على غرار الداعي ادريس، أن مدينة ميلة قد كان بها قوم من ديار ربيعة ويعرفون بالسناجرة، ومن فروعها بكر وتغلب، وموطنهم الأصلي بالمشرق بين دجلة و الفرات إلى حدود الاناضول. الداعي إدريس، المصدر السابق، ص 109.

[5] عبد الله بن علي الزيدان، المرجع السابق، ص 125.

[6] نفسه، ص 158-159 (الهامش).

[7] النويري، المصدر السابق، ج24، ص 50.

[8] يذكر ذلك بن خلدون، فيقول:" ولم يزالوا بهذه المواطن وعلى هذه الحالة من لدن ظهور الملة وملك المغرب إلى دولة الاغالبة". ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 196.

[9] القاضي النعمان، المصدر السابق، ص 36، 47، 51، 67، 95؛ العزيزي الجوذري، سيرة الأستاذ جوذر وبه توقيعات الأئمة الفاطميين، تحقيق: محمد كامل حسين و محمد عبد الهادي شعيرة، مطبعة الاعتماد، القاهرة، د.ت، ص 121-122؛ الداعي إدريس، المصدر السابق، ص 91.

وبونة"[1]. وعليه فمن الراجح أن اليعقوبي قد تناسى ذكرهم لا غير، وكيف لا يذكرهم، وهم بهذه المجالات الواسعة كلها، في حين يتواصل استقرارهم بالمنطقة ما بين ميلة وسطيف لما بلغتهم دعوة الاسماعيلية.

ومن جهة أخرى، نلاحظ في شهادة اليعقوبي اختفاءً تاما لبقايا الموروث القديم من الروم والأفارقة، فهل هذا يعني أن هذين الفصيلين قد اعتنقا الاسلام، وبالتالي أسلمة تامة للمدينتين والجماعات المستقرة بها؟ المشهد نفسه ينطبق على مدن: نقاوس؛ مقرة؛ أربة؛ بلزمة[2]، حيث نلاحظ تغييب تام لبقايا المسيحية واللغة اللاتينية، مما يطرح أكثر من استفسار حول مصيرهم الحقيقي في هذه المدن، ومدى صحة تحولهم بشكل كامل نحو الاسلام؟

قرن من بعد، يأتي كتاب صورة الأرض لابن حوقل، والمسالك لابن الوراق المنسوخ في محتوى كتاب البكري ليبرز بدقة وضعية هذه الجاليات والتحولات التي طرأت عليها خلال القرن الهجري الرابع/10م، خاصة وأنه لم يبق لهم حضور في مصادر القرن الهجري الثالث. النتيجة، تخلي بقايا الجاليات اللايتينو بيزنطية عن موروثهم القديم، معتنقين الاسلام، بعدما تأثروا بمراكز الأسلمة والتعريب التي انتشرت جنبا إلى جنب مع العرب المستوطنين بالمدن بعدما تم ازاحة الجماعات القديمة من هذه الحواضر وتحييدها إلى الأرياف مختارة الاستقرار في بيئة جديدة بإسلام إباضي. في الأخير تحولت التسمية الاثنية لهذه الفئة لتحمل في النهاية اسمين برقجانة والمولدين[3].

ويواصل اليعقوبي تفصيله للتوطين، ففي مدينة بلزمة، وهي ملك لبني تميم[4]، مع تغييبه للجماعات المحلية (البربر) من ساحة التوطين بها، وكذا الحال لفصيل الروم، الأفارقة، والعجم. فهل هذا يعني أنهم طردوا من هذه المدينة لثورة بني تميم ضد بني الأغلب؟ واقتصر التوطين بمدينة نقاوس القريبة من جبال الأوراس، على العنصرين العربي والفارسي في صورة قبائل الجند، وسكن إلى جنبهم، وحولهم قبيلة مكنانة من بطون زناتة [5]، وإلى الشرق منهم استوطنت الجماعات المحلية الأصيلة ممثلة في أوربة[6].

---

[1] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 195.

[2] اليعقوبي، المصدر السابق، ص 141.

[3] ابن حوقل، المصدر السابق، ص 85؛ البكري، المصدر السابق، ج2، ص 229.

[4] المصدر نفسه، ص 140.

[5] أرجح أن المقصود بها مكناسة البترية، والتي يظهر أنها تمددت ببلاد الزاب خلال القرن الثالث الهجري/ التاسع ميلادي، أين استقرت بنقاوس، وبسكرة، والحضنة، بعدما كانت مواطنها لا تتجاوز وادي ملوية خلال القرن الذي يسبق هذا. ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 170-171؛ محمد حسن، الجغرافيا التاريخية لإفريقية، ص 11.

[6] اليعقوبي، المصدر السابق، ص 141.

وبمجالات الحضنة غربا، تعددت الجاليات التي استقرت بها، فبمدينة مقرة استقر فرع من عائلة الفهريين من قريش بها ممثلا في قوم بني ضبة[1]، وعناصر من العجم، وسكن إلى جوارهم الجماعات المحلية (البربر) التي كانت الغلبة حينها بيد مغراوة الزناتية، وفيهم: بني زنداج[2]، كريرة[3]، وسادينه[4]، وعلى طول المسلك المؤدي إلى أدنة وهي:" آخر مدن الزاب مما يلي المغرب في آخر مدن بني الأغلب ولم يتجاوزها المسودة[5]"[6].

وبالقرب من مدينة أدنة آخر مدن بلاد الزاب، كانت قد سيطرت الجماعات الزناتية في مواطنها بالجبل المطل على أدنة، أين استقرت بطون قوية على غرار بني سمعان[7]، وبني ورجيل[8] وغيرهما، اشتهروا بخروجهم عن سلطة الأغالبة. وعلى شاكلتهم استقرت بالقرب من أدنة جماعات عربية: من بني تميم، ومن بني سعد، وعرفوا هم أيضا بمخالفتهم لبني الأغلب[9]. وحولهم سكنت جماعات زناتية قوية سيكون لها دور بارز في العصر الفاطمي، في شاكلة بطن بني دمر الزناتية قبيلة بني برزال، وقد كانت مواطنهم بجبل سالات إلى الجنوب من أعمال المسيلة، وهم من الإباضية الشراة[10].

---

[1] ضبة: هم فصيل من قريش، وينتمون إلى عائلة عقبة بن نافع الفهري، وقومهم بنو الحارث بن فهر، يقول في ذلك بن الكلبي:" وهؤلاء بنو الحارث بن فهر، ولد الحارث بن فهر: وديعة، وضبة، وظربا، ومضبا، وأمهم: الوارثة بنت الحارث بن مالك بن كنانة....ومنهم نافع بن عبد قيس بن لقيط (وابنه عقبة بن نافع)". ابن حزم، المصدر السابق، ص 192؛ ابن الكلبي، جمهرة النسب، ط1، تحقيق: ناجي حسن، مكتبة النهضة العربية، بيروت، 1407هـ/1986م، ص 123-125.

[2] بني زنداج أو زنداك: من بطون مغراوة الزناتية. يراجع: ابن حوقل، المصدر السابق، ص 103؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 33.

[3] من الراجح أن المقصود هنا هو طوبونيم (جبل كريكرة)، وهو مستقر للجماعات المحلية الممثلة لمغراوة، يراجع: ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 33؛ الدراجي بوزياني، المرجع السابق، ج1، ص 177.

[4] الراجح أنهم قوم من مغراوة- زناتة، وقد قمنا بمقاربة ترجيحية وهي: سادينه= صدينه=صلتيه= صلتينه وهو جد مغراو الأكبر. ويذكر ابن حوقل هذا الاثنونيم بـ (صدينه)، ويضعهم ضمن قبائل زناتة الخارجة عن صلب زناتة. ابن حوقل، المصدر السابق، ص 102.

[5] المسودة: مصطلح دال على اللون المشهور بين جيوش العباسيين والأغالبة وهو لون خلفائهم (الأسود)، وقد أقر لفرض القطيعة السياسية مع بني أمية الذين اشتهروا باللون الأبيض.

[6] اليعقوبي، المصدر السابق، ص 141.

[7] الأصح هو (سمجان)، وهم من جدهم أوريغ ابن برنس والذي هوارة منه. وجاء ذكرهم عند ابن حزم (بنو نعمان) بدل سمعان وهم من هوارة. ابن حزم، المصدر السابق، ص 461.

[8] الأصح هو (ورجين)، وهم بطن من بطون هوارة، ولهم أيضا: منداس؛ كياد؛ أتور؛ ساري. ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 184.

[9] اليعقوبي، المصدر السابق، ص 141.

[10] ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 72؛ حمدي عبد المنعم، المرجع السابق، ص 5 (الهامش).

ب- صور الاندماج في النصوص الإخبارية:

إن المعطيات الجغرافية الوحيدة، والتي مثلتها شهادة اليعقوبي، لا تعطينا الصورة الكاملة عن واقع التوطين واندماج الجماعات ببلاد الزاب، هذا في ظل غياب المجال الجنوبي للزاب بالأخص في شهادته، مما أحالنا إلى الاستعانة بالمعلومات الدلالية في النصوص الاخبارية بالأخص المتعلقة بالأنساب، على غرار ابن حزم، ابن الكلبي، ونصوص كتاب العبر لابن خلدون في شقه الاجتماعي في محاولة لضبط التوطين ببلاد الزاب.

القراءة الشاملة لكتاب العبر، تسمح لنا بتمييز عناصر جديدة تدخل إلى جانب الجماعات السابقة في البنية الاجتماعية لبلاد الزاب، نحن هنا نتحدث عن الجماعات القديمة خصوصا، والتي لم ترد في نصوص اليعقوبي. بداية نلاحظ اختفاء بعض الجماعات التي استوطنت بلاد الزب غربا في نصوص اليعقوبي، على غرار عجيسة، والذين كانوا إلى جنب بني برزال وهوارة مستقرين بأعمال الحضنة قبل مرحلة الزاب الفاطمي:" وبقرب منها جبل عجيسة...ولهم كانت أرض المسيلة"[1].

وعُجَيسة هذه من بطون البرانس من ولد بُرْنُس، ويؤكد ابن حزم نسب عجيسة للبرانس، في قوله:" فولد برّ: مادغيس، برنس. فولد برنس :كتامة، وصنهاجة، وعجيسة..."[2]. وكان لعجيسة بين البربر كثرة وظهور، أما مواطنهم فكانت إلى جانب جبل القلعة التي استقر به نفر كثير منهم، نلاحظ استقرار الكثير من فصيل عجيسة في الجبال المطلة على المحمدية[3].

في حين تم تغييب الجماعات الصنهاجية، ونقصد هنا تلكاتة التي سيكون لها دور كبير في المرحلة الفاطمية-المصرية، هذه الجماعات سكنت إلى جوار عجيسة جبال القلعة لاحقا، وغرب المسيلة، ويظهر استيطانها بضواحي الزاب في قول ابن خلدون:" وكانوا في بطونهم لصنهاجة"[4]. ويحدد مواطنهم ابن خلدون بدقة في قوله:" بنو ملكان (تلكات)[5] وكانت مواطنهم من المسيلة إلى حمزة"[6]، وقد تحدث ابن حزم عن نسب صنهاجة فيقول:" ويقال إن صنهاج ولمط إنما هما ابنا امرأة يقال لها تزكى، لا يعرف لها أب، تزوجها أوريغ، فولدت له هوار، فهم إخوة لأم"[7]. وعلى العهد الأغلبي كان التقدم والقوة بين

[1] البكري، المصدر السابق، ج2، ص 239.
[2] ابن حزم، المصدر السابق، ص 461.
[3] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 192.
[4] نفسه، ج6، ص 202.
[5] كتبت تلكات وتلكاثة في النسحة التونسية.
[6] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 203.
[7] ابن حزم، المصدر السابق، ص 463.



بطون صنهاجة-الزاب بيد تلكاتة وقائدهم على ذلك العهد مناد بن منقوش بن صنهاج الأصغر الذي كان تابعا لبني العباس أيام حكمهم لإفريقية والزاب، ثم تحت امرأة بني الأغلب لما غلبوا على إفريقية حتى خرائب هاز غربا[1].

والظاهر أن تفرق جراوة أيام الفتح، قد كان له وقع من خلال تغييبها من التوطين ببلاد الزاب، فقد كانت مواطن جراوة الأصلية بجبل أوراس وهو يعتد من مجالات الزاب[2]، وتحدث ابن خلدون عن عدد قبيلة جراوة ينيف عن مائة ألف نفر، قتل منهم حوالي مائة ألف في حروب جراوة والمسلمين الفاتحين أيام حسان بن النعمان، وانتشر البقية بين القبائل، بالأخص غرب المغرب الأوسط بجهات تادلا ومليلة[3]، وقد كان لهم دور
بارز فيما بعد لما تقوى بهم الحسن بن أبي العيش أمير تلمسان ضد أمير مكناسة إبن أبي العافية[4].

والحال بالمثل بالنسبة لجموع أوربة من البرانس، يذكر ذلك ابن حزم في قوله:" فولد برنس كتامة، صنهاجة، عجيسة، ومصمودة، وأوربة...ولكل هؤلاء بطون عظيمة جدّا"[5]. وقد كان لها حضور واستقرار بمجالات الزاب مدة ليست بالقصيرة بعد تمددها من ناحية الغرب إلى تلمسان[6]، والظاهر أن هذه القبيلة قد انسلخت من بلاد الزاب بعد تغلب العرب عليها أيام زهير بن قيس البلوي، ويذكر ابن خلدون مواطنها بعد النكبة، فيقول:" وحدّت شوكة أوربة من بينهم واستقر جمهورهم بديار المغرب الأقصى فلم يكن بعدها لهم ذكر"[7].

ويتحدث ابن حزم عن قبائل زناتة، ومذاهبها، انطلاقا من شهادة اليعقوبي، فيقول:" ولزناتة بطون عظيمة كبني برزال، وبني دمر، ومغراوة، وبني صغمار وغيرهم...بني برزال وبني واسين فهم إباضية، وأما جمهور بني مغراوة، وبني يفرن فسنية"[8]. ومن شهادة اليعقوبي، يظهر أن بني دمر الذين استوطنوا

---

[1] نفسه، ص 463.

[2] تُظْهِر شهادة اليعقوبي حصرا للمدن الأوراسية المشكلة لبلاد الزاب: بغاي؛ نقاوس؛ طبنة؛ بلزمة، وجبل الأوراس يتوسط هذه المدن، مما يجعله ضمنيا في مجالات الزاب. اليعقوبي، المصدر السابق، ص 140-141.

[3] ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص12-13

[4] نفسه، ج6، ص 167-181.

[5] ابن حزم، المصدر السابق، ص 461.

[6] المالكي، المصدر السابق، ج1، ص 33.

[7] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص194؛ ج7، ص 13.

[8] ابن حزم، المصدر السابق، ص 463.

غرب الزاب وفيهم بنو برزال الشراة أو النكارية[1]؛ وكذلك بطون مغراوة[2] التي سكنت بلاد الزاب في نقاوس، جبل أوراس، بلاد الحضنة، جنوب الزاب في الواحات الغربية لبسكرة حتى الدوسن[3].

ت- صور الاندماج في المصنفات الاسماعيلية:

لم يواكب عصر الجغرافي اليعقوبي، من المصدريين سوى المصنفات الاسماعيلية، التي بدأ حضورها بعد وفاة اليعقوبي على الأرجح بعشر سنين فقط، ومن أهم هذه المصادر الاسماعيلية، نجد كتاب سيرة الاستاذ جوذر للعزيزي، وافتتاح الدعوة للقاضي النعمان، بالإضافة إلى مجموع الكتابات التي نقلت عن هذه المصنفات الاسماعيلية من شاكلة ابن حماد الصنهاجي، الداعي ادريس القرشي، والمقريزي. القراءة الأولية لكتاب الافتتاح يمكننا من جمع وحصر معلومات مهمة حول التوطين بمدن الزاب، بالأخص المدن التي تم انتزعت قصرا من سلطة الأغالبة، على غرار: باغاية، بلزمة، وطبنة.

لم تكن قبائل كتامة لحالها بمجالات سطيف، فقد استوطن إلى جانبهم قوم من العرب من بني أسد بن خزيمة وهم فصيل من قريش، يذكر نسبهم وولدهم ابن الكلبي فيقول:" وهؤلاء بنو أسد بن خُزيمة، وولد أسد بن خزيمة خمسة: دودان، وكاهلا، وعمرا، وصعبا، وحُلمة، وهم من أبيات مع بني جَذيمة بن مالك بن نصر بن قعين، وأمّهم: أودة بنت زيد بن أسلم بن الحاف بن قضاعة"[4]. وكان زعيمهم على هذا الزمان علي بن حفص المكنى ابن عسلوجة [5].

وبميلة، وهي بحسب اليعقوبي في مجالات الزاب[6]، عناصر جديدة من كتامة كانت مستقرة على عهد الداعي أبي عبد اللّه، وهما أجانة ولطاية وكجارمة، يذكرهم النعمان، فيقول:" فلمّا صاروا إلى ميلة خلص لأبي عبد اللّه جميع أجانة، ولحق بميلة فحل بن نوح في جماعة من لطاية واستقام أمر باقيهم لابي عبد الله"[7]. وقد ورد ذكرهم عند ابن خلدون في قوله:" وملوسة من إيان ولطاية وإجانة وغمسان وأوباست بنوتيطاسن"[8]. واستقر بجوارهم قوم من عرب سناجرة الجزيرة ومواطنهم مشرقا مابين دجلة والفرات إلى حدود الأناضول، وكان أميرهم على هذا الزمن موسى بن عباس، من ديار ربيعة (تغلب

---

[1] اليعقوبي، المصدر السابق، ص 141؛ ابن حزم، المصدر نفسه، ص 463.

[2] ابن حزم، المصدر نفسه، ص 463.

[3] ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 65.

[4] ابن الكلبي، المصدر السابق، ص 168.

[5] القاضي النعمان، المصدر السابق، ص 165 (الهامش)- 166. الداعي إدريس، المصدر السابق، ص 110؛ موسى لقبال، دور كتامة، ص 151.

[6] اليعقوبي، المصدر السابق، ص 140.

[7] القاضي النعمان، المصدر السابق، ص 110-111 و 135.

[8] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 196.

وبكر)[1]. والظاهر أنه قد كانت لهم مواطن أخرى شرقا، حيث يذكر اليعقوبي استيطانهم بمجانة:" وأهلها يقال لهم السناجرة يقال أن أولهم من سنجار من ديار ربيعة وهم جند للسلطان"[2].

ويبرز تقاطع القاضي النعمان مع باقي المصادر في ذكره لقبيلة عجيسة، والذين سكنوا بالجبال المقابلة للمسيلة في الجنوب الغربي من سطيف، على شاكلة توبر أو وشنوك، في مجمل حديثه عن انتفاضة فتح بن يحي[3] ضد الداعي الاسماعيلي، فيقول في هذا:" وصار إلى عجيسة...فقصد بالعساكر نحوه، ومرّ على سطيف، فلم يعرض لمن فيها، وتحصن فتح بن يحي ومن معه في قلعة منيعة بالموضع الذي عقدوا فيه يقال له توبر وتسمى أيضا وشنوك..."[4].

وأشار القاضي النعمان إلى الجاليات التي سكنت طبنة، وحصرها في العرب والبربر فقط، وقد كان متولي طبنة على ذلك الزمان حسن بن أحمد بن نافذ المكنى بأبي المقارع[5]، وقد ذكر بعض الوجوه من العرب الذين استقروا بين أهل طبنة على غرار شيب بن أبي شداد المكنى شيب الصغير، وفتح بن يحي، ومحمد بن قرهب، ويحي بن القسري[6]، ويظهر من أسماؤهم أصلهم العربي القرشي؛ وإلى جانب العرب، يبرز الجماعات المحلية من البربر الذين شكلوا قوة مع العرب لمجابهة الداعي أبي عبد الله الشيعي[7]، وقد جاء ذكره خصوصا على قبائل زناتة وعلى رأسهم أحمد بن خزر الزناتي[8].

ويظهر للعيان نقص لدى صاحب افتتاح الدعوة في الجاليات التي استقرت بطبنة مقارنة بما أورده اليعقوبي[9]، بالأخص الروم والأفارقة، هذا النقص في المعلومات الدلالية، نجده مكتملا في قراءات صاحب البيان المغْرِب، حين يؤكد على استقرار جماعات الروم والأفارقة بقاعدة الزاب طبنة، وهذا راضين بشروط الجزية والمغرم، مع بــــروز فئة جديدة بطبنة في روايـــة صاحب البيان ممثلة في استقرار اليهـود بــها[10].

---

[1] الداعي ادريس، المصدر السابق، ص 109 و135.

[2] اليعقوبي، المصدر السابق، ص 138.

[3] يذكر الداعي ادريس ان سبب انتفاضة فتح ابن يحي قد كانت مذهبية، فقد كان هو ومن معه على المذهب الاباضي، بل يرى بانهم كانوا على هذا المذهب بمسالته دون غيرهم من كتامة. الداعي إدريس، المصدر السابق، ص 105.

[4] القاضي النعمان، المصدر السابق، ص 112. الداعي ادريس، المصدر نفسه، ص 106.

[5] الداعي ادريس، المصدر نفسه، ص 118.

[6] القاضي النعمان، المصدر السابق، ص 174.

[7] المصدر نفسه، نفس الصفحة.

[8] نفسه، ص 178 و (الهامش).

[9] اليعقوبي، المصدر السابق، ص 140.

[10] ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 141.

وبنفس قراءات اليعقوبي، يذهب القاضي النعمان إلى تغييب البربر من توطين بلزمة، حاصرا تعميرها في العرب من بني تميم وقد كان على رأس بلزمة حي بن تميم التميمي[1]، يقول في ذلك:" وبنو تميم أصاحب بلزمة فيمن معهم"[2]. ولا يظهر للجماعات المحلية ببلزمة[3] سوى قبيل من مجانة أو أجانة وهي من بطون كتامة، يشير إلى ذلك في قوله:" ويئس أهل بلزمة وكان فيهم رجل من أهل مجانة يعرف بأبي عبد الله"[4].

وتُبرز المصادر الإسماعيلية التوطين بباغاي بنفس صفاته التي جاءت عند اليعقوبي[5]، فقد كان بالمدينة جاليات من العرب والعجم من خرسان، وكان متوليهم أبو عبد الله والي باغاية الذي فر منها هاربا خوفا من جيوش الداعي[6]؛ وكان بباغاي بقايا من الروم[7]؛ وحولها سكنت الجماعات المحلية وتظهر في صورة الفصيل الذي سكن مدينة تيجيس وهم من قبيل هوارة، ويذكر أقدمية تشيعهم لأهل البيت أيام الداعي الحلواني، يقول في هذا:" وكان فيهم تشيع قديم، وكان منهم إسماعيل بن نصر المعادي لحق بالحلواني وأخذ عن أصحابه"[8].

ثانيا: التغيرات في البنية الاجتماعية لبلاد الزاب خلال القرن الهجري الرابع/10م

1- الإختفاء التدريجي لبقايا جماعات الروم والأفارقة

خلال القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي نلاحظ اختفاء شبه كلي لبقايا الجماعات المسيحية ببلاد الزاب[9]، سواء في النصوص الوصفية كما هو الحال في: (أحسن التقاسيم) للمقدسي، و(صورة الأرض) لابن حوقل النصيبي. أو في المصنفات الاسماعيلية، من شاكلة (افتتاح الدعوة) للقاضي النعمان، والمصادر التي نقلت عنه مثل: (الاتعاظ) للمقريزي، و(عيون الأخبار) للداعي إدريس. فقد تراجعت حضور جماعات (الروم) و (الأفارقة)، ويغيب ذكرها في المصادر القرن 4هـ/10م.

---

[1] حول نسب تميم العرب، يراجع: ابن الكلبي، المصدر السابق، ص 191-192.

[2] القاضي النعمان، المصدر السابق، ص 140 و 178.

[3] بلزمة: مدينة القرب من مروانة، تقع إلى الغرب من باتنه، وإلى الشمال من نقاوس، وجبلها يشرف على مدينة باتنة. إدريس الداعي، المصدر السابق، ص 119 (الهامش).

[4] المصدر نفسه، ص 178.

[5] اليعقوبي، المصدر السابق، ص 140.

[6] القاضي النعمان، المصدر السابق، ص 203؛ الداعي ادريس، المصدر السابق، ص 123..

[7] الداعي إدريس، المصدر السابق، ص 123 (الهامش).

[8] القاضي النعمان، المصدر السابق، ص 182.

[9] وردت إشارات قليلة حول وجود إثنونيم الروم ببلاد الزاب، والدال على ذلك الأسماء اللاتينية التي جاء ذكر إحداها عند ابن حماد الصنهاجي في قوله:" لبني حماد مملوك رومي يقال له بونياس (بونياش)". ابن حماد، المصدر السابق، ص 73.

الاختفاء التدريجي لبقايا الجاليات اللاتينو بيزنطية، والتي لاحظنا انزياحها جنوب الزاب، وحتى على حدودها عند بلاد الجريد[1]، بعيدا عن تأثيرات الأسلمة والتعريب[2]، عوضه بروز مصطلح حل محل التسميات القديمة، لكن بمفهوم جديد ممثل في مصطلح (برقجانة)، يذكر ذلك ابن حوقل في قوله:" وأهلها قبيلتان عرب وبرقجانة"[3]. ليدل على جماعات محلية وبقايا رومانو بيزنطية ، تحولت في الأخير إلى الاسلام، خصوصا في طبنة، التي كانت لوقت قريب[4] خليطا من الجاليات، شكل الأفارقة والروم جزءا مشتركا من عناصر بنيتها الاجتماعية[5].

وتكونت جماعات على مذهب الاعتزال في المناطق القريبة من الجهة الجنوبية الشرقية، ونخص هنا مدينة بادس، أين سيطرت جماعات زناتة ومزاتة بشكل كلي على أريافها، في حين نلاحظ عموم المذهب الاباضي-الوهبي على الحواف الملامسة للزاب عند بادس[6]. وهو ما قد يؤكد بأن سيطرة المذهب الاباضي على أرياف الزاب بعيدا عن أعين، مركز وسيطرة السلطة.

إن هذه المعطيات تؤشر على تحول ثقافي وديني بارز، وهذا بميلاد جماعات مسلمة، تشكلت في الغالب نتيجة تغلغل الفكر الديني في نفوس بقايا الجاليات اللاتينية-المسيحية بشقيها المحلية البربرية، والوافدة الرومانو-بيزنطية[7]، التي انتشرت في نهاية القرن الثالث الهجري/التاسع ميلادي، وبرزت في نصوص اليعقوبي، بالأخص بمدن باغاي؛ تيجيس؛ مقرة[8]. هذا التحول يفسره ابن حوقل باعتباره بلاد المغرب، وحتى بلاد الأندلس "بلد الإسلام"[9].

2- صورة الخريطة البشرية بالزاب الفاطمي:

إذا ما استثنينا بعض الاشارات الواردة في النصوص الإسماعيلية حول مواطن البربر ببلاد الزاب حتى نهاية 362هـ/973م، ينفرد صاحب صورة الأرض بالمعطيات المتعلقة بهذا التوطين بمجال ظهرت

---

[1] التجاني، المصدر السابق، ص 160.

[2] Marçais, *op. cit*., p. 48-49.

[3] ابن حوقل، المصدر السابق، ص 85.

[4] خلال القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، يظهر وجود عنصري الروم والأفارقة على الخارطة الاجتماعية للزاب بمدن عدة.

[5] اليعقوبي، المصدر السابق، ص 140.

[6] يذكر ذلك بن حوقل في قوله:" فأما أهل قسطيلية وقفصة ونفطة والحامة وسماطة .. فشراة، إما إباضية..أو وهبية....وتجاورهم من البربر زناتة ومزاتة قبيلتان عظيمتان الغالب عليهم الاعتزال". ابن حوقل، المصدر السابق، ص 94؛ البكري، المصدر السابق، ج2، ص 257.

[7] علاوة عمارة، " موقع تلمسان"، ص 26-27.

[8] اليعقوبي، المصدر السابق، ص 140-141.

[9] ابن حوقل، المصدر السابق، ص 64.

عليه بعض التطورات نتيجة تشكل مدن جديدة على غرار المسيلة، وأشير[1]، حيث امتد الزاب على عكس القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي غربا مابعد خرائب هاز[2]، وإلى أشير زيري بحسب النص الذي انفرد به المشرقي صاحب أحسن التقاسيم، ويُفصّل لنا في هذا المجال، فيقول:" والزاب مدينتها المسيلة ولها مقرة، طبنة، بسكرة، بادس، تهوذا، طولقا، جميلا، بنطيوس، أذنة، أشير"[3].

لقد قدم لنا ابن حوقل معطيات دلالية حول توزع الجماعات المحلية (البربر) بمجالات الزاب، فقد استحوذت زناتة وهوارة على أغلب الأرياف كما هو الحال في جبل الأوراس وباغاي، وسفح غزالة[4]، وهذا المجال الريفي ميزه بشكل كبير اعتناقه لإسلام إباضي، وتظهر ملامح التوطين في الأرياف الزابية في قوله:" مدينة باغاي...وهو بلد بربري البادية[5]؛ وجبل أوراس[6] ..سكانه مستطيلين على من جاورهم من البربر وغيرهم"[7]. والظاهر أن بباغاي استوطن قبيل من هوارة[8]؛ وفي دوفانة وهي من أرياف جبل أوراس استقر فصيل من بطون زناتة يمثله فرع اللهان (بنو لوه)[9]. واستقرت بالمجالات الريفية مابين طبنة وبسكرة جنوبا أقوام من بربر زناتة يقال لهم سدراته، وقد كان لهم سطوة وقوة على أيام ثورة مخلد النكاري[10]. واستقر ببنطيوس فصيل مغراوة لوقوعها بالقرب من مفازاتها عند إزمرين[11]، كانوا مددا وعونا لصاحب الحمار أثناء حصاره بجبل كيانه نواحي المعاضيد شمال المسيلة[12].

---

[1] يراجع تشكيل المدن الاسماعيلية-الزيرية في الفصل السابق.

[2] يقارن مجال الزاب في نهاية القرن الثالث الهجري عند اليعقوبي، والمجال خلال القرن الهجري الرابع لدى المقدسي.

[3] المقدسي، المصدر السابق، ص 221.

[4] تقع على مقربة من مدينة باغاي، وكان بها فصيل من هوارة. ابن حماد الصنهاجي، المصدر السابق، ص 83.

[5] يرى مبارك الميلي أن مزاتة، وهم من بطون لواتة قد استقرت بمدينة باغاي وببلزمة وغيرهما. مبارك الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، د.ت، ج2، ص 219-220.

[6] يرجح أن فيهم فصيل من بني يفرن-زناتة الذي منهم صاحب الحمار مخلد بن كيداد النكاري، وهذا لأن مبتدأ حملته كانت منه. حول بني يفرن والنكاري، يراجع: ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 18-23.

[7] ابن حوقل، المصدر السابق، ص 84.

[8] ابن الأثير، الصدر السابق ج7، ص 334.

[9] ابن حوقل، المصدر نفسه، ص 102. ويذكر صاحب جمهرة الانساب على أولاد ملد بن أوريغ إسم اللهانة، فيقول:" ستات، وورفل، وواسنيل، ومسراته، ويقال لهؤلاء لهانة". ابن حزم، المصدر السابق، ص 462.

[10] ورد أتباع النكاري مخلد بن كيداد، الذين سكنوا جبال المسيلة والاوراس عند العزيزي الجوذري، وكانوا إلى جانبه في حربه ضد الاسماعيلة بلفظ (الأزارقة). العزيزي الجوذري، المصدر السابق، ص48-49؛ الداعي إدريس، المصدر السابق، ص 392. ابن حماد الصنهاجي، المصدر السابق، ص 71.

[11] البكري، المصدر السابق، ج2، ص 254.

[12] ابن حماد الصنهاجي، المصدر السابق، ص 71.

وأما نفزاوة وهم بنو تطوفت بن نفزاو بن لوا الأكبر بن زحيك، وكانت لهم بطون كثيرة أشهرها ولهاصة وورفجومة، وقد كان لهم مستقر بجبل أوراس بداية من القرن الثاني الهجري/الثامن ميلادي، وزعيمهم على ذلك الزمان بالأوراس عاصم بن جميل، حيث اجتمعت على يديه نفزاوة بجبل أوراس وعلى رأسهم عبد الملك بن أبي الجعد ويزيد بن سكوم، وكانوا شيعا للإباضية، وقد كانت لهم صولات وجولات في زمانهم ذاك ضد السلطة[1]؛ كما ظهر لهم قبيل منهم يقال له زهيلة[2] بمدينة بادس[3] إلى الجنوب الشرقي للزاب[4].

وانتشرت قبائل زناتة بالمجال الممتد من مقرة حتى المدينة الاسماعيلية الجديدة (المحمدية)، حيث كانت لعهد قبل هذا خطة لبني كملان[5] هوارة[6]، الذين سيتم ترحيلهم قصرا شرقا نحو القيروان، بعدما مدوا أيديهم للثائر النكاري يزيد بن مخلد بن كيداد[7]؛ كما مثل هذا المجال الغربي مستقرا لبني برزال، وبني زنداج، وهوارة ومزاتة، وبقوا في هذه المجالات مابعد وصول الجماعات الاسماعيلية لها[8].

وبجبل سالات إلى الجنوب من المسيلة عند حدود أولاد سيدي ابراهيم وبوسعادة تجمعت بطون من زناتة وعلى رأسهم بنو برزال[9] وبنو كملان جموع من هوارة الإباضية[10]، أما بمدينة الغدير القريبة من جبل وقلعة كياته فقد كانت موطنا ومستقرا لجموع هوارة[11]. وكذا الحال بقلعة شيكر (شاكر) التي كانت:" آهلة معمورة، وفيها جماعة كثيرة من هوارة وغيرهم على مذهب ..نكارية"؛ كما استوطن بقلعة عقار بطن من بطون هوارة وهم مسراتة "[12].

---

[1] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 149.

[2] ابن حزم، المصدر السابق، ص 462.

[3] ذكرت بادس عموما عند ابن خلدون، ورجحنا أن تكون بادس الزاب.

[4] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 152.

[5] هناك اتفاق تام بين المصدريين على اسم قبيلة كملان، ومنهم صاحب الجمهرة، وصاحب صورة الأرض وصاحب الاتعاظ، ولا ينفرد عن رأيهم إلا ابن خلدون حيث يذكرها (كهلان) ويضعها في فصيل هوارة. ابن حوقل، المصدر السابق، ص 102؛ ابن حزم، المصدر السابق، ص 461؛؛ ابن خلدون، ج6، ص 183؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا بأخبار الائمة الفاطميين الخلفا، تحقيق: جمال الدين الشيال، مطابع الإسكندرية، القاهرة، 1996م، ج1، ص 72.

[6] ويذكر ذلك ابن حزم:" ومن قبائل هوارة: كملان، ومليلة". ابن حزم، المصدر السابق، ص 461.

[7] المقريزي، المصدر السابق، ج1، ص 72.

[8] ابن حوقل، المصدر السابق، ص 85.

[9] مفاخر البربر، المصدر السابق، ص 79.

[10] الداعي إدريس، المصدر السابق، ص 393.

[11] الداعي إدريس، المصدر السابق، ص 407 و (الهامش).

[12] نفسه، ص 424 و426. عقار: جبل ببلدية المعاضيد الحالية، وهو بالقرب من جبل كياته. ابن حماد الصنهاجي، ص 70.

كما تظهر ملامح جاليات عربية في بلاد الزاب على هذا العهد، فتواصل استقرار عرب بني تميم بمدينة بلزمة، على ما كانوا عليه في القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي[1]، يذكر ذلك بن حوقل في قوله: "بلزمة...وهو بلد محدث للعرب وفيه بقاياهم إلى الآن"[2]. ويظهر بجبل الأوراس إلى جانب هوارة البربرية[3] جالية أخرى إلى: "جوارهم من البربر وغيرهم"[4]. وكان بطبنة فصيل من العرب عاش جنبا لجنب مع برقجانة، يذكر ذلك بن حوقل فيقول:" طبنة...وأهلها قبيلتان عرب وبرقجانة"[5]. في حين تسكت مصادر القرن الرابع الهجري/10م عن باقي الجاليات العربية من قيس وفهر؛ والعجم من فرس، والتي كانت مستوطنة باقي مدن الزاب على عهد اليعقوبي.

ثالثا: النسيج الاجتماعي بالزابين الأعلى والأسفل

1- تركيبة المجتمع حتى النصف الأول من القرن الهجري الخامس/11م:

إن معطيات البكري (ت487هـ/1094م) تسمح لنا بتحديد التغيرات الطارئة على البنية الاجتماعية لبلاد الزاب مقترنة بالجانب المذهبي، بالأخص في الفترة المحصورة ما بين نهاية القرن الرابع الهجري/10م، وهذا بنسخه لكتاب المسالك لعبد الله محمد بن يوسف الوراق (ت363هـ/973م)، وحتى النصف الأول للقرن الهجري الخامس/11م، لغياب معطيات متعلقة بالحضور الهلالي في شهادته. لقد اتسمت البينة الاجتماعية لبلاد الزاب في شهادته بطابع فسيفسائي متعدد الأجناس والعناصر المشكلة له، في المدن والأرياف:

ينطلق البكري في شهادته حول التوطين ببلاد الزاب من وصفه للمسلك (القيروان – قلعة بني حماد)، هذه الأخيرة استقر بها قبيل صنهاجة من تلكاتة، يقول في هذا:" وهي اليوم (ويقصد القلعة) مستقر مملكة صنهاجة"[6]. وإلى الشرق منها مدينة طبنة التي سكنها عناصر عدة، منهم البربر وهم بطن مغراوة أهل بيت بني خزر[7]، وكذلك العرب الذين استمر استقرارهم بها[8]، ونظنهم من أحفاد الفهريين-القريشيين[9].

---

[1] اليعقوبي، المصدر السابق، ص 140.
[2] ابن حوقل، المصدر السابق، ص 89.
[3] ابن حماد الصنهاجي، المصدر السابق، ص 83.
[4] ابن حوقل، المصدر السابق، ص 84.
[5] المصدر نفسه، ص 85.
[6] البكري، المصدر السابق، ج2، ص 226.
[7] ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 61.
[8] نفسه، ج2، ص 228.
[9] اليعقوبي، المصدر السابق، ص 140.

وبالمقابل، جاءت إشارة مبهمة لوجود عنصر العجم بها[1]، في حين سكن ببلزمة قبيل من مزاتة[2]، وقد انتقلوا من مواطن قبيلتهم الأصلية لواتة بنواحي برقة إلى نواحي الأوراس وماحولها على غرار: باغاي، بلزمة[3]، ونقاوس[4]، على أيام فتنة صاحب الحمار، يذكر ذلك ابن خلدون فيقول:" وكان منهم بجبل أوراس أمة عظيمة ظاهروا أبا يزيد مع بني كملان على امره، ولم يزالوا بأوراس لهذا العهد"[5].

وبسكرة كورة عظيمة، وقاعدتها بسكرة، وسكنها أخلاط من: البربر؛ العرب؛ المولدين؛ الفرس. وهي بلاد واسعة، فمنها الكورة الصغيرة بنطيوس، وهي تقع على مقربة من مفازات مغراوة الزناتية[6]، ولها ثلاث قصور: أورلال؛ بنطيوس؛ والمخادمة[7]، واستقر بمدن بنطيوس خليط من: الفرس يعرفون ببني جريج؛ البربر[8]؛ والمولدون[9]، هؤلاء لا يظهر أصلهم الحقيقي، أهم من مصاهرة بين البربر والعجم الفرس؛ أو من تزاوج بين العرب والبربر، وإذا كان كذلك فإن العرب يكونون قد تواصل وجودهم بهذه المدن المكونة للكورة الصغيرة بنطيوس.

ولكورة بسكرة، طولقة، وهي كورة صغيرة تشبه بنطيوس في عدد مدنها، فلها ثلاث مدن، وهي: البرج؛ ليشانة؛ طولقة[10]، ويذكر البكري العناصر المستقرة بها فـ:" إحداهما يسكنها المولدون وهي التسمية التي حملتها بقايا الجاليات الرومانو بيزنطية، والثانية يسكنها اليمن (العرب اليمانية)، والثالثة يسكنها قيس (العرب القيسية)"[11].

---

[1] يمكننا اعطاء تفسيرين للعجم بطبنة: الأول نظنه يقصد بهم العنصر الفارسي، الذي نلاحظ غيابهم التام في نصوص ابن حوقل، أو النصوص الاسماعيلية المختلفة؛ والثاني: على الأرجح يقصد عناصر برقجانة الذين أورد انتمائهم لسكان الزاب صاحب صورة الأرض، ممثلين لجماعات الروم والأفارقة المتحولين للإسلام على مذهب المالكية.

[2] مزاتة: بطن من بطون لواتة البترية، وهي من أكثر بطونها، ولها بطون كثيرة منها: ملايان (بلايان) ومرنة (قرنة)؛ ومحيه (محيجة)؛ دكمه ؛حمره ؛ مدونه. ابن حزم، المصدر السابق، ص 463؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 153.

[3] مبارك الميلي، المرجع السابق، ج2، ص 219-220.

[4] استقر بنقاوس فرع من لواتة وهم باديس . ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 153؛ مبارك الميلي، المرجع السابق، ج2، ص 220.

[5] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 153.

[6] البكري، المصدر السابق، ج2، ص 254.

[7] A.A.A, F°48, N°39-40-42.

[8] بفضل قربها من مفازات مغراوة الزناتية، نرجح أن يكون البربر ممن استقر ببنطيوس هم من فصيل مغراوة.

[9] البكري، المصدر السابق، ج2، ص 254.

[10] A.A.A, F°48, N°25-27 ; Cambuzat, *op. cit.* vol.2, p.213-214.

[11] البكري، المصدر السابق، ج2، ص 230

ويواصل البكري الحديث عن التوطين بمدن كورة بسكرة، حيث ينتقل إلى قاعدتها بسكرة، فيذكر لنا المولدون المعتنقون لإسلام مالكي[1]، وحولها مجالات ريفية تشكلت من مغراوة وهي من أهل بيت بني خزر الذين كانت لهم الغلبة خلال هذا العهد، يذكر ذلك ابن خلدون فيقول:" فاعتز خزر وقومه على أمر المضرية بالقيروان، واستفحل ملكهم وعظم شأن سلطانهم على البدو من زناتة بالمغرب الأوسط"[2]. كما طغى على ريف بسكرة فصيل آخر هو سدراتة[3] والغالب عليهم توجههم الاباضي النكاري، لأنهم كانوا ممن مد يد العون لصاحب الحمار[4].

إن المعطيات الواردة في جغرافية للبكري، تكملها بصورة دقيقة بعض الشهادات المصدرية الإخبارية، التي تبرز توطين عناصر لبسكرة، والحديث هنا عن عائلة صندل التي ورد ذكرها عند ابن عذارى، وقد حكمت بسكرة على الأقل حتى 419هـ/1028م[5].بعد هذه الفترة يبرز ابن خلدون عناصر جديدة ملكت واستوطنت بسكرة لفترة ليس بالقصيرة، نتحدث هنا عن عائلات بني رمان بزعامة جعفر بن علي بن رمان، ثم بني سندي ومتوليهم عروس بن سندي[6]. فالعائلة الأولى ملكت زاب بسكرة، واستطاعت أن تخرج عن طاعة الحماديين على عهد الأمير بلكين بن محمد (447-454هـ/1055-1062م)، لكن هذه الانتفاضة قوبلت بحزم من قبل الامير الحمادي كما رأينا سلفا، وأدت في الأخير إلى مقتل جعفر بن أبي رمان[7]، وأسندت إدارة بسكرة إلى العائلة الثانية، ونقصد بني سندي، حيث تولى في 450هـ/1058م عروس بن سندي حكم بسكرة[8].

ويظهر اختلاف في نسب عائلة بني رمان، حيث يرى مثلا الهادي روجي إدريس أن رومان (بواو تتوسط راءً وميمًا)[9] من ذرية السكان اللاتينيين الذين استقروا بإفريقية[10]، ونظنه يقصد الجماعات من الروم والأفارقة الذين نزحوا باتجاه الجنوب للحفاظ على موروثهم الثقافي والديني اللاتيني[11]، أو العناصر

[1] نفسه، ج2، ص 254.
[2] البكري، المصدر السابق، ج2، ص 254 ؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 34 و 38.
[3] البكري، المصدر السابق، ج2، ص 230.
[4] ابن حماد الصنهاجي، المصدر السابق، ص 71.
[5] ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 273.
[6] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 230.
[7] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 230.
[8] ابن خلدون، ج6، ص 231؛ الهادي روجي ادريس، المرجع السابق، ج1، ص 288.
[9] ونظنها جمع لكلمة روم- رومان، أي بمعنى الرومانيون.
[10] الهادي روجي ادريس، المرجع السابق، ج1، ص 288 (الهامش).
[11] G. Marçais, *op. cit.*, p. 48-49.

الناتجة عن التصاهر الذي حدث بين الجماعات المحلية المقتنعة بالموروث الثقافي اللتيني-المسيحي، والجماعات اللاتينية الوافدة والمشكلة للبربر المترومنين[1]. بعكس هذا التفسير، يضع صاحب جمهرة الأنساب بني رومان ضمن عرب ولد صفرة بن طيّء[2]. فما مدى صحة هذا الرأي؟

وأما بنو سندي العائلة القوية الثانية في بسكرة، فيرى علاوة عمارة أنها منحدرة في أصولها من بقايا اللاتينيين أو من الجماعات الزناتية المتحالفة[3]. وقد كان لهذه العائلة دور كبير في الفتك بالمستنصر بن خزرون الزناتي عندما اجتلب على الأمير الناصر بن علناس بقومه من مغراوة والكثير من العرب الهلاليين، حيث أوعز السلطان لعروس بن سندي الفتك بالمستنصر بعدما تظاهر له بمنحه جزءا من الزاب وريغه مقابل الصلح، وقد قتلوا من اتباعه خلق كثير[4].

وبمدينة تهودة استوطنت جماعات تنتسب إلى الفرع القرشي، ونظنهم من بقايا فصيل العائلة الفهرية، الذين انتشروا بمدن عدة بالزاب على غرار مقرة التي استقر بها فصيل بني ضبة من بني الحارث بن فهر[5]، وإلى جانب العناصر القرشية بتهودة سكن العرب إلى جوارهم وكانوا على مذهب أهل العراق[6]. وبجوف تهودة استقرت عناصر من هوارة[7]، بالإضافة إلى مكناسة البترية بنقاوس، وبسكرة، والحضنة، بعدما كانت مواطنها لا تتجاوز وادي ملوية[8]. مختلفين بشكل دائم مذهبيا مع العرب، لاعتناقهم المذهب الإباضي[9].

2-التركيبة البشرية والتنظيم المجالي الجديد:

لقد كانت الوضعية الدينية أكبر محفز لجماعة بني رمان على تحدي نفوذ الحماديين، حيث مثلت الفضاءات الريفية القريبة مستقرا للجماعات الإباضية المناوئة لسلطة بني حماد[10]، وكانت طبيعة المنطقة

---

[1] العربي عقون، المرجع السابق، ص 42.

[2] ابن حزم، المصدر السابق، ص 375-376.

[3] علاوة عمارة، "التحولات المجالية والطبونيمية"، ص 16.

[4] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 230-231.

[5] اليعقوبي، المصدر السابق، ص 141؛ ابن حزم، المصدر السابق، ص 192؛ ابن الكلبي، المصدر السابق، ص 123-125.

[6] "مدينة تهوذا...سكانها العرب وقوم من قريش...وأهل تهوذا على مذهب أهل العراق". البكري، المصدر السابق، ج2، ص 255.

[7] المصدر نفسه، نفس الصفحة.

[8] اليعقوبي، المصدر نفسه، ص 141؛ ابن خلدون؛ المصدر السابق، ج6، ص 170-171. محمد حسن، الجغرافيا التاريخية لإفريقية، ص 11.

[9] البكري، المصدر السابق، ج2، ص 255.

[10] يقدم لنا البكري الوضعية الدينية بأرياف الزاب على غرار تهودة:" وأعدائهم هوارة ومكناسة إباضية"؛ وفي بنطيوس:" قوم من الخوارج يعرفون بالواصلية، إباضية" وعلى ثلاث مراحل منها توجد مفاوز مغراوة التي عرف عليها عدائها الكامل لصنهاجة ما قبل وصول الفاطميين؛ وبأرياف بسكرة :"حولها من قبائل البربر: سدراته (النكارية) وبنو مغراوة (الإباضية)". البكري، المصدر السابق، ج2، =

التجاري لتحكمها في طرق التجارة نحو الصحراء، وتوفرت بسكرة النخيل على منتوج جيد من التمور، فصارت بذلك هدفا سهلا للتحكم في فضاءاته[1]، مما شكل عائقا للحماديين، وأنتج تمردات مستمرة قادها هذه المرة المتولى الجديد على بسكرة من بني رمان، وهذا على عهد الأمير الناصر بن علناس (454-481هـ/1062-1088م)، لكن نهايته كانت بمثل جعفر بن رمان، حيث اقتيدت كل العائلة إلى القلعة وأعدموا بالكامل، وانقرض بذلك هذا الفصيل من الأسر التي استوطنت وحكمت بسكرة[2].

تزامن هذا الحدث المهم مع قرارات سياسية جديدة للعائلة الحمادية، أنهت بموجبه حكم عائلة بني جعفر المتحالفة معها في السابق، ليختفي وجودهم بين الجماعات التي ستستوطن بلاد الزاب مابعد النصف الثاني من القرن الهجري الخامس/الحادي عشر الميلادي، حيث يذكر لنا ابن خلدون نهاية عهد بني جعفر ببلاد الزاب، فيقول:" وكان أهل بسكرة لما قتل بلكين مقدمهم جعفر بن أبي رمان خلعوا طاعة آل حماد واستبدوا بأمر بلدهم، وعليهم بنو جعفر، فسرح الناصر [بن علناس] إليهم خلف بن أبي حيدرة وزيره ووزير بكين قبله، فنازلها وافتتحها عنوة، واحتمل بني جعفر في جماعة م رؤسائها إلى القلعة فقتلهم الناصر وصلبهم"[3].

نتج عن هذا إعادة تنظيم مجالي ببلاد الزاب بتقسيمها إلى مقاطعتين إداريتين[4]، برز من خلالهما توطين الجماعات الصنهاجية بفرعها الحمادي للزاب الأعلى وقاعدته نقاوس، وحصرت فيها السلطة بين أفراد العائلة الحاكمة من أبناء الأمير الحمادي[5]؛ في حين نلاحظ تواصل جماعات بني سندي القوية التي في أغلب الظن تنحدر من الأصول اللاتينية المتبقية جنوب الزاب، أو من الجماعات الزناتية المتصالحة مع البيت الحمادي، والتي أصبحت تحت سلطته أخيرا.

لقد أكد ابن الاثير دخول بعض بطون زناتة في طاعة الحماديين حين ذكر مشاركتهم معهم في حربهم ضد العرب الهلاليين[6]، مما قد يكون أكسبها ميزة بلوغ السلطة، ومنحت هذه العائلة السلطة

= ص 254-255؛ ويذكر ابن خلدون الصراعات بين صنهاجة وزناتة، فيقول:" وكانت بينه وبين مغراوة من زناتة المجاورين له من جهة المغرب الأوسط كما نذكر حروب وفتن طويلة" ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 203.

[1] البكري، المصدر السابق، ج2، ص 230؛ الحميري، المصدر السابق، ج1، ص 422.

[2] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 230.

[3] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 230.

[4] إضافة إلى زاب القلعة. تم تشكيل الزاب الأعلى والزاب الأسفل. يراجع: ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 5؛ علاوة عمارة، "بين جبل أوراس والواحات"، ترجمة: عبد القادر مباركية، ص 249.

[5] علاوة عمارة، "التحولات المجالية والطبونيمية"، ص 16.

[6] ابن الأثير، المصدر السابق، مج8، ص 372.



بالزاب الأسفل وكانت قاعدته بسكرة، يذكر ابن خلدون ذلك في قوله:" عروس ين سندي رئيس بسكرة لعهده"[1]. لم يهنئ بنو حماد كثيرا بالسلطة ببلاد الزاب وغيرها من مجالاتهم بالمغرب الأوسط، حيث واكب هذه الوضعية السياسية الجديدة بالزابين حدث سيكون له تبعات خطيرة على واقع التوطين بهذه المجالات الواسعة، وهي الهجرات الهلالية[2].

3- الحضور الهلالي ببلاد الزاب...البدايات

في ظروف غامضة، بدأ الحضور التدريجي للجماعات الهلالية انطلاقا من منتصف القرن الهجري الخامس/الحادي عشر الميلادي على ساحة التوطين بمجالات الزاب[3]، وهذا في ظل النقص الفادح للنصوص المباشرة المتعلقة بظروف وصول هذه الجماعات من أرض افريقية شرقا باتجاه هذه المواطن الجديدة، والتي ستتحول إلى مغتصبات-هلالية باتفاق مع الأسرة الحمادية الحاكمة.

تعتبر الكتابات التاريخية ذات الطابع الأيديولوجي الصادرة عن البلاط الباديسي، الموافقة لسنة 443هـ/1052م، والتي كان مصدرها الإخباريان أبو الصلت وابن شرف[4]، أول معين لنا في معرفة البدايات الحقيقية لولوج الجماعات العربية-المشرقية لأرض إفريقية، ثم انتقالها غربا في مجالات بني حماد ومنها بلاد الزاب، وقد نقلها عنهما ابن عذارى، وهذا حين يقول: "قال ابن شرف: أباح بنو عبيد للعرب مجاز النيل...رياح"[5]؛"قال أبو الصلت: ثم برز المعز إلى لقاء العرب الواصلة من المشرق وجرد عساكره"[6]. مع الإشارة إلى أن هذه الكتابات الصادرة عن البلاط الباديسي بالقيروان، قد اعتمدت من قبل ابن خلدون وغيره في نسب الدور التخريبي-البدوي إلى الجماعات الهلالية[7]. مع أن هذه الأحكام المصبغة باللاموضوعية في الطرح تحتاج بحسب رأيي إلى وضعها في سياقها المعرفي الحقيقي بعيدا عن الإعجاب والإدانة.

تقدم لنا النصوص الإخبارية الكثير من المعلومات المتعلقة بوفود الجماعات الهلالية إلى أرض إفريقية ولعل أول هذه المعطيات الدلالية نجدها في رواية صاحب الكامل في التاريخ المنقولة عن ابن

---

[1] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 231.

[2] وردت اشارات واضحة عند ابن عذارى لبداية وصول الجماعات الهلالية- السليمية الى المجالات الحمادية بداية من 457هـ. ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 299.

[3] علاوة عمارة، " بين جبل أوراس والواحات"، ترجمة: عبد القادر مباركية، ص 268.

[4] علاوة عمارة، " الهجرة الهلالية وأثرها"، ص 80.

[5] ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 288.

[6] المصدر نفسه، ج1، ص 292.

[7] محمد حسن، المدينة والبادية بإفريقية، ج1، ص 28.

شداد الصنهاجي، الذي يشير إلى جماعات من الأثبج وعدي بمجالات الزاب قبل موقعة سبيبة 457هـ/1065م، وهذا في قوله:" فجمعوا قومهم وتحالفوا على لقاء الناصر [بن علناس] وأرسل إلى من مع الناصر من بني هلال"[1].

لكن هل هذه الشهادة تؤكد الاستقرار الفعلي للجماعات الهلالية على الأقل في مجالات بني حماد؟

إن القراءة المتأنية للنص الموالي في رواية ابن الأثير المنسوخة عن ابن شداد، ستؤكد بشكل واضح استقرار الهلاليين بمجالات الزاب، وفي غيره من المدن الحمادية، وهذا منذ سقوط القيروان، وحتى موقعة سبيبة، وأنه قد رحل إلى بلاد بني حماد عناصر مختلفة من غير الهلالية، للتحصن بقلاعهم مخافة بطش العرب بهم، وفي هذا يقول:" تمكنت العرب ونهبت الناس وخربت البلاد وانتقل كثير من أهلها إلى بلاد بني حماد لكونها جبالا وعرة يمكن الامتناع بها من العرب"[2].

من جهة أخرى، يؤكد ابن خلدون استقرار الجماعات الهلالية ببلاد الزاب قبل هذه الأحداث، حيث أشار إلى أن الأثبج وعدي قد هجروا مواطنهم من الأربس بعد نزاع هلالي-هلالي، والتجأوا إليه لاستنصارهم من أبناء عمومتهم، وقد كانوا بعضهم مستقرا قبلا في مجالات الحماديين، وفي هذا يقول:" ثم وقعت بين العرب الهلاليين فتن وحروب ووفد عليه رجالات الأثبج صريخا به على رياح، فأجابهم ونهض إلى مظاهرتهم في جموع من صنهاجة وزناتة حتى نزل للأربس"[3].

ويظهر أول فلول الهلاليين بالمجالات الحمادية، بعد أن استفحلت جموعهم بإفريقية كلها[4]، فبعد سيطروا على قسنطينة أين تولاها حسن بن سرحان من كرفة: "غلبوا صنهاجة على الأمصار"[5]، ووصلوا أخيرا إلى مجالات الزاب، بعدما حاولت زناتة مدافعتهم بما كانوا يملكون من قوة ورجال بالبداوة، لكنها عجزت عن مدافعتهم لما تغلبوا على قائد بني خزر، وقد استمرت بينهم حروب منذ دخلوا إفريقية[6]، انتهت على حدود بلاد الزاب، يظهر ذلك في قول ابن خلدون:" ولما غلبوا صنهاجة اجتهدت زناتة في مدافعتهم...وجهّز صاحب تلمسان من بني خزر قائده أبا سعد اليفرني فكانت بينهم وبينه حروب إلى ان قتلوه بنواحي الزاب، وتغلبوا على الضواحي في كل وجه"[7].

---

[1] ابن الأثير، المصدر السابق، مج8، ص 373.

[2] نفسه، مج8، ص372.

[3] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 230.

[4] ابن الأثير، المصدر السابق، مج8، ص297.

[5] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 26.

[6] ابن الأثير، المصدر السابق، مج8، ص297؛ ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 294؛ ابن خلدون، ج6، ص 25.

[7] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 27.

وظهرت أخيرا الجماعات الهلالية ببلاد الزاب، فلما استقر لهم الغلب ووضعت الحروب بينهم وبين صنهاجة وزناتة، استطاعت هذه الجماعات أن تمتلك الكثير من الاقطاعات بفضل الغصب والنهب، فانفردوا بملك الأرياف دون بني حماد وزناتة، وتظهر في فتوى السيوري في إشارة واضحة للأعراب المشتهرين باستخدام الغصب لتملك الأشياء، وهم كذلك يشتهرون بالنهب[1]. وبحسب علاوة عمارة ستتكون في النهاية مغتصبات هلالية[2]، سيتوارثها أجيال عدة بفضل التكاثر الديمغرافي، أين توالدت هذه القبائل المستقرة وكثرت بطونها وفروعها[3]، بعدما تم إزاحة الجماعات الأصلية من الأراضي الفلاحية، وتحولهم إلى دفع المغارم لهم، وبهذا اصطنعوا مجالات بدوية بالمجالات الريفية لبلاد الزاب، يذكر ذلك بن خلدون، فيقول:" وملكوا عليهم الضواحي يتحيفون جوانبهم ويقعدون لهم بالمرصاد، ويأخذون لهم الأتاوة على التصرف في أوطانهم"[4].

رابعا: الحراك القبلي الهلالي وتشكل المغتصبات الريفية

1- نظرية الكارثة والتخريب:

أول المظاهر السلبية بعد الحضور الهلالي مثلتها ظاهرتي التخريب والتقتيل الواردة في النصوص الإخبارية، والتي مست الجماعات المستوطنة بمدن بلاد الزاب، كما هو الحال في : المسيلة، القلعة، وطبنة. لقد تم وصف هذه المرحلة ببداية الكارثة، وحمّلت مسؤولية هذا الدمار للعناصر الهلالية الوافدة:

أول الشهادات جاءت بلسان صاحب الكامل نقلا عن صاحب الجمع والبيان واصفا التدمير الممنهج لهذه الجماعات:" وشرعت العرب في هدم الحصون، والقصور، وقطعوا الثمار وخربوا الأنهار"[5]. ويضيف حول آلة القتل التي أبادت الآلاف من زناتة وهوارة، فيذكر أن العرب قد قامت لحرب زناتة:" فانهزمت زناتة وقتل منها عدد كبير"[6]، وقد كان نفس حال قبيلة هوارة التي عرفت مواطنها بجبل أوراس، فقد:"وقعت الحرب بين العرب وهوارة فانهزمت هوارة وقتل منها الكثير"[7]. ويذكر لنا مناعة القلعة وماجاورها، والتي إليها هجر أناس كثر بعيدا عن آلة التخريب الهلالي التي مست المجالات القريبة من

[1] فتوى السيوري في المعيار المعرب، المصدر السابق، ج9، ص 545.

[2] علاوة عمارة، " الهجرة الهلالية وأثرها"، ص 80-81؛ نفسه، "التحولات المجالية والطبونيمية"، ص 17.

[3] محمد حسن، المدينة والبادية بإفريقية، ج1، ص 38 و98.

[4] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 27.

[5] ابن الأثير، المصدر السابق، مج8، ص 297.

[6] المصدر نفسه، نفس الصفحة.

[7] نفسه، نفس الصفحة.



بلاد حماد، فيقول:" تمكنت العرب ونهبت الناس وخربت البلاد وانتقل كثير من أهلها إلى بلاد بني حماد لكونها جبالا وعرة يمكن الامتناع بها من العرب"[1].

وقد دارت حرب على أيام الأمير الناصر بن علناس الحمادي، وكان حلفائه من زناتة وصنهاجة، وبين العرب من رياح وزغبة، يذكر نتائجها ابن عذارى في روايته، فيقول:" فانهزم الناصر، وقتل من أصحابه خلق كثير، ونهبت أمواله، ومضاربه، وقتل أخوه القاسم بن علناس، وكان من أعظم الأسباب"[2]. وأورد صاحب الكامل رواية منقولة عن ابن شداد تتحدث عن عدد القتلى بهذه الواقعة، فيقول:" وكان مبلغ من قتل من صنهاجة وزناتة عشرون ألفا وسلم الناصر في نفر يسير"[3].

ويواصل صاحب الكامل عرضه نسخا عن كتاب الجمع والبيان، لعمليات نهب واغتصاب أمول جيش الناصر من قبل فصيل رياح وزغبة، فيقول:" وغنمت العرب جميع ما كان في العسكر من مال وسلاح ودواب وغيرها، فاقتسموها على ما استقر بينهم"[4]. ويؤكد غلبة الهلاليين من رياح على أرض الزاب بعد هذه الموقعة، فيقول:" وبهذه الوقعة تم للعرب ملك البلاد فإنهم قدموها في ضيق وفقر وقلة دواب فاستغنوا وكثرت دوابهم وسلاحهم وقل المحامي عن البلاد"[5].

لقد نزلت جيوش العرب ببلاد حماد والزاب، فضيقوا عليه هذه البلاد، بالرغم من ملاطفته لهم، حيث صانعهم حتى ضاق بهم ذرعا، أين صار غير قادر على الحكم والتصرف على بلاده، وبضياع سلطته بهذه المجالات التي أصبحت حكرا على الجماعات الهلالية، اضطره الأمر إلى التفكير في الرحيل بعيدا عنهم[6].

ويقدم لنا صاحب العبر بشكل صريح مظاهر تخريب الهلاليين للقلعة، طبنة، والمسيلة وكثيرًا من مدن الزاب، بعدما استطاعت العرب من رياح وزغبة هزم صاحب القلعة، والتي فيها:" نازلوها وخرّبوا جنباتها وأحبطوا عروشها، وعاجوا على ما هنالك من الأمصار"[7]؛ أما بطبنة والمحمدية، فقد:" خربوها وأزعجوا ساكنيها، وعطفوا على المنازل والقرى والأضياع والمدن فتركوها قاعا صفصفا أقفر من بلاد الجن أهل صنهاجة إلا أن هجرت هذه المجالات، فتوجهت شمالا إلى قاعدة الحماديين الجديدة (بجاية)،

[1] ابن الأثير، المصدر السابق، مج8، ص 372.
[2] ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 299.
[3] ابن الأثير، المصدر السابق، مج8، ص 373.
[4] المصدر نفسه، ج8، نفس الصفحة.
[5] نفسه، نفس الصفحة.
[6] الاستبصار، ص 129.
[7] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 27.

ليتركوا بلاد الزاب بيد حكام جدد لها، هم الجماعات الهلالية ومنها بني رياح[1].

2- انتشار وتوزيع الجماعات الهلالية بمضارب القرن الهجري السادس/12م:

إن المعطيات الجغرافية للقرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، ممثلة في كتابي نزهة المشتاق، والاستبصار، تكمل معرفتنا الأولية بواقع التوطين ببلاد الزاب على ضوء الوافد الجديد، على أن هذه النصوص الجغرافية تعتبر متأخرة على أحداث وصول الجماعات الهلالية لمجالات الزاب، وتبرز نتائج التوطين الجديد كمايلي:

إلى الشرق من الأوراس استحوذت العرب الهلالية على جل المجال السياسي الباديسي[2]، ثم زحفت إلى مجالات الزاب الحمادي، فكانت أول المدن التي وصلوها هي نقاوس وماحولها على غرار دار ملول، فقد كانت بها: "مجال العرب في بلادهم"[3]؛ وعلى مرحلتين منها ثغر إفريقية، ومدينة الزاب طبنة، والتي كانت مستقرا للهلاليين، فصاروا مع أهلها أخلاط، ويظهر التعايش بينهم بفضل ممارستهم لأنشطة اقتصادية مختلفة، ومنها:" صنائع وتجارات وأموال لأهلها متصرفة في ضروب من التجارات"[4]. أين أصبحت هذه التجارات تحمل من نقاوس، وطبنة :" إلى قلعة حماد وإلى بجاية وإلى أكثر تلك البلاد"[5].

وتجاور أهل القلعة مع الهلاليين، حتى صاروا معهم:" في مهادنة وربما أضر بعضهم ببعض غير أن أيدي الأجناد فيهم مقبوضة وأيدي العرب مطلقة في الإضرار"[6]. وقد أبرز صاحب الاستبصار واقع القلعة بعد استقرار الهلاليين بها، فيقول:" فلما نجا المنصور[7] إلى القلعة، نزلت جيوش العرب وضيقوا عليه ببلاده"[8]؛ وقد كانت آخر مجال وصلوه، فلم يستطع العرب الجواز إلى عاصمة الحماديين الجديدة بجاية لحصانتها، وفي هذا يقول:" فلم يكن للعرب إليها [بجاية] سبيل، ولا كان يدخل من العرب إلا من يبعث إليه الملك لمصانعه على بلاد القلعة وغيرها"[9].

---

[1] حول تشييد الناصر لعاصمة ملكه الجديدة مدينة بجاية، والانتقال إليها، يراجع: ابن الأثير، المصدر السابق، مج8، ص 373-375.

[2] الاستبصار، ص 128-129.

[3] الادريسي، المصدر السابق، مج1، ص 264.

[4] المصدر نفسه، ص 263.

[5] الاستبصار، ص 172.

[6] الادريسي، المصدر السابق، مج1، ص 263.

[7] سهو من صاحب الاستبصار، ونظنه يقصد الناصر بن علناس صاحب القلعة على زمن موقعة سبيبة.

[8] الاستبصار، ص 129.

[9] نفسه، ص 130.



وفي أسفل طرف جبل أوراس، مدينة بادس، وهي ذات موقع تجاري مهم في آخر بلاد الزاب، فمنها الطريق إلى بلاد الجريد، وفيها مفترق الطرق إلى بلاد السودان، وإلى القيروان، وطرابلس وغيرها، ولها حصنان، أراض، ومزارع واسعة[1]، وقد مارست الجماعات الهلالية سلطة الغلبة على أهلها، فأخضعت سكانها المحليين، فأصبحت:" تملك أرضه وتمنع أهله من الخروج عنه إلا بخفارة رجل منهم"[2].

ولم تكن بلاد كتامة بالرغم من انحيازها عن مجالات الزاب، بمنأى عن الاستقرار الهلالي، فمدينة ميلة وقد كان مجتمعها أخلاطا من البربر جملة والعرب معهم في تجاور، وهم يتصرفون بحدودها من الخارج[3]؛ واستقر الهلاليون مع الكتاميين جنبا إلى جنب، وصاروا شركاء في الحرث والادخار والثمار، وكانت بينهم معاملات كثيرة[4]. وبجبل إيكجان مَهْدُ الكتاميين الشيعة، وعمال بني حماد، تمدد بنو هلال، وملكوا مجالاتهم لما صاروا في قلة، فقد:" أصابتهم الملوك بذلك وأبلغت في نكايتهم فما أقلعوا ولا امتنعوا...ولم يبق من كتامة في وقت تأليفنا لهذا الكتاب [548هـ/1153م] إلا نحو أربعة آلاف رجل، وكان قبل ذلك عددا كثيرا"[5].

وأما حصن بشر:" فهو قلعة عامرة من أعمال بسكرة، وهو في ذاته حصن جليل، ومعقل جميل، وله عمارات"، وبهذا الحصن، استبدت الجماعات الهلالية، ومارست سلطة الغلبة على مجتمعه الريفي، فغلبوا عليهم، فصار في أيدي العرب، وهي تحكمه، وتعمره[6].

3- صورة المغتصبات الهلالية في النوازل الفقهية:

لم تكن النصوص الإخبارية والوصفية رغم تأخرها عن الهجرات الوحيدة التي خاضت في موضوع المغتصبات الهلالية ببلاد الزاب، فقد كان لهذه الظاهرة حضور بارز في النوازل الفقهية المالكية التي عاصرت حضورهم بلاد إفريقية والزاب[7]. أول هذه الفتاوى تمثلها فتوى السيوري في معيار الونشريسي بخصوص معاملة الأعراب وقبض أموالهم، فأجاب بأنه لا ينبغي معاملتهم ولا مخالطتهم مطلقا وهذا في جل المال أو في أقله[8]، وهذا ما يؤكد حياتهم التي تعودوا عليها بعدما نزلوا المجالات الجغرافية لبلاد إفريقية

[1] الاستبصار، ص 175؛ الادريسي، المصدر السابق، مج1، ص 264.
[2] الادريسي، المصدر السابق، مج1، نفس الصفحة؛ علاوة عمارة، " بين جبل أوراس والواحات"، ص 268.
[3] نفسه، مج1، ص 265.
[4] نفسه، نفس الصفحة.
[5] نفسه، مج1، ص 270.
[6] الادريسي، المصدر السابق ، مج1، ص 270؛ علاوة عمارة، " بين جبل أوراس والواحات"، ص 268.
[7] علاوة عمارة، "الهجرة الهلالية وأثرها"، ص 80.
[8] فتوى السيوري في المعيار المعرب، المصدر السابق، ج9، ص 543.

والزاب، فقد امتدت أيديهم لغصب حقوق الآخرين، ونهب ممتلكاتهم، وجورهم في المعاملات مع شركائهم، سواء كان المال قليلا أو كثيرا، لهذا يظهر جواب السيوري وافيا بأن لا تكون بينهم وبين هذه الجماعات المغتصبة تعاملات مطلقا[1].

لقد أثيرت قضايا أخرى تتعلق بالمضايقات التي عرفتها الجماعات القديمة، أين كانوا تحت رحمة العرب الهلاليين، ومن هذه القضايا المطروحة، فتوى السيوري في المعيار، حول هروب الناس من الأعراب، وتميزهم بأخذ الناس غصبا، واشتهارهم بالنهب والسلب[2]. كما تسمح النوازل الفقهية من إبراز ظاهرة المغارم التي فرضت على السكان، وكان للهلاليين دور في جمعها والاشتراك في عائداتها مع السلطان[3]، فقد:"ملكوا عليهم الضواحي يتحيفون جوانبهم ويقعدون لهم بالمرصاد، ويأخذون لهم الأتاوة على التصرف في أوطانهم"[4].

في المقابل تُظْهِرُ بعض النوازل الفقهية الدور الإيجابي لفئة من العرب المستقرين بالمجالات الريفية كانوا يمارسون أنشطة اقتصادية مختلفة، على غرار الفلاحة من سقي وحرث، وكذا تربية الحيوانات من ماشية، بقر، وإبل، وغيرها، كما كانت لهم معاملات تجارية مع جماعة من السكان المحليين، من خلال الإتجار بالحيوانات، والإنتاج الزراعي، وتجارة الرقيق من الخدم[5]. إن هذه الميزة الإيجابية التي اتصف بها بعض عرب الأرياف، في رأينا قد فندت بشكل نسبي ظاهرة التخريب التي ألصقت بهم في جل الروايات الإخبارية والجغرافية.

لكن بعض السكان المحليين، بالغوا في المسألة حول التعامل مع هؤلاء العرب ممن يمارسون تربية ورعي الإبل بالصحراء، وبيع الجلود، والضمان في تجاراتهم، وهذا لصفة الغصب التي ألصقت بهم، وجاء في هذا نازلتين كمايلي:

النازلة الأولى: "وسئل [الوغليسي] عمن ألجأته الضرورة لشراء الإبل من العرب المعروفين بالغصب، هل يجوز شراؤها منهم أو لا؟ وإن قلتم بالجواز هل تباع الغصاب أم لا تباع إلا من غيرهم؟ وإن قلتم بالجواز فهل يستوي الغني والفقير؟ فأجاب: إذا كان الغصب كثيرا من الإبل حتى يكون هو الغالب عند اربابها

---

[1] فتوى السيوري في المعيار المعرب، الونشريسي، المصدر السابق، ج9، نفس الصفحة.

[2] فتوى السيوري في العيار المعرب، المصدر السابق، ج9، ص 545.

[3] وردت إشارة في المعيار بأن تلك المغارم الواجب دفعها للسلطان، كانت تمثل ضيقا وعبئا إضافيا على عاتق الجماعات المحلية لأنها تلازم معيشتهم، وهي تنقص من مواردهم. فتوى اللخمي في المعيار المعرب، المصدر السابق، ج9، ص 560.

[4] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 27.

[5] فتوى الوغليسي في المعيار المعرب، المصدر السابق، ج9، ص 560 و 602.

لم يجز أن يشترى من عرّامهم إلا بعد السؤال ولا تشتري من المستغرقين منهم بعد السؤال إلا من اضطر على الحد المعلوم في ذلك أو رجل فقير فعسى يستحب له ذلك.."[1].

وتبرز هذه النازلة توارث الجماعات العربية المستقرة في جنوب إفريقية والزاب، لفكر الاغتصاب والسلب، مما شكل في الأخير مجتمعا عربيا هلاليا، بطابعه القبلي، وبنظام الحرابة والغصب، الذي به لعبوا دور الجهاز السياسي والمالي في المجالات الريفية[2]، التي كونوها بفعل البداوة التي تعودوا عليها، وفكرهم القبلي الذي نقلوه معهم من بوادي مصر، أين كانوا على عهدهم مستقرين[3].

النازلة الثانية: وتتعلق بضمان تجارة بيع جلود بين رجلين وعربي، وقد سأل فيها [المازري] (ت536هـ/1142م) ما الحكم فيها؟ فأجاب: " إذا أمر من بيده الجلود أنها لهذا الذي غلب وأدّعى الكفاف والضمان والرهن وأنكر المطلوب ذلك وادّعى أن الذي هي بيده الشراء وهو ممن يليق به الشراء من العربي مع علمه بكونها حراما فالقول قول صاحبها متى عدم الضمان والرهن"[4].

وتبرز هذه النازلة خوض العرب في تجارات مختلفة، مع عدم تعففهم في حلالها من حرامها، وهو ما يؤكد ابتعادهم عن تعاليم الدين الحنيف، ويجعل الخوض في ديانتهم التي اتبعوها قبل وبعد ولوجهم بلاد إفريقية والزاب أمرا أكثر من ضروري، كما توضح شغف التجار المحليين بالدين، وتعاليمه، وحبهم السؤال في تجاراتهم، حلالها من حرامها، وهذا حتى يتبينوا رزقهم الحلال، ومعاملاتهم الدينية السوية، مما يؤكد على أن القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي يعتبر سنة انتشار الاسلام على المذهب المالكي بشكل تام بين الجماعات ببلاد إفريقية والزاب.

بالرغم من هذه الروايات الفقهية التي أبرزت الكثير عن الحزم وعلامات التشدد مع الجماعات الهلالية، وخصوصا فصيلها رياح، وهذا للضرر الذي أحدثوه ببلاد إفريقية والزاب، وظلمهم وغصبهم لأموال الجماعات المحلية، إلا أن هذه النصوص قد كانت لا تتوانى من إيضاح حق العرب في تجاراتهم ووجوب إعطاء حقوقهم كاملة، وإلا فهذا يعد ظلما وتعد على حقوقهم، وفي هذا فتوى [المازري]، عن رجل اشترى خادمة من عربي بخمسين دينارا، وقد كان يخاف من العربي متى أعطاها في غيبته، وقد سأل المازري عن الحكم في ذلك؟ فأجاب:" إن ثبت حكم الاستحقاق وجب دفعها له ولا حجة في الخوف من العربي لأن منعه من حقه ظلم ولا يمكن من ظلم المستحق لأجل أنه يخاف من الظلم.."[5].

---

[1] المصدر نفسه، ج5، ص 88.

[2] علاوة عمارة، "الهجرة الهلالية وأثرها"، ص 81.

[3] محمد حسن، المدينة والبادية، ج1، ص 29.

[4] فتوى المازري في المعيار المعرب، المصدر السابق، ج9، ص 552-553.

[5] فتوى المازري في المعيار المعرب، نفسه، ج9، ص 602.

لقد تواصل تسلط العرب، ويبرز هذا في مجموعة من النوازل الواردة في درر المازوني، والتي جمعتها هناء شقطمي في دراستها[1]، على غرار نازلة سئل عنها الفقيه محمد بن بلقاسم المشدالي حول جماعة من العرب استولوا على قرية، وفرضوا علي أهلها الجباية على الجنات والزروع، وسلبهم حرية المالك في البيع أو الكراء[2]. كما تظهر صورة أخرى لتسلط العرب الهلالية من خلال فتوى الشيخ الوغليسي حول نهب واغتصاب ماشية الملاك من قبل الهلاليين[3]. وهو ما يؤكد تواصل عقلية الاغتصاب والنهب في حياة الجماعات الهلالية بمواطن استقرارهم على الملاك من الجماعات المحلية.

من كل ما مر بنا، نخلص إلى أنه بداية من النصف الاثني من القرن الهجري الخامس/الحادي العشر الميلادي، برزت تحولات بمجالات الزابين الأعلى والأسفل، شقها الأول يتعلق بالخريطة البشرية، أين تحولت بلاد الزاب إلى بلاد بني هلال من خلال عمليات الغصب والاستحواذ القصري على مجالات الجماعات القديمة قسمت فيما بينها إلى اقطاعات عائلية، مما أدى في النهاية إلى تغيرات في البنية الاجتماعية، كان لها تأثير على التوازنات القبلية، وهو الشق الثاني للتحولات الطارئة على الزاب، ممثلة في تراجع نفوذ الجماعات الزناتية بالمجال الريفي.

خامسا- التوازنات القبلية والأسرية الجديدة مابعد الهجرات الهلالية ببلاد الزاب

1-تراجع النفوذ الزناتي بالمجالات الريفية:

إن إعادة تبلور النسيج الاجتماعي لبلاد الزاب في ظل تشكل الأوطان القبلية الهلالية، قد أدى إلى تراجع نفوذ الكثير من القوى القبلية، والتي كانت تستحوذ بالأخص على المجالات الريفية على غرار بطون زناتة، والتي لم يلغ وجودها بشكل نهائي في مجالات الزاب- الهلالي، لكنها بقيت رفقة جماعات محلية أخرى من قبيل لواتة تخضع لسلطة الوافد الجديد، ليس هذا فحسب، بل ستدينان بالولاء لهم، وهذا من خلال دفع المغارم والضرائب، وجمعها لصالحهم قصرا، وفي هذا يقول ابن خلدون:" بقايا منهم سكنوا مع العرب الهلاليين لهذا العهد، وأذعنوا لحكمهم"[4].

لقد ظهرت خريطة جديدة للتوازنات الاجتماعية ببلاد الزاب، في ظل هذه التحولات الطارئة، حيث تُظْهِرُ المعطيات دلالات على تراجع نفوذ زناتة بمجالاتها القديمة، يبرز ذلك ابن خلدون فيقول:"

[1] هناء شقطمي، الخطاب الفقهي والريف في المغرب الأوسط من خلال الدرر المكنونة في نوازل مازونة، مذكرة ماجستير في تاريخ الريف والبادية، إشراف: علاوة عمارة، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة قسنطينة 2، 2013/2012.

[2] هناء شقطمي، المرجع السابق، ص 54.

[3] المرجع نفسه، ص 56.

[4] ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 3.



وغلب الهلاليون قبائل زناتة على جميع الضواحي وأزاحوهم عن الزاب وما إليه من بلاد إفريقية"[1]. فمغراوة الزناتية، والتي يرجع نسبها إلى مغراو بن يصلتين بن مسر بن زاكيا بن ورسيك بن ألديرت بن جانا[2]، كانت أشد وأوسع القبائل التي كان لها بطون تملكت مجالات واسعة من ريف الزاب، ومنهم كذلك بني يفرن.

يبدوا أن سلطة الوافدين الجدد قد امتدت إلى السهول والهضاب، أين قاموا بتقليص نفوذ الجماعات المحلية (البربر)، حيث تم ادماجهم عن طريق الاستعباد أو عبر الالحاق السكاني[3]. تغير بذلك وضع هذه الجماعات ولم يقتصر المحافظة على المجالات القديمة إلا التجمعات الجبلية على غرار هوارة بالأوراس، في حين برز وضع جديد للجماعات الزناتية الأخرى في ظل الاستقرار الهلالي بالزاب على النحو الآتي:

أ- بنو سنجاس:

بطن من مغراوة، كانت مواطنهم في كل عمل من إفريقية والمغربين، بجبل راشد وجبل كريكرة، وببلاد الزاب، كما كان لهم نفوذ وقوة لكثرة عددهم وتوسع مجالات نفوذهم، وبقوا على هذا الحال إلى أن ورد عليهم العرب الهلاليون وغلبوا على ضواحي بني سنجاس، بل وغيرهم من بطون زناتة، وضربت عليهم المغارم، يذكر في ذلك ابن خلدون قولا:" ومن بني سنجاس من نزل الزاب، وهم لهذا العهد أهل مغارم لمن غلب على ثغورهم"[4]. والظاهر أن هذا القبيل من زناتة بقي على مذهبهم الذي اتبعوه، والتي كانت عليه سنن زناتة منذ ثورة صاحب الحمار، وهو المذهب الاباضي النكاري، يبرز ذلك صاحب العبر في قوله:" وكان دينهم جميعا الخارجية على سنن زناتة في الطبقة الأولى.

ب- بنو ريغة:

البطن الثاني من مغراوة، كانت لهم مواطن عديدة ببلاد المغرب، وبعد أن تقلص نفوذ زناتة بوصول الجماعات الهلالية إلى مجالاتهم، وتفرق بذلك أمر زناتة[5]، اختار بعضهم الاستقرار بالمجال الممتد من جبل عياض إلى نقاوس غرب الأوراس[6]. وبمرور الوقت تملكت العرب من قبيل أولاد عساكر على

---

[1] نفسه، ج7، ص 84.

[2] ابن حزم، المصدر السابق، ص 461.

[3] علاوة عمارة، " بين جبل أوراس والواحات"، ص 272.

[4] ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 63.

[5] نفسه، ج7، ص 64.

[6] يقول في ذلك صاحب القبائل الأمازيغية:" فمنهم من اختار سكنى القياطين عند جبل عياض، وفي السهوب الممتدة الى نقاوس، منصاعين وخاضعين لإعطاء المغارم للدولة، أو القبائل المتغلبة". الدراجي بوزياني، المرجع السابق، ج1، ص 173.

نقاوس، في حين استطاع فصيل أولاد سباع من الاستحواذ على مجال المسيلة، واقتصر بنو محمد على مجال مقّرة[1]. ومُكِّن لقبيل عياض من السيطرة على جبل عياض، فصار مغارم لأمرائهم يقبضونها لممثل السلطة ببجاية[2]. وامتاز الذواودة من رياح بملكهم لضواحي قسنطينة وبجاية من التلول ومجالات الزاب وريغ ووركلا مواطن قبيل بنو ريغة[3]، حيث كانت لهم قصور اختطوها، وتنازعوها مع اخوانهم من بني يفرن وغيرهم من قبائل زناتة حتى تفرقت جماعتهم، وغلب على أمرهم الذواودة، حتى صارت بيد بني مزني لما اطاعوا بنو حفص، وكسبوا ودهم[4].

ت-لقواط:

كانت مواطنهم بنواحي الصحراء في مجالات بلاد الزاب إلى حدود جبل راشد[5]، وقد استطاعوا المحافظة على مجالاتهم، حيث امتنعوا على العرب بها، وكانت لهم بزاب الدوسن ارتباط كبير، حيث كان مقصدهم للتجارة، وتحصيل المرافق منهم[6]. لقد كان لشبكة القبائل الزناتية وغير الزناتية ارتباطا واضحا، وتجدرا في عدد من الطبونيمات[7]، على غرار طوبونيم " الأغواط" المشتق من الفخذ لقواط مع تحريف بسيط في الترجمة من اللاتينية إلى العربية باستبدال حرف "G" بحرف "الغين"[8].

ث- بنو وركلا وبنو زنداج:

- بنو وركلا:

من بطون زناتة، من ولد زانا بن يحي بن ضرى بن زجيك بن مادغيس الأبتر[9]، أوردها صاحب الجمهرة بلفظ" ورجلة"، وإخوتهم أربعة وهم: برّ مرحتا، منجصة، ونمالة[10]. ويوردهم ابن خلدون في نصه

---

[1] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص46.

[2] نفسه، ج7، ص 64.

[3] نفسه، ج6، ص 45.

[4] نفسه، ج6، ص 46.

[5] نفسه، ج7، ص 65.

[6] نفسه، نفس الصفحة.

[7] حول خصوصيات أسماء المواقع، يراجع: محمد حسن، الجغرافيا التاريخية لإفريقية، ص 10-13. هناك نماذج كثيرة حول التبادل الحاصل في الطبونيمات، بين القاف الأعجمية و الغين، ذكرت نماذج منها خديجة ساعد في دراستها: الطبونيميا الأمازيغية (أسماء وأماكن من الأوراس)، دار النشر آنزار، بسكرة-الجزائر، 2017، ج1، ص 181 و 207 و 209.

[7] السلاوي، المرجع السابق، ج1، ص 122.

[8] هناك نماذج كثيرة حول التبادل الحاصل في الطبونيمات، بين القاف الأعجمية و الغين، ذكرت نماذج منها خديجة ساعد في دراستها: الطبونيميا الأمازيغية (أسماء وأماكن من الأوراس)، دار النشر آنزار، بسكرة-الجزائر، 2017، ج1، ص 181 و 207 و 209.

[9] السلاوي، المرجع السابق، ج1، ص 122.

[10] ابن حزم، المصدر السابق، ص 462.

بألفاظ أخرى: الديرت، مرنجيصة، سبرترة، ونمالة[1]. أما مواطنهم فقد كانت قبلة بلاد الزاب على ثمان مراحل من بسكرة في القبلة، وبها شيدوا قصورا متقابلة ومتقاربة[2]. وقد اشتهرت وركلا على ذلك الزمان بمسجد الأمير أبي زكريا الحفصي الذي شيده في رحلته لملاحقة بني غانية الثائرين، كما بقي شاهدا على مروره بمجالات وركلا مأذنته التي نقش على جدارها إسمه وتاريخ وضعها[3].

- بنو زنداج:

إلى جنب بني وركلا استقر بني زنداج وهم فرع من فروع مغراوة[4]، وقد كان لهم مواطن عدة على غرار استقرارهم بالمجالات حول مقرة[5]. وإليهم فر صاحب الحمار النكاري أيام الخير بن محمد بن خزر الزناتي وقد كان محسوبا من زناتة على الفاطميين[6]. والظاهر أن الهلاليين قد غلبوا على ضواحيهم، فقد سيطر فرع الأثبج على القلعة وما يليها، وعلى بلاد الزاب وما إليها[7]، حيث تراجع نفوذهم، لكنهم بقوا بمجالاتهم التي أصبحت مستقرا للظعن، بعدما اشتركت معهم فيها الكثير من ظواعن قبيلة زناتة من بني يفرن ومغراوة[8]. وإلى حين قريب أصبحت بملك الحفصيين وبني مزني على عهد السلطان أبي اسحاق إبراهيم (678-682هـ/1279-1283م)[9]،

ج- بنو برزال دمر:

بنو دمر من جماعات زناتة، وهم من ولد ورسيك بن الديرت بن جانا، وكانت لهم شعوب كثيرة، ومضارب واسعة بكل إفريقية[10]. وقد كان لبطونها مواطن إلى الغرب من بلاد الزاب خلال القرن 3هـ/9م، على غرار بنو برزال، فيذكرهم اليعقوبي:" وإذا خرج الخارج من عمل الزاب مغربا صار إلى قوم يقال لهم بنو برزال، وهم فخذ من بني دمر من زناتة وهم شراة كلهم"[11].

---

[1] ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 7.
[2] نفسه، ج7، ص 69.
[3] ابن خلدون، المصدر السابق، ج 7، ص 70.
[4] ابن حوقل، المصدر السابق، ص 103.
[5] اليعقوبي، المصدر السابق، ص 141.
[6] وردت رواية صاحب أخبار ملوك بني عبيد في ذلك، في قوله:" وجاءه رسول الخير بن محمد بن خزر الزناتي في نحو مائة فارس يقال إنه أقام عودته بمدينة الاغواط وغيرها من عمله". ابن حماد الصنهاجي، المصدر السابق، ص 70.
[7] ابن خلدون، المصدر السابق، ج 7، ص 70.
[8] نفسه، نفس الصفحة.
[9] ابن الشماع، المصدر السابق، ص 75 و78؛ روبار برنشفيك، المرجع السابق، ج1، ص 140.
[10] ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 71.
[11] اليعقوبي، المصدر السابق، ص 141.

لقد أفرد صاحب صورة الأرض لقبائل زناتة حيزا كبيرا، وقد أشار إلى أن البلاد التي تجمعهم والنواحي التي تحيط بهم مسيرة شهور في شهور، وذكر منهم بنو برزال من دمر[1]، وهم من ولد وزنيدين بن وانتن بن واردين بن دمر، وكان لهم ثلاثة من الإخوة: بنو يصدرين، بنو صمغان (صغمار)، وبنو يطوفت[2]. وقد كانت مواطن بنو برزال بمنطقة الزاب الأسفل حول المسيلة بجبل سالات، وتقوت شوكتهم أيام صاحب الحمار النكاري عندما دخلوا في حزبه النكاري[3]، وهو من أبناء عمومتهم بني يفرن من زناتة[4]، حتى انتهى أمره فرجعوا في طاعة صاحب المسيلة والزاب جعفر بن علي بن حمدون[5].

وسرعان ما عاد بنو برزال الزناتيون للخروج عن طوع صاحب الزاب، لما مدوا أيديهم سنة ستين وثلاثمائة للهجرة في حركة جعفر بن معد، لما انحاز إلى الأمويين بالأندلس على أيام المستنصر (350-366هـ/961-977م)، والظاهر أن فصيلا من بني برزال قد ارتحل إلى الأندلس[6]، وبقي منهم قلة بمواطنهم بأرض المسيلة[7]، يذكر في مواطنهم خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين/12م، والقبائل التي بقيت بجوارهم بنواحي المسيلة صاحب نزهة المشتاق، فيقول:" ويسكنها من البربر بنو برزال وزنداج وهوارة وصدراتة ومزاتة، وهذه المدينة أيضا عامرة بالناس والتجار"[8]. والظاهر أن شوكة بني دمر قد ضعفت بوصول الجماعات الهلالية إلى مجالاتهم بالزاب، حيث أصبحت أرض المسيلة بيد فصيل أولاد سباع الذين تمكنوا من الاستحواذ على مجالاتها، ثم تملكت العائلة المزنية كل الحضنة حتى النصف الأول من القرن الهجري التاسع/الخامس عشر الميلادي[9].

ح-بنو واسين:

من فروع زناتة، من أبناء واسين بن يصلتين، وقد اشتهروا بفرعيهما: بادين، وورتاجن، وكانت مواطنهم ببوادي إفريقية والمغرب الأوسط، إذ كانوا من أهل الظعن، وأصحاب الخيام[10]، قبل أن تنتزاح

[1] ابن حوقل، المصدر السابق، ص 102-103.

[2] ابن حزم، المصدر السابق، ص 463.

[3] ابن حماد الصنهاجي، المصدر السابق، ص 66؛ الداعي ادريس، المصدر السابق، ص 403.

[4] ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 216.

[5] العزيزي الجوذري، المصدر السابق، ص 48؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 73.

[6] ابن حيان، المقتبس في أخبار بلد الاندلس، تحقيق: عبد الرحمن علي الحجي، دار الثقافة، بيروت، 1965م، ص 192-193؛ ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص 242-243.

[7] البكري، المصدر السابق، ج2، ص 239.

[8] الادريسي، المصدر السابق، مج1، ص 254.

[9] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 46.

[10] الدراجي بوزياني، القبائل الامازيغية، ج1، ص 194-195.

إلى الغرب منه لما غلبت كتامة وصنهاجة على مجالاتهم، وبقوا هناك حتى عظمت حاجة بني حماد إليهم في ذلك عندما عصفت ريح العرب الضوالع من بني هلال بن عامر، وصرعوا دولة المعز وصنهاجة بالقيروان والمهدية، ثم زحفوا إلى المغرب الأوسط[1]. في هذه الأثناء كان لبني واسين حضور مع التحالف الزناتي الذي أنشأه بنو حماد لمواجهة الخطر الهلالي بمجالاتهم، فاجتمع لذلك بنو يعلى وبنو واسين، على حرب الهلاليين تحت قيادة أبي سعدى خليفة اليفرني، لكنهم فشلوا في إزاحتهم عن مواطنهم[2]، حيث غلب الهلاليون بني واسين، وانشمر:" هؤلاء عن الزاب إلى مواطنهم بصحراء المغرب الأوسط من مصاب [ميزاب] وجبل راشد إلى ملوية"[3].

خ- لواتة:

لواتة من بطون البربر البتر، وينتسبون إلى لوا الأصغر نفزا بن لوا الأكبر بن زحيك[4]، وفيها بطون كثيرة وقبائل عديدة، مثل: سدراتة التي كانت تستقر لأول العهد بأرض الزاب، ومزاتة التي كانت تستوطن إلى الشرق من بلاد الزاب بمدينة بغاي[5]. وكان للواتة مواطن كثيرة، بنواحي برقة وكانوا ظواعن بها، ومنهم من استقر بجبل أوراس في أمة عظيمة[6]، وقد كان لهم دور بارز وأثر في ثورة صاحب الحمار، فقد ناصروه مع بني كملان الذين كانت المسيلة خطة لهم قبل إخراجهم منها عنوة إلى فحص القيروان[7]. وكان لهم كذلك مجالات ونفوذ ببلاد تيهرت، لكنهم أجلوا منها أيام المنصور الفاطمي، بعدما:" هربوا بين يديه إلى الرمال والبراري المتصلة بأرض السودان حيث لا ماء ولا مرعى "[8].

وبوصول الأثبج إلى مجالات لواتة، تقلص نفوذهم، باستحكام أولاد محمد من الذواودة على اقطاعاتهم بحد السيف، وبقوا في جملة رعاياهم، كما استغلوا في جمع المغارم لهم، و المشاركة في حروبهم[9]. وبوصول بني مزني إلى حكم الزاب[10]، سعوا لإبعاد لواتة وفروعها: بني زنجان وبني باديس وبني سعادة[11]

---

[1] ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 291-292؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 73.
[2] ابن الأثير، المصدر السابق، مج8، ص 372-373؛ ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 299.
[3] ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 74.
[4] ابن حزم، المصدر السابق، ص 462.
[5] ابن حماد الصنهاجي، المصدر اسابق، ص 71؛ الداعي ادريس، المصدر السابق، ص 466 (الهامش).
[6] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 153.
[7] المقريزي، المصدر السابق، ج1، ص 72.
[8] الداعي ادريس، المصدر السابق، ص 466.
[9] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 153.
[10] روبار برنشفيك، المرجع السابق، ج1، ص 140.
[11] الدراجي بوزياني، القبائل الامازيغية، ج1، ص 263.

إلى الجبال، ودام الحال على هذا سنوات طوال، حتى صارت لواتة بجبل أوراس لا يفارقونه ولا يجاوزونه إلى البسيط خوفا من عادية الأعراب[1].

مرافقا للسلطان المريني أبي عنان في رحلته إلى الزاب، يقدم لنا صاحب فيض العباب الصورة الكاملة لتراجع نفوذ لواتة بمجالاتها القديمة خلال القرن الهجري الثامن وما قبله، لصالح الوافد الجديد ممثلا في القبائل الرياحية، فيقول:" ولم يزل به جديد الإنس ناعم البال، جانيا قبل ثمرات الحدائق وثمرات الآمال، متظاهرا بالرباط نازعا فيما يزعم عن الهياط والمياط، مشتدا على لواتة الذين غصب أرضهم وانبسط في أرجائها بالبناء فأعظم قبضهم"[2]. معطيات صاحب الفيض نجدها مكتملة عند ابن خلدون على عهد بني مزني، لما تملكوا مجالات لواتة خلفا لبني رياح على العهد الحفصي، فيقول في واقع حالهم، وسقوط نفوذهم من مجالاتهم خلال القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي:" فلما استبد مزني عن الدولة واستقلوا بالزاب صاروا يبعدونهم بالجبلية"[3].

مما سبق نخلص إلى حقيقة مفادها تغير الملمح الاجتماعي القديم بمجالات الزاب الريفية، حيث تسبب وصول الهلاليين إلى حراك قبلي غير طوعي نحو الغرب والجنوب، بعدما فقدت الجماعات الزناتية مواطنها القديمة بالريف الزابي، كما هو حال عجيسة بمواطنها بالمسيلة التي تم تغييبها عنها، ليحل محلها قبيل عياض بجبلها؛ وكذلك باقي أغلب بطون وأفخاذ زناتة من بني برزال، بني سنجاس و فروع مغراوة، فقد تخلوا عن الزاب واصطنعوا لأنفسهم مواطن اضطرارية في الغرب، وبالجنوب بواحات الصحراء.

2- النسيج الاجتماعي والمفردات الجديدة: أولاد- أوطان- أحياء

علاوة على النصوص التاريخية التي تحدثت عن استقرار الجماعات الهلالية ببلاد المغرب، وبلاد الزاب خاصة، فإن المفردات الجديدة: أولاد؛ وطن؛ حي، ظلت شاهدا على هذا التوطين، الذي نقل المنطقة من خصوصيتها متعددة الأجناس إلى وسط عربي ريفي ليلفّه مفهوم القبيلة بالمعنى الكلاسيكي- التقليدي[4]. لقد راجت فكرة تشكل نسيج اجتماعي بميزة قبلية عربية[5]، أدى في النهاية إلى تحول الزاب

---

[1] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 153.

[2] النميري، المصدر السابق، ص 415.

[3] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 153.

[4] علاوة عمارة، " الهجرة الهلالية وأثرها"، ص 84.

[5] تحدث جورج مارسي على المد الهلالي باتجاه بلاد المغرب، وكيف اصطحب الامراء العرب فرسانهم وعائلاتهم وقطيعهم، عابرين نهر النيل، متوجهين نحو بلاد المغرب، مشكلين بذلك فضاء عربي-بدوي متصل، ومحافظ على موروثهم المشرقي. ينظر: جورج مارسيه، المرجع السابق، ص 223.

إلى معقل لجماعات هلالية متنافسة[1] طغى على إثرها لغة الغلبة والسيف[2]، مما حول مجالات الزاب حتى الربع الأول من القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي إلى إقطاعات قبلية وعائلية بشكل تام، ليس فقط ببلاد الزاب، بل في كل بلاد إفريقية والمغرب الأوسط[3].

لقد برز للعيان مصطلح (أبناء) على ساحة التوطين ببلاد الزاب، مختصرا نظام القبيلة في الأرياف، باقتسامها بين العائلات القبلية القوية، وقد كان لظهوره تأثير كبير على النسيج الاجتماعي إلى حد كبير، أدى في الأخير إلى جعل مجتمع الريف الزابي يعيش خارج مجال الدولة التراثية[4]. لقد أورد النميري وابن خلدون على السواء معالم هذه الكلمة ومدى انغراسها في منظومة التوطين ببلاد الزاب، حيث تم اقتسام المجالات الريفية بين هذه العائلات، وتوارثتها الاجيال بينها مندرجة ضمن جذر " أولاد":

ففي الجانب الغربي للزاب، تملكها أولاد محمد وأولاد سباع بن يحي خلفا لأولاد أبو بكر بن مسعود، فلما ضعفت شوكتهم، خلص توطينها والزعامة لسليمان وأولاده عليها، بعدما اتصلت الفتنة بينهم وبين أولاد عمر، الذين كانوا يستوطنون اقطاعات مقرة، فغلب عليه أولاد سباع الذين انتشروا كذلك بإقطاعاتهم بالمسيلة[5]. ويظهر مواطن كثيرة لجماهر أولاد محمد بالمجالات الريفية للزاب، على غرار فرفر(فرفار) الذي اعتزوا بحصنه، فكان لهم:" الذخر الأعظم، والملجأ الأكرم والعتاد الأفخر والافخم"[6]. وطغى بجزء من البسيط الغربي ممثلا في نقاوس الفصيل من أولاد عساكر، وكان شيخهم على ذلك الزمان محمد بن يحي[7]، يذكر ذلك ابن خلدون فيقول:" واختص اقطاع مقرة بأحمد بن عمر بن محمد، وهو ابن عم شبل بن موسى بن سباع، وقاوس بأولاد عساكر"[8].

---

[1] وردت روايا كثيرة عن صراع القبائل العربية للاستحواذ على مجالات ببلاد إفريقية و الزاب، كما هو حال الصراع بين رياح و زغبة والتي أوردها ابن عذارى. كما أورد ابن خلدون التنافس بين زغبة ورياح، فيقول:" واقتسمت العرب بلاد إفريقية...زغبة...رياح" وكذا بين كرفة والأثبج على بلاد الزاب. ينظر: ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 300؛ ابن خلدون، ج6، ص 21-22 و 31-32.

[2] برزت الكثير من الحروب والقتل بين المتجاورين بالزاب، فقد كانت بينهم:" فتن متصلة بين المتجاورين منهم و حروب وقتل". ويذكر سياسة الغلبة بينهم فيقول:" وزحفوا إلى مواطنهم فتغلبوا على أطراف الزاب من واركلان وقصور ريغ وصيروها سهاما بينهم". وأيضا: "فاعتز الذواودة...وغلبوا بقايا الأثابج فنزلوا قرى الزاب". ينظر: ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص21 و 22 و 34 و 46.

[3] النميري، المصدر السابق، ص 437 و 446 و 453؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 47-48؛ الزركشي، المصدر السابق، ص97 و 137 و 143 و 157.

[4] علاوة عمارة، " الهجرة الهلالية وأثرها"، ص 84.

[5] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 47.

[6] النميري، المصدر السابق، 446.

[7] نفسه، ص 460.

[8] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 47.

واختص أولاد نابت من كرفة بالاستقرار بالجانب الشرقي لبلاد الزاب، وامتلاك مجالاته، وكانت مواطنهم كثيرة على غرار بادس، وتنومة، وقد كانت منازل لرياح قبل أن يتم اقتطاعها لكرفة، حيث صارت لهم محلات بها، اعتمدوها في الظعن، والسكنى، كما كان لهم نفوذ بالجانب الشرقي من جبل أوراس، يذكرهم ابن خلدون، فيقول:" نزل كرفة هؤلاء بجبل أوراس حيث اقطاعاتهم وسكنوه حللا متفرقة"[1]. ولكرفة بطون كثيرة نزلت بالظعن حتى تخوم بلاد الزاب، ومنهم: بنو محمد بن كرفة، وأولاد شبه، وأولاد صبيح، وأولاد سرحان، وأولاد نابت[2].

كما استحوذ بداية أولاد محمد بقيادة شيخهم علي بن أحمد، وأولاد عمر بقيادة يعقوب بن علي بن أحمد بن عمر على قاعدة الزاب بسكرة ومجالاتها، وكانت لهم سلطان وبها عزة، حيث تمكن من حماية بسكرة ومجالاتهم من عيث الأعراب وفسادهم[3]، ثم تولى من بعدهم أولاد مزني حكم الفضاء البسكري، مع بقاء أولاد محمد بمجالاتهم لكن تحت سلطة بني مزني، في حين صارت بين أبناء أحمد بن عمر حروب كثيرة[4]، حتى استحوذوا على مجالات جديدة كانت كلها بيد رياح وكرفة، واستطال بذلك بنو مزني حتى كونوا لأنفسهم بها إمارة سادت حتى الربع الأول من القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي[5].

لقد استحوذ مصطلح أولاد على جل الفضاء البسكري، وتحولت خلاله كل مجالاته إلى اقطاعات متباينة لهذه العائلات، احولت بفضله إلى فضاء قبلي بمعنى الكلمة، لتدخله بشكل كبير في دائرة البداوة[6]، كان يتزعم كل عائلة شيخ كما هو حال: عطية بن سليمان شيخ أولاد سباع، وعيسى بن يحي شيخ أولاد عساكر، وأحمد بن حسن شيخ أولاد عطية، ويحي بن أحمد بن أعمر شيخ أولاد محرز، وعثمان بن الناصر شيخ أولاد حرب[7]. وعليه حافظت هذه العائلات على موروثها المشرقي، بنقل أفكار البداوة والريف إلى مجالات بلاد الزاب، باستثناء فترة حكم بني مزني، أو بعض مظاهر عمارة القصور التي برزت بشكل واسع في بعض مجالات الرياحية بالأوراس والزاب على السواء[8].

---

[1] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 31.

[2] نفسه، ج6، ص 32.

[3] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 47.

[4] يذكر رواية في ذلك ابن خلدون، فيقول:" ثم كانت بينه و بين علي بن احمد كبير الذواودة فتن و حروب دعا إليها منافسة علي في استئثاره بمال الجباية دونه فواضعه الحرب، ودعا العرب إلى منازلته". المصدر السابق، ج6، ص 591.

[5] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 591-593.

[6] علاوة عمارة، " الهجرة الهلالية وإشكالية انحطاط"، ص 41 و 47.

[7] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 589.

[8] علاوة عمارة، " الهجرة الهلالية وأثرها"، ص 82 و 84.

إن إعادة بلورة المجال البشري لبلاد الزاب قد كان نتاجا للتأثير العميق للقوى القبلية والأسرية التي كان لها حضور في مصطلحات توظيفية أخرى، على غرار (أوطان) و (أحياء)، وهي مصطلحات دالة على المجال القبلي الذي يمتد فيه نفوذ العائلة، وهو الجانب الظاهر في التحولات التي طرأت على شبكة التوطين الاجتماعية ببلاد الزاب. فلفظ (أوطان) جمع وطن، وهو لفظ دال على مكان إقامة الإنسان ومقرّه، ولد فيه أو لم يولد، وجمعها أماكن[1]، وهي مقاربة لمجالات، وقد يقصد بها هنا المجال القبلي الأصلي أو المغتصب. أما (الأحياء) فهي جمع حيّ وهي مرتبطة بالسكن والتوطين، وهي تعني الحارة والشارع والعطفة، وكلها تقارب اختطاط طائفة لا يقل عددهم عن أربعمائة رجل لحيز و توطينه[2].

في حين برز مصطلح الوطن، ومن المرجح أنه حل محل مصطلح الفحص الذي يدل على مجال زراعي محيط بالمدن، بحيث لا تنحصر به زراعة الحبوب فقط، بل تعداه الى الغراسة بشتى أنواعها، كما أطلق الفحص للدلالة على مجال متعلق بالجباية والسلطة المحيط بالمدينة، وفي الغالب يحتوي على عدد كبير من القرى المنتمية اليه[3]. وعليه نرجح أن يكون مصطلح الوطن قد حل محل مصطلح الفحص، نتيجة تغير هوية المجالات في بلاد الزاب وماحولها من بلاد الأوراس، بعدما طغى عليه فكر الاقطاع العائلي-القبلي من قبل الجماعات الهلالية المستقرة، والتي حلت محل الجماعات المحلية بطردهم خارج فحصهم بحد السيف والغصب، أو بالعيش إلى جوارهم مع فرض سياسة الغلبة عليهم.

لقد أورد صاحب فيض العباب مصطلح (الوطن/الأوطان) في مواضع عديدة، رابطا هذا اللفظ بمجالات الجماعات الرياحية ببلاد الزاب والأوراس، كما هو الحال للأوطان التي حول قصر عثمان بن علي بن أحمد الرياحي بمدينة لمبيس في قوله:" واتصل حاله على الدعة والأمان، وجرّ أذيال النعيم بتلك الأوطان"، وفي قوله: "والقلاع التي شيدها بلميس العرب المفسدون، وبنوها ضررا بالأوطان التي في اقتحامها يجهدون"[4]. وفي قوله: "وازدهف عقول أهل بسكرة الاعجاب بما شاهدوه وعمت الأمنة كل موطن نازلوا به عسكر الاعراب "[5]. ويواصل النميري عرضه لأوطان العرب الهلاليين، فيقول:" ورحل معه على إفريقية حتى أخذ بعنانها، واشخص جيوشه المقيمة ميل أوطانها"[6].

[1] أحمد مختار عمر وآخرون، معجم اللغة العربية المعاصرة، دار عالم الكتب، القاهرة، 2008، مج1، ص 2461-2463.

[2] العزيزي الجوذري، المصدر السابق، ص 1-2.

[3] محمد حسن، الجغرافيا التاريخية لإفريقية، ص 213-214.

[4] النميري، المصدر السابق، ص 415 و 418.

[5] النميري، المصدر السابق، ص 431.

[6] نفسه، ص 432.

ويضيف عنها:" وكنت أعجب من حالهم، وأنظر في ذلك المواطن إلى أعمالهم، الى أن بلغ مولانا الخليفة أيده الله الى صحراء البلد"[1].

صورة كلمة الوطن التي ارتبطت التوطين القبلي- الهلالي ببلاد الزاب، والتي أوردها النميري، نجدها حاضرة في تاريخ ابن خلدون، حين يوضح مجالات قبيلة الذواودة بعدما غلبت على الأثابج، فيقول:" فاعتز الذواودة وساء اثرهم فيها وغلبوا بقايا الأثابج، فنزلوا قرى الزاب، وقعدوا عن الطعن وأوطنوا بالقرى والآطام"[2]. ويبرز لنا ابن خلدون كذلك المواطن التي استقر بها بطون كرفة من قبيل الأثابج بجبل أوراس و وإلى الشرق من بلاد الزاب، والذين كانوا من منافسي الذواودة على مجالات الزاب، فيقول: "وهم موطنون بجبل وراس مما يلي زاب تهودا"[3]. وعن البطون والافخاذ التي استقرت بالقرب من أولاد نابت من كرفة، يقول:" واما بنو محمد والمروانة فهم ظواعن جائلة في القفار تلقاء مواطن أولاد نابت"[4]. ويظهر مواقع استقرار ونفوذ عياض من الأثبج بالقلعة، الذين اعتمدوا القوة، والسلاح لاكتسابها، يذكرهم، فيقول:" وبقيت عياض والضحاك بمواطنهم بأفريقية، فعياض نزلوا بجبل القلعة، قلعة بني حماد وملكوا قبائله وغلبوهم على أمرهم، وصاروا يتولون جبايتهم"[5].

ويبرز لفظ أحياء في معطيات ابن خلدون، مرتبطة بشكل مباشر بأماكن التي اختطتها القبائل الهلالية بمجالات استقرارها، وهي تجتمع في حارات أو شوارع، ويظهر ذكرها عند بلوغ العرب بلاد المغرب لأول عهدهم، واستقرارهم بأحياء خاصة بهم، فيقول:" ثم أنهم دخلوا إليه في منتصف المائة الخامسة، وأوطنوه وافترقوا بأحيائهم في جهاته"[6]. ويربط بين القبيلة والأحياء التي استقرت بها أين كان هناك:" قبائل متعددة وأحياء متفرقة"[7]. وعن انقراض ملك بعض القبائل، وانجلائهم من احيائهم التي سكنوا بها قبلا، يذكر:" فأما بنو كهلان فلم يبق لهم أحياء فيما يسمع"[8].كما جاء في معرض حديثه عن أتباع سعادة الرياحي السنيين، وانقضائهم من مواطنهم بأحد المجالات العائلية-القبيلة ممثلة في أولاد محرز الرياحيين، فيقول: "وخلت أحياء أولاد محرز من هؤلاء السنية"[9].

---

[1] نفسه، ص 444.
[2] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 31.
[3] نفسه، ج6، ص 32.
[4] نفسه، ج6، ص 33.
[5] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 33.
[6] نفسه، ج6، ص 16.
[7] نفسه، ج6، ص 7.
[8] نفسه، ص 17.
[9] نفسه، ج6، ص 52.

سادسا: الاندماج الهلالي بالمجالات الريفية:

1-تشكل العمارة المجالية الريفية: "القصر- الحصن- القصبة"

لقد تمكن العرب تدريجيا من الانتشار بالمجالات الريفية لبلاد الزاب، وبسط نفوذهم على ديار زناتة وصنهاجة، حيث تحولت إلى اقطاعات مغصوبة تملكتها عائلات نافذة من قبائل الأثبج ورياح[1]؛ وبعد أن استقرت الأمور في حدود القرن السابع إلى الثامن الهجري/14م، تحول التنافر الناشئ بين الجماعات المحلية على غرار زناتة والوافد الجديد من رياح والأثبج، إلى تلاقح إيجابي، تجسدت في العمارة الريفية الرياحية، في شاكلة القصور، القصبات، والحصون، والهندسة المعمارية الراقية التي تشكلت منها[2].

وتبرز المعطيات الواردة في الرحلة-العسكرية لابن الحاج النميري خلال مرافقته للسلطان المريني أبي عنان إلى بلاد الزاب، الكثير من مظاهر العمارة الرياحية، على غرار حصن الوطاية الذي كان من الحصون التي اشتهرت خلال تلك الفترة، يذكره النميري فيقول:" وهذا الحصن كان لقرة عين ليعقوب بن علي، "وأعظم ذخر لوال له وول"، ومنه كانت أقواته المرغدة، ومراقده المسعفة المسعدة، ومرافقه المنتخبة المنجدة، وبجراية مياهه عظمت جرايته وبرعي حميمه كرمت رعايته"[3]. ويضيف لنا النميري (حصن فلق)، الذي احتوى بداخله على قصر شامخ من القصور التي شيدها العرب الهلاليون بالمجال الزابي، وقد كان حصن فلق هذا من:" قصورهم الشامخة التي تحمي بالطعان والضراب جوانبها...وكان عالي البناء، ذاهبا كل مذهب في الأباء، متناسق الاسوار، مستوسع بمجاثم الجدار، قد عمرت حفائره قدر ما رفعت أبراجه، وضيقت مواجله قد ماوسعت مجاجه، واحتوى على دور حسنت بها المواقف والمرافق، ولزمت أياديها الأسباع فلم تخرج يمنها المرافق، واستقر بها خدام العرب"[4].

ويواصل النميري عرضه لمظاهر العمارة الريفية للجماعات الرياحية، ويبرز هذه المرة حصن فرفر[5]، وكان ليعقوب بن علي وجماهر أولاد محمد يسكنونه، ويحميهم من شدائد الحياة وصعابها فكان ملاذهم ومأمن نكبتهم، وبه كانوا يجمعون مؤنهم ومجمع منتفعاتهم، ومأواهم إذا نابت النوائب وجف الثرى؛ ولم يكن حال هذا الحصن بأفضل من سابقيه، فقد أمر السطان أبي عنان جنوده والقبائل العربية المزنية التي

---

[1] علاوة عمارة، "بين جبل أوراس والواحات"، ص 270.

[2] محمد حسن، الجغرافيا التاريخية لإفريقية، ص 42.

[3] النميري، المصدر السابق، ص 426.

[4] نفسه، ص 428-429.

[5] فرفر: هو طوبونيم ذو أصول نوميدية تحول إلى اللاتينية ثم إلى العربية بتحريفات مختلفة؛ وفرفار هي واحة من واحات الإقليم الصغير طولقة، والذي يضم المدن الثلاثة المتقاربة: فرفار، طولقة، ولوشانة أو ليشانة؛ ينظر: البكري، المصدر السابق، ج2، ص254؛ الطاهر طويل، المدينة الإسلامية وتطورها، ص 106؛ علاوة عمارة، "الهجرة الهلالية وأثرها"، ص 79.

والته بهدمه وحرق ما به من شجر وحجر فاجتمعت عليه الأيدي:" محوا ومحقا حتى عرفت ابنيته الخط بالغبار بعد التجميل وسقفه الكسر، وعفرت بأخاديده خدود الصخور، ولم تطمع بطون حفائره في الظهور.."[1].

الوجه الآخر للعمارة الريفية مثلته القصور في تغير عمراني-قبلي ملحوظ، فقد صار لكل قبيلة متغلبة قصرا، فانتشر عمرانها، وفي هذا يقول ابن خلدون: "وكانت تخوم بلاد زناتة منذ غلبهم الهلاليون على إفريقية وضواحيها أرض مصاب بين صحراء إفريقية وصحراء المغرب الأوسط، وبها قصور جددها فسميت بإسم من ولي خطتها من شعوبهم"[2]؛ ومنها قصر عثمان بن علي بن أحمد الرياحي الذي يشرف على المسالك والسهول المواجهة لقبيلة لواتة البربرية، وقد أُقِيم على أرضهم التي غصبت منهم[3]، واعتمد في بنائه على نوع من الحجر يسمى "حجر العيسوي"[4]. ويبلغ عدد أركان القصر أربع أركان، وقد ارتفعت جدرانها من جهات القصر الأربعة في تحفة عمرانية مميزة، وللقصر برج خامس يلتصق مع بابه الخارجي[5].

ويحتوى القصر من الداخل على مساكن وديار مبنية بالحجر والسواري السامية، وزينت مداخلها بالرخام فهي:"محكمة البناء متناسقة السكك متسعة الإذراء"، وقد استوطن بها العرب من بني رياح، وخصص جناح-تشريفي- لصاحب القصر عثمان بن أحمد الرياحي وكانت:" دار عثمان أجلها، بديعة الاختطاط، معجبة الاستنباط"[6]، وتواصل استخدام الفن الزخرفي الرومان-البيزنطي فقد قامت :"جهاته الأربعة على السواري السامية من الرخام، مما اخترعته الروم قبل الاسلام وخلفته بلميس وغيرها"[7].

ويقدم لنا النميري شكلا آخر من أشكال العمران بطولقة ممثلا في (قصبة الأقلام) لصاحب المدينة عبد الرحمن الطولقي، وقد أورد لنا وصفا دقيقا لها فيقول:" قصبة طولقة التي اشتهرت في البلاد، وقبضت المنعة يدها إباد عن الانقياد، واطمأنت بها مفاصل فصل الجياد، وسنت مناكبها دروع الاستعداد...موشحة العطفين لكن بالعدد الوافرة الأعداد"[8].

---

[1] النميري، المصدر السابق، ص 462.

[2] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 29.

[3] محمد حسن، المرجع السابق، ص 41-43؛ علاوة عمارة، "التحولات المجالية والطبونيمية"، ص 18؛ الطاهر بونابي، "حركة المرابطين السنة في الزاب"، ص59؛ صلاح الدين هدوش، المرجع السابق، ص 108.

[4] النميري، المصدر السابق ، ص413 .

[5] النميري، المصدر السابق، ص 413.

[6] نفسه، ص 414.

[7] نفسه، نفس الصفحة.

[8] نفسه، ص 435.



2-المثاقفة والاندماج في المنظومة الدينية والصوفية:

لقد كان للحضور الهلالي بمجالات الزاب دور مهم في ربطها بالموروث الثقافي السائد على ذلك الزمان، ممثلا في المذهب المالكي، واللغة العربية، وتجلى في تشكل هوية زابية محلية[1]؛ فتنوع الأصول البشرية كان عاملا إيجابيا للإثراء والتلاقح الثقافي (الديني واللغوي)، ولم يكن عامل انفصال وتفكك، حيث ظهر نوع من المثاقفة باندماج القبائل والعائلات العربية الوافدة في فلك المذهب المالكي، ونتج عن ذلك بروز طائفة كبيرة من العلماء والمتصوفة والمرابطين في الجماعات الوافدة على بلاد الزاب بالأخص ما بعد النصف الثاني من القرن السابع الهجري/الثالث عشر ميلادي.

أول هذه الشخصيات الدينية هو الشيخ المتصوف سعادة الرحماني بن خضيبة الرياحي (ت 705هـ/1305م)، أحد وجوه قبيل مسلم إحدى بطون رياح الهلاليين، استأنس بأمه خصيبة التي كانت في أعلى مقامات العبادة والورع، واستطاع أن ينشأ في بيئة عبادة وزهد وورع[2]، وبعد أن اشتد عوده رحل طلبا للعلم مغربا، أين نزل ببلاد تازة، واستقر في حضرة شيخ الفقهاء والصالحين أبي إسحاق ابراهيم بن أبي يحي التسولي التازي، حيث تعلم على يديه علوم كثيرة، حتى صار من النابغين في علوم الفقه، وبعدها رجع إلى عشيرته التي كانت مستقرة في البسيط الغربي للأوراس بنواحي طولقة من بلاد الزاب[3].

لقد أدى اندماج أحد شيوخ قبيل مسلم الرياحي في فلك التصوف السني المبني على نشر السنة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومساندة العامة من الناس ضد تسلط الفرع المزني والحفصيين بمغارمهم عليهم، أدى هذا الاندماج إلى انخراط الكثير من شيوخ العائلات الرياحية، على غرار: شيوخ أولاد محرز، وأولاد سباع، وأولاد عساكر، وأولاد عطية[4]. إن التأثير العقدي الكبير الذي بلغ في نفوس السنيين من أتباع سعادى الرياحي، قد كان له دور بارز في تمكينهم من بناء زاوية بزاب طولقة[5].

الشخصية الدينية الأخرى التي مثلت نموذجا لاندماج الجماعات الوافدة في الموروث المالكي ببلاد الزاب بعد استقرارهم ببواديه، يمثله أبو علي ناصر بن أحمد بن يوسف المزني (ت 822هـ/1419م)، بدأ حياته العلمية ببلده بسكرة، حيث أخذ عن شيخه أبي الحسن علي بن عبد الرحمن التوزري القراءات، فصار بارعا فيها، ثم توجه للجلوس بين يدي شيخه عبد العزيز بن يحي الغساني لتعلم الفقه،

---

[1] علاوة عمارة، " الهجرة الهلالية وأثرها"، ص 86.

[2] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 51.

[3] نفسه، ج6، ص 51.

[4] نفسه، ج6، ص 52.

[5] عبيد بوداود، "خلفيات ثورة سعادة الرحماني"، ص 102.

وكان له مشايخ كثر غيرهما [1]. وكان رحيله مشرقا، فنزل بمصر سنة 803هـ/1401م، وكان ممن جلس بين يديهم، ولازم مجالسهم الشيخ الفذ ابن حجر العسقلاني، شيخ الشيخونية الامام الفضل التقي الدجوي الذي أخذ عنه صحيح البخاري[2].

ومنهم كذلك الفقيه محمد بن منصور بن مزني، وكان كثير الأسفار، مخالطا للعلماء والفقهاء، حتى مُكِّن له في علم الفقه، فصار مدرسا للطلبة، وقد كان له اتصال مع ابن خلدون أيام رحلته إلى قفصة، وكان حينها الشيخ محمد بن منصور هذا بحاضرة تونس، يقول في ذلك ابن خلدون في رحلته:" قدم علينا بها(قفصة) الفقيه محمد بن الرئيس منصور بن مزني، وأخوه يوسف يومئذ صاحب الزاب، وكان هو بتونس"[3].

3-الانخراط الهلالي في المجال الاقتصادي:

لقد كان لتوجه الجماعات الهلالية الى ممارسة النشاط الزراعي، حتى صار العرب يزرعون الأراضي في بلاد البربر، وهذا بعد جنوحهم للاستقرار بالأرياف والبوادي ذات الاقطاعات الزراعية الكثيرة، الدور البارز في بداية اندماجهم، وتحولهم تدريجيا إلى تغيير الصورة السوداوية تجاههم[4]، كما يرى جورج مارسيه الذي حاول إلصاق فكرة الكارثة والوحشية بالجماعات الهلالية، حيث ينتقل من التخريب العمراني إلى التخريب الزراعي بالأرياف، أين تجلى الصراع بينهم وبين ملاّك الأراضي الذين تم تخريب جميع محاصيلهم وأشجارهم، وتحييدهم عن اقطاعاتهم، وفي هذا يقول:"فزناتة الذين دحروا نحو الغرب لم يعد لهم اتصال بسهول قسنطينة والزاب حيث استقر العرب كأصحاب أرض"[5]. هذا التوجه بحسب مارسييه تمخضت عنه:" ازاحت البدو المحليين أو قللت كثيرا من أملاكهم، فالخصومة الناتجة عن أساليب الحياة قد أثيرت عند المزارعين المقيمين بؤسا عضالا ولقد ظهرت في هذا المجال الكارثة العربية أثر وحشية"[6].

وتقدم لنا المصادر الجغرافية والوصفية صورا للاندماج العربي-الهلالي في مختلف الأنشطة الاقتصادية، وهذا من خلال مشاركة الجماعات المحلية في أنشطة عدة، حيث كانت بينهم" أحوال واسعة ومعاملات، حتى صارت بينهم مشاركات في:" الحرث والادخار والحنطة"[7]. وبالمثل تصدت

[1] السّخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار الجيل، بيروت، د.ت، ج10، ص 195.

[2] نفسه، نفس الصفحة.

[3] ابن خلدون، رحلة ابن خلدون، نشر وتعليق: محمد بن تاويت الطنجي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004، ص 66.

[4] علاوة عمارة، " الهجرة الهلالية واشكالية انحطاط"، ص 34 و 39.

[5] جورج مارسييه، المرجع السابق، ص 240.

[6] المرجع نفسه، نفس الصفحة.

[7] الادريسي، المصدر السابق، مج1، ص 265.

المصادر الإخبارية لاندماج الجماعات الهلالية في الوسط البربري، حيث مارسوا الكثير من الأنشطة الاقتصادية التي انبرى لها بنو رياح خاصة بإفريقية والزاب، على غرار الزراعة، وتربية الخيول، وذكر صاحب الكامل نقلا عن ابن شداد الصنهاجي، أنهم قد دخلوا في طوع الدولة، فصاروا دما واحدة لذا شاركوا بعددهم وعدّتهم من خيول قاموا بتربيتها، وسلاحهم الذي صنعوه في جهاد المسلمين للفرنجة بالأندلس، فكانت في روح الاسلام والأمة[1]. ويذكر ابن خلدون اختلاطهم بالجماعات المحلية ببسكرة، واندماجهم في الزراعة بامتلاك الأراضي الزراعية وسقيها، فيقول:" وكان أول نزولهم بقرية من قرى بسكرة وكانت تعرف بقرية حيّاس، ثم كثروا وتسايلوا وأخذوا مع أهل بسكرة بحظ وافر من تملك العقار والمياه"[2].

كل ذلك ينضاف إلى النصوص الفقهية[3] التي قدمت لنا معطيات حول الكثير من صور اندماج فئة من العرب المستقرين بالمجالات الريفية في مجالات اقتصادية متنوعة، أين خاضوا في أنشطة مختلفة، منها الزراعة من حرث وسقي[4]. وكذا تربية الحيوانات من بقر، وإبل، ورعيها. كما كان لهم حضور في النشاط التجاري والمعاملات المالية مع السكان المحليين، من خلال الإتجار بالحيوانات، والإنتاج الزراعي، وتجارة الرقيق من الخدم. ومن الفتاوى الواردة في معيار الونشريسي، صورة لامتهان العرب الغاصبين لحرفة التجارة على العهد الحفصي، حيث أفتى ابو محمد عبد الله بن بختي الزواوي البجائي بجواز التعامل معهم في تجاراتهم، والشراء مما يبيعون سواء كانت سلع التجارات مغصوبة، أو مكسوبة[5].

وبالمقابل، لم يتوقف العرب في اندماجهم على ممارسة التجارة بل أصبحت لهم أسواق بمحلاتهم، وأوطانهم، وفي هذا يذكر صاحب رحلة التيجاني:" وهنالك مجتمع العرب وسوقهم، وبها يباع مجتلبهم ومسوقهم"[6].

سابعا: النسيج الاجتماعي للفضاء البسكري وواحاته على العهد المزني

1- نسب بني مزني:

لقد ظهر على ساحة التوطين ببلاد الزاب عائلة جديدة، استطاعت أن تسيطر على مجالاته وتخلف بذلك عائلة بني سندي، لكن الاشكال الذي بقي مسيطرا بشدة بين الباحثين هو أصل هذه

[1] ابن الأثير، المصدر السابق، مج9، ص 222 و 431.
[2] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 586.
[3] يراجع في هذا المسائل التي وردت عن الوغليسي، المازري، وغيرهما، في: المعيار المعرب: ج5، ص 88؛ ج9، ص 552-553.
[4] فتوى السيوري في المعيار المعرب، ج9، ص 560.
[5] فتوى ابن بختي الزواوي في المعيار المعرب، ج5، ص 68.
[6] التجاني، المصدر السابق، ص 214.



العائلة، لهذا يبرز توجهان مختلفان، الأول مبني على مزاعم هذه العائلة، والثاني يفرضه العلامة ابن خلدون أحد الذين عاشوا لفترة لا بأس بها بين هذه العائلة، ومجمل هذين الاتجاهين، نبرزهما كالآتي:

أ- بنو مزني: الأصل الفزاري

حاولت العائلة المزنية ربط نفسها بأصول عربية، وقد أورد ابن خلدون هذه المزاعم، فيقول:"ونسبهم بزعمهم في مازن من فزارة"[1]؛ وهؤلاء بنو فزارة بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان ابن سعيد بن قيس عيلان ين مضر بن نزار بن معد بن عدنان؛ ويرى صاحب الجمهرة أن فزارة بن ذبيان تزوج من خولة من بني تغلب، وله من الولد أربع، وهم: عدّي، ومازن، وسمخ، ومُرّة[2]. ويرجعون بحسبه إلى قيس عيلان، وفيهم رجال كثر، منهم بغيض بن مالك بن سعد بن عدي بن فزارة الذي كان جامع القيسية كلهم، ومنهم يزيد بن عمر بن هبيرة بن سكين بن خديج بن بغيض بن مالك ولي العراق لبني أمية على عهد مروان بن محمد و يزيد بن عبد الملك[3].

وفي نسب بني مزني من بني فزارة، يتحدث صاحب أنساب الأشراف، فيقول:" وولد فزارة بن ذبيان: عدي بن فزان، وأمه نضيرة بنت جشم بن معاوية بن بكر بن هوزان. ومازن بن فزارة. وشمخ بن فزارة. وظالم بن فزارة. ومرّة بن فزارة. وورومي بن فزارة، وأمهم منولة بنت جشم بن بكر بن حبيب من تغلب، بها يعرفون"[4]. ويذكر لنا نماذج لأنسابهم ونسلهم، فيقول:" فولد خلاوة بن ثعلبة: مازن بن خلاوة. وقرة بن خلاوة. وخالفة بن خلاوة. وولد مازن بن خلاوة: نضلة بن مازن. وصبح بن ماون. والحارث بن مازن. ونهيك بن مازن. وكلاب بن مازن. وقرة بن مازن، وهم رهط بلال بن الحارث المزني الذي أقطعه النبي ﷺ"[5].

وبني مازن الذي اشتق منه جذر العائلة مزني، فهم نسل كثير، ورجال كثر، ومنهم ما كره صاحب الجمهرة، فيقول:" ومن بني مازن بن فزارة بن ذبيان: منضور بن زبان بن سيار بن مر بن جابر بن عقيل بن هلال بن مازن بن فزارة، وابنته خولة، تزوجها الحسن بن علي بن أبي طالبؓ؛ وابن عمه لحا هرم بن قطبة بن سيار"[6].

[1] الهَجَرِيُّ، المصدر السابق، ق4، ص 1864؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ص 586.

[2] ابن حزم، المصدر السابق، ص 243.

[3] المصدر نفسه، نفس الصفحة.

[4] البلاذري، أنساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكار و رياض زركلي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1996م، ج 13، ص 153.

[5] المصدر نفسه، ج11، ص 325-326.

[6] نفسه، ص 246.



ب- بنو مزني: الهلاليين

ذهب ابن خلدون إلى نقد فكرة أن يكون أصل بني مزني من نسل فزارة، ويرى في نسبهم الصحيح بحسب ما تلقاه من الهلاليين، أنه:" في لطيف من الأثبج، ثم من بني جري بن علوا بن محمد بن لقمان بن خليفة بن لطيف، واسم أبيهم مُزنة بن ديفل بن محيا بن جري"[1]. ويرى صاحب التعليقات والنوادر، أن:" الأثبجي في بني هلال"، وأصلهم لأبيهم ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر، فالأثبج بن عامر[2]، وكانوا على هذا العهد أوفر عددا وأكثر بطونا، ومن بطونهم المشهور: الضحاك وعياض ومقدم والعاصم ودريد وكرفة، ومنهم لطيف الذي ينسب إليهم بنو مزني[3].

وجاء في مختصر الفاسي:" والأثبج العظيم البطن، وثبج كل شيء وسطه، والذي في هلال بن عامر ينسب إليه حميد بن ثور بن عبد الله، وعبد الله هو أخو الأثبج، ينسب إلى عم أبيه وكثير هذا عند العرب فقالوا: الأعشى مازني وهو جرمازي، ومازن وجرماز أخوان"[4].

وبنو مزني هم من أحلاف بني هلال بن عامر[5]، ولفيف من لفائف العرب الهلالية التي وصلت إلى بلاد إفريقية والزاب خلال القرن الخامس الهجري/11م، ويرى إبن خلدون أن" أهل الزاب كلهم من أفاريق الأثبج عجزوا عن الظعن ونزلوا قراه على من كان بها قبلهم من زناتة و(العرب من) طوالع الفتح، وإنما ينزعون عن هذا النسب إلى فزارة لما صار إليه أهل الأثبج بالزاب من المغرم والوضائع"[6].

ت- بنو مزني والفتوحات الإسلامية:

لقد أهملت جل الدراسات التاريخية بدايات الحضور المزني ببلاد المغرب الإسلامي، والزاب تحديدا، والحقيقة أن الجماعات المزنية قد كانت من الفصيل الأول الذي عبر إلى بلاد إفريقية خلال الحملات العسكرية المنظمة من قبل العرب الفاتحين. ولم يكن الفصيل المزني الوحيد الحاضر في هذه الحملات، فجماعات من عدي، وبني سليم، وغيرهما، كانت هي الأخرى ضمن هذه الحملات، مما يرجح بحسب رأيي استقرار عناصر منها بمجالات إفريقية، قبل الانتقال إلى بلاد الزاب، ربما مع أقرانهم ممن دخل خلال النصف الثاني من القرن الهجري الخامس/11م، في الهجرة الهلالية والسليمة.

---

[1] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 30.

[2] الهَجَرِيُّ، المصدر السابق، ق 4، ص 1645 و 1662؛ التجاني، المصدر السابق، ص 18.

[3] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 31.

[4] الهَجَرِيُّ، المصدر السابق، ق 4، ص 1663 (الهامش).

[5] المصدر نفسه، ق4، ص 1764.

[6] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 586.



إن الرواية القيروانية لها مكانة هامة في تسليط الضوء على الحضور المزني بإفريقية، ممثلة خصوصا بأبي العرب نقلا عن الواقدي، والذي يؤكد على تواجدهم خلال الحملة التي قادت الفاتحين على عهد عثمان بن عفان (رضي الله عنه) إلى إفريقية سنة سبع وعشرين للهجرة، وفي هذا يقول:" حدّثنا كثير بن عبد الله المزني عن أبيه عن جده قال خرج من مزنية ثمان مائة كان لواؤنا على حدة يحمله بلال بن الحارث المزني قال وخرج من بني سليم أربع مائة وخمسون رجلا وخرج من بني الدئل وضمرة وغفار وعبد مناة خمس مائة وخرج من قطفان وفزارة ومر سبع مائة وكان آخر من قدم عليه كعب بن عمرو وهم أربع مائة وكان هذا سن سبع وعشرين"[1].

ونقلا عن الزهاد وعلماء القيروان، يؤكد صاحب رياض النفوس، الحضور المزني خلال بداية الفتوحات الاسلامية لإفريقية، ومن المرجح أنهم استقروا ببلاد إفريقية للمكانة التي طبعتها قدسية الأحاديث النبوية السبع[2]. لا شك في أن أول ظهور لبني مزني على ساحة الأحداث بإفريقية قد كانت بوادره المشاركة في التكتل العربي الذي التي قاده عبد الله بن أبي سرح في حدود سبع وعشرين للهجرة لفتح إفريقية، وعلى شاكلة أبي العرب، يبرز صاحب رياض النفوس ذلك، فيقول:" وخرج من أسلم ثلاثمائة رجل، منهم حمزة بن عمرو الأسلمي، وسلمة بن الأكوع، وخرج من مزينة ثمانمائة منهم بلال بن الحارث المزني، وكان اللواء بيده، وخرج من بني سليم أربعمائة وخمسون، وغيرهم من قبائل شتى، خرج جميعهم مع عبد الله بن أبي سرح العامري سنة سبع و عشرين من الهجرة. وكانت هذه الغزاة تمسى غزوة العبادلة"[3].

وفي المقابل، ينفرد صاحب نهاية الأرب في ذكر عدد الجند من كل قبيلة شاركت في هذا التكتل العسكري، ضمن هذه الحملة التي أمر بها عثمان بن عفان (رضي الله عنه)، وانتماءاتهم القبلية، وتحديدا أول ظهور لقبيل بني مزني تحت لواء متقدمهم بلال بن الحارث المزني، وسأكتفي بذكر القبائل المشاركة، وفصيل مزني، فيقول في هذا صاحب نهاية الأرب[4]:" فلما أراد عثمان أن يغزي إفريقية... فندب الناس للغزو، فكان هذا الجيش يسمى جيش العبادلة، من بني هاشم...من بني تميم...من بني عدي...من بني أسد...من بني سهم...ومن مزينة ثمانمائة رجل"[5].

---

[1] أبو العرب، طبقات علماء إفريقية، ص 14.

[2] علاوة عمارة، "موقع تلمسان"، ص 19.

[3] المالكي، المصدر السابق، ج1، ص 16.

[4] فصل صاحب نهاية الأرب أسماء الصحابة، والتابعين، بقية عدد جند القبائل المشاركة في الحملة غير بني مزني، عدة الجيش، ومراحل دخوله إفريقية، ونتائج المعارك التي دارت بالمدن، وغيرها. يراجع: النويري، المصدر السابق، ج24، ص 4-9.

[5] النويري، المصدر السابق، ج24، ص 4.



2- المجالات المزنية والتغيرات في البنية الاجتماعية لبلاد الزاب:

لقد كانت القرى المنتشرة بعاصمة الزاب بسكرة أولى مواطن الاستقرار للعائلة المزنية- الأثبجية، على غرار قرية حيّاس، ولم يطل بهم الأمر حتى كثر عددهم وتسايلوا، وأخذوا في تملك الاقطاعات و الأراضي بين أهل بسكرة، حتى صاروا في هم ومنهم أصهار ونسب، ومشايخ وصلحاء، يعتدون في الشورى من المشيخة. وقد كان بنو رمان على هذا العهد في جيرتهم، وقد كانوا البادئين بالاستقرار والمشيخة بمجالات بسكرة بشيخهم جعفر بن أبي رمان، لذا كانت بينهم وبين بني مزني صراع وصدام، فاضطرمت بينهم نار العداوة والإحن.

خلال هذه المرحلة المميزة من حياة الإمارة المزنية، يظهر كرفة وهم قبيل من الأثبج، كانوا "بجبل أوراس حيث إقطاعاتهم، وسكنوه حللا متفرقة واتخذوه وطنا...ممايلي زاب تهوذة"[1]، حيث استطاع أولاد نابت من كرفة- الأثبج أن تحصل على المجالات الشرقية للزاب بقاعدتها بادس وتنومة بعد اقتطاعها من الذواودة[2]. وقد كان لكرفة دور مهم في تولي بني مزني المشيخة ببلاد الزاب لما نزل بينهم بجبل أوراس سنة 690هـ/ 1291م، وبعد تولي الأمير الحفصي أبي زكريا دولة بني حفص[3]، حيث سيصبح لمنصور بن الفضل المزني متولي السلطة المالية ببلاد الزاب للسلطان الحفصي، واستقامت له الأمور بها بعدما استكان له بني رمان، قبل أن يتمكن المنصور بن الفضل تشكيل إمارته المزنية المستقلة[4].

لقد استطاع بني مزني من توسيع نفوذ إمارتهم في المنطقة الجنوبية لقسنطينة على حساب الجماعات الرياحية، حيث أصبحت تضم بالإضافة إلى بلاد الزاب، كلا من: الحضنة، جنوب جبل الأوراس، وادي ريغ، ووراكلا، متخذين من بسكرة عاصمة لإمارتهم[5]. وتواصلت سيطرتهم على الزيبان المحصور في الفضاء البسكري وواحاته إلى حدود 804هـ/1402م، حيث مثل أحمد بن يوسف بن مزني الامير الأخير للعائلة المزنية[6]، بعدما استطاع السلطان أبو فارس عبد العزيز (عزوز)[7] استعادة الزيبان، قبل أن تصبح كل إفريقية تحت السلطة الرمزية الحفصية[8].

---

[1] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 31-32.

[2] نفسه، ج6، ص 47.

[3] الزركشي، المصدر السابق، ص 49-53؛ حفناوي بعلي، المرجع السابق، ص 36.

[4] برنشفيك، المرجع السابق، ج1، ص 140.

[5] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 592؛ برنشفيك، المرجع السابق، ج1، ص140.

[6] الزركشي، المصدر السابق، ص 122؛ برنشفيك، المرجع السابق، ج1، ص 244 ؛ محمد العروسي المطوي، المرجع السابق، ص 565.

[7] الزركشي، المصدر السابق، ص 114-115.

[8] الزركشي، المصدر السابق، ص 126؛ السلاوي، المرجع السابق، ج4 (القسم الثاني/الدولة المرينية)، ص 91 (الهامش).

الفصل الثالث

شبكة المسالك الداخلية والخارجية بمجالات الزاب (1-9هـ/7-15م)

التواصل- التجدد- الانقطاع

أولا- شبكة المسالك الداخلية لبلاد الزاب (1-3هـ/7-10م)

ثانيا- تشكل مدن جديدة بمجالات الزاب وأثرها في خريطة المسالك (4-5هـ/10-11م)

ثالثا- المسالك الداخلية خلال القرن الهجري الخامس/11م

رابعا- خريطة المسالك الداخلية لبلاد الزاب خلال الفترة (6-9هـ/ 12-15م)

خامسا- شبكة المسالك الخارجية لبلاد الزاب (1-9هـ/7-15م)

سادسا- الأطوال والأبعاد بين محطات المسالك الداخلية والخارجية لبلاد الزاب

سابعا- دور المسالك في النشاط التجاري

الفصل الثالث

شبكة المسالك الداخلية والخارجية بمجالات الزاب (1-9هـ/7-15م)

التواصل- التجدد- الانقطاع

اخترقت المجالات الداخلية لبلاد الزاب شبكة من المسالك والطرق التي تعتبر شرايين تربط بين أنحائه الداخلية المختلفة، والظاهر أن هذه المسالك قد عرفت تغيرات مستمرة، أدت في الغالب إلى تواصلها أحيانا، وانقطاع بعضها أحيانا أخرى، وهذا مقارنة بوضعيتها في الخرائط الأثرية القديمة. كما لم تكن بلاد الزاب بمعزل عن العالم الخارجي، فقد اتصلت به عبر مسالك خارجية انطلاقا من جهاته الأربعة، كانت لها أهمية متباينة في مختلف المناحي. فما هي وضعية المسالك الداخلية لبلاد الزاب حتى نهاية القرن الهجري التاسع مقارنة بالفترة القديمة؟ وماهي يا ترى الأدوار المنوطة بهذه الطرق والمسالك الداخلية والخارجية؟

كل هذه التساؤلات سنحاول في هذا الجزء الثالث من البحث الاجابة عليها، من خلال تتبع وضعية المسالك الداخلية في مجال الزاب مقارنة بواقعها في الخريطة الأثرية القديمة، لنتمكن في الأخير من الوصول إلى مظاهر تواصل، انقطاع أو تجدد هذه المسالك. كما سنقوم بمعالجة شبكة المواصلات الخارجية للزاب مع مختلف البلدان المجاورة لها على غرار افريقية، المغرب الأوسط، وبلاد الصحراء، مبرزين دورها وأهميتها في جوانب عدة:

أولا: شبكة المسالك الداخلية لبلاد الزاب (1-3هـ/7-10م):

1-وضعية المسالك الداخلية من الفتح الاسلامي إلى نهاية القرن الهجري الأول/7م:

ارتبط فتح بلاد الزاب بحملات عسكرية متسارعة قادها الفاتح عقبة بن نافع الفهري، فانطلاقا من القيروان[1] قاعدة الجيوش الأموية، التي أسسها مابين الساحل والهضبة[2]، وتُظْهِر الروايات المعابر التي سلكها عقبة لفتح بلاد الزاب، مع التذكير بانعدام صورة واضحة حول مجالات بلاد الزاب خلال القرن الهجري الأول/ السابع الميلادي:

أ- المسلك: بغاي ⬅ لمبايسيس (لمبيز)

أول المسالك الداخلية تبرز في الطريق: باغاي- لمبيز، وهو طريق السهل الذي يبعد عن الهضبة الوعرة[3]، وكان أحد مسارات حملات الفتح لبلاد الزاب، يذكر ذلك صاحب تاريخ إفريقية والمغرب:"

---

[1] خليفة بن خياط، المصدر السابق، ص 210؛ المالكي، المصدر السابق، ج1، ص 10-11.

[2] حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 140.

[3] المرجع نفسه، ص 188.



ومضى في عسكر عظيم حتى أشرف على مدينة باغاية"[1]. المسلك ينتهي عند لمبايسيس (*Lambaeses*)، وعن ذلك يتحدث صاحب رياض النفوس:" ثم رحل فنزل على لميس وهي من أعظم مدائنهم"[2]. ويظهر جليا اختلاف في الطوبونيم لميس، غير أن ابن الشبّاط قد أبرز موقع لميس في قوله:" بينها وبين قسنطينة مرحلتان وهي بين جبل قسنطينة وجبل أوراس"[3]، مما يرجح أن تكون فعلا لمبايسيس أو لمبيزة كما جاء في قراءة صاحب فتح العرب للمغرب عندما يؤكد:" مسير عقبة من القيروان إلى باغاية إلى لمبيزة"[4]، خاصة أن الاجماع بين مختلف الآراء على كون الحملة العسكرية دارت على مقربة من الأوراس[5].

المسلك ماهو إلا تواصل لطريق روماني قديم يظهر بوضوح في خرائط بيار سلامة، والأطلس الرقمي للإمبراطورية الرومانية[6]. وعبر المسلك تتموقع عديد المحطات: بداية بموقع (*Mascula*) ماسكولا (خنشلة الحالية)، ثم يتصل بموقع روماني قديم هو هنشير السدرة (*Claudi*)، وبحسب غزال يكاد يختفي، وعثر به على خرائب خزان كبير[7]. ثم تيمقاد (*Thamvgadi*)، والمحطة الأخرى والواقعة بين لمبايسيس وتيمقاد هي هنشير توشين (*Lambafundi*)[8]، ثم مركونة (*Verecunda*) ذات الأصل اللاتيني، والتي عثر بأنحائها على آثار رومانية قديمة[9]، وفي الأخير، يتمدد الطريق ليصل إلى المحطة لمبايسيس (*Lambaeses*).

ب- المسلك: لمبايسيس (لمبيز) ⬅ أدنة

المسلك الآخر الذي جاء ذكره في النصوص المتعلقة بفتح بلاد الزاب، هو لمبايسيس – أدنة، ويحضر في روايات عديدة، على غرار الرواية القيروانية بمثلها الرقيق، المالكي في رياض النفوس، كما أوردها النويري في نهاية الأرب، لكن مع غموض تام في مراحل المسلك المتبع أو المحطات التي مر بها، حيث تنتقل جل الروايات من آخر موقع وصلت إليه الفتوحات وهو لمبيز مباشرة إلى موقع (أدنة)، والتي كانت بحسب الرقيق:" أعظم مدائنهم قدرا...وهي مجمع ملوك الزاب"[10].

---

[1] الرقيق، المصدر السابق، ص 10.

[2] المالكي، المصدر السابق، ج1، ص 35.

[3] المالكي، المصدر السابق، ج1، ص 36 (الهامش).

[4] حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 188 و 190.

[5] الرقيق، المصدر السابق، ص 10؛ يوسف عيش، المرجع السابق، ص 374.

[6] Salama, *op. cit.*, Cartes; Digital atlas of the Roman Empire: http://dare.ht.lu.se/places/22167.html.
A.A.A, F°27, N° 337.

[8] A.A.A, F°27, N° 247.

[9] A. Berbrugger, « Remorques sur les inscriptions découvertes à Markouna et copiées par M. Barnéond », *Revue Africaine*, 7 (1863), p. 473-478 ; A.A.A, F°27, N° 240.

[10] الرقيق، المصدر السابق، ص 11.



ومن المرجح أن يكون موقع زابي جستنيانا الواقع في مجالات الحضنة، خاصة وأن جل الروايات القديمة تشير إلى توفر هذا الموقع على حصن بيزنطي تم تشييده على الأرجح أيام الإمبراطور جستنيانوس، وهو ما يتوافق مع الروايات المصدرية حين تشير إلى وجود حصن قائم خلال عمليات الفتح العقبي للموقع، يذكر ذلك صاحب نهاية الارب:" فلما بلغهم أمره لجئوا إلى حصنهم"[1].

إن أقصر طريق للوصول إلى أدنة انطلاقا من لمبيز، هو المسلك الروماني لمبايسيس – طبنة والذي أكد على وجوده قرانج (Grange) حين أشار إلى عثوره على كتابة في صورة نصب أو شاهد ميلي في الطريق المحلي غير المعبد مابين بريكة وعين التوتة على بعد 2 كم، تدل على ارتباط لمبايسيس مع طبنة، والذي يتمدد بعدها إلى مدينة زابي[2].

على طول هذا الطريق يوجد الكثير من المحطات التي تتخلل المسلك، على غرار: تيورقة (*Ad Basilicam Diadumene*) وتمثل نقطة تقاطع المسلك المؤدي إلى بلزمة أو هنشير مروانة (*Lamasba*) من جهة، والطريق الثاني الذي من المرجح أن عقبة بن نافع قد سلكه لسهولة الوصول إلى قاعدة ملك الروم المرجحة وهي أدنة=زابي إلى الغرب من الزاب عبر طبنة؛ وبالإضافة إلى تيورقة، يمكن المرور في المسلك من لمبايسيس إلى أدنة عبر المحطة عين التوتة (*Thac Arata* ?) [3].

والملاحظ أنه بعد الوصول إلى موقع طبنة في المسلك السابق، نجد بالمقابل طريق مواز ثان، جاء ذكره في الكثير من النصوص المصدرية الوسيطة، بداية بنصوص القرن الهجري الثالث/التاسع الميلادي ويمثله صاحب كتاب البلدان، الذي يضع هذا المسلك في مجالات بلاد الزاب خلال وصفه للطريق:"من القيروان إلى بلاد الزاب:... طبنة، مقرة، أربة"[4]؛ كما يظهر المسلك في نصوص القرن الهجري الرابع/العاشر الميلادي، يذكره صاحب صورة الأرض، فيقول:" ويأخذ من باغاي طريق إلى مقره عليه دار ملول وطبنة: من طبنة إلى مقره منزل فيه أيضا مرصد، ومن مقره إلى المسيلة مرحلة"[5].

المسلك ما هو إلا تواصل للطريق القديم، والذي جاء ذكره عند باراداز خلال عرضه للمسلك "سطيف-باسكال (البحيرة)-مقرة-طبنة" ضمن مقاطعة موريطانيا السطايفية[6]؛ كما يورده غزال بداية

---

[1] النويري، المصدر السابق، ج24، ص 14.

[2] Grange, *op. cit.*, p. 53 et 56.

[3] Fentress, *op. cit.*, p. 523.

[4] اليعقوبي، المصدر السابق، ص 140-141.

[5] ابن حوقل، المصدر السابق، ص 67 و 85.

[6] Baradez, *op. cit.*, p. 332.



في المسلك الذي يمتد من طبنة (*Thubunae*) مرورا بمقرة (*Macri*)[1]، والذي خلدته النقيشة التي عثر عليها في موقع الصوالح، وهو الموقع الحالي الموجود على الطريق بين مقرة وعين الخضراء على بعد 10 كم تقريبا[2]. وعلى طول 30 ميل من زابي يمتد المسلك الرابط بين مقرة و زابي كما ورد في المسلك الأنطونيني[3]، وأن طول المسلك بين مقرة مرورا بهنشير رمادة الذي يقع على وادي مقرة في الجنوب الغربي من شبكة مقرة، وزابي يقارب 46 كم[4].

ت- المسلك: لمبايسيس (لمبيز) ⬅ زانة:

تُظْهِر بعض المقاربات التاريخية - الأثرية الجديدة، أن طوبونيم أدنة (*Adna*) التي أعتبرت دار ملك للروم خلال حملات الفتح الاسلامي لبلاد الزاب، يوافق إلى حد كبير طوبونيم زانة (*Diana*)[5]، وإذا أخذنا بهذا الترجيح، فإننا نرجح أن يعتمد عقبة بن نافع خلال حملته على مسلك آخر لبلوغ أدنة، وهو المسلك المباشر: لمبايسيس - زانة، ويتحقق عبر مقطعين، ينتهي كل منهما عند زانة:

- المقطع الأول: على طريق قسنطينة (*Constantinua/Cirta*)، طوله 34 ميلا، ويمتد شطـــــر منه من لمبايسيس إلى زانة عبر أم الأصنام (*Tadutti*) على طول 18 ميلا [6]، ويمتد الشطر الثاني من المسلك أم الأصنام- زانة طوله 16 ميل[7].

- المقطع الثاني: إلى اليسار، ويقع على طولـــه طوبونيم وحيد هو باستـــور، أو سريانة (*Seraian*)[8] الواقعة إلى الشمال الغربي من باتنة، والتي في أصلها اللاتيني (*Lamiggigenses*)[9]. أشار غزال إلى وجود خرائب مدينة رومانية، وفي المركز كنيستين أو ثلاثة متجاورة[10]، وإلى الشرق منها حصن يحمل الطابع

---

[1] A.A.A, F° 26, N°113.

[2] [h]ic via noc...vicus Macri a Tub[unis]. Voir : A.A.A, F° 26, N°113.

[3] A.A.A, F° 25, N°85.

[4] A.A.A, F° 26, N°111.

[5] Noël Duval, « La Basilique de Zana (Diana veteranorum [Une nouvelle église à deux absides ou un monument à auges ?] », *Mélanges de l'école française de Rome*, 89-2 (1977), p. 847-873 ; J. Gascou, « L'emploi du terme respublica dans l'épigraphie latine d'Afrique », *Mélanges de l'école française de Rome*, 91-1 (1979), p. 383-398.

[6] Tamugadi - [XIIII – Lambes] - XVIII – Tadutti.

[7] A.A.A, F° 27, N°139.

[8] Fentress, *op. cit.*, p. 522.

[9] يوسف عيبش، المرجع السابق، ص 364.

[10] « A Pasteur même, il y avait trois églises, construites côte à côte, et de dimensions à pou près égales. Dans l'une d'entre elles, qui mesure vingt-six mètres de long sur quinze de largo, on dislingue les restes des deux colonnades en pierre qui séparaient la nef et les bas-côtés… ». Voir : Gsell, *Pasteur: un village en Algérie*, Typographie Adolphe Jourdan, Alger, 1894, p. 11.

البيزنطي[1]. المسلك الرابط بين (*Diana*) و(*Lamiggig*) يرجح أنه مثبت من خلال الشاهد الميلي الذي عثر عليه بين سريانة وزانة[2].

ث- المسلك: تهودة ⬅ بادس إنطلاقا من طبنة

الطريق الآخر الذي جاء ذكره في الحملات الأموية لفتح بلاد الزاب، هو المسلك: طبنة-تهودة-بادس، وانفرد بروايته صاحب نهاية الأرب نقلا عن ابن شداد الصنهاجي:" وسار حتى انتهى إلى طبنة، وبينها وبين القيروان ثمانية أيام، فأمر أصحابه أن يتقدموا فوجا بعد فوج إلى إفريقية ثقة منه بما دوخ من البلاد، وأنه لم يبق أحد يخشاه، وسار يريد تهوذة لينظر إليها وإلى بادس"[3]. ونفس الرواية لكن غلب عليها طابع التأخر والأسطورية أوردها صاحب المؤنس مع بعض الاختلاف في المحتوى، في قوله:" ووصل مدينة طبنة وكان ملكهم كسيلة فتقدمت جيوش عقبة وبقي نفر يسير من أصحابه إلى أن بلغ تهودة وبادس"[4].

لقد اتفقت باقي المصادر الوسيطة مع الروايتين السابقتين في ذكر الشق الأول من المسلك، ونقصد هنا المقطع: طبنة-تهودة، جاءت أول دلالاته في نص صاحب فتوح مصر والمغرب:" فانصرف إلى إفريقية، فلما دنا من ثغرها[5] أمر أصحابه، فافترقوا عنه، وأذن لهم حتى بقي في قلة، فأخذ على مكان يقال له تهوذة"[6]؛ وقد أورده صاحب رياض النفوس في قوله:" فلما انتهى إلى ثغر إفريقية وهي طبنة أذن لمن بقي معه بالانصراف إلى القيروان، ومال في خيل يسيرة يريد تهودة"[7]؛ ونفس الرواية نجدها في نص صاحب الكامل:" فلما وصل إلى مدينة طبنة وبينها وبين القيروان ثمانية أيام، أمر أصحابه أن يتقدموا فوجا فوجا...وسار إلى تهوذا لينظر إليها في نفر"[8].

وسيستمر هذا المسلك الذي مثل منطلقا لحملات عقبة في الفضاء البسكري، كما جاء في رواية صاحب البيان:" لما وصل إلى مدينة طبنة ..وسار هو إلى مدينة تهودا لينظر فيمن يصلح لها من الفرسان"[9]. فخلال القرن الهجري الثاني/الثامن الميلادي، سيتواصل الدور المميز للمسلك من خلال

---

[1] A.A.A, F°27 , N°73.
[2] *Ibid.*

[3] النويري، المصدر السابق، ج24، ص 15.
[4] ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 29.
[5] ثغر إفريقية : طبنة.
[6] ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ج1، ص 267.
[7] المالكي، المصدر السابق، ج1، ص 39.
[8] ابن الأثير، المصدر السابق، مج3، ص451- 452.
[9] ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 28.



حملات التطهير التي قام بها عمر بن حفص بن قبيصة سنة 151هـ/768م ضد الجماعات الصفرية من جهة، والجماعات الاباضية بقيادة عبد الرحمن بن رستم، يذكر لنا ابن عذارى مسير عمر بن حفص من طبنة التي كان يتحصن بها مع جنده ضد التكتل الصفري، إلى تهوذة التي كان يستقر بها عبد الرحمن بن رستم لطرده منها، فيقول:" فلما انصرف الصفرية[1]، وجه عمرو إلى ابن رستم عسكرا، وكان في تهودا، فانهزم ابن رستم، وقتل من أصحابه نحو ثلاثة آلاف، ووصل منهزما إلى تيهرت"[2].

المسلك ماهو إلا تواصل للطريق الروماني الذي تشكل في الغالب من المراكز الرئيسية التي أقرّها الرومان خلال القرن الميلادي الثاني[3]، حيث كونوا خطًا جديدا من القلاع ممثلة مراكز متقدمة في الجنوب لمنع الجماعات المحلية في الصحراء من تقديم يد العون لبربر الأوراس، الزاب، والحضنة، ومن أهم هذه المراكز نجد: تهودة وبادس إضافة إلى بسكرة، وقد أكد ديهل على أن البيزنطيين قد نجحوا في الاستحواذ على هذه المواقع الاستراتيجية في الجنوب على غرار تهودة وبادس[4].

الطريق الذي انفرد بذكره النويري وابن أبي دينار، هو امتداد للمسلك الروماني القديم، الذي مبتدئه طبنة، وقد اتفق معهما الكثير من المصدريين في وجود الشق الأول من هذا الطريق فقط، ونقصد طبنة-تهودة، فيمتد على طول 26 كم في اتجاه وادي القنطرة، أين يلتقي مع سهل الضاية (*Daya*) بواسطة طوق ثنية الوسطى[5]، ثم يتصل المسلك مع نقطة تقاطع لطريق فرعي ثان عند سبع مقاطع، ويتصل في فرعه الأيسر بموقع لوطاية (*Mesarfelta*)[6]، بعدها سيقطع المسلك وادي لفتة عابرا أرضا طويلة مابين وادي بسكرة وووادي البسباس، لكن قبل هذا هناك مسلك اجتنابي يتجه إلى بسكرة[7].

وبالمقابل، أشار باراداز إلى أن المسلك سيتواصل ليقطع نقاط أخرى حتى يتصل بتهودة[8]. عند هذا الحد تتوقف جل الروايات الوسيطة عن ذكر باقي المسلك، ولا ينفرد بذكره إلا النويري وابن أبي دينار

---

[1] انصرفت الجماعات الصفرية عن محاصرة مدينة طبنة.

[2] ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 76.

[3] يذكر ألبرتيني أوقان أن الوصاية الرومانية قد وصلت مباشرة في نهاية القرن الثاني الميلادي الى حدود بسكرة جنوبا عبر المسلك طبنة- سبع مقاطع- قصر سيد الحاج، وبالتالي استطاعوا تمديد خطوط الليمس الى حدود عين النعيمي على بعد 35 كم من واحات سبع مقاطع، ويعبر هذا على تمدد للمسلك لمبيز- قصر سيد الحاج. يراجع: Albertini, *op. cit.*, p. 369-370-

[4] Diehl, *op. cit.*, p. 245.

[5] Grange, *op. cit.*, p. 55 ; A.A.A, F°37 , N° 10 et 57.

[6] Albertini, *op. cit.*, p. 267 (Map) ; Baradez, *op. cit.*, p. 148 et 258.

[7] Baradez, *op. cit.*, p. 324; Salama, *op. cit.*, Cartes.

[8] Baradez, *Ibid*, p. 324.



كما أشرنا سلفا، هذا المقطع من تهودة (*Thabudeos*) إلى بادس/ باديس (*Badias*)[1]، والمتبقي من المسلك الإجمالي (طبنة-بادس)، هو تواصل للمسلك الروماني الذي ورد في ألواح بوتنغر بطول 23 ميل[2]، وقد حدد غزال مسافة المقطع بحوالي 70 كم[3].

2- المسالك الداخلية لبلاد الزاب خلال القرن 3هـ/9م:

امتدت حدود الخريطة المجالية لبلاد الزاب خلال القرن الهجري الثالث/9م، من باغاي إلى حدود خرائب هاز أو أزية (سور الغزلان) غربا، ومن ميلة إلى طبنة، وتدخل ضمن هذا المجال الكثير من المدن التي ستتصل حتما بشبكة من الطرق والمسالك الكثيرة، والتي تتشكل من:

أ- المسلك: باغاية ⬅ تيجيس

تبرز شهادة اليعقوبي مبتدأ المجال الزابي على العهد الأغلبي في الشرق عند مدينة بغاي، والتي تتصل مع مدينة تيجيس بمسلك يقع في عمل باغاي، يذكر ذلك اليعقوبي، فيقول:" والزاب بلد واسع فمنه مدينة قديمة يقال لها باغاية...ومدينة يقال لها تيجس من عمل باغاية"[4]. المسلك نجده في روايات الجماعات الاسماعيلية بممثلها القاضي النعمان، حين يذكر الحملات العسكرية التي قادها الداعي الفاطمي للاستحواذ على المدن الأغلبية ومنها مدينة تيجس التي كانت دار ملك لزيادة الله، وبها رابطة من خمسمائة فارس، فيقول:" فكانوا يضربون على نواحي باغاية إلى تيجس"[5].

المسلك باغاية-تيجيس[6] ماهو إلا تواصل للمسلك الروماني القديم الممتد من باغاية والمتصل مع المسلك الطولي الرابط بين تبسة (*Thevest*) وقسنطينة (*Cirta*)[7]. وللوصول إلى تيجيس عبر هذا المسلك، يحتمل طريقان هما:

-الطريق الأول: بغاي – عين البيضاء – فج الصيودة – قصر الصبيحي – تيجيس

يمتد من بغاي قاطعا المسلك تبسة- قسنطينة عند عين البيضاء (*Marcimeni*)، ويتواصل الطريق شرقا مرتبطا مع الموقع فج الصيودة (*Vatari*)[8]، التي تمثل بحسب غزال مفترق لخمس طرق رومانية، ثم يعود

---

[1] Fentress, *op. cit.*, p. 526.

[2] Tabula Peutingeriana, P a r s V:
http://www.hsaugsburg.de/~harsch/Chronologia/Lspost03/Tabula/tab_pe05.html.

[3] A.A.A. F°49 , N°1-51.

[4] اليعقوبي، المصدر السابق، ص 140.

[5] القاضي النعمان، المصدر السابق، ص 183.

[6] Cambuzat, *op. cit.*, vol.2, p. 38.

[7] Diehl, *op. cit.*, p. 287.

[8] Fentress, *op. cit.*, p. 524-525.



الطريق ليسلك اتجاه الغرب وصولا عند قصر الصبيحي (*Gadiavfala*)، وقد أشارت ألواح بوتنغر إلى وجود هذا المقطع (Gadiavfala – Vatari) الذي يعتبر جزء من المسلك الذي يستمر حتى قرطاج (*Carthage*) [1]. بعد قصر الصبيحي، سيتصل الطريق في الأخير مع موقع تيجيس (Tigisis)[2]، هذا الطبونيم الذي سيحدث له تحول ليصبح يحمل طبونيم (عين البرج) كآخر موقع في المسلك[3].

-الطريق الثاني: باغاي – مريقب ثالة – سيقوس – تيجيس

يمتد من بغاي، ويقطع بدوره المسلك الطولي تبسة- قسنطينة بجوار الموقع مريقب ثالة (*Macomades*)، ويتمدد الطريق باتجاه المحطة سيقوس (*Sigvs*)، عند هذه الأخيرة سينفصل المسلك إلى جزئين[4]: الأول يتواصل نحو قسنطينة (*Cirta*) على مسافة 25 ميلا أو 37 كم كما أشار الى ذلك المسلك الأنطونيني[5]، ومقطع ثان يستدير باتجاه عين البرج التي يستقر بها الموقع الأثري القديم تيجيس (عين البرج)، وهي آخر نقطة في المسلك[6].

ب- المسلك: تيجيس ⬅ سطيف على طريق قسنطينة:

خلال عمليات الاستحواذ الاسماعيلي على المدن الأغلبية بمجالات الزاب، كما يذكر ذلك ابن حماد الصنهاجي:"وملكها عنوة، وكان زيادة الله آخر ملوك بني الأغلب من عمال بني العباس"[7]. حاول الفاطميون تطويق المدن القريبة من مركز خلافتهم ودار الهجرة في إيكجان ببلاد كتامة[8]، فبعد الاستحواذ على ميلة، جاء الدور على سطيف، حيث يورد القاضي النعمان مسلك الحملة العسكرية من ميلة إلى سطيف، في قوله:" فلما أخذ أبو عبد الله مدينة ميلة، واستقام له أمر من نواحيها من كتامة، جمع جموعه وزحف إلى سطيف"[9]. المسلك يذكره اليعقوبي لكن انطلاقا من تيجيس حين يرتب مدن الزاب من الشرق إلى الغرب، فيقول:" تيجس...ومدينة يقال لها ميلة عامرة محصنة،...ومدينة يقال لها سطيف بها قوم من بني أسد"[10].

---

[1] A.A.A. F°18, N°478.

[2] A.A.A. F°17, N°335.

[3] حول عين البرج (Tigisis)، يراجع: يوسف عييش، المرجع السابق، ص 410-413.

[4] Salama, *op. cit.*, Cartes.

[5] A.A.A. F°17, N° 126.

[6] A.A.A. F°17, N°340.

[7] ابن حماد الصنهاجي، المصدر السابق، ص 38.

[8] الداعي ادريس، المصدر السابق، ص 113.

[9] القاضي النعمان، المصدر السابق، ص 166.

[10] اليعقوبي، المصدر السابق، ص 140.



المسلك ينطلق من تيجيس/ عين البرج (*Tigisis*) عبر طريق قسنطينة وهو تواصل تام للطريق الروماني القديم تبسة-قسنطينة المتجه غربا، المسجل في المسلك الأنطونيني، ويظهر بشكل واضح على ألواح بوتنغر، يعبر بداية موقع سيقوس (*Sigvs*)، وبعد 25 ميلا أو 37 كم يتصل المسلك مع قسنطينة (*Cirta*)، وهو ما أشار إليه النصب الذي عثر عليه على بعد 2 إلى 3 كم جنوب شرق سيقوس[1] يحمل الرقم (*xxv*)[2]. بعد الوصول إلى موقع قسنطينة، يتفرع الطريق إلى قسمين:

القسم الأول: يحاذي المسلك قسنطينة-ميلة-سطيف، ويتجه في طريق فرعي آخر جاء ذكره في ألواح بوتنغر، وتذكر أنه يمتد على طول 115 ميل، لكن غزال يرى بأن المسلك المباشر بين سيقوس وسطيف لا يتعدى 100 ميل أو 126 كم، وقد جاء المسلك كما هو في ألواح بوتنغر كالآتي[3]:

Sigus-(5) V-buduxi-(14) XIIII-visalta-(12) XII-lucullianis-?-Salviani-(25) XXV-Thabute-(10) X-Baccarus-(5) V-Ad Stabulu(m) Olearium-?-Ad Portum-(35) XXXV-Sitifis col(onia).

القسم الثاني: ينطلق من قسنطينة في اتجاه الشمال الشرقي عبر الطريق الروماني القديم الذي يمتد إلى موقع ميلة (*Milev*) ثم يتمدد إلى جميلة (*Cuicul*)، ويصل في الأخير إلى سطيف، حيث يمثل هذا المسلك في مقطعين هما:

المقطع الأول: يمتد من قسنطينة إلى ميلة في بلاد كتامة، وورد في المسلك الأنطونيني على امتداد 25 ميلا أو 32 كم[4]، وقد أشار غزال إلى أن المسافة بين النقطتين عبر المسلك دقيقة، مع امكانية إضافة 5كم تتعلق بانحراف ودوران المسلك، المقطع بين النقطتين ميلة وقسنطينة جاء ذكره في ألواح بوتنغر على النحو الآتي[5]:

Cirta Colonia- (9) VIIII- Aquartille- ?- Numituriana-(6) VI- Milev Colonia

ينطلق المسلك من قسنطينة، ويعبر 14 كم ليصل إلى الموقع الروماني (Aquartille) قرب قلعة الفيل (ابن زياد حاليا)[6]، في حين تظهر خريطة بيار سلامة الموقع بطوبونيم آخر هو (*Cast. Elephantvm*)،

---

[1] C.I.L., 10162=22224.

[2] 25 ميل.

[3] Tabula Peutingeriana, P a r s III ET IV; A.A.A. F°17, N°335.
https://www.hsaugsburg.de/~harsch/Chronologia/Lspost03/Tabula/tab_pe03/04.html

[4] عمار نوارة، الخريطة الأثرية لمنطقة ميلة وضواحيها في العهد الروماني، مذكرة ماجستير في التراث والدراسات الأثرية، إشراف: يوسف عيبش، كلية العلوم الإنسانية، قسم التاريخ والآثار، جامعة قسنطينة، الجزائر، 2011-2012، ص 274.

[5] A.A.A. F°17, N° 126.

[6] A.A.A. F°17, N° 93.



وهو الموقع الذي يشمله مدينة ابن زياد حاليا[1]، وقد أورد شارل فارس (Charles Vars) النقيشة أو النصب الذي يعود بحسبه إلى نهاية القرن الميلادي الثاني أو بداية القرن الثالث الميلادي وتحمل طوبونيم الموقع في المعطيات الآتية.[2]:

Genio Kaslelli Elephant(um) Sacrum.
Clodia Donata, Prope(rtii) Crescentis uxor, statuam
Geni(i) patriae Ka(slelli) elcj(antum) cum base quam de sua
liberalitate ad ornandum hastel(lum) pollicita

ويتمدد المسلك ليبلغ النقطة (*Numituriana*) أو كما رجح غزال موقع بضواحي عين الطين والذي أوردته ألواح بوتنغر على بعد 6 أميال عن موقع ميلة على طريق قسنطينة. وإذا ما أخذنا بالأبعاد السابقة التي وردت في ألواح بوتنغر، فإن المسافة بين (*Aquartille*) و(*Numituriana*) هي 5 أميال.

المقطع الثاني: يمتد من ميلة إلى سطيف ويتوسط المقطع دار هجرة الجماعات الاسماعيلية (إيكجان) القلعة التي كانت منطلقا للسيطرة على المدن الأغلبية في الشرق[3]، ويتحدث صاحب عيون الأخبار عن مسير الحملة الفاطمية من ميلة إلى سطيف عبر إيكجان[4]، فيقول:" ولما ملك أبو عبد الله مدينة ميلة ودانت له نواحيها واستقام أمر من فيها، خرج إلى سطيف وكان صاحبها بن حفص[5]...ثم انصرف إلى ايكجان...وزحف مرة ثانية إلى سطيف"[6].

المقطع ميلة-سطيف ما هو إلا الطريق الروماني القديم الذي ينطلق من ميلة (*Milev*) باتجاه الشمال الشرقي إلى قسنطينة عبر موقع جميلة (*Cuicul*)[7]، وعلى هذا المقطع تنتصب الشواهد الميلية التي تحمل الأرقام: (21، 22، 41، و54)، وقد ورد المقطع ميلة-جميلة في المسلك الأنطونيني وتمتد المسافة على طول 50 ميل أو 65 كم، كما يلي:

---

[1] Salama, *op. cit*., Cartes.

[2] Charles Vars, « Constantine (Cirta) », *Recueil des notices et mémoires de la Société archéologique, historique et géographique du département de Constantine*, 33 (1899), p. 382.

[3] Cambuzat, *op. cit*., vol.2, p. 110-112 et 294 (Cartes)

[4] ايكجان : قلعة شيدها أبو عبد الله الشيعي بجبل إيكجان، الموجود في منطقة بني عزيز التابعة حاليا لدائرة بني عزيز الموجودة في ولاية سطيف. والقلعة (قلعة إيكجان) في مكان جبلي وعر ب " الحجارة "، وتحيط بها ثلاث جبال هي: جبل سيدي ميمون، جبل سيدي صالح ، وجبل بابور. حول دار الهجرة الإسماعلية، يراجع:

Allaoua Amara, « Les Fatimides et le Maghreb central : littoralisation de la dynastie et modes de contrôle des territoires », *Revue des mondes musulmans et de la méditerranée*, 2016 (139), p. 107-126.

[5] ابن عسلوجة .

[6] الداعي ادريس، المصدر السابق، ص 115.

[7] C.I.L., 8322, 8329.



Mileum-(25) XXV- Idicra – (25) XXV-Cuiculi

أما ألواح بوتنغر فتورد المسلك بين ميلة وجميلة بطول 45 ميل وبمحطة مجهولة، بالشكل التالي[1]:

Milev colonia –(7) VII - ? - (12) XII- Nobas Fusciani- (4) IIII- Fonscamerta – (4) IIII - ? - ? Berzo- (4) IIII- Modiolana – (7) VII- Caput Budelli- (7) VII- Culcul colonia.

يتمدد المقطع من جميلة، وهو الطريق الروماني القديم إلى الجنوب الغربي باتجاه سطيف، والذي جاء ذكره في أولواح بوتنغر، والمسلك يحمل علامات الشواهد الميلية رقم:(189 و190، 193-195)[2]، وكذلك جاء ذكره في المسلك الأنطونيني، ويحدد المسافة بين جميلة وسطيف بحوالي 25 ميلا [3].

ت- المسلك: بلزمة ⬅ طبنة:

على إثر التمكين لجيوشه من السيطرة على سطيف، وميلة، قام الداعي أبو عبد الله بتعبئة جديدة مستغلا تقهقر الأغالبة، وبالفعل انحدر باتجاه حواضر أغلبية جديدة ببلاد الزاب، وهذه المرة كان الدور على بلزمة وثغر إفريقية طبنة[4]، وكان منطلق عملية تطويق مدن بلاد الزاب خصوصا، يتم باستمرار من قلعة إيكجان. المسلك من بلزمة إلى طبنة تتوسطه مدينة نقاوس، ويبرز مرتبا في رواية صاحب البلدان في قوله:" ومدينة يقال لها بلزمة أهلها قوم من بني تميم...ومدينة يقال لها نقاوس كثيرة العمارة والشجر والثمر،...وطبنة مدينة الزاب العظمى"[5].

إن الخريطة التي أرفقها كومبيزا في آخر دراسته، تظهر المسلك بوضوح، لكن لا تربط بلزمة بنقاوس مباشرة، حيث يستدير باتجاه قصر اللوز، ثم يعود للاتصال مرة أخرى بنقاوس قبل أن يصل إلى طبنة[6]. ويرى غزال أن طبونيم بلزمة أطلق على السهول الشاسعة التي كان ينتشر بها مجال هنشير مروانة (*Lamasba*)، وربما اشتق من الاسم القديم، وبحسب يوسف عيبش فقد اقترح ألبرتيني (*E. Albertini*) أن يكون موقع بلزمة مطابق لموقع (*Lamasba*) المعروف بـ: (مروانة الحالية)، والذي لا يبعد عن القلعة إلا 5 كم[7].

---

[1] A.A.A. F°17, N° 59.

[2] A.A.A. F°16, N° 196.

[3] A.A.A. F°16, N° 233.

[4] في ذكر افتتاح طبنة وبلزمة، ينظر: القاضي النعمان، المصدر السابق، ص 173-178.

[5] اليعقوبي، المصدر السابق، ص 140-141.

[6] Cambuzat, *op. cit.*, vol.2, p. 294 (Cartes)

[7] يوسف عيبش، المرجع السابق، ص 357.



وتُظْهِر الخريطة الأثرية وجود المسلك القديم باتجاه الشمال الشرقي الذي يربط نقاوس مع بلزمة مرورا بشمال جبل بوعري[1]، وبالمقابل مسلك قديم آخر لكنه مباشر باتجاه الشرق يربط بلزمة مع نقاوس مرورا بجنوب جبل بوعري[2]. ويظهر باراداز على الخريطة وجود قصر بلزمة على المسلك مع نقاوس[3]، في حين أشار غزال إلى أن القصر يرجع إلى العهد البيزنطي، وهو موجود في وسط سهول بلزمة[4].

إلى الجنوب الغربي من نقاوس يرتبط مسلك آخر يتجه نحو مدينة طبنة (*Thubunae*)[5]، وهو الذي يقابله في الشمال الشرقي المسلك المتجه من طبنة إلى نقاوس (*Nicivibvs*) على طول 25 ميل=37 كم، هذا المسلك تدل عليه الشواهد الميلية: (*6e -8e -9e -13e -14e -15e -17e*)[6]، يتمحور على طول المسلك انطلاقا من طبنة عديد المحطات[7].

لقد أشار ديهل إلى ارتباط سهل بلزمة بشبكة مسالك قوية ومهمة، ومنها طريق الجنوب الغربي الممتد على طول وادي بريكة، والذي يربطها مع طبنة من جهة، ويمتد إلى الحضنة، هذه المسالك مثلت نقاط هامة، واستراتيجية للحفاظ على المواصلات والحركة، وكذلك كانت تمثل نظام دفاعي لصالح قصر بلزمة[8].

وكان أبو عبد الله الداعي قد زحف باتجاه بلزمة وأهلها كما يذكر اليعقوبي من قبيل بني تميم العربية[9]،ومتوليهم على ذلك الزمان حي بن تميم الذي سيموت بعد ثلاث سنوات من الحصار الفاطمي على المدينة، مستخدما خلالها الداعي سياسة التجويع بعد افساد زراعتها خلال السنوات الثلاث تواليا، وانتهى الحصار أخيرا بعدما فشلت وساطة من أبي عبد الأجاني، واستطاع الداعي أبو عبد الله أن:

---

[1] يقع جبل بوعري بالقرب من تاكسلنت التابعة إداريا لدائرة أولاد سي سليمان ولاية باتنة.

[2] A.A.A. F°26, N°161.

[3] Baradez, *op. cit.*, Cartes.

[4] Gsel, *Les Monuments antiques de l'Algérie*, Paris, 1901, Vol. II, p.373; Diehl, *op. cit.*, p. 158 et 251.

[5] Pflaum, *op. cit.*, p. 91 et Carte.

[6] A.A.A. F°37, N°10.

[7] A.A.A. F°26, N°161 et 173-175-179-180-184.

[8] « La route, qui, de la plaine du Bellezma, conduit à Ngaous et à Tobna, suit sur toute sa langueur la vallée de l'Oued-Barika ; elle est, comme nous l'avons déjà observé, gardée en plusieurs endroit par des fortins Byzantins ; et dès l'époque romaine elle avait une grande importance stratégique ». Voir: Diehl, *Rapport sur deux missions archéologiques dans L'Afrique du nord (Avril-juin 1892 et mars-mais 1893)*, Ernest Leroux, éditeur, Paris, 1894, p. 21.

[9] اليعقوبي، المصدر السابق، ص 140.

"يفتتحها عنوة، فقتل من بها من المقاتلة، ولم يعرض لامرأة حرة، وغنم العسكر ما وجدوا بها من الأثاث والأمتعة وغير ذلك، وأمر أبو عبد الله بهدم سورها فهدم، وانصرف إلى ايكجان"[1].

بالمقابل، توجه أبو عبد الله الداعي إلى طبنة قبل هذا في جيش كبير، وكان متولي طبنة من بني الأغلب حينها حسن بن أحمد بن نافذ الملقب بـ: أبي المقارع، وتم حصار المدينة حتى دخلوها[2]، واستطاع أبو المقارع من دخول حصن طبنة القديم:" ففر عسكر طبنة ودخلوا حصنا قديما مبنيا بالحجارة منيعا في داخل المدينة"[3]. لكن أبو عبد الله نجح في الاستيلاء على الحصن، واستعمل على المدينة يحي بن سليمان الملوسي، وعاد أدراجه إلى دار الهجرة إيكجان[4].

ث- المسلك: **طبنة ⬅ باغاي**:

المسلك هو فرع من الطريق الذي جاء ذكره في رواية اليعقوبي من القيروان إلى بلاد الزاب، في قوله:" ومن القيروان إلى بلاد الزاب عشر مراحل ومدينة الزاب العظمى طبنة وهي التي ينزلها الولاة وبها أخلاط...منه مدينة قديمة يقال لها باغاية"[5]. رواية اليعقوبي حول المسلك طبنة-باغاي / باغاي-طبنة، نجدها مكتملة في نصوص الجماعات الاسماعيلية، فيذكر صاحب الافتتاح المسلك في معرض حديثه عن حصار أبي عبد الله الداعي لمدينة طبنة، فيقول:" نحن في وسط مدينة قد أخذها العدو علينا[6]، وأحاطوا بها من حولها، وأقرب العمارة إلينا باغاية وبيننا وبينها ثلاثة أيام"[7].

ويفصّل هذا ابن حوقل كامتداد للمسلك خلال القرن الهجري الرابع/10م، في خضم حديثه عن الطريق الممتد من إفريقية إلى الغرب عند تاهرت وفاس [8] على طريق باغاي، في قوله:" ولباغاي طريق يأخذ الآخذ على بلزمة إلى نقاوس إلى طبنة، ويتصل هذا الطريق بطريق مجانة إلى تيجس"[9].

---

[1] القاضي النعمان، المصدر السابق، ص 179؛ الداعي ادريس، المصدر السابق، 119.

[2] القاضي النعمان، المصدر السابق، ص 173-174.

[3] الداعي ادريس، المصدر السابق، ص 118.

[4] المصدر نفسه، ص 119.

[5] اليعقوبي، المصدر السابق، ص 140.

[6] ويقصد مدينة طبنة.

[7] القاضي النعمان، المصدر السابق، ص 175.

[8] المسلك من القيروان إلى تاهرت ثم إلى فاس يذكره الاصطخري [أبو اسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري، المعروف بالكرخي] (ت. 346هـ/957م) في مسالكه، ويحدد طوله بـ 86 مرحلة: فمن القيروان إلى تاهرت 36 مرحلة؛ ومن تاهرت إلى فاس 50 مرحلة؛ في المقابل يذكر البكري أن طول الطريق من مدينة فاس إلى القيروان لا يتعدى أربعين مرحلة. يراجع: الاصطخري، مسالك الممالك، مطبعة بريل، ليدن، 1927، ص 46؛ البكري، المصدر السابق، ج2، ص 325.

[9] ابن حوقل، المصدر السابق، ص 85.

المسلك مبتدئه طبنة، وهو طريق يربط بين ثلاث مقاطع داخلية بمجالات الزاب خلال القرن الثالث الهجري/9م، ناتج عن تواصل لمسالك قديمة، ممثلة في :

- القسم الأول: طبنة-بلزمة عن طريق نقاوس[1]، وهو المسلك الذي ذكرناه سلفا، ويمتد بداية من المسلك القديم في الشمال الشرقي المتجه من طبنة (*Thubunae*) إلى نقاوس (*Nicivibvs*) على طول 25 ميلا=37 كم[2]، ثم يتصل مع المسلك المؤدي إلى الشرق رابطا نقاوس مع بلزمة (*Lamasba*)[3].

- القسم الثاني: بلزمة (*Lamasba*)- لمبايسيس (*Lambease*) عن طريق خربة أولاد عريف (*Lambridi*)[4]، وهو مسلك قديم وجهته نحو الصحراء، وقد جاء ذكره في ألواح بوتنغر دون أن يتم ذكر طول امتداده[5]، ويتخلل المسلك الكثير من الشواهد والمحطات الرومانية[6].

- القسم الثالث: هو المسلك الذي جاء ذكره في نصوص الفتح الاسلامي لحملات عقبة بن نافع الثانية ببلاد الزاب، والذي يمتد من بغاي إلى لمبيز[7](أوردناه سلفا)، وهو تواصل للطريق القديم الذي جاء ذكره في ألواح بوتنغر :لمبيز- تيمقاد- خنشلة والذي يتمدد باتجاه تبسة[8] ويتقاطع المسلك عند خنشلة مع الطريق الفرعي: خنشلة – بغاي، وهو جزء من الطريق القادم أو المتجه إلى جنوب الأوراس عند حد الزاب بادس[9].

لقد مثّل هذا المسلك منفذا مهما للجماعات النكارية بعد انهزامهم خلال ثورة صاحب الحمار في معركته مع الامام الاسماعيلي المنصور، وتتبع أثرهم من قبل هذا الأخير على طول المسلك المتبع، وجاء ذكره في رواية صاحب روض القرطاس، فيقول:" لما تمت الهزيمة على أبي يزيد أقام المنصور يتجهز للمسير في أثره ثم رحل أواخر شهر ربيع الاول من السنة[10] واستخلف على البلد مراما الصقلي لإدراك أبا يزيد وهو يحاصر مدينة **باغاية** لأنه أراد دخولها لما انهزم، فمنع من ذلك فحصرها فأدركه المنصور وقد

[1] ابن حوقل، المصدر السابق، ص 85.

[2] A.A.A. F°37, N°10.

[3] A.A.A. F°26, N°161. Albertini, Ksar Bellezma, *op. cit.*, p.156.

[4] C.I.L., 8. 4413-4414-4415: *L(ambiriditani)/Lambir(iditanorum)* ; A.A.A. F°27, N°86-120- 223.

[5] A.A.A. F°27, N°.115.

[6] A.A.A. F°27, N°115-118-124-126-206-207.

[7] الرقيق، المصدر السابق، ص 10؛ المالكي، المصدر السابق، ج1، ص 35.

[8] A.A.A, F°27, N°224.

[9] Baradez, *op. cit.*, p. 148 ; Fentress, *op. cit.*, p. 525.

[10] تذكر الروايات أن مقتل أبو يزيد النكاري كان في محرم من سنة ست وثلثين وثلاثمائة، والظاهر أن هذه الأحداث المذكورة من قبل صاحب روض القرطاس قد تكون في ربيع الأول من سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة هجري.

كاد يفتحها، فلما قرب منه هرب أبو يزيد وجعل كلما قصد موضعا[1] يتحصن فيه سبقه المنصور حتى وصل **طبنة**"[2].

ثانيا: تشكل مدن جديدة بمجالات الزاب وأثرها في خريطة المسالك (4-5هـ/10-11م)

بداية من القرن الهجري الرابع/10م، ستبرز سياسة جديدة بمجالات الزاب متمثلة في تشييد المدن، والتي كان للسلطة دور بارز فيها، وهذا نتاج تراكمي لعوامل كثيرة، من أبرزها الصراع المذهبي- العسكري المباشر من جهة، والذي برز للأفق بين الاسماعيلية بقيادة كتامة، والجماعات الإباضية - الريفية الزناتية، ومن جهة أخرى، التحكم في المسالك التجارية. ونتيجة لهذا، لجأت السلطة: الفاطمية، الزيرية، والحمادية على التوالي كما رأينا سلفا، إلى تأسيس مدن جديدة، أدت في الأخير إلى بروز مسالك داخلية جديدة بمجالات الزاب:

1- المدينة والسلطة السياسية ببلاد الزاب:

في حدود 315هـ/928م برزت حركة تمرد كبيرة ببلاد المغرب الأوسط، تزعمتها جماعات من زناتة، وقد كان لزاما على القائم بأمر الله محمد أن يتحرك لردع هذا التمرد[3]. لم تكن مجالات الزاب بمنأى عن هذا التمرد المغراوي، الذي قاده بداية محمد بن خزر المغراوي بنواحي تاهرت[4]، لكنه هزم من قبل يصل بن حبوس المكناسي عامل تيهرت[5]، الذي كان قد خلف أخاه مصالة بن حبوس بعد مقتله في سنة 312هـ/925م على يد المتمرد المغراوي ذاته[6].

سيواجه القائم انتفاضة زناتية جديدة بجبل عقار بنواحي المعاضيد إلى الشمال من المحمدية[7]، يذكر هذه الانتفاضة صاحب عيون الأخبار، فيقول:"وقد اجتمعت جماعة عظيمة من كيانة وبني كملان

---

[1] كلما بلغ محطة على طول المسلك بين باغاية وطبنة جعله حصنا له ولأتباعه من النكارية.

[2] ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 380.

[3] وردت رواية المقريزي في هذا:" فلما كانت سنة خمس عشرة وثلاثمائة، سيّر المهدي ابنه أبا القاسم من المهدية إلى المغرب في جيش كثير في صفر بسبب خارجي (ويقصد بن خزر) خرج عليه". المقريزي، المصدر السابق، ج1، ص 72.

[4] ابن الاثير، المصدر السابق، مج7، ص 36.

[5] الداعي ادريس، المصدر السابق، ص 214.

[6] ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 197.

[7] رجّح محمد اليعلاوي أن يكون جبل عقار بنواحي المعاضيد إلى الشرق من المحمدية، لارتباطه في الروايات بجبل كيانة/كياتة التي أقيمت عليه قلعة بني حماد. الداعي ادريس، المصدر السابق، ص 216 (الهامش). في حين لم يهتد محققي كتاب أخبار ملوك بنو عبيد: الهادي نقرة وعويس عبد الحليم إلى ضبط موقع الجبل، وأشارا فقط إلى تواجده بنواحي المسيلة. ابن حماد، المصدر السابق، ص 70 (الهامش).

وقبائل زناتة فتحصنوا في قلعة منيعة وعرة المسالك صعبة المرام تعرف بعقار"[1]. الأمر لم يطل كثيرا حيث:"قصدتهم العساكر في قلعتهم، فأحاطوا بها واقتحموا الوعر عليهم، وتسنموا الجبل فأحاطوا بهم من كل ناحية، وقتلوهم أبرح قتل"، وبهذا تكون الانتفاضة المغراوية قد بلغت نهايتها، وبهذا:

انتهى القائم بأمر الله إلى نتيجة مفادها أن نفوذ الجماعات الاسماعيلة خصوصا بالمجالات الغربية لبلاد الزاب ستبقى في خطر، لهذا جاءته فكرة بناء حاجز حصين لمنع تقدم الزناتيين مرة أخرى في مجالاتها" بناء مدينة لمنع تقدم الزناتيين، وقد تم ذلك فيما بين 313 و315هـ/925-928م على تخوم الزاب"[2]، وتجسدت الفكرة فعلا في مدينة المحمدية المشهورة محليا باسم المسيلة، يذكر سند تأسيسها صاحب الكامل:" فلما عاد من سفرته[3] هذه خط برمحه في الأرض صفة مدينة، وسماها المحمدية-وهي المسيلة- وكانت خطة لبني كملان، فأخرجهم منها ونقلهم إلى فحص القيروان"[4].

وأورد صاحب أخبار ملوك بني عبيد رواية فيها الكثير من الدلالات الإضافية، فيقول:" وفي انصرافه هذا مر بوادي سهر فاختط مدينة المسيلة رسمها برمحه وهو راكب على فرسه وأمر علي بن حمدون الجذامي المعروف بابن الأندلسية أن يبنيها ويحصنها ويحسنها"[5]. هذه الشهادة نجدها مكتملة عند صاحب صورة الارض الذي عاش قبل بن حماد بزمن طويل في كنف الدولة الفاطمية، فالمسيلة:" مدينة محدثة، استحدثها علي بن الاندلسي أحد خدم آل عبيد وعبيدهم وعليها سور من طوب، ولها واد يقال له وادي سهر"[6].

وبهذا، تكون السلطة الفاطمية قد وجدت حلا نسبيا لمحاولة التوسع الزناتي في المجالات الاسماعيلية في الحد الملامس لنفوذهم الى الغرب من الزاب، فقد نجح خلالها القائم و:" قوّم أمر الزاب كلّه، وأصلح أمر هوارة...وأمر بقطع الميرة عن زناتة لما تمادوا في الغي والطغيان"[7]. الأكيد أن هجران المدينة القديمة (أدنة/زابي جستنيانا) التي لا تبعد سوى 4كم عن محمدية الفاطميين[8]، أدى في النهاية إلى بناء نسيج مدينة جديدة على أنقاضها، مما يؤكد عدم وجود قطيعة مع الموروث العمراني القديم.

---

[1] الداعي ادريس، المصدر السابق، ص 216.

[2] الهادي روجي ادريس، المرجع السابق، ج1، ص 47.

[3] ويقصد القائم بأمر الله ولي العهد.

[4] ابن الأثير، المصدر السابق، مج7، ص 36.

[5] ابن حماد الصنهاجي، المصدر السابق، ص 46.

[6] ابن حوقل، المصدر السابق، ص 85.

[7] الداعي ادريس، المصدر السابق، ص 217.

[8] سعاد سليماني، "الملف الأثري لموقع زابي"، ص55-73. وينظر:

- Cambuzat, *op. cit.,* Vol.2, p. 158.



هذا النموذج لا ينطبق كما أشار إلى ذلك علاوة عمارة في دراسته[1] على المسيلة فقط، بل مس مواقع قديمة أخرى تشابهت معها في نمط المدينة المستحدثة، على غرار المدية، ومليانة[2]. وكانت المحمدية قد صبغت بصبغة السلطة التي أسستها، فالتسمية حملت الاسم الأول لابن الخليفة، ولي عهده، وخاطها، كما جعل لها من الأبواب ما حمل الاسم الثاني له:"وسماها المحمدية باسمه،... فبناها وجعل لها بابين، وسمى أحدهما باب القاسمية منسوبة إلى أبي القاسم"[3].

وإضافة إلى الدور البارز الذي لعبته المحمدية في بسط سيطرة الفاطميين على المجالات التي تحكمت فيها فروع من بني برزال زناتة، هوارة، مزاتة، سدراتة، بني زنداج، عجيسة، ذات التوجه الإباضي[4]، والاعتماد عليها كمخزن للمؤن وقت الأزمة، وفي هذا يقول ابن حماد:" وأمر أن تدخر فيها الأقوات وأنواع المأكولات، وكل ما تنظم إليه الضرورة"[5]، وكانت أزمة النكاري صاحب الحمار أحد هذه الأزمات، وفيها:" لم تزل تلك الأطعمة مصونة مختزنة إلى فتنة أبي يزيد"[6]؛ فإن الدور الاقتصادي لهذه المدينة الفاطمية الجديدة بمجالات الزاب جد واضح، خاصة في ظل ارتباطها بمسالك التجارة مع: سجلماسة، تلمسان، إفريقية، والمدن الداخلية للزاب[7]، وعليه نتجت شبكة جديدة من الطرق التجارية، التي ستعود بفائدة للخزينة الفاطمية، وربطت في النهاية مدينة المحمدية بالكثير من الحواضر الداخلية للزاب، والخارجية.

بعد حوال عشرين سنة من تأسيس المسيلة، وعلى مقربة من جبل التيطري، شيدت مدينة جديدة تمددت بحسب الروايات المشرقية بها مجالات الزاب غربا، والمدينة بحسب الكثير من المصادر تم تشييدها سنة 324هـ/936م من قبل زيري بن مناد الصنهاجي تحت رعاية تامة من القائم بأمر الله (322-334هـ/934-946م)[8]، يشير النويري إلى هذا في قوله:" وأتى إلى موضع أشير وهو إذ ذاك خال

---

[1] علاوة عمارة، "النشاط التجاري للساحل الشرقي للجزائر (2-6هـ/8-12م).

[2] علاوة عمارة، المرجع السابق، ص 63؛ الهادي روجي ادريس، المرجع السابق، ج2، ص 97.

[3] ابن حماد الصنهاجي، المصدر السابق، ص 46.

[4] ابن حوقل، المصدر السابق، ص 86؛ ابن حزم، المصدر السابق، ص 463؛ ابن حماد الصنهاجي، المصدر السابق، ص 71؛ الداعي ادريس، المصدر السابق، ص 411؛ جودت عبد الكريم يوسف، الأوضاع الاجتماعية و الاقتصادية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين/9-10م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992، ص 365؛ الطاهر طويل، المرجع السابق، ص 251.

[5] ابن حماد الصنهاجي، المصدر السابق، ص 46.

[6] نفسه، ص 47.

[7] الطاهر طويل، المدينة الاسلامية وتطورها، ص 256.

[8] ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 216؛ابن حماد الصنهاجي، المصدر السابق، ص 49 و57.

ليس فيه ساكن وفيه عيون، فاستحسنه، ولما نظر إلى موضعها...عزم على بناؤها، وذلك سنة أربع وعشرين وثلاثمائة أيام القائم بأمر الله بن المهدي"[1].

لقد كان لاستطالة الجماعات الزناتية، وتمكنها من تلك الناحية من جبل التيطري إلى جبل كيانة/كياتة القريبة من المحمدية، وتزايد ضررهم أيام المهدي والقائم[2]، أحد الأسباب المشابهة لتأسيس مدينة زيري على غرار المحمدية. لقد كان للإمام القائم دور مهم في اكتمال أحد أبرز أضلاع النفوذ الاسماعيلي غربا، حيث مُكِّن له من توسيع تحصيناته إلى مابعد المحمدية[3] عند جبل التيطري[4]، كما جمع حوله كل صنهاجة، وصارت في صفه، وشريكة له ولكتامة في حربه ضد زناتة، يذكر ذلك صاحب نهاية الأرب:" واطمأنت نفوس البادية للحرث والزراعة، وصانهم زيري مما كان ينالهم من زناتة، وتمكنت العداوة بين صنهاجة وزناتة"[5].

موقع المدينة سيكون له دور بارز في توسعة شبكة المسالك التجارية، والعسكرية، خاصة بعد تمكن بني زيري من تشييد مدن جديدة خارج مجالات الزاب من شاكلة مدينة الجزائر ومدينة مليانة ومدينة المدية"[6]. فأشير ارتبطت بالكثير من الحواضر، فهي تقرب من المسيلة، وترتبط بتنس ومرسى الدجاج، ومنها المعبر إلى مليانة والجزائر، كما تخترق مدينة المدية المعبر بين أشير والجزائر، فهي بذلك مركز اشعاع لمسالك تجارية بين حواضر كثيرة، حتى بلاد افريقية[7].

وقبل انجلاء القرن الهجري الرابع/10م استطاع حماد بن بلكين من الانتهاء من تشييد دار ملكه الجديدة [8]، منهيا بذلك الارتباط مع البيت الباديسي، ومستقلا بعاصمة دولته بشكل نهائي سنة 408هـ/1017م[9]، في جبل كيانة/كياتة لمـدة ستين سنة مـن الزمن، مثلت فيها الحـاضرة الحمادية

---

[1] النويري، المصدر السابق، ج24، ص 88.

[2] المصدر نفسه، ج24، نفس الصفحة.

[3] Cambuzat, *op. cit.*, Vol.2, p. 159.

[4] يقول في ذلك صاحب كتاب العبر:" وأحفظ مدينة أشير للتحصن بها سفح الجبل المسمى تيطرا لهذا العهد حيث مواطن حصين، وحصنها بأمر المنصور، وكانت من أعظم مدن المغرب". ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 203.

[5] النويري، المصدر السابق، ج24، ص 89.

[6] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 204.

[7] الهادي روجي ادريس، المرجع السابق، ج2، ص 95-97.

[8] يرى صاحب معجم البلدان أن حماد بن يوسف (بلكين) قد أحدث مدينة القلعة سنة 370هـ/981م. يراجع: الحموي، المصدر السابق، مج4، ص 390. في حين يذهب ابن خلدون إلى أن مدينة القلعة اختطها حماد بن بلكين سنة 395هـ/1005م. يراجع: ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 209.

[9] الهادي روجي ادريس، المرجع السابق، ج2، ص 98؛ عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 91.

العاصمة السياسية والاقتصادية لبني حماد بأرض المعاضيد الحالية[1]، قبل أن تتراجع لصالح قاعدتهم الجديدة بجاية الناصرية[2]. وبرز موقع القلعة في ارتباطها بحواضر كثيرة، على غرار قربها من أشير، ميلة، الغدير، المسيلة، مقرة، وجنوب الزاب[3]، وأدى في الأخير إلى انبثاق مسالك داخلية جديدة لم تكن تذكر في المصادر الهجرية الثلاثة الأولى، ربطتها بالكثير من المدن الداخلية والخارجية[4]:

2-المسالك الداخلية للزاب خلال القرن الرابع الهجري/10م:

في القرن الهجري الرابع/10م تنفرد رواية المشرقي المقدسي في تمديد الخريطة المجالية لبلاد الزاب إلى الغرب حتى مدينة زيري أشير، وهو ما أراه غير أكيد. في حين اتفق في روايته مع ابن حوقل في تحول المسيلة إلى قاعدة جديدة لبلاد الزاب، وأدى في النهاية كل هذا إلى توسيع شبكة مسالكها وطرقها الداخلية التي تربط مختلف المدن المشكلة لمجالها، مع بروز طرق رئيسية وثانوية جديدة لم تكن خلال القرون الثلاثة الماضية، نتيجة تشكل المدن:أشير، المحمدية (المسيلة)، والقلعة الحمادية.

لكن هل كان لهذه المسالك وجود خلال الفترات التي سبقت مرحلة الزاب- الإسلامي؟

يمكن ابراز صورة خريطة المسالك والطرق الداخلية للزاب في القرن 4هـ/10م على النحو الآتي:

أ- المسلك: المسيلة ⬅ طبنة

إنطلاقا من المحمدية قاعدة الزاب الجديدة خلال القرن الهجري الرابع/10م ورأس حد إفريقية-الفاطمية[5]، سيتمدد مسلك ليربطها بداية بمدينة مقرة، وطوله مرحلة، ويتواصل الطريق الداخلي ليبلغ ثغر إفريقية القديم، والقاعدة الثانية للزاب بعد أدنة، مدينة طبنة في نهايته على طول مرحلة كذلك. المسلك جاء ذكره في رواية المقدسي:" والزاب مدينتها المسيلة ولها مقرة وطبنة.."[6]. إجمالي طول المسلك مرحلتين، وهو مقطع من الطريق [إفريقية - تاهرت وفاس]، يورده صاحب أحسن التقاسيم:"وتأخذ من القيروان إلى...طبنة أو مقرة أو المسيلة مرحلة مرحلة، وبين كل واحدة والأخرى على الترتيب مرحلة"[7].

---

[1] حول جبل كيانة او تاقربست (المعاضيد حاليا)، يراجع: ابن حماد الصنهاجي، المصدر السابق، ص 70 و 72؛ الداعي ادريس، المصدر السابق، ص 411.

[2] علاوة عمارة:" الحفريات الأثرية بالحاضرة الحمادية الأولى بين الذاكرة والتاريخ"، مجلة الآداب والعلوم الانسانية، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة-الجزائر، العدد 09، 1429هـ/2008م، ص 33.

[3] ابن حوقل، المصدر السابق، ص 85 و 87؛ البكري، المصدر السابق، ج2، ص 226-231.

[4] يقارن الاختلاف في بعض المسالك الواردة في نصوص القرن الثالث الهجري عند اليعقوبي، والقاضي النعمان مع التي أوردها المقدسي، ابن حوقل، البكري، خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين.

[5] المقدسي، المصدر السابق، ص 247.

[6] المصدر السابق، ص 221.

[7] نفسه، ص 247.



رواية المقدسي نجدها مكتملة بنفس المحتوى عند صاحب صور الأرض في قوله:" ومن طبنة إلى مقرة منزل فيه مرصد مرحلة، ومن مقرة إلى المسيلة مرحلة"[1].

ويكمن تقسيم المسلك إلى قسمين:

القسم الأول: طبنة-مقرة[2]: وهو تواصل لمسلك روماني قديم، يظهر بوضوح في النقش المشَوَّه الذي عثر عليه بموقع الصوالح إلى الغرب من مقرة[3]، وهو موجود على بعد حوالي 10كم في مدخل بلدية عين الخضراء الحالية، وتظهر النقيشة المسلك بين طبنة ومقرة بوضوح، وجاء كالآتي:

... *[h] ic via nova ... vicus Macri a Tub[unis]*

القسم الثاني: مقرة-المسيلة: هو طريق داخلي جديد نشأ نتيجة تشييد مدينة المحمدية- الفاطمية، هذا الظاهر، لكن المتمعن في الخريطة الأثرية يلاحظ وجود هذا المسلك مسبقا، لكن يربط بين مقرة والمدينة البيزنطية القديمة زابي جستنيانا، والتي مثلت منشأة دفاعية بيزنطية في الجزء الشرقي من الليمس بمنطقة الحضنة[4]، وهو المسلك الذي ورد ذكره سلفا في تفصيلنا لحملة عقبة ببلاد الزاب، قبل توجهه غربا.

والمسيلة ماهي إلا مدينة بنيت بعد هجران المدينة القديمة، والمرجح أنها مدينة زابي (*Zabi*)[5]، التي بحسب فيرو (Feraud)، وبداية من 315هـ/927م لم تعد موجودة لأن المحمدية قد بنيت على أنقاضها[6]، وعليه فالمسلك من المرجح أن يكون تواصل للمسلك الذي ورد في المسلك الأنطونيني يحدد فيه المسافة بين مقرة أو بتسميتها القديمة "هنشير الرمادة" وزابي بحوالي 25 إلى 30 ميلا أو 46 كم[7]، مع إضافة 4-5كم تقريبا التي تمثل المسافة بين زابي والمسيلة[8]، فإننا سنحصل على المسافة التقريبية الحالية بين مقرة والمسيلة.

لقد برز المسلك بشكل لافت في النصف الأول من القرن الهجري الرابع/10م، من خلال الحملات العسكرية التي قادها الإمام المنصور بالله (334-339 أو 341هـ/946-953م) في

---

[1] ابن حوقل، المصدر السابق، ص 85

[2] يذكره باراداز على أنه مقطع من المسلك: سطيف-باسكال(البحيرة)-مقرة-طبنة ضمن مقاطعة موريطانيا السطايفية. يراجع:

- Baradez, op, cit., p. 149 et 332.

[3] A.A.A, F° 26, N°113.

[4] سعاد سليماني، "الملف الأثري لموقع زابي"، ص 58.

[5] علي الهطاي، " الجغرافية التاريخية لبلاد الزاب من الفتح إلى منتصف القرن الخامس الهجري/الحادي عشر ميلادي: دراسة في تطور المجالات والمواقع"، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، العدد 12، 2017، ص 18.

[6] Feraud, *op. cit.*, p. 324.

[7] A.A.A, F° 26, N°111.

[8] «Zabi (M'sila) », *Revue Africaine*, 2 (1857), p. 324.



ملاحقة الثائر النكاري مخلد بن كيداد[1]، يذكر المسلك صاحب عيون الأخبار، فيقول:" ووصل إلى مدينة طبنة فأقام بها يومين، وسار منها يوم الثلاثاء لاثنتي عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى(334هـ/ ديسمبر946م)...وقد بات بموضع يقال له مقرة...ورحل في غد ذلك اليوم، وهو يوم الخميس لأربع عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى فنزل بالمسيلة واستقبله أهلها فدعوا له وأثنوا عليه وأخبروه أن أبا يزيد جاز بهم تلك الليلة هاربا يريد بني برزال بجبل سالات"[2].

ب- المسلك: طبنة ⬅ بسكرة

المسلك هو مقطع من الطريق [المسيلة - إفريقية]، والذي ينتهي عند مدينة قفصة[3]، هذا المقطع يمتد من طبنة وحده مدينة بسكرة، ويمثل أحد المراحل المرجحة التي قد يكون عقبة الفاتح سلكها في حملته حتى نقطة استشهاده على مقربة من مدينة تهوذا، ويورده صاحب فتوح مصر والمغرب، في قوله:" فانصرف إلى إفريقية، فلما دنا من ثغرها[4] أمر أصحابه، فافترقوا عنه، وأذن لهم حتى بقي في قلة، فأخذ على مكان يقال له تهوذة"[5]. المقطع طبنة-بسكرة يغيب في هذه الرواية والروايات المصدرية الأخرى المتعلقة بالفتح، لكنه يحضر خلال القرن الرابع الهجري/10م في رواية المقدسي عندما يربط بين طبنة وتهوذا بمسلك مباشر يعبر نقاطا كثيرة على رأسها بسكرة، ثم يمتد من تهوذا إلى بادس[6]. المسلك طوله مرحلتان، ونجده بوضوح في نصوص صاحب صورة الأرض، في قوله:" ومنها إلى طبنة، ومن طبنة إلى بسكرة مرحلتان"[7].

لقد أكد غرانج على وجود أربع مسالك رئيسية تربط طبنة بمواقع كثيرة في أربع اتجاهات مختلفة، ومنها المسلك الرابع مع بسكرة، الذي تواصل، وقد دلت عليه الكتابات الموجودة على الشاهد أو

---

[1] هو مخلد بن كيداد بن سعد الله بن مغيث بن كرمان بن مخلد بن عثمان ابن وريمت بن تبقراسن بن سميدان، أصله من بني يفرن الزناتية، وكان أحد أئمة الاباضية النكار، قرأ على عمار الأعمى، واشتد أمره بإفريقية سنة 333هـ/945م، بعدما تشدد خلفاء الفاطمية بعد موت عبيد الله، فأظهروا مذهبهم بسب الغار والعباد، وغير ذلك من تكذيب كتاب الله تعالى، فخرج عليهم صاحب الحمار، وقد تسمى بذلك لأنه كان يركب حمارا، وقد كان على هذا العهد بجبل أوراس، وكثر أتباعه، فثاروا في حرب طويلة مع الشيعة ببلاد إفريقية والمغرب، حتى قتل. ينظر: ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 216-217.

[2] الداعي إدريس، المصدر السابق، ص 392-393 و 396. ويراجع المسلك مع بعض التغيير في المعلومات الدلالية من خلال رواية: ابن حماد، المصدر السابق، ص 66-76.

[3] ابن حوقل، المصدر السابق، ص 87.

[4] طبنة .

[5] ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ج1، ص 267.

[6] المقدسي، المصدر السابق، ص 221.

[7] ابن حوقل، المصدر السابق، ص 87.

النصب الميلي رقم: (*VI^e^، VIII^e^، XI^e^*)[1] وعلى نفس الوتر سار غزال لتأكيد وجود مسالك رومانية قديمة إنطلاقا من طبنة، ويذكر منها المسلك رقم 03 باتجاه الجنوب الشرقي أو وادي القنطرة، المسلك هو تواصل لمسلك معروف، وهو يتصل بعد 26 كم بسهل الضاية أو بلاد الضاية عن طريق ثنية الوسطى ثم يتواصل حتى نقطة تقاطعه عند موقع سبع مقاطع مع المسلك القادم من لمبيز المتجه إلى الصحراء[2]، وقد رجح غزال أن يكون المسلك القادم من طبنة يقطع وادي القنطرة، ويسقط في المسلك المتمدد في الجهة اليسرى إلى ناحية بسكرة[3].

ويرجع تاريخ المسلك بحسب ألبرتيني إلى عهد الامبراطور الروماني ترايانوس (*Traianus*) (98-117م)[4]، فقد تم شق طريق يتبع الليمس في الجنوب الأوراسي إنطلاقا من نقرين (*Casae Nigrae*) إلى حدود بسكرة (Vescera). مسلك-التخوم هذا يعبر كل من: بسكرة - قصر سيد الحاج- سبع مقاطع - طبنة[5]. الأكيد أن شق هذا المسلك قد أدى في نهاية القرن الميلادي الثاني إلى هيمنة الرومان على الخط الكبير من طبنة إلى الجنوب عند بسكرة[6].

ومن جهة أخرى، المسلك يؤكد شقه بداية من القرن الثاني الميلادي باراداز، ويرى أنه بعد أن يربط طبنة بسهل الضاية كما أشار إلى ذلك غزال، يتصل بعدها بلوطاية (*Mesarfelta*)، بعد أن يتقاطع المسلك عند نقطة قصر سيد الحاج (*Ad Aquas Herculis*) مع الطريق القادم من لمبيز عن طريق القنطرة[7]. المسلك ينشطر إلى ثلاث مقاطع رئيسية، يسير أحدها باتجاه بسكرة[8]، ويتواصل إلى:

ت- المسلك: بسكرة ⬅ بادس

جاء ذكره في روايات القرن الهجري الرابع/10م، على غرار كتاب صورة الأرض، المسلك طوله مرحلتان، مشكل من ثلاث مدن رئيسية تقع إلى اليسار من جبل أرواس على الطريق من المسيلة إلى إفريقية، ويورده في قوله:" من بسكرة إلى تهوذا مرحلة، ومنها إلى بادس مرحلة"[9]. رواية ابن حوقل حول هذا الطريق، نجدها مكتملة في نص الجغرافي محمد بن يوسف الوراق (ت 363هـ/974م) المنسوخ

---

[1] Grange, *op. cit.*, p. 53.
[2] A.A.A, F° 37, N°10.
[3] A.A.A, F° 37, N° 57.
[4] Salama, *op. cit.*, p. 26.
[5] Albertini, *op. cit.*, p. 369.
[6] *Ibid,* p. 369
[7] Baradez, *op. cit.*, p. 353.
[8] Albertini, *op. cit.*, p. 367 ; Baradez, *Ibid*, Cartes.

[9] ابن حوقل، المصدر السابق، ص67 و 87.



والمنقول في مسالك البكري، يتحدث عن مسلك طويل يمتد من بسكرة إلى باديس تتوسطه المدينة الأسطورة تهوذا، وهو مقطع من الطريق [وهران- القيروان على بلد قسطيلية]، يذكره في قوله:"...إلى مدينة بسكرة...ومنها إلى مدينة تهوذا، وتعرف بمدينة السحر، ...ومنها إلى مدينة باديس مرحلة"[1].

المسلك بسكرة-بادس هو تواصل لطريق روماني جنوبي قديم، ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: بسكرة- تهودة: يذهب غزال بأن بسكرة ارتبطت بمسلك مع تهودة[2]، وهذا إنطلاقا من الشواهد التي عثر عليها في حدائق الموقع الأثري الضارب في القدم شتمة[3] الواقعة على بعد 8 كم شرق بسكرة[4]، ويؤكد غزال على وجود شواهد ميلية ترجع إلى القرن الثالث الميلادي على الأرجح، وكانت قد وجدت مستخدمة في البناء، ورجح بأن تكون قد أخذت من المسلك الممتد من بسكرة إلى تهودة[5].

لقد أشار باراداز إلى المسالك الاستراتيجية التي وجدت في الجنوب الأرواسي، ومنها القسم الأول بسكرة-تهودة، والذي يبلغ طوله إنطلاقا من القصبات (*Gemellae*) حوالي 43 ميلا [6]، وجاء ذكرها في ألواح بوتنغر على الشكل الآتي[7]:

Ad Piscinam – XXXIIII (34) – Gemellae – XXIIII (24) - Thabudeos- XXIII (23) - Badensis.

القسم الثاني: تهودة-بادس: أشار تروسي إلى وجود مسلك التخوم النوميدية الرابط بين تادارت (*Ad Medias*) وتهودة (*Thabudeos*)، جاء ذكره في أولواح بوتنغر (*IV, 1-5*)، ويقع على طوله الموقع الأثري القديم (*Badias*)، والذي يقابل بحسبه واحة الزاب الشرقية بادس التي تقع عند مصب وادي العرب على السفح الصحراوي للأوراس[8]، وقد مثلت تهودا وبادس على العهد البيزنطي مركزين مهمين للتحصينات التي اعتمد عليهما الإمبراطور جستنيانوس لصد هجمات المور على التخوم الأوراسية[9].

---

1 البكري، المصدر السابق، ج2، ص 255-257.

2 A.A.A, F° 49, N° 01.

3 A.A.A, F° 48, N° 13.

4 محمد الصغير غانم، المظاهر الحضارية والتراثية لتاريخ الجزائر القديم، دار الهدى، الجزائر، 2011، ج1، ص 34.

5 A.A.A, F° 48, N° 12-13.

6 Baradez, *op. cit.*, p. 307 et 329-330.

7 Tabula Peutingeriana, P a r s IV ET V.

8 P. Trousset, « Badias », *Encyclopédie berbère,* Aix-en-Provence, 9 (1991), p. 1299.

9 Trousset, *Ibid*, p. 1300.



المسلك هو جزء من الطريق الذي تم شقه بحسب بيار سلامة على عهد الامبراطور الانطونيني ترايانوس[1]، فبعد ضغط القبائل الجنوبية، وتشكيلها لمنبع الخطر فيما وراء مرتفعات أرواس، أمر ترايانوس سنة 105م بتشييد حصن بسرياني (*Ad Majores*)، ثم قام بتمديد المسلك الاستراتيجي غربا إلى موقع تهودة (*Thabudeos*) ، ثم ربطه مع الطريق الطولي القادم من لمبيز عبر خنقة القنطرة[2].

ويذكر غزال وجود هذا المسلك خلال الفترة الرومانية من خلال النصبين الميليين الذين تم العثور عليهما مابين تهودة وسيدي عقبة[3]، ويقدر المسافة بين الموقعين بادس وتهودة بحوالي 70 كم، حيث تفصل بينهما عدة محطات، كما يتوسط بينهما الكثير من الهناشير[4].

المسلك كانت له أهمية كبيرة، فقد جاء ذكره في القرن الهجري الأول/السابع الميلادي خلال عمليات الفتح الإسلامي لعقبة بن نافع في روايات النويري[5] وابن أبي دينار[6]، وقد مثل رأسي المسلك تهودة وبادس جدارا حاجزا لمدن الجنوب الأوراسي مابين وادي العرب وسهول الصحراء، كما كان المسلك خلال القرن الرابع الهجري منطلقا لتحركات الثائر النكاري مخلد بن كيداد نتيجة تغلغل الفكر الإباضي في نفوس الجماعات المستقرة على طول مجالاته، وبالأخص بادس التي قصدها عند الإعلان الأول لخروجه عن طاعة الفاطميين[7].

ث- المسلك: المسيلة ⬅ أشير

بعد تشييد مدينة الفاطميين المحمدية، وحاضرة زيري بن مناد أشير، برز مسلك على طول الطريق من فاس إلى المسيلة، ويربط بين الحاضرتين الجديدتين، وقد ورد المسلك في رواية المقدسي في قوله:" وتأخذ من المسيلة غربا إلى أشير 3 أيام"[8]. المسلك يورده صاحب صورة الأرض مفصلا ومقلوبا من خلال تحديده للنقاط التي يمر بها، فيقول:" ومن أشير إلى تامزكيدا وبها عين ولها أنهار عذبة مرحلة؛ ومنها إلى الوادي المالح مرحلة؛ ومنها إلى المسيلة"[9].

لكن هل هناك دلالات على وجود هذا المسلك قبل هذا العهد؟

---

[1] Salama, *op. cit.,* p. 26.

[2] محمد البشير شنيتي، المرجع السابق، ص 121.

[3] C.I.L., 22346, 22347.

[4] A.A.A, F° 49, N° 01.

[5] النويري، المصدر السابق، ج24، ص 15.

[6] ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 29.

[7] حساني مختار، الحواضر والأمصار الاسلامية الجزائرية، دار الهدى للطباعة و النشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ج5، ص 48-49.

[8] المقدسي، المصدر السابق، ص 247.

[9] ابن حوقل، المصدر السابق، ص 89.

لقد أشار بيار سلامة إلى أنه خلال فترة حكم سبتميوس سفيروس (193-211م) تم شق طريق طويل وواسع المجال، امتد من المركز الروماني أراس= تارمونت (*Aras*) في التخوم الغربية للحضنة[1] إلى حدود بوماريا (*Pomaria*) أو تلمسان القديمة[2]، وأهم محطاته: فرندة- بني شقران- تسالا- أراس (تارمونت) — غريميدي- عين توتة- بوغار- هيبرنا (قلعة أولاد هلال)- مغنية[3].

ويرى غزال أن تارمونت ترتبط بمسلك مع بشيلقة، وهذا إنطلاقا من الشواهد الميلية[4]، والنصب التي عثر عليها بالقرب من تارمونت والمسيلة على طول المسلك. وهذا المسلك هو مبتدأ الطريق الذي ورد ذكره في مصادر القرن الهجري الرابع/10م، ومنطلقه المسيلة أو المحمدية الفاطمية[5]. وإذا تتبعنا المسلك على الخريطة الأثرية، سنتحصل على طريق قديم جاء ذكره في المسلك الأنطونيني، يتمدد غرب المسيلة ويدخل بلاد صنهاجة (*Vsinaza*) [6].

Vsinaza – Ain Grimidi – Zabi Justiniana – Cellas

المسلك ورد خلال القرن الهجري الثالث/9م في روايات اليعقوبي، حين يتحدث عن مدن يسكنها أقوام من صنهاجة، على بعد 3 أيام فقط من أدنة (زابي على الأرجح) فيقول:" وأول المدن التي في يده مدينة يقال لها هاز...أيضا مدن بعد ذلك سكانها صنهاجة...بينها وبين عمل أدنة مسيرة ثلاثة أيام"[7]. قبل الوصول إليها، يخترق المسلك نقاط كثيرة على غرار عين قريميدي، التي عثر بالقرب منها على نصب تذكاري يبرز منشأ المسلك خلال فترة سبتميوس سفيروس[8]؛ ثم يصل عند نقطة عين التوتة (*Ain Touta*) والتي تعتبر موقع روماني قديم (*R. r*)، حيث أشار كوساد (Caussade) إلى آثار مركزين دفاعيين به أحدها في الجنوب من عين توتة، والثاني إلى الشرق منها، كما أشار باربريغار (Berbrugger) إلى عثوره على نصب تذكاري مشوه يشير إلى أشغال بالموقع على عهد الامبراطور الروماني سبتميوس سفيروس[9].

---

[1] يوسف عيبش، المرجع السابق، ص 316.

[2] Salama, *op. cit.*, p. 27 et Carte.

[3] محمد البشير شنيتي، المرجع السابق، ص 124.

[4] A.A.A, F° 25, N°85.

[5] المقدسي، المصدر السابق، ص 247؛ ابن حوقل، المصدر السابق، ص 89.

[6] A.A.A, F° 24, N°51 ; Fentress, *op. cit.*, p. 526 .

[7] اليعقوبي، المصدر السابق، ص 141.

[8] C.I.L., 20845.

[9] Adrien Berbrugger, «Envoi, par M. le Baron Accapitaine, de la photographie d'une inscription romaine découverte à Touta », *Revue Africaine*, 9 (1865), p. 154-157.

على طول المسلك، وقبل الوصول إلى مواطن صنهاجة، التي من المرجح أن هذا الطبونيم تحول إلى سانق (*Saneg*) بالقرب من قصر البخاري[1]، وعلى بعد 24 كم من عين توتة، يتصل المسلك بموقع البنية الواقع إلى الجنوب من جبل الكاف الأخضر[2]. وإلى الجنوب الشرقي من ينابيع واحات عين توتة أو عين بوسيف الحالية[3] يتصل مقطع روماني قديم يقود إلى بناء روماني، التي أطلق عليه بحسب باربريغي طوبونيم منزه بنت السلطان[4]. وكل من البنية ومنزه بنت السلطان هي من بقايا موقع أشير زيري[5]. وحتى موقع يشير، التي يرى غزال بأنه قد تكون من المواقع المحلية (البربرية) القديمة على شاكلة موقع البنية الذي يقابله، وقد رجح بأن تكون مدينة أشير زيري العصر الوسيط قد قامت بموقع المركز القديم[6].

واشتهر المسلك الرابط بين المسيلة وديار صنهاجة على غرار أشير وحائط حمزة[7]، اللتان كانتا تتصلان بمسلك يورده صاحب صورة الأرض في قوله:" من سطيف إلى حائط حمزة إلى أشير زيري كان أقصد له إن كان يريد المغرب"[8].

فخلال انتفاضة صاحب الحمار، تورد لنا الروايات على شاكلة صاحب أخبار ملوك بني عبيد دور المسلك، فيقول عنه:" وتوجه إسماعيل من المسيلة في طلب أبي يزيد وقد بلغه أنه بجبل السالات...فمشى أحد عشر يوما في تلك القفار والأوعار...فرحل يريد صنهاجة...ونزل اسماعيل في طرف صنهاجة في خباء لطارق الفتى، ثم توجه إلى حائط حمزة هناك"[9].

وكان المسلك الرابط بين المسيلة وأشير على نهاية القرن الهجري الرابع/10م مسارا مهما لحملات الأمير الزيري باديس (385-406هـ/995-1016م) لمواجهة تمدد الجماعات الزناتية بتيهرت بعــدما فــر منها عمه يطوفت متوليها منذ عهـــد المنصور بن بلكين بن زيـــري[10]، وكان

---

[1]https://www.google.dz/maps/place/Saneg/@35.8407444,2.7609997,12z/data=!3m1!4b1!4m5!3m4!1s0x1288ccf86324aee7:0x5f7328d0d3685bde!8m2!3d35.8494046!4d2.8277779.

[2] Berbrugger, *op. cit*., p. 155.

[3] الطاهر طويل، المدينة الاسلامية وتطورها، ص 270 (الهامش).

[4] Berbrugger, *op. cit.,* p. 155.

[5] الطاهر طويل، المدينة الاسلامية وتطورها، ص 270-272.

[6] A.A.A, F° 24, N° 3 -82-83.

[7] جاء ذكر بلاد صنهاجة عند البكري في قوله:" أوزقور آخر حد بلد صنهاجة إلى سوق ماكسن وهي مدينة على وادي شلف لصنهاجة... إلى سوق حمزة وهي مدينة عليها سور و خندق وهي لصنهاجة". البكري، المصدر السابق، ج2، ص 246.

[8] ابن حوقل، المصدر السابق، ص 85.

[9] ابن حماد الصنهاجي، المصدر السابق، ص 68-69.

[10] أورد توليته ابن عذاري، في قوله" ورجع المنصور عن تبع عمه أبي البهار، وولى على تيهرت أخاه يطوفت ومضى المنصور إلى مدينة أشير". ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص 244.

متزعـــم هـــذه الحملات الزناتية زيري بن عطية الذي تفرد برئاسة مغراوة الزناتية من بعد وفاة أخيه مقاتل[1]، وقد أورد لنا صاحب البيان مسار الحملة على طول الطريق المسيلة- أشير، فيقول:" ونصير الدولة متماد على سيره، حتى وصل أشير و لما وصل إلى المسيلة، رحل زيري بن عطية عن تيهرت، فصمم إليه نصير الدولة، ثم وصله الخبر أنه توجه إلى ناحية فان فعند ذلك رجع نصير الدولة إلى تيهرت وأشير، واستخلف يطوفت على تيهرت"[2].

وبالمقابل، فقد كان على الأمير باديس بن زيري ثورة موازية قادها فلفل بن سعيد المغراوي[3]، وانتفاضة أخرى في الغرب لأعمامه الزيريين ماكسن وزاوي ومغنين[4]، وقد ظهر دور المسك المسيلة- أشير في حركة الجيش الزيري للقضاء على هذه الانتفاضات، يذكرها صاحب البيان فيقول:" وبلغ نصير الدولة ما فعل فلفل ابن سعيد، فأرسل من أشير عساكر تقدمت إليه، ثم رحل بعدهم. ومعه أبو البهار بن زيري، حتى وصل إلى المسيلة"[5].

يتواصل ذكر الطريق المسيلة - أشير في مسالك محمد بن يوسف الوراق التي نسخها البكري في كتابه المسالك والممالك خلال القرن الهجري الخامس/11م، حيث:" تسير من مدينة المسيلة إلى نهر جوزة، ومن جوزة إلى مدينة أشير وقال محمد بن يوسف إن الذي بنى أشير زيري، والدليل على ذلك ما أنشده[6] عبد الملك بن عيشون"[7].

وقد أورد صاحب الروض المعطار المسلك بين المسيلة وأشير، وامتداده، وهذا خلال وصفه لمدينة أشير، فيقول:" أشير بلدة أو حصن بينها وبين المسيلة مرحلة، من بلاد الزاب، بناها زيري بن مناد الصنهاجي وتعرف بأشير زيري"[8]. كما يبرز قدم الموقع، وترجيح تواصل اتصاله بمجالات المسيلة كما توصلنا إلى ذلك سلفا، فيقول:" وكانت مدينة قديمة فيها آثار عجيبة وإنما بنى زيري سورها وحصنها وعمّرها فليس في تلك الاقطار أحصن منها...من بناء الأول"[9].

---

[1] في ذكر بعض أخبار زيري بن عطية، يراجع: مجهول، مفاخر البربر، ص 127-130؛ بن عميرة، المرجع السابق، ص 259-269.

[2] ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص 250.

[3] بورويبة، المرجع السابق، ص 18.

[4] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 209.

[5] ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص 251.

[6] الحميري، المصدر السابق، ص 60.

[7] البكري، المصدر السابق، ج2، ص 240.

[8] الحميري، المصدر نفسه، ص 60.

[9] نفسه، نفس الصفحة. .



وبالمقابل، مثل الطريق المسيلة- أشير أحد معابر التواصل القبلي- العربي مع بلاد المغرب الأقصى خلال فترة الهجرات الهلالية والسليمية، على غرار قبيل بني عدي، وقد أورد صاحب العبر أنموذجا لهذه الرحلات الهلالية- السليمية باتجاه الغرب، فيقول:" وكان المستنصر بن خزرون الزناتي خرج في أيام الفتنة بين الترك والمغاربة بمصر، ووصل إلى طرابلس فوجد بني عدي بها قد أخرجهم الأثبج وزغبة من أفريقية، فرغبهم في بلاد المغرب، وسار بهم حتى نزل المسيلة، ودخلوا أشير"[1].

ج- المسلك: سطيف ⬅ المسيلة

من المسالك الداخلية التي ربطت حواضر بلاد الزاب خلال القرن الهجري الرابع/10م، نجد المسلك الواصل بين مدينة سطيف[2] وقاعدة الزاب المسيلة أو المحمدية الفاطمية، وقد جاء ذكر المسلك في المصادر الوصفية، ومنها صاحب صورة الأرض، يصف المسلك الذي يمثل مقطعا من الطريق [إفريقية- تاهرت وفاس] عبر باغاي، فيقول:" ولباغاي طريق يأخذ الآخذ على....سطيف إلى المسيلة"[3]. والمسلك يقطع قسنطينة وميلة قبل أن يتمدد إلى سطيف ثم المسيلة والعكس، وجاء ذكره في النصوص الإخبارية على غرار صاحب أخبار ملوك بني عبيد في قوله:" ودخل إسماعيل المسيلة فأقام بها ووجه مسرورا إلى سطيف لاستنفار كتامة"[4]. وطول المسلك أربعة أيام، وهو جزء من الطريق المتجه شرقا إلى إفريقية، يورده صاحب عيون الأخبار، في قوله:" فانتهى[5] إلى مدينة المسيلة لليلة بقيت من ربيع الآخر، وأقام بها يوم الأربعاء وارتحل يوم الخميس سحرا غرة جمادى الأولى فانتهى رابع ذلك اليوم يوم الأحد إلى مدينة سطيف"[6].

المسلك المسيلة- سطيف أو العكس على الخريطة الأثرية، يتحقق عبر سلك اتجاهين مختلفين:

- الطريق الأول: ينطلق من سطيف (*Sitifis*) ويصلها بداية بموقع رأس الواد (*Thamallula*)[7]، الذي يمتد على طول المرتفعات الشمالية بمحاذاة جبال الحضنة، وهو يشرف على سهول مجانة[8]. هذا المقطع يمثل طريق قديم جاء ذكره في ألواح بوتنغر لكن دون تحديدها لطول المسلك بين

---

1 ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 231.

2 حول مدينة سطيف في القرن الرابع الهجري/10م، يراجع: ابن حوقل، المصدر السابق، ص 93؛ مجهول، حدود العالم من المشرق إلى المغرب، تحقيق: يوسف الهادي، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، 1419هـ/1999م، ص 134.

3 ابن حوقل، المصدر السابق، ص 85.

4 ابن حماد الصنهاجي، المصدر السابق، ص 70.

5 ويقصد الخليفة الفاطمي إسماعيل المنصور.

6 الداعي ادريس، المصدر السابق، ص 467.

7 Baradez, *op. cit.*, p. 333.

8 حول رأس الواد (*Thamallula*)، يراجع: يوسف عيبش، المرجع السابق، ص 322.

المسالك الداخلية للمجال الشمالي، الشرقي، والغربي لبلاد الزاب
(المرجع:. Baradez, *Fossatum Africae*, Cartes) – بتصرف–

النقطتين[1]. وقد خلد المسلك نصب أو شاهد ميلي، تم العثور عليه على بعد 1500م في الشمال الشرقي من رأس الواد[2]. كما تم العثور على شاهد ميلي آخر[3] يؤكد على هذا المسلك[4].

يتمدد المسلك من رأس الواد وينفصل إلى قسمين، القسم الأول: رأس الواد (*Thamallula*)– برج الغدير (*Lemellef*)، وهو طريق روماني جاء ذكره في ألواح بوتنغر؛ وقسم ثان: يتمدد من رأس الواد ليتصل بأولاد عقلة (*Equizeto*)[5]، على طول 28 كم عبر طريق خربة زمبيا، وهي من المواقع المشرفة على المعابر الشمالية لمنطقة الحضنة نحو السهول العليا لسطيف[6]، ويرجح غزال وجود معبر آخر باتجاه الحضنة عبر جبال أولاد حناش ومجرى وادي منايفة هذا الأخير يستمر حضوره حتى الوقت الحالي[7]. كما أشار إلى وجود مسلك يربط بين أولاد عقلة إلى الجنوب الغربي، ونجد على طول المسلك الموقع خربة سد بلعباس، مع مجالات المسيلة في المدينة القديمة زابي عبر مجرى وادي القصب[8]. ويؤكد باراداز على وجود هذا المسلك الذي سيتمدد إلى حدود حصن مجدل، عابرا بذلك سطيف، المسيلة، ثم بوسعادة[9].

Setifis – Zabi (près de M'sila) – Bou Saada – Fort de Medjedel

الأكيد أن مسالك يوسف ابن الوراق قد أكدت على تواصل المسلك القديم الرابط بين المسيلة وبرج الغدير، وهذا ما نقله لنا عنه البكري، حين يبرز اتصال المسيلة بالغدير عبر وادي سهر، فيقول:" ونهر سهر الذي عليه مدينة المسيلة منبعثة من عيون داخل مدينة غدير وارو وهي مدينة كبيرة أولية بين جبال فيها عين ثرة عذبة عليها الأرحاء وعين أخرى وتحتها عين خرارة يقال لها عين مخلد تجتمع فيها، ومن هناك منبعث نهر سهر"[10]. ويصف لنا البكري تواصل المسلك المسيلة– سطيف عبر برج الغدير، فيقول:" ومدينة سطيف على مرحلتين من المسيلة، تخرج من المسيلة إلى غدير وارو...ومنها إلى مدينة سطيف، وهي مدينة كبيرة جليلة أولية"[11].

---

[1] A.A.A, F° 26, N° 19-20 ; F° 16, N° 359 et 364.
[2] C.I.L., 22543.
[3] A.A.A, F° 16, N° 335.
[4] C.I.L., 10361.

[5] أشار غزال إلى وجود اشكالية في مطابقة موقع Equizeto:
« On a proposé diverses identification pour Equizeto : Mansorah, Bordj Medjana, El Guerria ». A.A.A, F° 15, N° 91.

[6] يوسف عييش، المرجع السابق، ص 320.

[7] A.A.A, F° 26, N° 3 ; F° 15, N° 91.
[8] « Nos avons signalé l'existence probable d'une voie qui, suivant l'oued ksob, aurait relié Zabi aux ruine de Lecourbe (Equizeto) ». A.A.A, F° 25, N°85.
[9] Baradez, *op. cit.*, p. 354.

[10] البكري، المصدر السابق، ج2، ص 240.
[11] نفسه، ج2، ص 258.



- الطريق الثاني: مسلك روماني قديم، ورد ذكر جزء منه في ألواح بوتنغر، ويمتد في الموريطانية السطايفية، ينطلق من سطيف (*Sitifis*) وينتهي عند مقرة (*Macri*)[1]. بعد موقع سطيف، يصل المسلك إلى الموقع الروماني برج البحيرة[2] (*Ad Oculum marinum*)[3]، ويؤكد على وجود هذا المسلك النصب أو الشاهد الميلي الذي يشير بدون شك إلى طريق قادم من سطيف عبر عين ولمان[4]. والبحيرة هي محطة رومانية قديمة، وبها الكثير من الشواهد الدالة على ذلك، كما عثر حول مجالاتها على الكثير من الخرائب[5].

وعلى بعد 6 كم إلى الجنوب من البحيرة، يمر المسلك بقلعة مربعة الشكل، وقبل أن يعبر الكتلة الجبلية، المسلك يمر بفرع من الخندق الواقع في المنحدرات الجنوبية عند موقع روماني قديم على بعد 9كم إلى الشمال الشرقي من مقرة هي خربة عين الحمام[6]، عند هذه النقطة يتجه المسلك مباشرة إلى مقرة[7]. ثم إلى الشرق أين يتجه المسلك إلى مجالات المسيلة (وصفناه سلفا)، وهو تواصل لمسلك روماني قديم، جاء ذكره في المسلك الانطونيني، يمتد على طول 30 ميلا أو 46 كم، ومنتهاه مجالات المسيلة عند الموقع البيزنطي زابي أو بشيلقة[8].

ثالثا: المسالك الداخلية خلال القرن الهجري الخامس/11م

لقد حدث تحول في التنظيم المجالي لبلاد الزاب خلال القرن الهجري الخامس/10م، وهذا بعدما قسم الناصر بن علناس مجالاته إلى مقاطعتين إداريتين بالإضافة إلى مقاطعة القلعة[9]، وتم التخلي خلالها على فكرة العاصمة الواحدة للزاب التي مثلتها القاعدة قلعة بني حماد على الأرجح، وذلك باستحداث الزاب الأعلى بقاعدته نقاوس (*Nicivibus*)، والزاب الأسفل أو مجموع واحات بسكرة بقاعدتها بسكرة (*Vescera*)[10]. إن أهم المصادر التي كان لها الفضل في إبراز الكثير من مسالك الزاب التي لم يأت ذكرها خلال القرون الأربعة الهجرية الأولى، هي روايات البكري الذي عاش خلال القرن الهجري الخامس/11م، ونقل لنا جملة من المسالك الداخلية الجديدة، نوردها على النحو الآتي:

1- شبكة المسالك الداخلية في الزاب الأسفل:

---

[1] Baradez, *op. cit.*, p. 332.

[2] باسكال بالتسمية الاستعمارية، الطوبونيم تحول ليحمل تسمية صالح باي.

[3] الموقع انطلاقا من ألواح بوتنغر على بعد 34 ميل إلى الغرب من زراي.

-Fentress, map 34, *op. cit.*, p. 526

[4] A.A.A, F° 26, N° 26.

[5] A.A.A, F° 26, N° 30.

[6] Baradez, *op. cit.*, p. 332. A.A.A, F° 26, N° 103.

[7] Baradez, *op. cit.*, p. 333

[8] A.A.A, F° 25, N° 85.

[9] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 229-230.

[10] علاوة عمارة، "التحولات المجالية..."، ص 16-17.



يذكر البكري أن زاب بسكرة كورة كبيرة، وفيها مدن كثيرة، وقاعدتها على ذلك الزمان هي مدينة النخيل والواحات بسكرة[1]، وقد ربطت بين هذه المدن المشكلة لكورة بسكرة شبكة من المسالك الداخلية، يمكن تلخيصها في الآتي:

أ- المسلك: بسكرة ⬅ بنطيوس

بنطيوس من مدن كورة بسكرة، ويعتبرها البكري من المدن الرومانية القديمة، وهذا حين يقول:" ومن مدنها......بنطيوس: وهي من بنيان الأول"[2]. جاء أول ذكر لارتباط بنطيوس ببسكرة في الروايات الناقلة عن المصنفات الاسماعيلية خلال القرن الهجري الرابع/10م، كما في كتابي: أخبار ملوك بني عبيد، وعيون الأخبار؛ وقد كانت على ذلك الزمان ضمن مجالات الاباضية بفرعها النكاري، ولعبت دورا كبيرا في دعم وتموين حركة صاحب الحمار بالطعام بعدما حصر بقلعة كياته بالزاب الأعلى، وهي على الأرجح موقع القلعة الحمادية، يذكر ارتباط بسكرة ببنطيوس ابن حماد فيقول:" وصار أبو يزيد محصورا في جبل كياته غير أن الطعام كان عنده رخيصا، كانت الرفاق تأتيه به من سدراته، وبطيوس وهي من بلاد بسكرة"[3].

ويظهر تواصل المسلك خلال القرن الخامس الهجري/11م الذي يربط بنطيوس بقاعدة الزاب الأسفل بسكرة، والذي يتمدد إلى موقع تهوذا، في روايات البكري خلال وصفه للطريق الصحراوي[4] بين وهران والقيروان:" ثم من بنطيوس إلى مدينة بسكرة...ومنها إلى مدينة تهوذا"[5]. كما نلاحظ ارتباط بنطيوس بالزاب الأعلى مع القلعة، وهذا ما يذكره كل من ابن حماد، والداعي ادريس عماد الدين، عندما يتحدثان عن مسلك كانت الجماعات النكارية تستخدمه بين بنطيوس والقلعة[6]، حيث يذكر صاحب سيرة جوذر تحصن مخلد بن كيداد بها:" حتى نزل اللعين في قلعة بجبل وعر حصين لا يكاد أن يوصل إلى من حلّه، تعرف القلعة بكيانة"[7].

لقد مثلت بنطيوس كورة صحراوية صغيرة، بتشكلها من ثلاث مدن متقاربة حولها، والراجح ارتباط كل منها بمسلك، وهذا في قول البكري:" وهي ثلاث مدن يقرب بعضها مع بعض، وفي كل

[1] البكري، المصدر السابق، ج2، ص 229.
[2] المصدر نفسه، ج2، ص 230.
[3] ابن حماد الصنهاجي، المصدر السابق، ص 71.
[4] الطريق يعبر قسطيلية، وينتهي عند توزر في الجنوب من بلاد إفريقية
[5] البكري، المصدر السابق، ج2، ص 257.
[6] ابن حماد الصنهاجي، المصدر السابق، ص 71؛ الداعي ادريس، المصدر السابق، ص 392.
[7] العزيزي الجوذري، المصدر السابق، ص 48.



مدينة جامع..."[1]. إن المدن الثلاثة الواردة في جغرافية البكري لا تعدو أن تكون المواقع الأثرية الممثلة في المخادمة، أورلال[2]، وبنطيوس قرب زاوية الأخضري[3].

هذه المدن الثلاثة من المرجح أنها ارتبطت فيما بينها بمسالك فرعية (ثانوية)، فقد أشار غزال نقلا عن دينو (Dinaux) إلى وجود مسلك متجه إلى واحة أورلال خلال حديثه عن قصر جربانية، الذي يقع بالقرب من المخادمة[4]، وكذا بعض الآثار في الجزء الشمالي لبنطيوس، وهذا انطلاقا من الآثار الغامضة التي عثر عليها دينو، مع نصب أو شاهد ميلي ممسوح الكتابة[5]. المسلك بين جربانية وبنطيوس أكد على وجوده باراداز عبر الطريق من طولقة إلى مليلي، وهو مقطع غير معبد قادم من ليشانة[6].

ب- المسلك: بسكرة ⬅ طولقة

صورة المدن الثلاثة المشكلة لبنطيوس، تتكرر في الكورة الصغيرة طولقة، وهذا عندما يصفها البكري في جغرافيته، محددا المدن المتقاربة المشكلة لها، البنية الاجتماعية في كل مدينة منها، ومواردها المائية والزراعية، في قوله:" وبجوفي بنطيوس طولقة، وهي ثلاث مدن، كلها عليها أسوار طوب وخنادق وحولها أنهار، وهي كثيرة البساتين بالزيتون والاعناب والنخيل والشجر وجميع الثمار، إحداهما يسكنها المولدون، والثانية يسكنها اليمن، والثالثة يسكنها قيس"[7].

ومثلت طولقة إحدى أبرز المواقع الاستراتيجية خلال العهد الروماني، لذا لم يغفل الرومان عن ربطها بباقي المدن المشكلة للمجال البسكري، على غرار قاعدة الزاب الأسفل، فقد مثلت طولقة مركزا رئيسيا للمياه ببلاد الزاب[8]، وهذا ما أكده البكري حين يصف سعة مواردها المائية، في قوله:" طولقة...وحولها أنهار"[9]. كما أعتبرت طولقة من أغنى مدن الزيبان خلال ذلك العهد[10]. لقد أشارت

---

[1] البكري، المصدر السابق، ج2، ص 254.

[2] علاوة عمارة، "الهجرة الهلالية وأثرها"، ص 79.

[3] العياشي، المصدر السابق، ج2، ص 542.

[4] أورلال تقع إلى الشرق من المخادمة.

[5] A.A.A, F° 48, N° 39-40-41-42.

[6] « De Tolga, partait une piste rectiligne Tolga – Gemellae par Djerbania et Ben tious c'est à Djerbania, ou très peu ou nord, que cette piste retrouvait celle venant de Lichana ». Voir : Baradez, *op. cit.*, p. 330.

[7] البكري، المصدر السابق، ج2، ص 254.

[8] Baradez, *op. cit.*, p. 329.

[9] المصدر نفسه، نفس الصفحة.

[10] « Il est évident que les romains ne pouvaient pas laisser de cote sans la desservir l'importante région de Tolga, capitale des points d'eau du Zab, et dont le sol irrigué est le plus riche des Ziban ». Baradez, *op. cit.*, p. 329.

ألواح بوتنغر إلى وجود مسلك يربط بين بسكرة وطولقة، ويبلغ طوله بحسب الألواح حوالي 34 كم، كما أثبت باراداز وجود مسلك آخر على نفس الطريق القادم من بسكرة يربط بين طولقة ومليلي طوله 16 كم، وهذا انطلاقا من الأطوال الواردة في ألواح بوتنغر[1]. وعليه يمكن ترجيح تواصل المسلك بسكرة – طولقة خلال العصر الوسيط كمسلك روماني قديم.

وتختلف الدراسات في تحديد المدن الممثلة للكورة الصغيرة طولقة، والتي أوردها البكري في جغرافيته، حيث أشار كومبيزا إلى أن المدن المعنية هي: البرج، طولقة، ليشانة[2]. في المقابل يشير علاوة عمارة إلى أنها تمثل المدن: فرفار، ليشانة، والمركز التاريخي طولقة[3]. وبالرجوع الى خريطة غزال في الأطلس الأثري، يظهر تقارب موقعي فرفر والبرج من المركز طولقة، والأكيد ارتباط هذه المدن المشكلة لطولقة بمسالك فرعية (ثانوية)[4]. مع ترجيح أن تكون فرفار هي الأقرب في أن تكون المدينة الثالثة المشكلة للكورة الصغيرة طولقة.

المسلك يتواصل ذكره في روايات متعلقة بالقرن الهجري الثامن/14م، حيث يورده ابن خلدون خلال حديثه عن الحركة الصوفية الإصلاحية التي قادها الشيخ سعادة الرياحي لتغيير الوضعية الاجتماعية التي سيطر عليها غبن شديد لمجتمع الزاب البسكري وواحاتها، من خلال الضرائب و المغارم التي فرضتها العائلة المزنية عليهم، وكانت تجمعها لصالح السلطة الحفصية بمثلها بعاصمتها الثانية بجاية، يظهر المسلك في الحملة التي قادها سعادة الرياحي واتباعه من طولقة أين: " ابتنى بأنحائها[5] زاوية، ونزل بها هو وأصحابه. ثم جمع أصحابه المرابطين وكان يسميهم السنية وزحفوا إلى بسكرة وحاصروا ابن مزني سنة ثلاث وسبعمائة وقطعوا نخيلها"[6].

ت- المسلك: بسكرة ⬅ مليلي

ورد ذكر اتصال بسكرة قاعدة الزاب الأسفل مع مدينة مليلي[7] في جغرافية البكري، في قوله:" بسكرة كورة فيها مدن كثيرة...قاعدتها بسكرة... ومن مدنها:.....مليلي"[8]. المسلك الوارد في جغرافية

---

[1] Baradez, *op. cit.*, p. 329.

[2] Cambuzar, *op. cit.*, vol.2, p. 213.

[3] علاوة عمارة، "الهجرة الهلالية وأثرها"، ص 79.

[4] A.A.A. F°48, Cartes Biskra.

[5] ويقصد طولقة.

[6] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 52.

[7] الطوبونيم مليلي الذي جاء ذكره في جغرافية البكري خلال القرن الهجري الخامس /11م يقابل الطوبونيم القديم (*Gemellae*).

[8] البكري، المصدر السابق، ج2، ص 230.

البكري خلال القرن الهجري الخامس/11م، ماهو إلا تواصل لمسلك روماني قديم جاء ذكره في ألواح بوتنغر، وطوله 34 ميلا، على الشكل الآتي[1]:

Ad Piscinam – XXXIII (33) – Gemellae

المسلك الامبراطوري: (*Ad Piscinam - Gemellae*)، طوله 50 كم، وينقسم إلى شطرين: الأول يمتد من بسكرة إلى طولقة على طول 34 كم، وقد أسلفنا ذكره، والثاني طريق غير معبد يربط بين طولقة ومليلي على طول 16كم[2]. على شاكلة باراداز، أكد غزال على وجود مسلك يربط بين مليلي وبسكرة على طول 33 ميل أو 50 كم، بينما نجده عند تروسي يحدده بـ 39 كم[3]، على عكس لوي ليشي (Louis Leschi) الذي يضع جميلي أو القصبات 40 كم إلى الجنوب الشرقي من بسكرة[4].

بالمقابل تشير ألواح بوتنغر إلى وجود مسلك روماني قديم، لا نجد له ذكر في المصادر الوسيطة يمتد على طول 24 ميلا، ويربط بين مليلي وتهودة، وقد أشار غزال إلى مسافة تقدر بحوالي 35 كم بين تهودة و مدينة مليلي، في حين يقدر المسافة بين تهودة ومعسكر جميلي أو القصبات بحوالي 40 كم، كما أشار إلى ذلك غزال[5]، وباراداز على السواء، موضحة في الشكل الآتي[6]:

Gemellae – XXIIII (24) – Thabudeos

المسلك بسكرة – مليلي، يظهر بوضوح في النص الرحلاتي للعياشي، فبالرغم من تأخر هذا المصدر، لكنه يعتبر خير أنيس لنا في ظل النقص الفادح في استمرارية هذا المسلك الذي يتمدد بجوار أورلال عند زاوية الأخضري، ودوره في الجانب التجاري، رحلات الحج، والعلم. وقد أورده صاحب الرحلة العياشية، في قوله:" وكان ارتحالنا من بلاد بسكرة قاعدة بلاد الزاب يوم الخميس وسرنا على غاية من الوجل من عرب أولاد نصر لكثرة ما يخوفنا الناس منهم، واجتمع الركبان عند قطع الساقية وساروا جميعا، ومررنا بقرية أمليلي ظهرا ثم بزاوية سيدي الشيخ عبد الرحمن الأخضري"[7].

2- شبكة المسالك الداخلية في الزاب الأعلى

من نتائج تشكل المدن الاسماعيلية ،الزيرية، والحمادية، بروز بعض المسالك خلال القرن الهجري

---

[1] Tabula Peutingeriana, P a r s IV.

[2] Baradez, *op. cit.,* p. 329-330.

[3] Trousset, *op. cit*., p. 3008-3013.

[4] L. Leschi, « Découvertes épigraphiques dans le camp de Gemellae (El-Kasbat, Algérie) », Comptes rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres, 93-3 (1949). p. 220.

[5] A.A.A, F° 48, N° 39.

[6] Tabula Peutingeriana, P a r s IV; Baradez, *op. cit.,*, p. 307.

[7] العياشي، المصدر السابق، ج2، ص 452.



الخامس/11م، والتي لم يسبق ذكرها في مصادر القرون الهجرية الأربعة الأولى، كما نلاحظ تواصل الكثير من المسالك بالزاب الأعلى، الواردة سلفا، وتحققت من وجودها خلال الفترات القديمة، ومنها:

أ- المسلك: مقرة ⬅ قلعة بني حماد

يظهر المسلك في روايات البكري، مما يرجح بروز المسلك في نهاية القرن الهجري الرابع/10م، وتواصله في جغرافية البكري:" مدينة مقرة وهو بلد كبير ذو ثمار وأنهار ومزارع، ومنها إلى قلعة أبي طويل"[1]. المسلك في شقه الأول قبل التواصل مع مقرة ينطلق من موقع طبنة، وما هو إلا تواصل للمسلك الروماني، ثم الوسيط، والذي جاء ذكره في روايات ونصوص مصدرية خلال القرون الهجرية الأربعة الأولى، ويتمدد المسلك بعدها غربا باتجاه مقرة، ثم يسير في نفس المسلك القديم-المتواصل، والمتجه إلى موقع زابي القديم أو طريق مقرة – المحمدية الوسيط[2]، وقبل الوصول إلى المسيلة يستدير المسلك إلى الشمال الشرقي منها ليتمدد إلى جبل المعاضيد أين تستقر القلعة الحمادية به[3].

ب- المسلك: قلعة بني حماد ⬅ المسيلة:

ورد ذكره في جغرافية البكري خلال عرضه لطريق الساحل من القلعة إلى مدينة تنس، فيقول:"الطريق من قلعة أبي طويل إلى مدينة تنس: يخرج من القلعة إلى مدينة المسيلة"[4]. الطريق من المسيلة إلى موضع القلعة وما جاوره، أوردته المصادر الاسماعيلية في القرن الهجري الرابع/10م قبل انشاء القلعة الحمادية، وهذا خلال حملة التطهير المذهبية والعرقية، التي قام بها الخليفة الفاطمي المنصور ضد الجماعات النكارية بقيادة صاحب الحمار مخلد بن كيداد، وتظهر في نصوص صاحب أخبار ملوك بني عبيد، حين يقول:" ورحل اسماعيل من المسيلة غرة شهر رمضان يوم الجمعة 335، فنزل بموضع يعرف بالناظور وهو موضع معروف بأورسن من جنات القلعة"[5].

ويظهر المسلك في النصوص الاخبارية خلال السنة 398هـ/1008م، زمن تشييد حماد بن بلكين لقلعته بجبل المعاضيد، حيث مثل الطريق المسيلة- القلعة أحد منافذ تعمير القلعة بالجماعات الوافدة من نواحي المسيلة، يذكر ذلك ابن خلدون، فيقول:" واختط القلعة بجبل كتامة سنة ثمان وتسعين وثلثمائة، وهو جبل عجيسة... ونقل إليها أهل المسيلة"[6]. كما سيكون الطريق بين المسيلة والقلعة

---

[1] البكري، المصدر السابق، ج2، ص 229.

[2] المقدسي، المصدر السابق، ص 247؛ ابن حوقل، المصدر السابق، ص 85؛ ابن حماد الصنهاجي، المصدر السابق، ص 66-67.

[3] بورويبة، المرجع السابق، ص 20.

[4] البكري، المصدر السابق، ج2، ص 239.

[5] ابن حماد الصنهاجي، المصدر السابق، ص 71-72.

[6] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 227.

منطلقا لحملات عسكرية خلال الصراع العائلي الذي دار على زمن الامير باديس بن زيري وعمه حماد بن بلكين، يذكر صاحب الكامل المسلك ضمنيا، فيقول:" ووصل باديس إلى مدينة المسيلة ولقيه أهلها وفرحوا به، وسيّر جيشا إلى المدينة التي أحدثها حماد فخربوها"[1].

المسلك بين المسيلة والقلعة مثّل أحد معابر التجارة بين الحاضرتين، ونلاحظ تواصل دوره خلال القرن السادس الهجري/12م في نصوص صاحب نزهة المشتاق، خلال وصفه للطريق من تنس إلى بلاد بني حماد، فيذكر طول المسلك :"والطريق من تنس إلى المسيلة من بلاد بني حماد بالمغرب الأوسط...ثم إلى المسيلة مرحلتان...إلى قلعة بني حماد وبينهما اثنا عشر ميلا"[2]. ويبرز دوره في تجارة السمك:" ولم ير في بلاد الأرض المعمورة سمك على صفته وأهل المسيلة يفتخرون به، ويكون مقدار هذا السمك من شبر إلى ما دونه وربما اصطيد منه الشيء الكثير فاحتمل إلى قلعة بني حماد"[3].

أما المسلك فمن المرجح أنه من المسالك القديمة، لأن غزال يرى بأن مدينة القلعة هي أحد المدن الكبرى للجماعات المحلية (البربر)، كما أشار إلى الملاحظات الهامة التي قدمها لهوت (Lhote) حول وجود حصنين أو قلعتين قديمتين، ذات أبعاد صغيرة، على حلبة التلة التي تقع بها هذه الخرائب[4].

كما يقدم لنا كل من: باين (Payen)[5]، بويسن (Boysson)[6]، وروبار (Robert)[7]، أحد الشواهد المادية، والبصمات على قدم استقرار الجماعات[8] بمجالات جبال المعاضيد، وهذا حين يشير إلى انتشار الكثير من المقابر من نوع البازيناس على شكل أبراج منخفضة قطرها ما بين 5- 10 أمتار، وهي من الفنون الجنائزية خلال العصور القديمة. وقد أشار غزال نقلا عن بويسن (Boysson) على وجه الخصوص

[1] ابن الأثير، المصدر السابق، مج8، ص 87.
[2] الإدريسي، المصدر السابق، مج1، ص 254.
[3] نفسه، ص 254.

[4] A.A.A, F° 25, N° 92.

[5] « Lettre sur les tombeaux circulaires de la province de Constantine », *Recueil des notices et mémoires de la Société archéologique, historique et géographique du département de Constantine*, 7 (1863), p. 164-169.

[6] « Les tombeaux Mégalithiques des Madid », Recueil des notices et mémoires de la Société archéologique, historique et géographique du département de Constantine, 13/3-2 (1869), p. 621-636.

[7] « Ruines berbères Hammadites: La Kalâa et Tihamamine», Recueil des notices et mémoires de la Société archéologique, historique et géographique du département de Constantine, 37 (1903), p. 241-268.

[8] أشار ج. كامبس إلى أن المقابر الكبرى الميجاليتية كانت كل واحدة منها تمثل موقع اتصال مقدس وجامع لعدة قبائل مختلفة ومستقرة بالمنطقة أو قريبة منها. محمد الصغير غانم، المقبرة الميجاليتية ببونوارة (الشرق الجزائري)، مجلة العلوم الانسانية، جامعة منتوري- قسنطينة، الجزائر، العدد 15، 2001، ص 166.

إلى مقبرة تحتوي على نحو مائة وخمسة وعشرين من المدافن، تقع على المنحدر الغربي للتل الذي هو بمثابة دعامة لجبل المعاضيد، ويخرج إلى الشمال من الحضنة، على بعد ثلاث ساعات سيراً على الأقدام من القلعة الحمادية[1].

كما أستبعد ظهور أو حتى شق مسلك جديد، استخدمته بداية الجماعات المحلية في حياتها اليومية، خاصة وأنها كانت تستقر على طول جبل كياتة أو تقربست، ثم استخدمته الجماعات النكارية خلال حملة الانتفاضة التي قادها النكاري صاحب الحمار، للاحتماء بالمواقع الحصينة المطلة على موقع القلعة الحالية[2]، وكذا للعودة منه باتجاه أتباعه في الجنوب من المسيلة عند جبل السالات مستقر بني برزال[3]. وعليه أرجح أن يكون المسلك القلعة- المسيلة تواصل لمسلك قديم خلال العصر الوسيط، قد يعود إلى العهد الروماني، أو إلى فترة تسبقها.

ت- المسلك: قلعة بني حماد ⬅ الغدير

جاء ذكره في جغرافية البكري، وهذا خلال عرضه لطريق ثان يتجه من القيروان إلى قلعة أبي طويل (بني حماد)، يذكر المسلك بعد أن يجتاز الطريق موقع دكمه، فيقول:" ومنها إلى مدينة الغدير: تخرج منه عيون نهر سهر، ومنه نهر المسيلة وهو المعروف بالوادي الرئيسي[4] ومنها إلى قلعة أبي طويل"[5]. المسلك أوردته مصادر القرن الهجري الرابع/10م، خلال الحملات العسكرية الاسماعيلية للقضاء على تمرد الجماعات النكارية المتحصنة بجبل كياته الذي يقع في نواحي المعاضيد على مقربة من موقع القلعة الحمادية، يذكره ابن حماد، في قوله:" وكانت قبل ذلك على أبي يزيد هزيمة عظيمة بوضع يعرف بعين السودان بين جبل كياتة...تبدد أصحابه فأخذ يزيد نحو صحراء...وأخذ أبوعمار الأعمى نحو الغدير"[6].

يتواصل ارتباط الغدير بمسلك مع القلعة الحمادية في مصادر القرن 6هـ/12م، على غرار الادريسي، فيذكر المسلك، في قوله:" ومن القلعة أيضا في جهة المشرق مدينة محدثة تسمى الغدير وبينها وبين القلعة ثمانية أميال، والغدير مدينة حسنة وأهلها بدو ولهم مزارع وأرضون مباركة"[7].

---

[1] Boysson, *op. cit.*, p. 623-624 ; A.A.A, F° 25, N° 77-81.

[2] ابن الاثير، المصدر السابق، مج9، ص 373.

[3] العزيزي الجوذري، المصدر السابق، ص 48-49؛ ابن حماد الصنهاجي، المصدر السابق، ص 66 و 72، الداعي ادريس، المصدر السابق، ص 396.

[4] وادي القصب.

[5] البكري، المصدر السابق، ج2، ص 232.

[6] ابن حماد الصنهاجي، المصدر السابق، ص 68.

[7] الادريسي، المصدر السابق، مج1، ص 261.



ومن المرجح أن يكون المسلك بين مدينة الغدير وقلعة بني حماد من المسالك القديمة، وهذا لوقوع مدينة الغدير بالقرب من مجالات المعاضيد، يبرز ذلك صاحب الاستبصار في قوله:" وبقرب مدينة الغدير فحص عجيسة، وهو فحص مديد، كثير الزرع والضرع إلا انه شديد البرد والثلج"[1]. وجبل عجيسة وهوارة يقارب مدينة المسيلة[2]، وهي المجالات التي يقع بها جبل كياتة/كيانة، والتي كانت جموع هوارة تستقر به، كما كانت تستقر بالغدير على قول صاحب أخبار ملوك بني عبيد:" ونزل اسماعيل المسيلة فأقام بها أياما تعدل أعواما بما فرق فيها من الاموال وسدد من الاحوال، وجند من الجنود وعبا من العساكر، وكتب إلى هوارة الذين كانوا بالغدير"[3].

وتؤشر الخرائط الأثرية على وقوع مجالات المعاضيد، بما فيها موضع الجبل الذي تستقر عليه القلعة الحمادية، وسط دائرة محاطة بمدن أثرية قديمة على غرار: مقرة (*Macri*) إلى الجنوب، أولاد عقلة (*Equizeto*) إلى الشمال، برج الغدير (*Lemellef*) إلى الشرق، وزابي (*Zabi*) إلى الغرب[4]. وأقرب موضع يتصل بجبال المعاضيد (القلعة)[5] هو برج الغدير[6]. مما يجعلنا نرجح بشدة وجود مسلك قديم يربط بين المعاضيد وبرج الغدير.

رابعا: خريطة المسالك الداخلية لبلاد الزاب خلال الفترة (6-9هـ/ 12-15م)

1-المسالك الداخلية خلال القرن الهجري السادس/12م:

لقد أورد لنا صاحب كتاب الاستبصار مجال بلاد الزاب خلال القرن الهجري السادس/12م، مقلصا منه الكثير من المدن التي تقع إلى الشرق والشمال من مجالاته، وقد حدد المدن المشكلة لجغرافية الزاب في فصله[ذكر بلاد الزاب]، وهي: المسيلة؛ القلعة؛ نقاوس؛ طبنة؛ بسكرة؛ تهودة؛ بادس[7]. ويضيف لهذه المدن صاحب نزهة المشتاق حصن بشر الذي ذكر بأنه من أعمال بسكرة[8]. وخلالها الهجري السادس/12م، تبرز بعض المسالك التي لا تتوفر في نصوص وجغرافية المصادر القرون الهجرية

---

[1] الاستبصار، ص 167.

[2] البكري، المصدر السابق، ج2، ص 239. وبحسب صاحب الاستبصار فقد كانت قبائل هوارة و عجيسة تستقر بالقرب من المسيلة. يؤكد ابن خلدون على أن جبل عجيسة هو الذي اتخذه حماد بن بلكين لوضع أسس القلعة الحمادية عليه. يراجع: الاستبصار، ص 172؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 227

[3] ابن حماد الصنهاجي، المصدر السابق، ص 67.

[4] Baradez, *op. cit.*, Cartes ; Salama, *op. cit.*, Cartes.

[5] A.A.A, F° 25, N° 92.

[6] A.A.A, F° 26, N° 3.

[7] الاستبصار، ص 171-175.

[8] الادريسي، المصدر السابق، مج1، ص 270.



الخمس الأولى، كما تتوفر في جغرافية القرن الهجري السادس/12م، تواصل واستمرار أغلب المسالك التي ذكرناها سلفا:

أ- المسلك: نقاوس ⬅ بسكرة

المسلك طوله مرحلتان، وقد أورده صاحب نزهة المشتاق، في قوله:" ومن مدينة نقاوس إلى حصن بسكرة مرحلتان وهو حصن منيع في كدية تراب عال وبه سوق وعمارة وبه أيضا من التمر"[1]. كما يذكرها صاحب المعجب في قوله:" وبالقرب من بسكرة مدينة صغيرة تسمى نقاوس بينها وبينها مرحلتان"[2]. المسلك يعبر العديد من المحطات والمواقع، قبل وصوله إلى بسكرة، فينطلق من نقاوس إلى طبنة مرحلتان[3]، ثم من طبنة إلى بسكرة[4].

القسم الأول: نقاوس- طبنة: هو تواصل لمسلك استراتيجي روماني قديم، طوله 25 ميل = 37كم، يتجه من الجنوب الغربي لنقاوس، وعلى طول المسلك وانطلاقا من طبنة تم العثور على العديد من النصب والشواهد الميلية[5]، وقد قدم لنا قرانج أحد هذه الشواهد الميلية التي عثر عليها غزال على بعد 22كم من طبنة[6].

القسم الثاني: طبنة – بسكرة: يورده قرانج على أنه المسلك الرابع الذي يتمدد من طبنة باتجاه بسكرة[7]، ويعود شق المسلك إلى عهد الامبراطور الروماني ترايانوس[8]، وهو مسلك التخوم الذي يعبر: بسكرة – قصر سيد الحاج- سبع مقاطع – طبنة[9]. ويؤكد شقه بداية من القرن الثاني الميلادي باراداز، يربط طبنة بسهل الضاية، ثم يتصل بعدها بلوطاية، بعد أن يتقاطع المسلك عند محطة قصر سيد الحاج مع الطريق القادم من لمبيز عن طريق القنطرة، ثم ينشطر بعدها إلى ثلاث طرق، أحدها يتمدد باتجاه بسكرة[10].

---

1 نفسه، مج1، ص 264.

2 عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 287.

3 الادريسي، المصدر السابق، مج1، ص 264؛ الاستبصار، ص 172. يقارن المسلك مع مصادر القرن الهجري الخامس/10م على غرار البكري:" وتسير (من) نقاوس إلى مدينة طبنة". المصدر السابق، ج2، ص 228.

4 الاستبصار، 172-173. ورد طول المسلك طبنة – بسكرة في جغرافية صاحب صورة الأرض:" ومن طبنة إلى بسكرة مرحلتان". ابن حوقل، المصدر السابق، ص 87.

5 A.A.A, F° 26, N°61 et F° 37, N°10.

6 Grange, *op. cit.*, p. 50.

7 « Une quatrième route, celle de Biskra, existait aussi car nous avons relevé les inscription qui suivent sur les bornes milliaires des IV, VIII et IX milles ». Grange, *op. cit.*, p. 53.

8 Salama, *op. cit.*, p. 26.

9 Albertini, *op. cit.,* p. 369.

10 Albertini, *op. cit.,* p. 367 ; Baradez, *op. cit.*, p. 353 et Cartes.



المواقع والمحطات التي تتوسط القسم الثاني [طبنة - بسكرة]، ومنها المقطع الوطاية – بسكرة، تغيب في مصادر القرن الهجري السادس/12م، ينفرد بذكره صاحب رحلة فيض العباب، حيث أورده النميري خلال وصفه لرحلة أبي عنان الى بلاد الزاب، والعمليات التخريبية التي مست أغلب العمران الريفي الرياحي، فيقول:" فركب مولانا أيده الله إلى الوطاية الشهيرة المزارع، المنسابة المذانب المفعمة المشارع، واعتام بخيله ورجله الحصن المعروف بالجديد...فأمر مولانا بهدمه...كان الوصول الركاب العلي إلى ظاهر بسكرة"[1].

المسلك بقسميه أورده ابن حماد الصنهاجي خلال وصفه لحركة الخليفة الفاطمي اسماعيل القائم بأمر الله لكسر انتفاضة صاحب الحمار، فيقول:" وسار اسماعيل...إلى مدينة نقاوس وإلى طبنة فأقام بها أياما كثيرة...وسار إسماعيل فنزل بسكرة ودخلها...ورحل منها إلى مقرة"[2]. كما أورد المسلك صاحب عيون الأخبار: "فرحل يوم الأربعاء لعشر بقين من ربيع الآخر حتى انتهى إلى مدينة نقاوس، فخرج منها يوم الثلاثاء لثلاث بقين من ربيع الآخر...ووصل الغمام طبنة...وسار من مدينة طبنة...يريد بسكرة"[3].

ب- المسلك: نقاوس ⬅ قلعة بني حماد ⬅ المسيلة

جاء ذكره عند صاحب الاستبصار، مع إبرازه لدوره التجاري، فيقول:" نقاوس مدينة كثيرة الانهار والثمار والمزارع، كثيرة شجر الجوز، منها يحمل الجوز إلى قلعة حماد"[4]. أما المسلك نقاوس-المسيلة، فقد أورده الادريسي في جغرافيته:" ومن نقاوس إلى المسيلة أربع مراحل، وقيل ثلاث"[5]. وبحسب الخريطة الأثرية، يتحقق المسلك عبر قسمين:

القسم الأول: نقاوس – طبنة: يذكر المسلك وطوله صاحب النزهة، في قوله:" ومن مدينة طبنة إلى مدينة نقاوس مرحلتان"[6]. وقد أكدنا سلفا على أنه تواصل لمسلك روماني قديم، وهذا بحسب المصادر والمراجع الأثرية، وفي هذا يقول غرانج:" هذا المسلك من نقاوس إلى طبنة موجود من العهد الروماني، بالغ الأهمية الاستراتيجية"[7].

القسم الثاني: طبنة – المسيلة: طول المسلك مرحلتان، وقد ذكره الادريسي، في قوله:" ومن المسيلة إلى

[1] النميري، المصدر السابق، ص 426 و 430.
[2] ابن حماد الصنهاجي، المصدر السابق، ص 65-66.
[3] الداعي إدريس، المصدر السابق، ص 390-391.
[4] الاستبصار، المصدر السابق، ص 172.
[5] الادريسي، المصدر السابق، ص 264.
[6] نفسه، ص 264.

[7] Grange, *op. cit.*, p. 50.



طبنة مرحلتان، وطبنة مدينة الزاب"[1]. وقد أكدنا كذلك على أن هذا المسلك، ماهو إلا تواصل لمسلك روماني قديم يربط طبنة بالمدينة الاثرية البيزنطية زابي، أو بشليقة الاسلامية في مجالات المسيلة (حوالي 3-4 كم عن المسيلة)، عبر مدينة مقرة، والتي بحسب المسلك الأنطونيني رقم 12 تبعد عن زابي بحوالي 30 ميل[2].

بجمع القسمين يتأكد لنا بأن طول المسلك نقاوس-المسيلة الحقيقي هو 4 مراحل كاملة، مرحلتان مابين نقاوس وطبنة، ومرحلتان بين طبنة ومقرة مرحلة، وبين مقرة والمسيلة مرحلة أخرى[3].

ت- المسلك: بادس ⬅ المسيلة

المسلك يمتد على طول يمثل نقطة تواصل بين أول مجالات الزاب خلال القرن الهجري السادس/12م إلى الشمال الغربي، وآخر بلاد الزاب عند أسفل طرف جبل أوراس إلى الجنوب الشرقي، يذكر المسلك صاحب نزهة المشتاق في قوله:" حصن بادس وهو أسفل طرف جبل أوراس ثلاث مراحل وهو حسن عامر باهله والعرب تملك أرضه وتمنع أهله من الخروج عنه إلا بخفارة رجل منهم، ومنه إلى مدينة المسيلة أربعة أميال[4]"[5].

ويعتبر الطريق من أطول المسالك التي تربط مدينتين ببلاد الزاب، ويأخذ الآخذ من بادس إلى تهودة على طول مرحلة[6]، ومن تهودة إلى بسكرة مرحلة[7]. ثم نسلك مسلك التخوم الروماني القديم[8] ما بين بسكرة وطبنة على طول مرحلتين، فمن مدينة الزاب طبنة يتجه المسلك غربا، فيعبر مقرة على طول مرحلة[9]، ثم يصل أخيرا إلى المسيلة على طول مرحلة بينهما[10]، وهي كما أشرنا إلى ذلك سلفا تواصلات لمسالك رومانية قديمة.

---

[1] الادريسي، المصدر السابق، ص 263.

[2] A.A.A, F° 25, N° 85 et F° 26, N° 113 ; Fentress, *op. cit.*, p. 525.

[3] يقارن المسالك وأطوالها مع مصادر القرنين الرابع والخامس الهجريين. ابن حوقل، ص 67 و 85-87؛ البكري، ج2، 227-230.

[4] ونظنه يقصد أربعة مراحل.

[5] الادريسي، المصدر السابق، مج1، ص 264.

[6] البكري، المصدر السابق، ج2، ص 257؛ الاستبصار، ص 175.

[7] ابن حوقل، المصدر السابق، ص 87؛ الاستبصار، ص 174.

[8] Albertini, *op. cit.,* p. 369.

[9] الادريسي، المصدر السابق، مج1، ص 263.

[10] نفسه، مج1، ص 263. أبو الفداء، تقويم البلدان، دار صادر، بيروت، د.ت، ص 139.

2-المسالك الداخلية للزيبان (7-9هـ/13-15م):

أ- المسلك: طولقة ⬅ مليلي:

أوردته النصوص المصدرية المتعلقة بحوادث القرن الثامن الهجري/14م، على غرار ابن خلدون، حيث مثل منطلقا لحملات الحركة الصوفية-السنية التي تزعمها سعادة الرياحي بداية من 703هـ/1703م، ضد العائلة المزنية، والسلطة الحفصية بمثلها بمدينتها الثانية بجاية، يذكر المسلك ابن خلدون، فيقول:" أقام المرابط سعادة بزاويته من زاب طولقة، وجمع من كان إليه من المرابطين المتخلفين عن الناجعة، وغزا مليلي وحاصرها أياما، وبعثوا بالصريخ إلى ابن مزني والعسكر السلطاني مقيم عندهم ببسكرة"[1].

المسلك هو تواصل لمقطع من المسلك الروماني الذي ذكره باراداز إنطلاقا من الأطوال الواردة في ألواح بوتنغر وجوده على الطريق القادم من بسكرة، ويربط بين طولقة ومليلي على طول 16 كم[2].

رواية ابن خلدون لا تظهر فقط المسلك طولقة- مليلي، بل تربطه مع قاعدة الزاب بسكرة، ويظهر من خلال روايته تواصل لمسلك أسلفنا ذكره، ويتعلق بالمسلك بسكرة- مليلي، فيقول:" العسكر السلطاني مقيم ببسكرة، فأركبهم ليلا مع أولاد حرب من الذواودة، وأصبحوا سعادة وأصحابه على مليلي، فكانت بينهم جولة قتل فيها سعادة واستلحم الكثير من أصحابه وحمل رأسه إلى ابن مزني"[3].

المسلك هو أحد مقاطع الطريق الروماني [*Ad Pascinam– Gemellae*] الوارد بوضوح في ألواح بوتنغر، وطوله الاجمالي 33 ميل[4] أو 50 كم، والمسلك الذي يربط بين موقع حمام بسكرة وطولقة يبلغ طوله حوالي 34 كم، أما التباعد بين طولقة وجميلي فهو 16كم[5].

ب- المسلك: القنطرة ⬅ لوطاية:

جـــاء ذكره في الرحلة العسكرية لابن الحاج النميري برفقة السلطان المريني أبي عنان، وهو يربط بين مجالات الجنوب الأوراسي مع مجالات الزاب، وبالأخص الفضاء البسكري وواحاتها، يذكره صاحب فيض العباب، فيقول:" ولما حللنا بحضيض جبل أوراس... لم ننشب أن انحدرنا إلى أحواز القنطرة فأقمنا بها...فركب مولانا ...إلى الوطاية"[6].

---

[1] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 52.

[2] Baradez, *op. cit.*, p. 330.

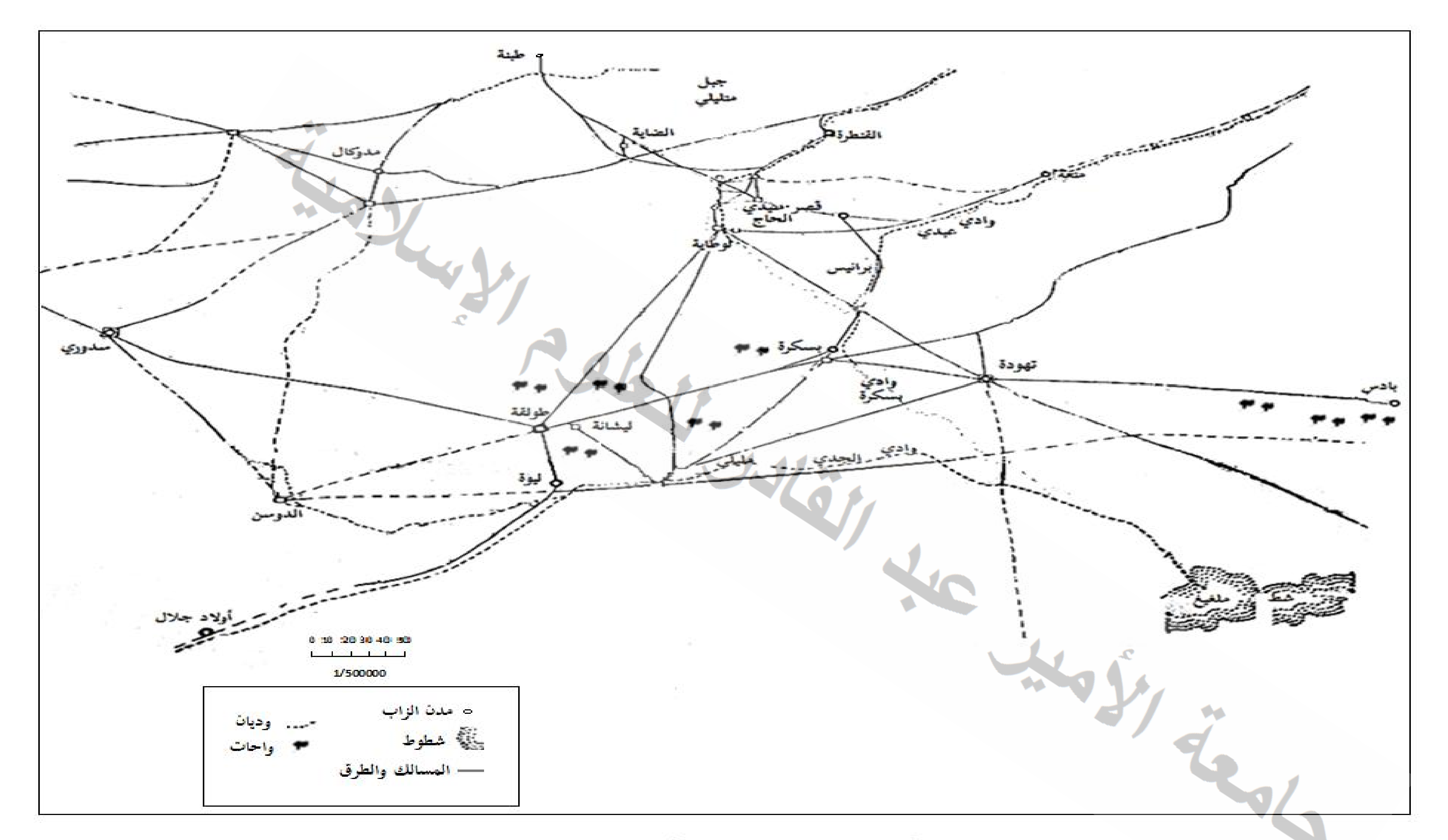
[3] نفسه ج6، ص 52.

[4] Tabula Peutingeriana, P a r s IV.

[5] Baradez, *op. cit.*, p. 329.

[6] النميري، المصدر السابق، ص 420 - 426.





شبكة المسالك في الفضاء البسكري وواحاته

(المرجع: Jean Baradez, *Fossatum Africae*, Cartes) –بتصرف–

المسلك هو تواصل لمسلك روماني، ويتكون من قسمين:

القسم الأول: القنطرة – قصر سيدي الحاج: هذا المقطع الأول ورد في ألواح بوتنغر على طول 4 ميل، وأكد وجوده باراداز من خلال الصور الجوية التي التقطها، كما أشار على وجوده غزال[1]، والمسلك على ألواح بوتنغر يظهر بالشكل الآتي[2]:

Ad Calceum Herculis – XIIII (14) – Ad Aquas Herculis

القسم الثاني: قصر سيدي الحاج – لوطاية: لقد أشار بيار سلامة إلى وجود مسلك تم شقه على عهد الإمبراطور ترايانوس، يقطع وادي القنطرة ويسير إلى تهودة، التي يربطها مع بسرياني (*Ad Majores*)[3]. والأكيد أن المسلك بحسب محمد البشير شنيتي قد تم تمديده الى الأوراس، عبر الطريق الطولي مرتبطا بلمبيز عبر مخنق القنطرة في حدود 105م. وعليه يمكن تأكيد وجود لوطاية ضمن هذا المسلك، الذي أشار إلى وجوده باراداز انطلاقا من معطيات ألواح بوتنغر[4]. المسلك أشارت إليه فونتراس انطلاقا من معطيات موريزو (Morizot)[5]، وهو يقع ضمن المسلك الآتي[6]:

Gemellae – Mesarfelta – Aquae Herculis – Seba Mgata – Ad Duo Flumina ?...

ت- المسلك: طولقة ⬅ فرفار

أروده النميري في رحلته فيض العباب، وتبرز صورة المسلك، في قوله: :" ذكر الرحيل الى طولقة وما حاق بفرفر من الحوادث المديمة"[7]. وأيضا، في قوله:" وفي يوم الأربعاء الثامن لشهر رمضان المعظم المذكور رحلنا من المنزل الأسعد ما بين فرفر وطولقة ففصلنا عنه لامسين أبشار البشائر"[8]. المسلك مثل منطلقا آخرا لعمليات التخريب المريني لعمران العرب الرياحيين ببلاد الزاب والأوراس، ويصف لنا صاحب الفيض المسلك، فيقول:" ولم ينشب مولانا أن دخل طولقة...أمر أيده الله بتخريب حصن فرفر...وركب مولانا الخليفة إليه [من طولقة]"[9].

---

[1] A.A.A, F° 37, N° 58.

[2] Tabula Peutingeriana, P a r s IV; Baradez, *op. cit.*, p. 307.

[3] Salama, *op. cit.*, p. 26.

[4] Baradez, *op. cit.*, p. 316.

[5] Morizot, *op. cit.*, p. 270-272.

[6] Fentress, *op. cit.*, p. 525.

[7] النميري، المصدر السابق، ص 442.

[8] المصدر نفسه، ص 454.

[9] نفسه، ص 445.



ث- المسلك: بسكرة ⬅ الدوسن:

جاءت الاشارة ضمنيا إلى المسلك الذي يربط قاعدة الزاب بسكرة مع حد مجالاتها في الغرب مدينة الدوسن في عبر ابن خلدون، في قوله:" هذا البلد بسكرة قاعدة الزاب لهذا العهد[1]، وحده[2] من لدن قصر الدوسن بالمغرب"[3]. وبحسب ديلاتر فحد الزاب الغربي، ونقصد الدوسن مثلت خلال العهد الروماني مدينة رومانية مهمة، كما هي بسكرة، وقد عثر بها على خرائب بنايات قديمة، ومن بينها القصر، الذي يرجح بأنه قد يكون روماني المنشأ أو ربما بيزنطي[4].

وإذا رجعنا للمسالك التي تقرب من هذا الحد الغربي مقارنة بقاعدة الزاب، والمدينة الرومانية القديمة بسكرة، فإننا نجد ما يلي:

- سدوري- الدوسن-مليلي: *Avsvm-Doucen-Gemella*؛[5]
- سدوري- طولقة-مليلي: *Avsvm-Tolga-Gemellae*؛[6]
- طولقة- بسكرة: *Tolga- Vescera*؛[7]
- مليلي-بسكرة: *Gemellae- Vescera*.[8]

وعليه يمكن ترجيج وجود مسلك روماني قديم، يربط بين بسكرة والدوسن عبر طولقة أو جميلي، تم تواصله خلال الفترة الوسيطة، وجاء ذكره في مصادرها على غرار فيض العباب وتاريخ ابن خلدون.

ج- المسالك الفرعية للزيبان حتى نهاية القرن الهجري التاسع /15م:

لقد كان للوجود العربي- الهلالي في بلاد الزاب، واندماجه بشكل لافت بالأخص منذ القرن الهجري السابع/13م[9]، أثر بارز في إعادة تنظيم المجال الجغرافي للزاب بحصره في منطقة بسكرة ، كما نتج عنه تشكل الكثير من المواقع بفعل التأثير العميق للقوى القبلية والأسرية، وحتى الفكر الصوفي[10].

---

[1] ويقصد القرن الهجري الثامن/14م.

[2] حدود مجالات الزاب في الجهة الغربية.

[3] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 585.

[4] Delattre, *op. cit.*, p. 274.

[5] Fentress, *op. cit.*, p. 525.

[6] *Ibid*.

[7] Baradez, *op. cit.*, p. 329.

[8] Baradez, *op. cit.* p. 325. Trousset, *op. cit.*, p. 3008.

[9] حول الدور البناء للعنصر الهلالي ببلاد الزاب، يراجع: علاوة عمارة، " الهجرة الهلالية وأثرها"، ص 85-86؛ نفسه، " التحولات المجالية والطبونيمية"، ص 20-21.

[10] علاوة عمارة، " الهجرة الهلالية وأثرها"، ص 86.

كل هذه العوامل المترابطة، ستنتج لنا مجموعة جديدة من الطبونوميا من جهة، وسيترتب عليها كذلك شبكة من المسالك الفرعية بالمجال الجغرافي الجديد (البسكري):

ج-1- المسلك زريبة الوادي ⬅ بسكرة إنطلاقا من زريبة حامد

ورد ذكر المسلك في رحلة العياشي، وهذا خلال عرضه لجزء من المسلك الصحراوي الذي يربط بين توزر- نفطة ومدن شرق بسكرة، ويورد المسلك بعد خروجه من أرض نفطة وما قرب منها، في قوله:" وجئنا إلى زريبة حامد ووجدنا عليها عرب نميلة، وأولاد سيدي المبارك بن ناجي...ثم ارتحلنا من ذلك المكان أول من رمضان يوم السبت ومررنا بزريبة الوادي ضحى ولم نبت إلى المنصف، وهو نصف الطريق بين الزاب وسيدي عقبة،...وفي الغد جئنا لبلد سيدي عقبة...وبتنا بينه وبين بسكرة...نزلنا بسكرة ضحى يوم الاثنين"[1].

إن معطيات الرحلة العياشية لعبد الله بن محمد العياشي، المتعلقة بالمسلك زريبة الوادي – بسكرة، نجدها متوفرة في الرحلة الحجازية لليوسي، فيتحدث عن وصوله مدينة النخيل بسكرة في السادس والعشرين من رجب[2]، ثم سيره باتجاه سيدي عقبة (تهودة)، ثم وصوله لعمارات الزرائب: زريبة الوادي، وزريبة حامد[3]. المسلك الذي أورده اليوسي، هو مسلك مقلوب عما جاء به العياشي في رحلته، خاصة وأنه يمر بالمجالات الجنوبية للحضنة عند أولاد ماضي، مجالات أولاد نايل، والأغواط، قبل أن يتصل بالزاب على الأرجح بموقع مليلي.

ومن المرجح أن منطلق المسلك من زريبة الوادي، يقع في خط الليمس الذي مركزه بادس (*Limes Badiensis*)[4]، والذي حده يمتد شرقا حتى وادي بودكران وتادرت، وهذا الخط كانت مهمته حماية وسد كل الطرق الجنوبية غير المرئية في اتجاه خنشلة والنمامشة الغربية-الأوراس[5]. بعد زريبة الوادي، يتصل المسلك بتهودة، التي تقع على بعد حوالي 6 كم منها موقع سيدي عقبة، ومنه إلى بسكرة. لقد أكدنا سلفا على وجود المسلك الروماني القديم: بادس-تهودة[6]، وتهودة- بسكرة[7]، وتواصله خلال مراحل مختلفة في مصادر التاريخ الوسيط لبلاد الزاب. ويذكر تورسي المسلك انطلاقا من ارتباط زريبة الوادي

[1] العياشي، المصدر السابق، ج2، ص 537-539.

[2] اليوسي، المصدر السابق، ص 5 .

[3] نفسه، ص 6.

[4] Torcy, *op. cit.*, p. 23.

[5] Baradez, *op. cit.*, p. 146-147 ; A.A.A, F°49, Carte Sidi Okba.

[6] A.A.A, F° 49, N° 1.

[7] A.A.A, F° 48, N° 12-13.



بادس وصولا إلى الموقع القديم تهودة أو باسمه المتجدد سيدي عقبة: زريبة الوادي -بئر باردو - عين الناقة-سيدي عقبة، ثم يتمدد المسلك الى حدود بسكرة[1]. وانطلاقا من ألواح بوتنغر، يقدم لنا البعد الاجمالي لمحطات المسلك من تادرت (*Ad Medias*) إلى بسكرة (*Vescera*) بحوالي 176 كم[2].

ج-2- المسلك مليلي ⬅ ليوة إنطلاقا من بسكرة

المسلك ينطلق من قاعدة الزاب بسكرة، ويتصل بداية بموقع مليلي، وهذا الطريق تحققنا سلفا من أنه مسلك روماني قديم[3]، ثم يتمدد إلى حدود بنطيوس عند زاوية الأخضري، يذكر العياشي المسلك، في رحلته:" وكان ارتحالنا من بلاد بسكرة قاعدة بلاد الزاب ...وسرنا على غاية من الوجل من عرب أولاد نصر...ومررنا بقرية أمليلي ظهرا ثم بزاوية سيدي الشيخ عبد الرحمن الأخضري[4] (بنطيوس)"[5]. وهو تواصل للمسالك الفرعية التي ربطت خلال القرن الخامس الهجري/11م بحسب جغرافية البكري[6]، والمعلومات الأثرية الميدانية، بين المدن المشكلة للكورة الصحراوية الصغيرة بنطيوس، فبالإضافة إلى بنطيوس المركز، نجد كل من مدينتي: المخادمة، وأورلال[7].

ثم يتمدد المسلك من بنطيوس باتجاه الجنوب الغربي إلى المحطة ليوة[8]، يذكر المسلك العياشي، في قوله:" وتجاوزنا زاوية الأخضري وبتنا ببلدة تسمى لؤي"[9]. فهل هناك دلالات لمرجعية المسلك إلى العهد ماقبل الاسلامي؟

المسلك أورده ديلاتر خلال رحلته في الزاب الغربي، وقد أكد على وجود الكثير من الشواهد الدالة على قدم المواقع الموجودة على طول وبمحاذاة المسلك، ومنها الخرائب القديمة، آثار لقطع من حطام الفخار الأحمر والأصفر والجرار المشابهة للموجودة بالأراضي الفينيقية، مجموعة من النقود

---

[1] Torcy, *op. cit.*, p. 23.

[2] يقدم لنا تورسي جدولا يحوي كل المحطات الواقعة بالمسلك انطلاقا من ألواح بوتنغر، كما يقدم لنا أبعاد كل مقطع. يراجع :

-Torcy, *op. cit.,* p. 10 ; A.A.A, F° 48, N°1- 51-70.

[3] Ad Piscinam [بسكرة] – XXXIII [33ميل] – Gemellas [مليلي] .

[4] عبد الرحمن بن محمد الصغير بن محمد عامر الاخضري (920-982هـ/1514-1575م). يراجع ترجمته في: أحمد بن داود الأخضري، العقد الجوهري بالتعريف بالقطب الشيخ سيدي عبد الرحمن الأخضري، ويليه شرح البراهين للشيخ عبد الرحمن الأخضري، ويليه أزهر المطالب للشيخ عبد الرحمن الأخضري ، تحقيق: لحسن بن علجية، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ص 13-19.

[5] العياشي، المصدر السابق، ج2، ص 542.

[6] البكري، المصدر السابق، ج2، ص 254.

[7] علاوة عمارة، " الهجرة الهلالية و أثرها"، ص 79.

[8] A.A.A, F° 48, N° 44.

[9] العياشي، المصدر السابق، ج2، ص 544.



المتأكسدة تعود إلى فترة الفلانتينين، والكثير من الكتابات الايغرافية، بالأخص في المواقع ما بين مليلي والصحيرة إلى الشمال من موقع ليوة[1].

ج-3- المسلك ليوة ⬅ سيدي خالد عبر أولاد جلال:

لقد شكلت فكرة المغتصبات الهلالية بالجهة الغربية لبلاد الزاب إحدى أبرز مراحل التحول الاجتماعي، خاصة بعد اقتسام مجالاتها بين أولاد محمد وأولاد سباع، وأدى هذا إلى تأثيرات مباشرة على الطبونيمات بمجالات الزاب الغربي، فقد صبغت بالجذر (أولاد)، مما أنتج في النهاية خريطة مجالية جديدة لم تكن موجودة من قبل [2]. كما كانت حركة المتصوف سعادة الرحماني منطلقا في ارتباط وتجدر الولاية الصوفية بجذرها (سيدي) بالطبونيم المحلي للزاب الغربي، كما هو الحال في سيدي خالد وسيدي ناجي وغيرهم[3].

إن بروز مثل هذه الطبونيمات بالزاب الغربي قد أدى حتما إلى ارتباط هذه المواقع الجديدة بمسالك فرعية فيما بينها من جهة، ومع مدن الزاب الرئيسية على غرار قاعدته بسكرة، ومن أبرز هذه المسالك التي برزت ترجيحا في نهاية الفرن التاسع الهجري/15م، ليوة – سيدي خالد عبر أولاد جلال:

المسلك أورده صاحب الرحلة العياشية خلال وصفه لطريق مغادرته بلاد الزاب باتجاه مجالات الأغواط عند العوينة ثم مجالات الحضنة عند أولاد ماضي، يذكر المسلك الرابط بين ليوة وسيدي خالد ضمنيا، فبعد مبيت الركب بمدينة ليوة، وفي الغد:" ارتحلنا وسرنا جدا خائفين، ونزلنا بالمكان المسمى الدويسة بينه وبين أولاد جلال نحو من فرسخ، وهناك تحقق الناس أمر العرب وأنهم معترضون للركب قاصدون أخذه معهم نحو من ثلاثمائة فارس، وأنهم ارتحلوا بحللهم ونزلوا بأعلى واد سيدي خالد على حافتي الطريق"[4].

ويقدم لنا دوما (Daumas) قائمة من 14 خربة من الخرائب التي تقع في المسلك ما بين ليوة وسيدي خالد[5]، فعلى طول المقطع ليوة – أولاد جلال التي تؤشر على فترة ماقبل التاريخ[6]، أين يوجد الكثير من المحطات، مما يثبت بأنها من المواقع الرومانية القديمة، على غرار الموقع الروماني الذي يوجد في

---

[1] Delattre, *op. cit.*, p. 262-271 ; A.A.A, F° 48, N° 16-18-21-35-37-38-39-40-42-43-44.

[2] علاوة عمارة، " التحولات المجالية والطبونيمية"، ص 20-21.

[3] علاوة عمارة، " الهجرة الهلالية و أثرها"، ص 86.

[4] العياشي، المصدر السابق، ج2، ص 544.

[5] Eugène Daumas، Le Sahara Algérien: études géographiques, statistiques et historiques, Langlois et Leclercq, Paris, 1845, p.148.

[6] A.A.A, F° 48, N° 80.



إقليم المرموسة، القصر أو الطوال، والذي به موقع روماني، بالإضافة إلى كنيسة مسيحية صغيرة بها مجموعة من الجرار المدفونة، وقواعد من الأعمدة، ليس ببعيد من هذا الموقع يوجد محطة أخرى هي ذراع الرمل، ويعتبر من المواقع الرومانية المهمة[1].

بعد محطة ذراع الرمل توجد مواقع رومانية أخرى، أحجار، وآثار لأسوار[2]. هذه المعطيات يؤكدها ديلاتر في رحلته إلى الزاب الغربي[3]، حين يقول:" وراء الطوال على طريق أولاد جلال وعلى المجرى الأيسر لواد الجدي، نصادف بين مسافة ومسافة مراكز محصنة صغيرة. أشير التي من: ذراع الرمل، الجمة، مزا لوصيف، القربة، قزمير، خربة القصير"[4].

ج-4- المسلك: طولقة ⬅ الدوسن:

تظهر مدينة الدوسن مرتبطة في رحلة النميري ضمنيا بالأحداث التي انتهت بتخريب قصبة طولقة[5]، ففي الفصل الذي يلي تخريب قصبة طولقة:" وأوعز أيده الله لشيخ الدوسن أن يثقف جميع ما بتلك البلدان من خزين العربان وتقدم اليه بالوعيد على إضاعة الحزم في ذلك الشأن"[6]. يشير صاحب فيض العباب إلى اندثار الدور السياسي والعسكري للجماعات المحلية على غرار لواتة وزناتة لصالح فصيل مغتصب تمثله الجماعات العربية الهلالية[7]. والارتباط المباشر بين أبي عنان وهو بطولقة مع شيخ الدوسن، نرجح من خلاله ارتباط المدينتين بمسلك.

المسلك يرجح وجوده غزال حين يشير إلى ذلك في قوله:" يمكن أن نجيز مسلكا رومانيا ينطلق من جبل سلوم ويتجه إلى الجنوب الغربي ترجيحا باتجاه الدوسن"[8]. والدوسن بحسب ديلاتر هي من المدن الرومانية المهمة، ويوجد بها قصر من المرجح أنه حصن بيزنطي أو روماني[9]. على طول المسلك يوجد موقع البرج، الذي عثر على مقربة منه ليس ببعيد عن قبة سيدي حزاز على شواهد حجرية[10].

---

[1] A.A.A, F° 48, N°45-48-49-50-54.

[2] A.A.A, F° 48, N° 77-79.

[3] Excursion dans le Zab Occidental : Notes archéologiques et épigraphiques, *Recueil des notices et mémoires de la société archéologique du département de Constantine*, 25/4-3 (1888), p. 262-278.

[4] Delattre, *op. cit.*, p. 273.

[5] النميري، المصدر السابق، ص 451..

[6] نفسه، ص 452.

[7] علاوة عمارة، " الهجرة الهلالية وأثرها"، ص 83.

[8] A.A.A, F° 48, N° 27.

[9] Delattre, *op. cit.*, p. 274 ; A.A.A, F° 48, N° 73.

[10] Delattre, *op. cit.,* p. 274.



كما يشير باراداز في خريطته الأثرية إلى ترجيح وجود مسلك يربط بين طولقة والدوسن يعبر عنه بنقاط متقطعة تصل بين الموقعين[1]، في حين أشار غزال إلى تواصل المسلك الذي يمثل في الحقيقة تحصينات عسكرية رومانية تنطلق من ساقية بنت القراس، تقطع الدوسن ليصل في النهاية إلى موقع سدوري[2].

ومن خلال عرضه لحدود قاعدة بلاد الزاب ودار ملك بني مزني، يشير ابن خلدون إلى مسلك جد طويل، يربط بين الدوسن وتنومة التي تقع في نواحي الفيض، ويتمدد إلى غاية بادس فيقول:" هذا البلد بسكرة هو قاعدة وطن الزاب لهذا العهد، وحدّه من لدن قصر الدوسن بالمغرب إلى قصور هولة (تنومة) وبادس في المشرق"[3].

ج-5- المسلك: الدوسن ⬅ أولاد جلال

هذا المسلك الفرعي لا يظهر في المصادر الوسيطة، لكن ديلاتر يشير إلى وجوده، فيقول:" واحات أولاد جلال 84 كم عن بسكرة .....إلى الدوسن 22 كم الى الشمال"[4]. المسلك يظهره غزال في لوح خريطته الأثرية لبسكرة، ويؤكد وجوده من خلال المحطة التي تفصل الموقعين، في قوله:" موقع يرجح لخرائب مهمة نوعا ما، أشار إليها ديلاتر، إلى اليسار من المسلك المؤدي من أولاد جلال إلى الدوسن"[5]. كما يظهر المسلك بين الدوسن وأولاد جلال في خريطة بيار سلامة حين يشير إلى المسلك بنقاط متقطعة دلالة على ترجيح وجود المسلك[6].

خامسا: شبكة المسالك الخارجية لبلاد الزاب (1-9هـ/7-15م):

لم تكن بلاد الزاب بمجالها الجغرافي الواسع، بمعزل عن باقي المجالات الجغرافية الأخرى، والواضح أنها ارتبطت معها بمسالك طولية وعرضية، كان لها أدوار اقتصادية وحضارية على السواء. لقد ارتبطت بلاد الزاب بمجالات بلاد إفريقية التي تعتبر منه، وكذا اتصلت بمدن ساحلية وغير ساحلية من بلاد المغرب الأوسط التي تعتبر كذلك منه، وأيضا تلاقحت مع بلاد الجريد وقسطيلية بطرق ومسالك ساهمت بشكل كبير في نماء التجارة، وانتشار العلم والعلوم في المجالات الصحراوية الواسعة. وسنحاول بإيجاز ذكر نماذج من هذه المسالك الخارجية التي امتدت من بلاد الزاب إلى مختلف المجالات التي تحيط به، ونلخصها في الآتي:

---

[1] « Voie Tolga – Doucen et Tolga- Sadouri ». Baradez, *op. cit.*, p. 148 et Cartes.

[2] A.A.A, F° 48, N° 69-73.

[3] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 585.

[4] Delattre, *op. cit.*, p. 273.

[5] A.A.A, F° 48, N° 74.

[6] Salama, *op. cit.*, Cartes.

1- بلاد الزاب وبلاد إفريقية:

أ- من بلاد الزاب إلى القيروان:

جاءت أول إشارة إلى هذا الطريق في النصف الثاني من القرن الهجري الأول/7م في روايات الفتح الاسلامي لبلاد الزاب، فخلال الحملات العسكرية المنظمة التي قادها عقبة بن نافع الفهري، يذكر صاحب كتاب المحن المسلك من الزاب إلى إفريقية، فيقول:" فلما كر عقبة راجعا إلى القيروان وصار بناحية الزاب فرق كثيرا من جموعه وعساكره ونظر كسيلة إلى قلة من معه وكثرة قبيلة كسيلة وهم طوع له ففتك بعقبة ومن معه فقتل عقبة وكثيرا ممن معه بقرب مدينة تهوذة"[1].

المسلك من القيروان إلى الزاب أورده صاحب تاريخ إفريقية والمغرب من خلال وصفه لطريق الحملات العسكرية انطلاقا من القيروان، ثم اتصالها بأقرب مدن الزاب على هذا المسلك، وهي مدينة باغاي، فيقول في هذا:" ثم عزم عقبة على الغزو في سبيل الله، وترك بها [القيروان] جندا من المسلمين، واستخلف عليهم زهير بن قيس...ومضى في عسكر عظيم حتى أشرف على مدينة باغاية...بلاد الزاب"[2]. معطيات الرقيق نجدها متوفرة بصورة أدق في نهاية الأرب، في قوله:" ثم عزم على الغزو وترك بالقيروان جندا وعليهم زهير بن قيس...ومضى في عسكر عظيم حتى أشرف على مدينة باغاية...بلاد الزاب"[3].

روايات المسلك بين مجالات الزاب والقيروان نجدها في النصوص المتأخرة لصاحب الكامل نقلا عن ابن شداد الصنهاجي، حيث يذكر وجود طريق باتجاه الغرب يربط طبنة بكورة القيروان[4]، وهذا خلال عرضه لمسار الإياب لحملة عقبة الثانية من المحيط فيقول:" وسار حتى بلغ ماليان ورأى البحر المحيط...ثم عاد فنفر الروم والبربر عن طريق خوفا منه...فلما وصل طبنة وبينها وبين القيروان ثمانية أيام"[5].

في حدود القرن الهجري الثاني/8م، مثل المسلك بين بلاد الزاب والقيروان نقطة تحول بارزة في تاريخ الجماعات الصفرية، حيث يمكن الوصول إلى القيروان انطلاقا من الزاب عبر طريقين، الأول هو

---

[1] أبو العرب، كتاب المحن، ص 290.

[2] الرقيق، المصدر السابق، ص 9-10.

[3] النويري، المصدر السابق، ج24، ص 13-14.

[4] "هذه الكورة أهم إقليم بإفريقية، تمحورت حولها سائر الأقاليم، وخصوصا تلك التي تحدها: تونس شمالا والأربس غربا وقموديا جنوبا والساحل شرقا. وانطلقت منها شبكة من المسالك والطرقات في مختلف الاتجاهات، غربا نحو طبنة". محمد حسن، الجغرافيا التاريخية لإفريقية، ص 82.

[5] ابن الأثير، المصدر السابق، مج3، ص 451.

طريق مجانة والذي سلكه عكاشة الفزاري، ومن بلاد الزاب انطلق عبد الواحد بن يزيد الهواري في حدود 124هـ/742م في اتجاه القيروان، متخذا طريقا آخر هو طريق الجبال والذي منطلقه طبنة باتجاه القيروان، وقد جاء ذكر هذين الطريقين في نصوص ابن عذارى، فيقول:" زحف اليه عكاشة الصفري الخارجي، في جمع عظيم من البربر، وزحف ايضا الى حنظلة عبد الواحد بن يزيد الهواري في عدد عظيم وكانا قد افترقا من الزاب، فأخذ عكاشة على طريق مجانة، فنزل القيروان، وأخذ عبد الواحد على طريق الجبال"[1].

خلال القرن الهجري الثالث/9م، تتضح صورة الطريق من القيروان إلى بلاد الزاب بشكل واضح في جغرافية اليعقوبي، فيصف لنا المسلك، طوله، وأول اتصال لإفريقية مع بلاد الزاب، فيقول:" ومن القيروان إلى بلاد الزاب عشر مراحل...والزاب بلد واسع فمنه مدينة قديمة يقال لها باغاية بها قبائل من الجند وعجم من أهل خرسان وعجم البلد من بقايا الروم حولها قوم من البربر"[2].

ويظهر المسلك خلال نفس القرن، لكن بقبل ما أورده اليعقوبي بقليل، وهذا في روايات صاحب كتاب فتوح البلدان، يذكر المسلك بين القيروان والزاب خلال عرضه لمسير إبراهيم بن الأغلب وأصحابه من القيروان، ونزولهم بالزاب هربا من هرثمة بن أعين الذي ولاه هارون الرشيد الثغر، فيقول:" وكان إبراهيم بن الأغلب من وجوه جند مصر، فوثب واثنا عشر رجلا معه فأخذوا من بيت المال مقدار أرزاقهم لم يزدادوا على ذلك شيئا، وهربوا فلحقوا بموضع يقال له الزاب، وهو من القيروان على مسيرة أكثر من عشرة أيام"[3].

الطريق من القيروان إلى مدينة باغاي أول مدن الزاب بمحاذاة جبل أوراس، يوردها صاحب صورة الأرض خلال القرن الهجري الرابع/10م كمقطع من الطريق الطويل من إفريقية الى الغرب (تاهرت وفاس)، مع وصفه للمحطات التي يمر بها هذا الطريق، فمن القيروان إلى: الجهنيين- سبيبه-مرماجنة-مجانة-تيجيس-مسكيانة- ومنها إلى مدينة باغاي[4]. معطيات صاحب صورة الأرض حول الطريق من القيروان إلى بلاد الزاب، نجدها متوفرة بصورة أدق من حيث الترتيب، والبعد بين محطات الطريق في نصوص صاحب أحسن التقاسيم، في قوله:" وتأخذ من القيروان إلى قابس أو إلى قصر الإفريقي أو

[1] ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص 58. بالإضافة إلى ابن عذاري، فقد ورد قبله ذكر هذين الطريقين في روايات الرقيق، والنويري. كما يراجع تفصيل المسلكين في دراسة محمد حسن، الجغرافيا التاريخية لإفريقية، ص 92-94؛ 224.

[2] اليعقوبي، المصدر السابق، ص 140.

[3] البلاذري، المصدر السابق، ص 327.

[4] ابن حوقل، المصدر السابق، ص 84.



مجانة، وتأخذ من مجانة إلى تبسة أو إلى باغاي أو دوفانة أو عين العصافير أو دار ملول أو طبنة أو مقرة أو المسيلة، وبين كل واحدة والاخرى على الترتيب مرحلة"[1].

ويضيف ابن حوقل طريقا جديدا يصل بين إفريقية انطلاقا من القيروان، وصولا إلى المحمدية (المسيلة)، وهي قاعدة الزاب الفاطمي خلال النصف الثاني من القرن الهجري الرابع/10م، فيعدد محطات المسلك، وهي من القيروان إلى: جلولا- أجر- طافجنة-الأربس-تامديت-تيفاش-قصر الافريقي-اركوا-تيجس-نمردوان-مهريين-تامسنت-دكمه-أوسجيت- إلى المسيلة[2]. معطيات المسلك نجدها في جغرافية البكري، يتصل بمدن كثيرة لبلاد الزاب قبل وصوله أخيرا إلى مجالات الحضنة عند القلعة، تخرج من القيروان إلى: وادي الرمال-سبيبة-قلعة الديك-السكة-مجانة المطاحن-نهر قلاق-باغاية- ثم تدخل مجالات الزاب إلى الجنوب من جبل أوراس، بداية بنقاوس-طبنة- مقرة- إلى القلعة[3].

ويذكر البكري مسلكا آخر يربط القيروان بمجالات الزاب عبر الطريق: من القيروان إلى قلعة أبي طويل، ويذكره مفصلا على النحو الآتي: من القيروان إلى: مدينة أبة ثلاث أيام- نهر ملاق-تامديت-تيفاش- قصر الإفريقي-وادي الدنانير-تيجس-توبوت-تابسلكي-النهرين-تامسلت-دكمة-الغدير-نهر سهر- إلى القلعة[4].

ويزيد صاحب نزهة المشتاق مسلكا آخر بين القيروان ومجالات الزاب، وهذا عبر الطريق من القيروان إلى تيهرت:" فمن القيروان إلى الجهنيين...إلى مدينة سبيبة...ومنها إلى مرماجنة وهي قرية لهوارة...ومنها إلى مدينة مجانة...ثم إلى مسكيانة...ومنها إلى باغاي...والطريق يتمادى من مدينة باغاي إلى المسيلة"[5]. بالمقابل يضيف الادريسي مسلكا آخر، يمكن للمسافر عليه كذلك أن يصل عبره إلى مجالات الزاب، فيقول:" وطريق ثان يأخذ من القيروان إلى المسيلة على غير الطريق الذي قدمنا ذكره، وهو يخرج من القيروان إلى جلولة...ومنها إلى احرى...ومنها إلى قرية طاجمنة...ومنها إلى مدينة الأربس...إلى تيفاش...ومن تيفاش إلى قصر الإفريقي...ومنها إلى قرية ازكو...ومنها إلى قرية البردوان...ومنها إلى قرية النهرين....ومنها إلى قرية تامسيت كتامة...ومنها إلى دكمة...ومنها إلى أوسجنت...ومنها إلى المسيلة"[6].

---

[1] المقدسي، المصدر السابق، ص 247.

[2] ابن حوقل، المصدر السابق، ص 87.

[3] البكري، المصدر السابق، ج2، ص 227-230 و 328-330؛ محمد حسن، الجغرافيا التاريخية لإفريقية، ص 94.

[4] نفسه، ج2، ص 231-232.

[5] الإدريسي، المصدر السابق، مج1، ص 294-295.

[6] نفسه، مج1، ص 295-296.



شبكة المسالك بين بلاد الزاب وإفريقية

(المرجع: محمد حسن، الجغرافيا التاريخية لإفريقية، ص 95) – بتصرف-



بداية من القرن السادس الهجري/12م، ستقل أهمية المسلك [القيروان- لزاب] لفائدة مسلك جديد ممثل في [تونس – بلاد الزاب][1]، أو المسلك تونس - بسكرة تحديدا، وهذا بعدما تحولت بسكرة إلى قاعدة للزاب الأسفل على عهد الأمير الحمادي بلكين بن محمد (447-454هـ/1055-1062م)، ثم سرعان ما تحولت إلى
قاعدة لكل بلاد الزاب بعد تقلص مجاله، وانحصاره في الفضاء البسكري.

من بين الشهادات الدالة على هذا التحول البارز في أهمية المسلك، هو ما أورده صاحب تاريخ الدولتين خلال عرضه لرحلة السلطان الحفصي أبي فارس عبد العزيز باتجاه بلاد الزاب، وقد كانت هذه الرحلة العسكرية في منتهى الأهمية، لأنها أنهت حكم بني مزني عن بلاد الزاب في حدود 804هـ/1402م، ويذكر المسلك الزركشي، فيقول:" وفي سنة أربع وثمانمائة تحرك السلطان من تونس إلى بسكرة فأقام ببئر الكاهنة مدة دبّر أمره، ثم ارتحل إليها وضاق أمر شيخها أحمد بن يوسف ابن مزني ولم يبق له غير الفرار او التسليم فدخل المولى السلطان بسكرة"[2].

ب- من بلاد الزاب إلى قفصة

المسلك أورده صاحب صورة الأرض خلال عرضه لطريق الجنوب باتجاه إفريقية، فيقول:" إلى إفريقية طريق ثالث يأخذ من المسيلة إلى مقرة، ومنها إلى طبنة ومن طبنة إلى بسكرة، ومن بسكرة إلى تهوذا؛ ومنها إلى بادس، ومن بادس إلى تامديت، ومن تامديت إلى مدالة، ومن مدالة إلى نفطة، ومن نفطة إلى قسطيلية، ومنها إلى قفصة"[3].

وذكر البكري المسلك، والذي يمثل مقطعا من طريق: الغرب – الجنوب على بلد قسطيلية، وتظهر محطاته محصورة من مجالات الزاب إلى قفصة، فمن بنطيوس التي بجوفها طولقة إلى:" مدينة بسكرة، ومنها إلى مدينة تهوذا وتعرف بمدينة السحر،...ومنها إلى مدينة باديس،...ومن باديس إلى قيطون بياضة وهو أول بلاد سماطة، ومنه يفترق الطريق إلى بلاد السودان...إلى مدينة نفطة...إلى مدينة توزر...ثم منها إلى قفصة"[4].

ويظهر صاحب نزهة المشتاق مسلكا مغايرا باتجاه قفصة، لكن انطلاقا من مدينة باغاي، فيقول: ومن باغاي إلى مدينة قسطيلية أربع مراحل وهي تسمى توزر ولها سور حصين وبها نخل كثير...ويتصل

---

[1] محمد حسن، الجغرافيا التاريخية لإفريقية، ص 224.

[2] الزركشي، المصدر السابق، ص 122.

[3] ابن حوقل، المصدر السابق، ص 87.

[4] البكري، المصدر السابق، ج2، ص 224 و 253-257. ويراجع: الاستبصار، ص 175.

بها بين جنوب منها وشرق مدينة الحامة وبينهما مرحلة صغيرة...ومنها إلى تقيوس نحو عشرين ميلا وهي مدينة حسنة...ومن تقيوس إلى مدينة قفصة مرحلة"[1]. المسلك اتخذته الجماعات الاسماعيلية معبرا للاستحواذ على مجالات قسطيلية وقفصة، انطلاقا من دار هجرتهم إيكجان، وطول المسلك بين قفصة وقسطيلية 3 مراحل[2]، وفي هذا يذكر صاحب الافتتاح:" ثم إن أبا عبد الله جمع الأولياء، واحتفل في عساكر عظيمة، وخرج يريد قسطيلية، فلما انتهى إلى باغاية، وافاه بها يحي بن سليمان عامل طبنة...وسار بالعسكر إلى قسطيلية...وسار فنزل إلى قفصة"[3].

وجاء ذكر ارتباط الزاب بقفصة في نصوص صاحب المعجب، من خلال وصفه لبلاد افريقية وبعض مدنها التي تلي الصحراء، فيقول:" من مدينة قابس إلى مدينة تسمى قفصة ثلاث مراحل، [و] من مدينة قفصة إلى مدينة توزر أربع مراحل، وتوزر هذه هي حاضرة بلاد الجريد وأم قراها...ومن مدينة توزر إلى مدينة بسكرة أربع مراحل، وبالقرب من مدينة بسكرة مدينة صغيرة تسمى نقاوس، بينها وبينها مرحلتان، فهذه المدن التي تلي الصحراء من بلاد إفريقية"[4]. وقد أورد التجاني بالتفصيل في رحلته جزءا من المسلك الذي يوجد بمجالات إفريقية من توزر قاعدة بلاد الجريد إلى قابس[5].

2- بلاد الزاب وبلاد المغرب الأوسط:

أ- مع مدن ساحل المغرب الأوسط:

ارتبطت بلاد الزاب من خلال المدن الرئيسية التي شكلت مجاله بعدد من المدن الساحلية بمجالات المغرب الأوسط، وسنحاول ذكر نماذج من هذه المسالك والطرق، حيث يظهر ارتباطها بأول المدن الممثلة لمجال بلاد الزاب:

المسلك/ الطريق	الوصف	المصدر/ المرجع
بلاد الزاب ⬅ بونة إنطلاقا من باغاي	«ولباغاي طريق يأخذ الآخذ على بلزمة إلى نقاوس الى طبنة، ويتصل هذا الطريق بطريق مجانة الى تيجيس فيمر عليه إلى بونة...». «من تينجس إلى بونة الساحلية...ومن تينجس إلى مدينة المسيلة».	ابن حوقل، صورة الأرض، ص 85؛ الادريسي، نزهة المشتاق، مج1، ص 292.

---

[1] الادريسي، المصدر السابق، مج1، ص 277.

[2] المقدسي، المصدر السابق، ص 242؛

[3] القاضي النعمان، المصدر السابق، ص 222-224.

[4] عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 287.

[5] التجاني، المصدر السابق، ص 157 و 172.



المسلك	النص	المصدر
بلاد الزاب ⬅ وهران إنطلاقا من بنطيوس	«من وهران إلى قصر منصور ابن سنان...ثم إلى العلويين...ومنها إلى نهر سي سي بن دمر...ومنها إلى أحساء عقبة بن نافع...إلى ساقية بن خزر...إلى من بنطيوس...إلى مدينة بسكرة...».	البكري، المسالك والممالك، ج2، ص 253-255.
بلاد الزاب ⬅ تلمسان عبر [طريق فاس- القيروان]	«تلمسان...إلى مدينة تاندة...إلى مدينة يلل...إلى مدينة الغزة...إلى حصن تامغيلت...إلى مدينة هاز...إلى حصن موزية...إلى مدينة المسيلة...ومنها إلى مدينة أدنة، ومن أدنة إلى مدينة طبنة إلى مدينة باغاية».	البكري، المسالك والممالك، ج2، ص 327-328.
بلاد الزاب ⬅ بجاية انطلاقا من القلعة والمسيلة	«مرسى مدينة بجاية أولية آهلة عامرة...ومرسى بجاية هو ساحل قلعة أبي طويل». « بجاية...باغاية؛ بجاية...قلعة بشر وهي من عمالة بسكرة... بجاية...طبنة»؛ «الطريق من بجاية إلى القلعة تخرج من بجاية إلى المضيق إلى سوق الأحد إلى وادي رهت إلى حصن تاكلات، ومن حصن تاكلات إلى تادرفت إلى سوق الخميس إلى حصن بكر إلى حصن وارفو إلى القصر إلى حصن الحديد...إلى تاورت إلى الباب...ثم إلى حصن الناظور إلى سوق الخميس...ومنه إلى الطماطة...ومنه إلى سوق الاثنين...ومنه إلى حصن تافلكايت...ومنه إلى قصر عطية ثم إلى حصن إلى حصن إلى حصن القلعة...ومن المسيلة إلى طبنة وطبنة مدينة الزاب». «مدينة بجاية: هي مدينة عظيمة على ضفة البحر...والبحر منها في ثلاث جهات: في الشرق والغرب والجنوب...طريق القبلة إلى قلعة حماد على عقاب وأوعار».	البكري، المسالك والممالك، ج2، ص 268؛ الادريسي، نزهة المشتاق، مج1، ص 260 و261-263؛ مجهول (المراكشي)، الاستبصار، ص 129.
بلاد الزاب ⬅ تنس • الطريق [من القلعة إلى مدينة تنس]	«يخرج من القلعة إلى مدينة المسيلة...إلى نهر جوزة، ومن جوزة إلى مدينة أشير...إلى سوق هوارة، ومنها إلى قرية سوق كرام...ومنها إلى مدينة مليانة...ومنها إلى مدينة الخضراء...ومنها إلى بني وارفين، ومنها إلى قارية، ومنها إلى مدينة تنس».	البكري، المسالك والممالك، ج2، ص 239-241 و 247.

• الطريق [من المسيلة ⬅ تنس] عبر مليانة.	«الطريق من مدينة تنس إلى المسيلة من بلاد حماد بالمغرب الأوسط: تخرج من مدينة تنس إلى بني وازلفن...إلى الخضراء...إلى مدينة مليانة...إلى كزناية مرحلة...إلى قرية ريغه...ومنها إلى ماورغة...ومنها إلى أشير زيري...إلى تامزكيدة ثم إلى المسيلة ». «مليانة مدينة في أحواز أشير من أرض المغرب بين تنس والمسيلة وبقرب نهر شلف».	الادريسي، النزهة، مج1، ص 252-254؛ الحميري، الروض، ص 547.
بلاد الزاب ⬅ مرسى الدجاج عبر الطريق: من القيروان إلى مرسى الدجاج	«يأخذ من المسيلة-على ما تقدم، ثم إلى أوزقو...إلى سوق ماكسن...إلى سوق حمزة...إلى بني جنّاد...ومنها إلى مرسى الدجاج».	البكري، المسالك والممالك، ج2، ص 246.

ب-نماذج من مسالك بلاد الزاب مع باقي مدن المغرب الأوسط:

لقد كانت هناك طرق كثيرة ربطت مجالات الزاب مع مدن وحواضر كثيرة من بلاد المغرب الأوسط، حيث مثل الزاب همزة وصل بين مدن الشمال والجنوب، وكذا الشرق مع الغرب، ويمكن تلخيص هذه المسالك التي ربطت الزاب بباقي المدن غير الساحلية ببلاد المغرب الأوسط كالآتي:

المسلك/ الطريق	الوصف	المصدر/ المرجع
الزاب ⬅ هاز (سور الغزلان)	«أول المدن التي في يده مدينة يقال لها هاز سكانها قوم من البربر القدم يقال لهم بنو يرنيان من زناتة...بينها وبين عمل أدنة مسيرة ثلاثة أيام ». «من طبنة إلى مقرة؛ ومن مقرة إلى المسيلة ؛ ومنها إلى جوزا؛ ومن جوزا إلى هاز قرية كانت قديمة عظيمة فخربت». « مدينة هاز على نهر شتوى وهي خالية أجلى أهلها زيري بن مناد الصنهاجي، إلى بورة نهر جار يسكن حوله بني يرناتن [بنو يرنيان من قبائل البربر الخارجة عن صلب زناتة] وهم كانوا أصحاب هاز...ومنها إلى حصن موزية...إلى مدينة المسيلة ومنها إلى مدينة أدنة...إلى مدينة طبنة ».	اليعقوبي، البلدان، ص 141؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ص85و102(القبائل)؛ البكري، المسالك، ج2، ص 327.



المسلك	المحطات والنصوص	المصادر والمراجع
الزاب ⬅ تيهرت		
• عبر الطريق من إفريقية إلى تاهرت.	الزاب: (باغاي – دارملول – طبنة- مقرة – المسيلة)– هاز/أزية [*Auzia*]؛ إلى جرتيل ؛ ومنها إلى ابن ماما؛ إلى تاهرت. «من تاهرت إلى قرية أعبر...ومنها إلى قرية دارسْت...ومنها إلى مدينة ماما...إلى قرية ابن مجبر...ومنها إلى أشير زيري...إلى قرية سطيت محلة...إلى هاز في فحص رمل...ومنها إلى المسيلة ».	
• عبر الطريق من المسيلة أو من القلعة إلى تلمسان.	« تاهرت: مدينة مشهورة من مدن المغرب الأوسط على طريق المسيلة من تلمسان ». «تاهرت: بفتح الهاء، وسكون الراء، وتاء فوقها نقطتان: اسم لمدينتين بأقصى المغرب، يقال لأحدهما تاهرت القديمة وللأخرى تاهرت الحديثة، بينهما وبين المسيلة ست مراحل، وهي بين تلمسان وقلعة بني حماد».	ابن حوقل، صورة الأرض، ص 86؛ الادريسي، نزهة المشتاق، مج1، ص 256؛ الحميري، الروض المعطار، ص 126؛ الدرجيني، طبقات المشايخ، ج1، ص 94-95؛ عبد الكريم جودت يوسف، الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين/9-10م، ص 207.
• عبر الطريق من تيهرت إلى القيروان	-مسلك آخر من تيهرت إلى بلاد الزاب عبر طريق تيهرت- القيروان، وقد ذكر الدرجيني في طبقاته هذا المسلك خلال عرضه للحركة الثانية للإسماعيلية على تيهرت عاصمة الرستميين: « ثم أن يعقوب بن الإمام وابنة أخيه دوس خرجا[من تيهرت] في خفاء إلى جهة وارجلان حتى نزلاها...وعقدوا له البيعة[للمهدي] فلما دخل إفريقية وذلك في عام 297 سبعة وتسعين ومائتين، وقد تمكنت دولته، وجه[من إفريقية] عسكرا عظيما إلى وارجلان... فلما رأى ذلك أهل العسكر قالوا ما هذا إلا عن ماء جملا تكنسه الدلاء ففيم المقام؟ وارتحلوا...وصل أهل العسكر إلى صاحبهم بالقيروان». ويفصل عبد الكريم جودت يوسف محطات المسلك إلى بلاد الزاب، في قوله:« فكان المسافر يخرج من تاهرت إلى ورقلة، ومنها إلى بسكرة ثم إلى القيروان».	

الزاب ⬅ بلاد صحراء القبلى [وارجلان، ريغ، تقرت، تادمكة] • طريق المسيلة: • طريق قلعة بني حماد:	«من المسيلة إلى وارقلان...ومن وارقلان إلى غانة...ومن وارقلان إلى كوغة ». من قلعة أبي طويل (قلعة بني حماد) إلى ورجلان، وعبر الطريق [من تادمكة إلى القيروان]: ومن وارجلان إلى ريغه إلى تادمكة. «وكان أبو محمد جمال قد أقبل بأمداد أهل ريغ واورجلان في جموع عظيمة وقد خرج معهم خزرون بن فلفول...وصلوا موضعًا يقال له أفودان يطلا، على مسيرة نصف نهار من باغاي»؛ «من تادمكت إلى وارجلان».	البكري، المسالك، ج2، ص 371؛ الادريسي، نزهة المشتاق، مج1، ص 296؛ الدرجيني، طبقات المشايخ، ج1، ص 130. ج2، ص 375؛ ابن خلدون، العبر، ج7، ص65.
الزاب ⬅ الأغواط • طريق الدوسن • طريق الدويسة/أولاد جلال • طريق سيدي خالد • الأغواط-غرداية عبر تيلغمت	«بينهم وبين الدوسن أقصى عمل الزاب مرحلتان، وتختلف قصودهم إليهم لتحصيل المرافق منهم ». «الدويسة بينه وبين أولاد جلال نحو من فرسخ...حرزة البطم...أولاد سيدي مخلوف...العوينة...الأغواط». «لغواط.........سيدي خالد...بسكرة». - يذكر ابن الصغير طريق من الأغواط إلى غرداية عبر تيلغمت وبها موقع حصن على بعد 90 كم من غرداية خلال عرضه لحملة عسكرية قادها الإمام أبي حاتم يوسف بن أبي اليقضان (281-294هـ/894-906م).	ابن خلدون، العبر، ج7، ص65؛ العياشي، الرحلة العياشية، ج2، ص 544-546. اليوسي، رحلة اليوسي، ص 4-5. ابن الصغير، أخبار الأئمة الرستميين، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1986م، ص 94 (الهامش).

3- بلاد الزاب وبلاد المغرب الأقصى:

المسلك/ الطريق	الوصف	المصدر/ المرجع
فاس ⬅ بلاد الزاب عبر الطريق: من مدينة فاس إلى مدينة القيروان.	«من فاس إلى قلعة جرماط...إلى وليلي...إلى تازى...إلى مدينة جراوة...إلى ترنانة...إلى مدينة تاندة...إلى مدينة يلل...إلى مدينة الغزة/ تيهرت...إلى مدينة هاز...إلى مدينة المسيلة... ».	البكري، المسالك، ج2، ص 326-327.



فاس ⬅ بلاد الزاب		
• الطريق من فاس إلى المسيلة	«من فاس على سبه...إلى نمالته...إلى كرانطه...ومن كرانطه يأخذ الطريق على باب زناته...إلى قلعة كرماطه...الى مزاوروا... إلى تابريدا...إلى صاع...إلى جراوة... إلى ترفانه...إلى العلويين...إلى تلمسان...إلى تاهرت...إلى شلف... إلى غزة... إلى تنس... إلى بني واريفن...إلى الخضراء...إلى مليانة...إلى سوق كران...إلى ريغه...إلى أشير...إلى المسيلة».	ابن حوقل، صورة الأرض، ص 87-89؛ البكري، المسالك، ج2، 241؛ النميري، فيض العباب، ص 74-76.
• عبر تازة[1]	-أورد النميري في رحلته فيض العباب برفقة السلطان المريني أبي عنان سنة 758هـ/1357م الطريق الذي تربط فاس ببلاد الزاب عبر تازة: فاس- تازة-بجاية-قسنطينة-حضيض الأوراس-القنطرة- بسكرة-طولقة.	
• عبر المسيلة (طريق الصحراء)	-في رحلة العودة من بلاد الزاب إلى المغرب الأقصى، يعرض علينا النميري مسلكا آخر: بلاد الزاب- بلاد الاوراس- قسنطينة- سطيف على طريق بازر- الجبل المدارك لعياض- المسيلة-تلمسان-وجدة- تازى- فاس.	

سادسا: الأطوال والأبعاد بين محطات المسالك الداخلية والخارجية لبلاد الزاب

1- الأبعاد بين المحطات والمواقف في المسالك الداخلية:

المحطات / المواقف	الطول/القياس	المصدر/المرجع
أدنة – المسيلة	مرحلة أو إثنا عشر ميلا	البكري، المسالك، ج2، ص 328؛ الحميري، الروض المعطار، ص 20.
بادس – المسيلة	أربع أميال	الادريسي، نزهة المشتاق، مج1، ص 264.
باغاي – بسكرة	أربعة أيام	البكري، المسالك، ج2، ص 229.
باغاي – دار ملول	ثلاث مراحل	المقدسي، أحسن التقاسيم، ص 247.
باغاي – دوفانة	مرحلة	صورة الأرض، ص 85؛ المقدسي، أحسن التقاسيم، ص 247.

[1] حول مدينة تازة، يراجع: الوزان، المصدر السابق، ج1، ص 354-355.



باغاي – قسنطينة	ثلاث مراحل	الادريسي، نزهة المشتاق، مج1، ص 277.
باغاي – قسنطينة	ثلاث مراحل	الادريسي، نزهة المشتاق، مج1، ص 266.
باغاي- طبنة	أربع مراحل	الادريسي، نزهة المشتاق، مج1، ص263 و 277.
بسكرة – بادس	ثلاث مراحل	الادريسي، نزهة المشتاق، مج1، ص 264.
بسكرة- تهوذا	مرحلة	صورة الأرض، ص 87.
بلزمة - قسنطينة	يومان	الادريسي، نزهة المشتاق، مج1، ص 270؛ الحميري، الروض المعطار، ص 103.
تهوذا - بادس	مرحلة	صورة الأرض، ص 87؛ البكري، المسالك، ج2، 257؛ الحميري، الروض المعطار، ص 75.
تيجيس – المسيلة	خمس مراحل	الادريسي، نزهة المشتاق، مج1، ص 292.
دار ملول – طبنة	مرحلة	صورة الأرض، ص 85؛ المقدسي، أحسن التقاسيم، ص 247؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، مج1، ص 263.
دار ملول – نقاوس	ثلاث مراحل	الادريسي، نزهة المشتاق، مج1، ص 264.
دوفانة – دار ملول	مرحلة	صورة الأرض، ص 85.
دوفانة – عين العصافير	مرحلة	المقدسي، أحسن التقاسيم، ص 247.
سطيف - المسيلة	مرحلتان	البكري، المسالك، ج2، ص 258.
سطيف – قسنطينة	أربع مراحل	الادريسي، نزهة المشتاق، مج1، ص 269؛ أبو الفداء، تقويم البلدان، ص 141.
طبنة - أدنة	مرحلتان	البكري، المسالك، ج2، ص 328.
طبنة – أدنة	مرحلتان	البكري، المسالك، ج2، ص 328؛ الحميري، الروض المعطار، ص 20.
طبنة – المسيلة	مرحلتان أو أربع وعشرون فرسخا	الادريسي، نزهة المشتاق، مج1، ص 263؛ أبو الفداء، تقويم البلدان، ص 139؛ الحميري، الروض المعطار، ص 387.
طبنة – بسكرة	مرحلتان أو مرحلة	صورة الأرض، ص 87؛ الحموي، معجم البلدان، مج1، ص 422.
طبنة – مقرة	مرحلة أو ثمانية فراسخ	صورة الأرض، ص 85؛ المقدسي، أحسن التقاسيم، ص 247؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، مج1، ص 263؛ الحموي، معجم البلدان، مج5، ص 175.
طبنة – نقاوس	مرحلتان	الادريسي، نزهة المشتاق، مج1، ص 264.
عين العصافير – دار ملول	مرحلة	المقدسي، أحسن التقاسيم، ص 247.



الغدير – قلعة بني حماد	ثمان أميال أو نصف يوم	الادريسي، نزهة المشتاق، مج1، ص 261؛ الحموي، معجم البلدان، مج4، ص 188؛ الحميري، الروض المعطار، ص 427.
الغدير – طبنة	مرحلتان	البكري، المسالك، ج2، ص 240 و 269 الحميري، الروض المعطار، ص 427.
قلعة بني حماد – دار ملول	ثلاث مراحل	الادريسي، نزهة المشتاق، مج1، ص 264.
قلعة بني حماد – ميلة	أربع مراحل	الادريسي، نزهة المشتاق، مج1، ص 265.
المسيلة – أشير	مرحلة أو مرحلتان أو ثلاث مراحل أو ثلاث أيام	صورة الأرض، ص 87؛ المقدسي، أحسن التقاسيم، ص 247؛ نزهة المشتاق، مج1، ص 254؛ الحميري، الروض المعطار، ص60.
المسيلة – سطيف	مرحلتان	البكري، المسالك، ج2، ص 258.
المسيلة – عين الكتان	مرحلة	البكري، المسالك، ج2، ص 328.
المسيلة – قسنطينة	ثمانية عشر ميلا	أبو الفداء، تقويم البلدان، ص 139.
المسيلة – قلعة بني حماد	إثنا عشر ميلا	الادريسي، نزهة المشتاق، مج1، ص 254 و 261؛ الحميري، روض المعطار، ص 558.
المسيلة – نقاوس	أربع مراحل	الادريسي، نزهة المشتاق، مج1، ص 264.
المسيلة- الغدير	ثمانية عشر ميلا	الادريسي، نزهة المشتاق، مج1، ص 261؛ الحميري، الروض المعطار، ص 427.
مقرة – المسيلة	مرحلة	صورة الأرض، ص 85؛ المقدسي، أحسن التقاسيم، ص 247؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، مج1، ص 263.
ميلة – سطيف	مرحلة	مجهول (المراكشي)، الاستبصار، ص 166.
نقاوس – بسكرة	مرحلتان	الادريسي، نزهة المشتاق، مج1، ص 264؛ عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص 287.
بسكرة – قلعة بني حماد	مرحلتان	الحموي، معجم البلدان، مج1، ص 422.

2- الأبعاد بين المحطات والمواقف في المسالك الخارجية:

أ- بلاد الزاب – إفريقية

المسلك/الطريق الخارجي		من بلاد الزاب إلى القيروان	
أطوال المحطات	بلاد الزاب- القيروان	عشر أيام	البلاذري، فتوح البلدان، ص 327.
	بلاد الزاب- القيروان	عشر مراحل	اليعقوبي، البلدان، ص 140.
المسلك/الطريق الخارجي		**من القيروان إلى تيجيس أو باغاي**	
أطوال المحطات	القيروان – الجهنيين	مرحلة	إبن حوقل، صورة الأرض، ص 84؛ الادريسي، نزهة المشتاق، مج1، ص 294-295.
	الجهنيين – سبيبه	مرحلة	
	سبيبه – مرماجنة	مرحلة	
	مرماجنة – مجانة	مرحلة	
	مجانة – تيجيس	خمس مراحل	
	تيجيس – باغاي	مرحلتان	
المسلك/الطريق الخارجي		**من القيروان إلى طبنة**	
أطوال المحطات	القيروان – قابس	خمس مراحل	المقدسي، أحسن التقاسيم، ص 247.
	قابس- قصر الإفريقي	خمس مراحل	
	قصر الإفريقي – مجانة	خمس مراحل	
	مجانة – طبنة	ست مراحل	
المسلك/الطريق الخارجي		**من القيروان إلى المسيلة على بلاد كتامة**	
أطوال المحطات	القيروان – جلولا	مرحلة	إبن حوقل، صورة الأرض، ص 87؛ الادريسي، نزهة المشتاق، مج1، ص 295-296.
	جلولا – أجر	مرحلة	
	أجر – طافجنة	مرحلة	
	طافجنة – الأربس	؟	
	الأربس – تامديت	؟	
	تامديت – المسيلة	عشر مراحل	
المسلك/الطريق الخارجي		**من القيروان إلى قلعة أبي طويل (بني حماد)[1]**	
	القيروان – أبه	ثلاثة أيام	
	أبه – الأربس	ست أميال	
	أبه – نهر ملاق	؟	
	نهر ملاق- تيفاش	؟	ابن حوقل، صورة الأرض، ص 87؛

---

[1] يذكر البكري في مسالكه طريقا ثانيا غير هذا، يربط بين القيروان وقلعة أبي طويل. يراجع: البكري، المصدر السابق، ج2، ص 227-230.



أطوال المحطات	تيفاش – قصر الإفريقي	مرحلة	البكري، المسالك، ج2، ص 231-232.
	قصر الإفريقي – تيجيس	مرحلتان	
	تيجيس– قلعة أبي طويل(بني حماد)	؟	
المسلك/الطريق الخارجي	**من قابس إلى بسكرة**		
أطوال المحطات	قابس – قفصة	ثلاث مراحل	عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص 287.
	قفصة – توزر	أربع مراحل	
	توزر – بسكرة	أربع مراحل	
المسلك/الطريق الخارجي	**من قفصة إلى بسكرة**		
	قفصة – قسطيلية	مرحلة	ابن حوقل، صورة الأرض، ص 87؛ البكري، المسالك، ج2، ص 224 و 253-257؛ مجهول(المراكشي)، الاستبصار، ص 175.
	قسطيلية – نفطة	مرحلة	
	نفطة – مدالة	مرحلة	
	مدالة – تادميت	مرحلتان	
	تادميت – بسكرة عبر بادس وتهودة	ثلاث مراحل	

ب– بلاد الزاب– بلاد المغرب الأوسط:

المسلك/الطريق الخارجي	**طبنة – هاز**		
أطوال المحطات	طبنة – المسيلة عبر مقرة أو أدنة	مرحلتان	ابن حوقل، صورة الأرض، ص 85؛ البكري، المسالك، ج2، ص 327.
	المسيلة – جوزا أو حصن موزية	مرحلة	
	جوزا – هاز	مرحلة	
المسلك/الطريق الخارجي	**قلعة بني حماد – وارجلان**		
أطوال المحطات	القلعة – وارجلان	ثلاثة عشر يوما	البكري، المسالك، ج2، ص 371.
المسلك/الطريق الخارجي	**طبنة – تيهرت أو الزاب – تيهرت**		
أطوال المحطات	طبنة – هاز	أربع مراحل	ابن حوقل، صورة الأرض، ص 86. الحسين بن محمد السعيد الورثيلاني، نزهة الانظار أو الرحلة الورثيلانية، مطبعة بيير فونتانا، الجزائر، 1908م، ص 96.
	هاز – جرتيل	مرحلة	
	جرتيل – ابن ماما	مرحلة	
	ابن ماما – تيهرت	مرحلة	



المسلك/الطريق الخارجي		المسيلة – بونة	
أطوال المحطات	المسيلة – تينجس	خمس مراحل	الادريسي، نزهة المشتاق، مج1، ص 292.
	تينجس– بونة	ثلاث مراحل	
المسلك/الطريق الخارجي		المسيلة – تنس	
أطوال المحطات	تنس – بني وازلفن	مرحلة	البكري، المسالك والممالك، ج2، ص 239-241 و 247؛ الادريسي، نزهة المشتاق، مج1، ص 252-254
	بني وازلفن– الخضراء	مرحلة	
	الخضراء– مليانة	مرحلة	
	مليانة – كزيانة	مرحلة	
	كزناية– ريغه	مرحلة	
	ريغة – ماورغة	مرحلة	
	ماورغة – أشير	مرحلتان	
	أشير – تامزكيدة	مرحلة	
	تامزكيدة – المسيلة	مرحلتان	

ت– بلاد الزاب – بلاد المغرب الأقصى

المسلك/الطريق الخارجي		بلاد الزاب – فاس عبر المسيلة	
أطوال المحطات	فاس – نمالته	مرحلة	ابن حوقل، صورة الأرض، ص 87-89؛ البكري، المسالك، ج2، ص 241.
	نمالته –كرانطه	؟	
	كرانطه– كرماطه	مرحلة	
	كرماطه – مزاوروا	مرحلة	
	مزاوروا– تابريدا	مرحلة	
	تابريدا– صاع	مرحلة	
	صاع – جراوة	مرحلة	
	جراوة– ترفانه	مرحلة	
	ترفانه – العلويين	مرحلة	
	العلويين– تنمسان	مرحلة	
	تنمسان–المسيلة عبر تاهرت وتنس	إثنان وعشرون مرحلة	

سابعا: دور المسالك في النشاط التجاري

1- حركة التجارة الداخلية:

أ- الانتاج الزراعي، الصناعي والحيواني بحواضر الزاب:

لقد تنوع وتباين الانتاج الزراعي، الصناعي والحيواني بمجالات الزاب، ويبرز هذا الاختلاف بوضوح بين المدن المشكلة له، ومن ناحية إلى أخرى، حيث اشتهرت كل ناحية بسلعة تميزها عن الناحية الأخرى، وهذا لتنوع المناخ، التربة، ووفرة المياه أو قلتها، وكثرة الحرف والحرفيين، ويمكن تلخيص تمايز الانتاج بمختلف أنواعه في كل مدينة وناحية من الزاب في الجدول الآتي:

وصف الانتاج الحاضرة	الانتاج (الزراعي- الصناعي – الحيواني)	المصدر/المرجع
نقاوس	«كثيرة العمارة والشجر والثمر». «بها جميع الفواكه كاللوز والجوز والكروم، وزرعهم غزير كثير». « نقاوس حسنة نزهة كثيرة المياه والجوز...ونقاوس الزاب بلد الجوز والثمار الجبلية». «مدينة كثيرة الانهار والثمار والمزارع ». «كثيرة الشجر والبساتين وأكثر فواكههم الجوز». «كثيرة الانهار والثمار والمزارع، كثير شجر الجوز».	اليعقوبي، البلدان، ص 140. ابن حوقل، صورة الارض، ص 91. المقدسي، أحسن التقاسيم، ص 230. البكري، المسالك، ج2، ص 228. الادريسي، نزهة المشتاق، مج1، ص 265. مجهول (المراكشي)، الاستبصار، ص 172.
بلزمة	«زروعهم تسقى بمائهم...كثرة الكراع والماشية والمعز والمنعة في غاية حسنة».	ابن حوقل، صورة الارض، ص 92.
باغاي	«أكثر غلاتهم الحنطة والشعير». -حولها ربض كبير في ثلاث أنواع، وإلى الغرب منها بساتين ونهر، ويكثر عندهم تربية الإبل، وفي زمن الشتاء، ومخافة نتاجها يظعنون بها إلى الرمال. « لها أنهار عامرة، وعيون ومزارع، ومسارح».	ابن حوقل، صورة الارض، ص 84. البكري، المسالك، ج2، ص 329. مجهول (المراكشي)، الاستبصار، ص 163.
طبنة	«كبيرة البساتين والزروع والقطن والحنطة والشعير...يزرعون الكتان وجميع الحبوب فيها غزيرة كثيرة وكانت وافرة الماشية والبقر والغنم وسائر الكراع والنعم». «لها بساتين يسيرة». «يشق مدينة طبنة جداول الماء العذب ولها بساتين كثيرة والنخل والثمار ولها نهر يشق غابتها». «مدينة الزاب وهي مدينة حسنة كثيرة المياه والبساتين والزروع والقطن والحنطة والشعير».	ابن حوقل، صورة الارض، ص 85. البكري، المسالك، ج2، ص 228. مجهول، (المراكشي)، الاستبصار، ص 172. الادريسي، نزهة المشتاق، مج1، ص 263.

المسيلة	«كروم وأجنة كثيرة تزيد في كفايتهم وحاجتهم، ولهم من السفرجل المعنق...ومن غلاتهم القطن والحنطة والشعير، وتكثر عندهم المواشي من الدواب والأنعام والبقر». «حولها بساتين كثيرة، ويجود عندهم القطن وهي كثيرة اللحم، رخيصة السعر». «عامرة في بسيط من الأرض ولها مزارع ممتدة أكثر مما يحتاج إليه ولأهلها سوائم خيل وأغنام وأبقار وجنات وعيون وفواكه وبقول ولحوم ومزارع قطن وقمح وشعير...سمك». «كثيرة النخل والبساتين تشقها جداول المياه العذبة».	ابن حوقل، صورة الارض، ص 85. البكري، المسالك، ج2، ص 239. الادريسي، نزهة المشتاق، مج1، ص 254. مجهول(المراكشي)، الاستبصار، ص 172.
مقرة	«بلد كبير ذو ثمار وأنهار ومزارع...وزيتها أطيب الزيوت». «بها مزارع وحبوب وأهلها يزرعون الكتان وهو عندهم كثير».	البكري، المسالك، ج2، ص 229 و 328. الادريسي، نزهة المشتاق، مج1، ص 263.
بسكرة	«نفزاوة وبسكرة بلدان النخيل و الأنهار؛ وكذلك بسكرة وهن بلدان التمور». «مدينة كبيرة كثيرة النخل والزيتون وأصناف الثمار...وحواليها بساتين كثيرة...فيها أجناس التمور». «لها غابة كبيرة كثيرة النخل والزيتون وجميع الثمار».	المقدسي، أحسن التقاسيم، ص 230. البكري، المسالك، ج2، ص 230. مجهول(المراكشي)، الاستبصار، ص 172.
الغدير	- مدينة عامرة بها الكثير من الفواكه والثمار، واللحم والعنب فيها كثير ورخيص. - بقربها فحص عجيسة، وهو فحص واسع، يكثر به الزرع وتربية الحيوان من ماشية وبقر.	البكري، المسالك، ج2، ص 239. مجهول(المراكشي)، الاستبصار، ص 167.
بنطيوس	«هي ثلاث مدن يقرب بعضها من بعض...وأكثر ثمارها النخل والزيتون».	البكري، المسالك، ج2، ص 254.
طولقة	«كثيرة البساتين بالزيتون والأعناب والنخيل والشجر وجميع الثمار».	البكري، المسالك، ج2، ص 254.
تهودة	«كثيرة الثمار والنخل والزرع». «كثيرة البساتين والزرع والنخل وجميع الثمار».	البكري، المسالك، ج2، ص 255. مجهول(المراكشي)، الاستبصار، ص 174.
بادس	«بسائط ومزارع جليلة يزرعون بها الشعير مرتين في العام على مياه سائحة كثيرة عندهم ». «أرباض واسعة وبسائط كثيرة ومزارع جليلة يزرعون فيها الشعير مرتين في السنة على مياه سائحة ونخل كثير وجميع الفواكه والثمار».	البكري، المسالك، ج2، ص 257. مجهول(المراكشي)، الاستبصار، ص 175.

قلعة بني حماد	«من أكبر البلاد قطرا وأكثرها خلقا وأغزرها خيرا وأوسعها أموالا وأحسنها قصورا ومساكن وأعمها فواكه وخصبا وحنطتها رخيصة ولحومها طيبة سمينة». «على نظر عظيم كثير الزرع وجميع الخيرات».	الإدريسي، نزهة المشتاق، مج1، ص 255. مجهول(المراكشي)، الاستبصار، ص 167.
دار ملول	«مدينة عامرة واسواقها قائمة ولها مزارع و غلات جمة...عيون بها جارية».	الادريسي، نزهة المشتاق، مج1، ص 264.
سطيف	« كثير المياه والشجرة المثمرة بضروب من الفواكه ومنها يحمل الجوز...وهو بالغ الطيب حسن».	الادريسي، نزهة المشتاق، مج1، ص 270.

ب- نماذج من الأسواق والمبادلات التجارية في المحطات الداخلية:

تبرز المصادر الجغرافية والرحلاتية قيام أسواق كثيرة على مستوى محطات المسالك الداخلية لبلاد الزاب، كان الهدف منها تصريف السلع، وبيعها، وبحسب جودت عبد الكريم يوسف، فهذه الأسواق برزت نتيجة "اشتهار بعض النواحي بسلعة معينة أو بعبارة أخرى وجود فائض في الانتاج، يستدعي إقامة سوق لتصرف تلك السلعة، فيقصدها الناس من قريب أو من بعيد ممن له اهتمام وحاجة إلى تلك السلعة"[1].

واشتهرت المسيلة بأسواقها الكثيرة، توفر الكثير من السلع والمنتجات، وتميزت برخص أسعارها[2]. وبقلعة بني حماد أسواق تباع بها الحنطة والشعير بأرخص الأثمان[3]. وبجوارها مدينة الغدير التي كانت بها أسواق كثيرة عامرة[4]، وعلى مرحلتين من المسيلة، المدينة الكبيرة سطيف، وبغربها أشير، فأما سطيف فهي مدينة آهلة وعامرة، واجتمع بها أسواق كثيرة، وبها الأسعار رخيصة[5]، وأما مدينة أشير زيري فقد انتشرت حولها الكثير من الأسواق[6].

ونفس الحال بميلة فقد كانت مدينة عامرة، وبها أسواق كثيرة ومتاجر[7]. وتجاورها عاصمة نوميديا القديمة قسنطينة، وبها هي الأخرى أسواق جامعة ومتاجر رابحة، وأهلها مياسير، ذوو أموال ومعاملات واسعة، ويقرب منها مرسى سكيكدة[8]. وبأرباض باغاي انتشرت الأسواق العامرة، وحولها عمرت المدينة

[1] جودت عبد الكريم يوسف، المرجع السابق، ص 134.
[2] البكري، المصدر السابق، ج2، ص 239.
[3] الادريسي، المصدر السابق، مج1، ص 255.
[4] البكري، المصدر السابق، ج2، ص 240.
[5] البكري، المصدر السابق، ج2، ص 259؛ الاستبصار، ص 166.
[6] ابن حوقل، المصدر السابق، ص 89.
[7] الاستبصار، ص 166.
[8] الاستبصار، ص 245، الادريسي، المصدر السابق، مج1، ص 265.

بفنادق وحمامات للتجار، والعابرين المستقرين، ويكتالون طعامهم بالويبة وهي أربع وستون مدا بمد النبي(ﷺ)[1].

وبطبنة الزاب أسواق كثيرة[2]، و"صنائع وتجارات وأموال لأهلها متصرفة في ضروب من التجارات"[3]. وإلى الشرق منها مدينة دار ملول، وبها أسواق قائمة، وعلى ثلاث مراحل منها مدينة نقاوس، التي بها" سوق قائمة ومعايش كثيرة"[4]. وعلى مرحلتين من نقاوس نجد حصن بسكرة عامر وبه سوق، وبمدينة السحر تهودة الكثير من الأسواق والفنادق، وعلى مرحلة منها مدينة بادس التي تتقاطع مع بلد سماطة عند قيطون بياضة، وعرفت بأسواقها[5].

لقد مثلت مختلف حواضر بلاد الزاب بأسواقها مراكز تجارية داخلية، ساهم في تطورها وازدهارها ارتباطها بشبكة من الطرق والمسالك الرئيسية والفرعية، مما مهد لتبادلات تجارية كثيرة بينها، حيث كان التجار والسلع على السواء تتردد بين هذه المسالك باتجاه الاسواق، بالأخص المنتجات الزراعية أو الصناعية التي اختصت بها حواضر ومناطق دون الأخرى. ومن هذه النماذج، نذكر ارتباط التجارة بين قلعة بني حماد ومدينة نقاوس، التي كانت وفيرة الجوز:" مدينة نقاوس: مدينة كثيرة الانهار والثمار والمزارع، كثيرة شجر الجوز، منها يحمل الجوز إلى قلعة حماد"[6]. وجرت مبادلات تجارية بين سطيف وكثير من حواضر الزاب، فمنها يحمل الجوز لكثرته بها إلى سائر الأقطار، وهذا لأن ثمنه كان رخيصا بأسواقها[7]. أما قسنطينة فقد كانت ممولا للأسواق المجاورة لها بالسمن والعسل، بل:" يتجهز بها منها إلى سائر البلاد"[8].

وكان المسلك الرابط بين قلعة بني حماد والمسيلة على امتداد إثنا عشر ميلا معبرا لمبادلات تجارية بينهما، على غرار تجارة السمك، يذكر ذلك صاحب نزهة المشتاق، فيقول:" المسيلة... عامرة بالناس والتجار وهي على نهر فيه ماء كثير...وفيه سمك صغير... لم ير في بلاد الأرض المعمورة سمك على صفته وأهل المسيلة يفتخرون به اصطيد منه الشيء الكثير فاحتمل إلى قلعة بني حماد"[9].

---

[1] ابن حوقل، المصدر السابق، ص 84؛ الاستبصار، ص 328- 329.

[2] البكري، المصدر السابق، ج2، ص228.

[3] الادريسي، المصدر السابق، مج1، ص 263.

[4] المصدر نفسه، مج1، ص 264.

[5] البكري، المصدر السابق، ج2، ص 257؛ الاستبصار، ص 175؛ الادريسي، المصدر السابق، مج1، ص 264.

[6] الاستبصار، ص 172.

[7] الادريسي، المصدر السابق، مج1، ص 269.

[8] الادريسي، المصدر السابق، مج1، ص 265.

[9] نفسه، مج1، ص 254.



2- حركة التجارة الخارجية:

لم يقتصر نشاط تجار بلاد الزاب على المجال المحلي، بل تعداه إلى باقي المدائن المجاورة، فعرفت التجارة الخارجية ازدهارا وتطورا ملحوظا، بفضل توفر مسالك خارجية كثيرة، سمحت من سير قوافل التجارة في جميع الاتجاهات، إلى بلاد افريقية، والمغرب الاقصى، وسائر مدن المغرب الأوسط، وبلاد قسطيلية ومادونها.

لقد مثل تمر الصيحاني واللباري، وغيرهما من التمور التي اشتهرت بهم قاعدة الزاب بسكرة أحد المنتجات المتداولة في التجارة الخارجية، يذكر رواج هذه التجارة على طول المسلك بين بسكرة والقيروان عبر بادس وقفصة صاحب المسالك والممالك:" بسكرة... فيها أجناس التمور، منها جنس يعرفونه بالكسبا، وهو الصيحاني، يضرب به المثل لفضله على غيره، وجنس يعرف باللباري أبيض أملس، كان عبيد الله الشيعي يأمر عماله بالمنع من بيعه والتحظير عليه وبعث ما هنالك منه إليه، وأجناس كثيرة"[1].

وحمل تمر السيماني إلى بلاد المشرق، واشتهر بمكة والمدينة المنورة وغيرها، يذكر ذلك صاحب الاستبصار:" مدينة بسكرة وهي مدينة كبيرة، وحواليها حصون كثيرة وقرى عامرة و هي قاعدتها، ولها غابة كبيرة كثيرة النخل والزيتون وجميع الثمار، ببسكرة النخل لكثرته بها...وأكثر تمرها الجنس المعروف بالكسبا وهو المعروف ببلاد المشرق وبمدينة الرسول عم وغيرها بالسيماني"[2].

ولم يكن التمر البسكري المميز المنتج الوحيد الذي راجت تجارته إلى بلاد افريقية، فعلى طول المسلك الرابط بين المسيلة والقيروان انتقلت سلع ومنتجات كثيرة، ولعل منها السفرجل الذي اشتهرت المسيلة بإنتاجه، يذكره صاحب صورة الارض، فيقول:" كروم و أجنة كثيرة تزيد على كفايتهم وحاجتهم، ولهم السفرجل المعنق ما يحمل إلى القيروان"[3]. ولأن جوزها الطيب الحسن يباع رخيصا بمدينة سطيف فإنه كان يحمل إلى سائر الأقطار[4]؛ ونفس الحال بالنسبة لنقاوس التي كان أكثر:" فواكهها الجوز ومنها يتجهز به إلى ما جاورها من الأقطار"[5].

واشتهرت مدن الزاب خاصة، وبلاد المغرب الأوسط عامة بإنتاجها الوفير من مادة الحنطة، حيث حملها تجار هذه البلاد إلى أهل زغاوة من بلاد ورجلان وغيرها[6]. وإلى بلاد السودان حمل الفواكه والتمور

---

[1] البكري، المصدر السابق، ج2، ص 230.

[2] الاستبصار، ص 173.

[3] ابن حوقل، صورة الأرض، ص 85.

[4] الادريسي، المصدر السابق، مج1، ص 269.

[5] نفسه، مج1، ص 264.

[6] جودت عبد الكريم يوسف، المرجع السابق، ص 218.

من بلاد الزاب، فليس:" في بلاد السودان شيء من الفواكه الرطبة إلا ما جلب إليها من التمر من بلاد سجلماسة أو بلاد الزاب، يجلبه إليهم أهل وارقلان الصحراء"[1].

وانتقلت الرحلات التجارية إلى بلاد السودان أو إلى إفريقية عبر طريق الصحراء انطلاقا من بلاد الزاب عبر مدينة تهودة أو بادس، هذه الأخيرة بالقرب منها محطة قيطون بياضة، وهي أول بلاد سماطة، وتعتبر مفترق الطرق الصحراوية، فمنها:" تفترق الطرق إلى بلاد السودان وإلى القيروان وإلى بلاد الجريد وطرابلس وغيرها...ومنها تخرج إلى جميع البلاد"[2].

وكانت القلعة مقصدا للتجار من العراق والحجاز ومصر والشام وسائر بلاد المغرب[3]؛ وكانت لبسكرة تجارات كثيرة مع تونس وبجاية، يذكر ذلك صاحب كتاب الجغرافيا:" بسكرة قاعدة بلاد الزاب وهي بلاد نخل وزرع ومنها تجلب أصناف الثمر إلى حاضرتي تونس وبجاية"[4].

---

[1] الادريسي، المصدر السابق، مج1، ص 20.

[2] الاستبصار، ص 175. ويقارن هذا وصف طريق الصحراء، ومعبره ومحطته قيطون بياضة ، مع ما أورده البكري في جغرافية المسالك والممالك. المصدر السابق، ج2، ص 257.

[3] البكري، المصدر السابق، ج2، ص 226؛ الحموي، المصدر السابق، مج4، ص 390.

[4] ابن سعيد، المصدر السابق، ص 126.



الفصل الرابع

التحولات الطوبونيمية لبلاد الزاب (1-9هـ/7-15م)

- دراسة في استمرار وانقطاع أسماء المواقع-

أولا- ماهية وأصناف الطوبونيميا

ثانيا- التعريب وتواصل الهوية الطوبونيمية المحلية

ثالثا- التحولات الطوبونيمية ببلاد الزاب (1-9هـ /7-15م)

رابعا- أصناف أخرى للطوبونيميا بمجالات الزاب (1-9هـ/7-15م)

الفصل الرابع

التحولات الطوبونيمية لبلاد الزاب (1-9هـ/7-15م)

– دراسة في استمرار وانقطاع أسماء المواقع–

لقد اختلفت أصول أسماء المواقع القديمة في المقاطعة البيزنطية "نوميديا" قبل الفتح الاسلامي، فمنها اللاتيني، ومنها النوميدي، ومنها اللوبي المحلي، مع أن لكل تسمية مدلولها اللغوي. مع وصول الفاتحين ستتغير هذه الوضعية الطوبونيمية بعدما طغت عملية التعريب على اللّسان، كما كان لها حضور في أسماء المواقع، فحدث أن تواصل الكثير منها مع حدوث تعريب أدى في النهاية إلى مجموعة من التحريفات على التسميات الأصلية، وسيحافظ خلالها كذلك عدد لا بأس به من الطوبونيمات المحلية (البربرية) على شكله ومنطوقه دون أن يكون للتعريب أثر فيها.

كل هذا لا ينفي بروز الكثير من تسميات المواقع الجديدة كان لمجموعة من المتغيرات دور في حضورها بمجال الزاب، على غرار القطيعة مع الماضي العرقي أو السلطوي، كما كان للجماعات الهلالية دور في صناعة تسميات مختلفة بعد سيادة كلمات قبلية من خلال الجذر "أولاد" في التنظيم المجالي للزاب. في حين كان للأفكار الصوفية دور في تجذر الولاية الصوفية في الطوبونيميا من خلال الجذر " سيدي". وعليه، سنحاول في هذا الفصل الرابع التعمق في التحولات الطوبونيمية التي طرأت على مجال الزاب خلال مراحله المتباينة من نهاية الفتح الاسلامي إلى نهاية القرن الهجري التاسع/15م، بداية بالتوطئة لهذا المجال البحثي الجديد ونقصد علم الطوبونيميا من خلال ماهيته وأصنافه، ثم تتبع مختلف التحولات الطارئة على أسماء المواقع بمجال الزاب خلال مراحل التمدد والتقلص:

أولا: ماهية وأصناف الطوبونيميا:

1- مفهوم الطوبونيما:

إن مسألة انتشار وتطور علم الطوبونيميا كانت في بداياتها حكرا على المدرسة الغربية التي اهتمت بدراسة الموقعية، على غرار المدرسة الفرنسية، التي خاض باحثوها في موضوع الطوبونيميا، على شاكلة دراسات ألبار دوزا (Albert Dauzat)، وقراءات شارل روستنغ (Charle Rostaing)، هذا الأخير يرى بأن الطوبونيميا هو العلم الذي يدرس مرجعية ومفهوم أسماء الأماكن وتطوراتها المتتالية، ويضيف بأنها تأخذ بعين الاعتبار أسماء الأماكن المأهولة، والمدن، والقرى، والأماكن المحلية، مثل تلك الموجودة في الجبال والأنهار، وهذه هي دراسة الأورونيميا والهيدرونيميا[1].

---

[1] «De la Toponymie elle envisage aussi les noms des lieux habités, ville, villages, et lieux-dits, que ceux des montagnes et des rivières, et c'est l'étude de l'oronymie et de l'hydronomie ». Charles Rostaing, *Les noms de lieux (Que Sais-je)*, Paris, presses universitaires de France, 8eme Édition, 1974, p. 5 et 7.

في حين كشف ألبار دوزا على حقيقة أساسية مفادها أن الطوبونيميا: هو علم من العلوم التي تدرس الموقعية بشتى أصنافها مثل أسماء المدن، القرى، البلدان، الأنهار، الجبال...إلخ، وأشار إلى أن الطوبونيميا أو أسماء المواقع الجغرافية تقوم في الأساس على اللسانيات أو اللغويات[1].

وأدرج أرثور بيليغرن (Arthur Pellegrin) هو الآخر الطوبونيميا ضمن العلوم، وربطها بدراسة أسماء الأماكن، وتطرق إلى ماهية الطوبونيميا، ومضامين دراساتها، في قوله:" الطوبونيميا هو البحث والوصف والشرح للمعاني التي ساعدت ولازالت تعين لتحديد جوانب الطبيعة وصلاتها بالحضور البشري، ابتداء من مصطلحات الإرشاد إلى غاية تعيين شوارع المدينة، مرورا بأسماء الينابيع والأنهار والجبال والقرى المدن والبلدان"[2].

لقد حاول الكثير من الباحثين من مختلف المدارس تقديم مفهوم تقريبي لماهية علم الطبونيميا أو الموقعية، وهذا انطلاقا من الأدوار المنوطة بها، وأهم التحولات التي طرأت على ميدان البحث التاريخي للعصر الوسيط مقرونا بالتدرج القديم للمواقع محل الدراسة. وتظهر بعض التعريفات لهذا التوجه البحثي لتاريخ المواقع، ومدلولاتها في قراءات كثيرة، من مدارس مختلفة[3].

2- أصناف الطبونيميا ومضامينها:

لا تقتصر الطوبونيميا أو الموقعية كمجال معرفي على دراسة تطور أسماء المواقع الكبرى (Macro-Toponymies)، والمواقع الصغرى (Micro-Toponymies)[4] فقط، بل هو مرتبط بمضامين معالم جغرافية متعددة منها المتعلق بالماء، ومنها المرتبط بالإنسان والحيوان، وكذلك الأعلام الدينية، وأيضا بالتضاريس، والقبائل[5]. ويمكن تلخيص المضامين الطوبونيميا في الآتي:

[1] « Bien qu'elle tente souvent géographes et historiens, la Toponymie relève avant tout de Linguistique. Pour avoir méconnu cette vérité élémentaire». Albert Dauzat, *Les noms de lieux: (Origine et évolution, Villes et villages, Pays, Cours d'eau, Montagnes)*, Lieux-dits, Bibliothèque des Chercheurs et des Curieux, Librairie Delagrave, 27eme Édition, 1963, p. 3.

[2] Arthur .Pellegrin, *Essai sur les noms des lieux D'Algérie et de Tunisie (Etymologie, Signification)*, Edition S. A. P. I, Tunis, 1949, p. 11.

[3]- محمد حسن، الجغرافيا التاريخية لإفريقية، ص 9-10؛ هشام جعيط، المرجع السابق، ص 50 و53؛ مسطاري بوكثير، "الماء والتوطين بالقرى الجبلية بالجنوب التونسي - ملاحظات وإضاءات حول قرية السند-"، مجلة الأندلس مغرب (Al-Andalus Magreb)، 19 (2012)، ص 38؛ محمد البركة، "الطوبونيميا والبحث التاريخي: محاولة في تجديد آليات البحث"، دورية كان التاريخية، 24 (2014)، ص 121.

[4] Saddek Benkada, «Quelques toponymes espagnols d'Oran et de sa région à travers le rapport de Joseph de Aramburu (1741) », *CRASC*, Oron, 2005, p. 161.

[5] مسطاري بوكثير، المرجع السابق، ص 38؛ فاطمة الزهراء نحراوي، الدراسة الإيتيمولوجية لأسماء الأماكن المأهولة (مقاربة لغوية تطورية منطقة تلمسان أنموذجا)، أطروحة دكتوراه علوم، تخصص: ثقافة شعبية- علم اللهجات-، قسم التاريخ، جامعة تلمسان، 2017/2016، ص 12-13.

- Rostaing, *op. cit*., p. 5.

أ- الأورونيم[1] Oronyme :

يختص بأسماء الأماكن التي تنطبق على التضاريس أو لها علاقة بها[2]، على غرار الجبال، الهضبات، التلال، وغيرهم[3]. المفهوم نفسه يقدمه محند تيلماتين، الذي يرى بأن الأورونيميا هي سمات الإسم الدالة على تضاريس سطح الأرض[4]. بالمقابل حاول إبراهيم عطوي تفصيل هذه الأسماء، حيث يشير إلى أن الأورونيم مرتبط بـ : الجبل، الكاف، الذراع، الرأس، الثنية، الشعبة، الكدية، الفج[5].

قراءة أخرى لماهية الأورونيميا يبرزها بيليغرن، فقد أشار إلى أنه يمثل المفردات المتعلقة بالتضاريس، فمفرد الجبل (El- Djebil/ Jbel/Djebel) يأتي في مقدمة المفردات الدالة على التضاريس، كما يوجد عناصر دالة أخرى حملت تسمية الأماكن من صنف الجبال، وتعتبر من مظاهر التضاريس على غرار: السهل، الربوة، التل، الكاف، الكدية، الرقبة...إلخ[6]. وأعطى بيليغرن الكثير من النماذج لأسماء أماكن متعلقة بالتضاريس، ومدلولها، منها: جبل السرج (Djebel es-Serdj)؛ الكاف الأزرق (Kaf el-Azreg)؛ رقبة الحانوت (Ragoubat el-Hanout)؛ ذراع الوسط (Draa el-Oust)[7].

ب-الهيدرونيم[8] Hydronyme[9]:

ينطبق على أسماء الأماكن المرتبطة بالماء (عين، بئر، المنبع، الحمام...إلخ)[10]، ويمكن إضافة بعض الأصناف الأخرى المرتبطة بالهيدرونيم مثل: الوادي، تالة، الحاسي، الداية، الفيض، العقلة، الحوض، السبخة، الشط[11]. ومن منظور بيليغرن، الهيدرونيم هي المفردات المتعلقة بالمياه، ويرى بأنها تسمية أكثر

---

[1] « Oronyme [oronym]: Nom propre attribué à un accident de relief du sol comme une montagne ou une colline ». Naftali Kadmon, « Glossaire de la Terminologie Toponymique », la Commission de toponymie de –
-l'Institut Géographique National de France et par la Commission de toponymie du Québec, Paris et Québec, Décembre 1997, p. 22.

[2] Brahim Atoui, Toponymie et espace en Algérie, Thèse de Doctorat, sous la direction de: Marc Cote, Université de Provence - Aix-Marseille I, France, 1996, p. 96.

[3] « Les Oronymes : noms de monts, montagnes, buttes etc ». Saddek Benkada, *op. cit.,* p. 163.

[4] Mohand Tilmatine, *op. cit.,* p. 101.

[5] Brahim Atoui, *op. cit.,* p. 109.

[6] Pellegrin, *op. cit.,* p. 151.

[7] *Ibid*, p. 151-154.

[8] « Hydronyme [hydronym]: Nom propre attribué à un lieu caractérisé par la présence permanente ou temporaire d'eau ». Naftali Kadmon, *op. cit.,* p. 15.

[9] « Les hydronymes : noms de cours d'eau, sources, fontaines, lacs etc ». Benkada, *op. cit.,* p. 162.

[10] فاطمة الزهراء نجراوي، المرجع السابق، ص 14.

[11] Brahim Atoui, *op. cit.,* p. 85-93 ; Mohand Tilmatine, *op. cit.,* p. 112.

انتشارا من الأورونيم، بالأخص في المناطق الجافة أو القاحلة، حيث تمثل المياه القيمة الحيوية للمنطقة[1]. كما أشار إلى وجود تسميات كثيرة متعلقة بالهيدرونيم، ذكر منها: الما (Ma)، الوادي (Oued)، العين (Aïn)، العنصر (Ancer)، البئر (Bïr)، الحاسي (Hasi)، العقلة (Ogla/Oglet)[2].

ت- الإثنونيم Ethnonyme[3]:

أسماء الأماكن التي حملت تسمية شخصية[4]، أو قبيلة[5] (Ethnique)، أو عشيرة (Clan)، أو عضو من هذه المجموعة[6]. وقد أشار علاوة عمارة إلى بعض النماذج والأصناف لهذا النوع من أسماء الأماكن على غرار: أولاد، وطن، أحياء، هذه الكلمات التي أصبحت سائدة نتيجة انتشار لغة السيف والغلبة عقب التوطين الهلالي لمجالات الزاب تحديدا، مما أدى إلى تجذر الطوبونيمات القبلية في عدد من المناطق[7]. بالإضافة إلى هذه النماذج، هناك نماذج أخرى، ومنها: بو (Bou)، بن (Ben)، بني (Beni)، أهل (Ahl)، آيت (Ait)[8] .

ث- الهومونيم Homonyme:

اثنان أو أكثر من أسماء الأماكن المماثلة ينسب إلى كيانات جغرافية مختلفة[9]. ونجد لهذا الصنف حضور بمجالات الزاب، فعلى سبيل المثال (بادس)[10]، (طبنة)[11]، (جميلى/مليلى)[12]، وحول هذه الأخيرة يقدم لنا محمد حسن موقعين للطوبونيم: مليلى المشتق من بطن قبيلة، فيقول:" فمليلة وهي بطن من هوارة أعطت اسمها لمدينة بالمغرب الأقصى، وأخرى، وهي مليلى، بالزاب"[13].

---

[1] Pellegrin, *op. cit.*, p. 159.

[2] *Ibid*, p. 159-162.

[3] « Ethnonyme: Nom de personne ou de groupe humain utilisé dans la dénomination des lieux ». Naftali Kadmon, *Ibid*, p. 13.

[4] ويصنف كذلك هذا النوع ضمن الإيبونيم Éponyme، وجاء تعريفه من قبل لجنة الطوبونيميا لفرنسا وكيباك :
« Éponyme [eponym]: En toponymie, nom de personne dont est tiré, en tout ou en partie, un nom de lieu »

[5] محمد حسن، الجغرافية التاريخية لإفريقية، ص 11.

[6] Mohand Tilmatine, *op. cit.,* p. 112 ; Brahim Atoui, *op. cit.*, p. 116.

[7] علاوة عمارة، " التحولات المجالية والطبونيمية"، ص 20-21.

[8] Brahim Atoui, *Ibidem*, p. 117-121.

[9] « Homonyme [homonym] Deux ou plusieurs noms de lieux… ». Naftali Kadmon, *op. cit.*, p. 15.

[10] أبو الفدا، المصدر السابق، ص 55 و 66 و 123.

[11] محمد حسن، الجغرافيا التاريخية لإفريقية، ص 103.

[12] ابن سعيد المغربي، المصدر السابق، 139-140؛ خديجة ساعد، المرجع السابق، ج1، ص94.

[13] محمد حسن، الجغرافيا التاريخية لإفريقية، ص 12.

ج- الهجيونيم Hagionyme :

يعرفه كريستيان بونلي (Christian Bonnelly) بأنه الصنف الذي يشمل كل التسميات المتعلقة بالأسماء المقدسة، والتي تستخدم للدلالة على إسم المكان[1]. ويعرفها ميشال بريزياك (Michel Priziac): "بشكل عام، تنتج الهجيونيميا أسماء الأماكن ولكن من وقت لآخر، تأخذ شخصية معترف بها بإسم "قديس" في البيئة المحلية بإسمها في المكان الذي يتم تبجيله فيه"[2]. ويقابل هذه الأسماء المقدسة ببلاد الزاب أسماء المتصوفة، المرابطون، العلماء، الفقهاء، وغيرهم، ممن أنتجه اندماج الجماعات العربية الهلالية في المنظومة الصوفية[3]، مما أدى في النهاية:"إلى حدوث نوع من المثاقفة ساهمت في تشكل هوية زابية محلية"[4]. كما مهدت الأفكار الصوفية في"ربط تدريجي للمنطقة بالشبكات الصوفية، خصوصا من دعوة سعادة الثورية مما نتج عنه تجذر الولاية الصوفية في عدد من الطوبونيمات كسيدي خالد أو سيدي ناجي أو حتى سيدي عقبة"[5].

وقد ربط محمد حسن انتشار هذا النوع من التسميات ببروز الزوايا في المجالات الريفية والحضرية، وما كان لها من أهداف علمية، واجتماعية، وحتى أمنية، يذكر هذا فيقول:" برزت الزوايا في بوادي إفريقية وقراها ومدنها، على حد سواء، بسبب وظائفها المتعددة...ولم تكن القرى التي حملت إسم ولي سوى زوايا ريفية في الأصل"[6].

والظاهر أن النموذج الذي ينطبق على هذا التوجه ببلاد الزاب خلال النصف الأول من القرن الهجري الثامن/14م، هو نموذج زاوية المرابط السني سعادة الرحماني بنواحي طولقة، والتي أنشأت حوالي 703هـ/1303م، ومثلت نموذجا لصنف الطوبونيميا- الهجيونيم- بارتباط اسم الطوبونيميا بولي/مرابط سني، فأصبح المعلم الجغرافي ينطق: (زاوية سعادة الرياحي)، ليورثها لأبنائه وحفدته من بعده[7].

---

[1] Christian Bonnelly, Jean-Marc Nicole et Judith Roy, « Le processus de formation et d'évolution des hagionymes. Exemples tirés de trois inventaires choronymiques dans l'Est du Québec », Cahiers de géographie du Québec, Département de géographie de l'Université Laval, vol. 16, 37 (1972), p. 99.

[2] Michel Priziac, Bretagne des saints et des croyances, Kidour, 2002. p. 521.

[3] الطاهر بونابي، "ظاهرة الاندماج الهلالي في المنظومة الصوفية بالمغرب الأوسط خلال القرن 8هـ/14م"، مجلة الآداب والعلوم الانسانية، جامعة الامير عبد القادر للعلوم الاسلامية، قسنطينة-الجزائر، 12 (2011)، ص 141- 170.

[4] علاوة عمارة، " التحولات المجالية والطبونيمية"، ص 20.

[5] علاوة عمارة، " الهجرة الهلالية وأثرها"، ص 86.

[6] محمد حسن، المدينة والبادية بإفريقية، ج1، ص 63.

[7] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 51؛ الطاهر بونابي، "ظاهرة الاندماج الهلالي"، ص 158.

ثانيا: التعريب وتواصل الهوية الطوبونيمية المحلية:

1- حركة التعريب والطوبونيميا:

إن مسألة التعريب التي واكبت عمليات الفتح وارتبطت جنبا إلى جنب مع حركة الأسلمة، والتي كان معناها: " انتشار اللغة العربية كلغة للحديث والمخاطبة والكتابة"[1]، واقتضى الأمر بحسب محمد علي الأحمد إلى أن:" يتعلم هؤلاء الأقوام اللغة العربية، فهي لغة القرآن قراءة وكتابة، كما أنها لغة الحضارة والتعامل، ولذلك كانت حركة التعريب ملازمة لانتشار الإسلام في بلاد المغرب"[2]. هذا الارتباط بين التعريب والأسلمة أكده سالم شاكر، نتيجة إلى أن العربية هي:" لغة التقديس، لغة الإله، ولكن أيضا لغة المعرفة المكتوبة والشرعية، لغة السلطة والمدينة"[3].

لقد مست حركة التعريب مختلف الأسماء، وبشكل كبير عنصرين: البشري ممثل في جماعة البربر، الروم، والأفارقة، وهذا في محاولة لربطهم بشبكة الأسلمة من خلال تفريغ الموروث الثقافي في شقه اللغوي، والذي كان سائدا في الوسط المحلي المغربي خلال المرحلة الأولى من الفتوحات[4]. والثاني: الطوبونيميا أو الأعلام الجغرافية بشتى أصنافها، بغض النظر عن التحريفات المختلفة في تعريب الكثير من الطوبونيمات ببلاد الزاب، من أصلها الفينيقي أو النوميدي أو اللاتيني، ومن النماذج التي يذكرها علاوة عمارة:" طوبونيم بنطيوس المعرب عن اللاتينية"[5]؛ "طولقة، وفرفار، وليشانة، وكل هذه الأسماء ذات الأصول النوميدية تحولت إلى اللاتينية ثم إلى العربية بتحريفات مختلفة"[6].

هذا التوجه نجده مقترنا بقراءات محمد حسن، حين أشار إلى وجود عمليات تعريب لأسماء ذات مرجعيات مختلفة، مؤكدا على تواصل طوبونيمي عبر الزمان والمكان، ويختصر قراءته في قوله:" تأتي أسماء المواقع شاهدا على التواصل الطوبونومي ببلاد المغرب عبر الزمان والمكان، ذلك أن عددا كبيرا من هذه الأسماء المعربة مشتق من أصول قديمة لوبية-بربرية أو فينيقية أو إغريقية-لاتينية"[7].

---

[1] محمود حسن أحمد، الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا، دار النهضة العربية، مصر- القاهرة، 1963، ج1، ص 34.

[2] مراحل الفتح الإسلامي في بلاد المغرب العربي (دراسة لجهود الفاتحين في نشر الإسلام والتعريب"، الاكاديميون للنشر والتوزيع، الاردن-عمان، 2014، ص 330.

[3] « Langue du Sacré, langue de Dieu, mais aussi langue de l'Écrit et du Savoir légitime, langue du Pouvoir et de la Ville ». Salah Chaker, « Arabisation », *Encyclopédie berbère*, 6 (1989), p. 835.

[4] Allaoua Amara, « l'islamisation du Maghreb Central (VII^{e}-XI^{e} Siècle) » : *Islamisation et arabisation de l'Occident musulman médiéval*, éd. Dominique Valérian, publications de la Sorbonne, Paris, 2011, p.129.

[5] علاوة عمارة، " الهجرة الهلالية وأثرها"، ص 79.

[6] علاوة عمارة، " التحولات المجالية والطوبونيمية"، ص 16.

[7] محمد حسن، الجغرافيا التاريخية لإفريقية، ص 10.

إن المفهوم الذي راج من خلال بعض الدراسات الكلاسيكية-الغربية تحديدا، حول عمليات التعريب التي ارتبطت بشكل كبير مع عملية الأسلمة، قد نقلها لنا علاوة عمارة عن جورج مارسي من خلال مقولته الشهيرة: " أن الأسلمة كانت أسرع من التعريب"[1]، مع تأكيده على أن هذه الحركة مثلت تطورا كان من المفترض أن يؤدي إلى طمس اللغة اللاتينية[2]. هذه النتيجة لم تكن حتمية في جل مجالات الزاب وبلاد المغرب الأوسط أجمع، لأن الجماعات غير المحلية، ونقصد هنا الروم والأفارقة[3]، قد بقيت محافظة على موروثها الثقافي سواء اللغوي أو الديني[4]، فقد بقي بعض المسيحيين واليهود على ديانتهم[5]. وهو ما يرجح بحسب رأيي عدم شمولية حركة التعريب في بداياتها ببلاد الزاب وغيرها من المجالات الأخرى.

هذا الطرح نجده بشكل واضح في قراءات هشام جعيط، وهذا حين يؤكد استمرارية استقرار جماعات من الأفارقة في الجنوب بين طرابلس وقابس، ببلاد الجريد، كما كانوا منتشرين في السهول الشمالية التونسية، وبالزاب: "والبقاء مخلصين لمعتقداتهم المسيحية بقدر اللغة اللاتينية"[6]. عمليات التعريب في نظر هشام جعيط لم تمس الجماعات فقط، بل تعدته إلى الإدارة[7]، والعملة[8]، ثم تم التحول إلى المشهد الجغرافي، أين تم اللجوء إلى إجراء تغييرات جذرية على الطوبونوميا بـ:" تعريب أسماء المدن والأقاليم/النواحي" [9].

---

[1] علاوة عمارة، "موقع تلمسان"، ص 10.

[2] « C'est surtout en effet l'évolution religieuse qui devait être fatale au latin : l'arabisation est inséparables de l'islamisation. De même que le latin et le christianisme avaient partie liée dans cette Eglise d'Afrique ». Georges Marçais, *La Berberie musulmane et l'orient au moyen age*. Paris, - Aubier, éd. Montaigne, 1946, p. 42.

[3] جاء ذكر هاتين الفئتين من مجموع التركيبة الإثنية لبلاد الزاب. يراجع: أبو العرب، كتاب المحن، ص 291؛ الرقيق، المصدر السابق، ص 12؛ المالكي، المصدر السابق، ص 37؛ اليعقوبي، المصدر السابق، ص 140.

[4] يلاحظ أن استمرار حضور الثقافة اللاتينية والديانة المسيحية كان منذ تراجع النفوذ البيزنطي من المقاطعات التي كانت تحت سيطرتها، ومنها جنوب مقاطعة نوميديا أو المجال الزابي القديم. يراجع: علاوة عمارة، "أبو المهاجر دينار بين الروايات العربية والقراءات الغربية صور وأبعاد"، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، 11 (2010)، ص 32.

[5] علاوة عمارة، "موقع تلمسان"، ص 10.

[6] Djait, « L'Afrique Arabe au VIII^{e} siècle», *op. cit.,* p. 613.

[7] « Déjà le calife 'Abd el-Malik (685-705) s'était efforcé d'arabiser l'administration, d'imposer l'usage de l'arabe pour tous écrits officiels : mais le pieux 'Omar (717-720) apporta à cette réforme toute l'ardeur de sa conviction et son action fut particulièrement efficace ». Georges Marçais, *op. cit.,* p. 42.

[8] Djait, *op. cit.,* p. 605.

[9] *Ibid*, p. 615.

وفي دراسته[1] ذات الطابع العنصري، نجد إميل فليكس غوتييه يتوج نفس نتائج مارسي، وهذا حين أكد بأن عملية التعريب كانت أقل حركية مقارنة بالأسلمة[2]. هذه النظرة أكدت مرة أخرى على التحامل الاستعماري تجاه الفتوحات الإسلامية ببلاد المغرب، والتي كان لها صدى واسع النقاش بين مختلف أطياف المدرسة الغربية من منظور انتهاكها وتحطيمها للإرث الرومان-بيزنطي المكتسب قديما[3]، ووصفها غوتييه بـ"التاريخ المظلم"، مؤكدا بالمقابل على عدم قدرتهما على مسح الماضي اللاتيني والفينيقي للبربر[4].

وهنا يظهر التمايز والتباين بين حركتي التعريب والأسلمة، فبحسب العربي العقون:" ينبغي التمييز بين نشر الإسلام وفرض العروبة، والواقع أن الأول كان بوتيرة أسرع من الثاني، فقد أصبحت بلاد البربر مسلمة في أقل من قرنين (السابع والثامن) في حين أنها لم تستعرب نهائيا إلى اليوم على امتداد 14 قرنا، بعد القرن الأول الذي شهد حملات الفتح العربي"[5].

إن هذه النتائج تبقى مبهمة وغير أكيدة، وبالأخص في الشق المتعلق باستمرارية عمليات التعريب وعدم توقفها، فيقدم لنا محمود إسماعيل، الذي ناقش أحد نماذج الإمارة ممثلة في "الأدارسة"، قراءة جديدة فيما يخص نشر اللغة العربية، ودمجها بين الجماعات المحلية، فيرى بتعثر" حركة التعريب-على خلاف ماذهب إليه الدارسين- نتيجة مفاسد الإدارة الأموية ....، وجنوح بعض القبائل إلى معارضة العروبة كقبيلة أوربة التي عانت من سياسة التعصب العربي إبان الفتح وبعده"[6].

لقد أدت الفتوحات الإسلامية إلى حدوث نوع من المثاقفة بين اللغة العربية وطبقات الطوبونيميا المحلية (البربرية) الشاسعة، والمقصود هنا أصنافها، وبحسب عبد الفتاح النيسبوري، فإن هذه الكتلة من الطوبونيميا قد تحولت تدريجيا إلى العربية[7]. مما أدى بحسب رأيي إلى تشكل هوية طوبونيمية زابية-معربة.

---

[1] *L'Islamisation de L'Afrique du Nord : Les siècles obscurs du Maghreb* (Avec 12 illustrations hors texte et 16 figures dans le texte), Paris, Bibliothèque Historique, Bayot, 1927.

[2] علاوة عمارة، "موقع تلمسان"، ص 10.

[3] علاوة عمارة، "الهجرة الهلالية وإشكالية انحطاط حضارة المغرب الإسلامي الوسيط: قراءة في نقاش تاريخي"، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، 04 (2004)، ص 41.

[4] علاوة عمارة، "موقع تلمسان"، ص 10.

[5] محمد العربي عقون، الأمازيغ عبر التاريخ، ص 45.

[6] الأدارسة (172-375): حقائق جديدة، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1411هـ/1991م، ص 44.

[7] « En arrivant au Maghreb, les Arabes ont rencontré les couches toponymiques qui viennent d'être rappelées et, naturellement, un vaste fond berbère». Abdelffatah Nissabouri, «Toponymes maghrébins», *Cahiers de sociolinguistique*, 11 (2006/1), p. 125.

ويذكر صاحب نزهة المشتاق، أن الجماعات العربية التي استقرت إلى جوار الجماعات المحلية (البربر)، قد بدأت تقطع حاجز اللغة الذي يفصل بينهما، وهذا من خلال العلاقات التي نشأت بينهم، حتى انتشر اللسان العربي في الوسط المحلي الذي سيعرف لاحقا باسم البربر، يقول:" وذلك أن قبائل العرب نزلت على قبائل البربر فنقلوهم إلى لسانهم بطول المجاورة لهم حتى صاروا جنسا واحدا"[1].

لكن هل هذه النتيجة يمكن تعميمها على جل الجماعات المحلية؟

وكيف نفسر استمرار اللغة البربرية بمختلف فروعها (شاوية- قبائلية-تارغية..)؟

إنه، وبالرغم من هذا الاندماج الذي حدث خلال بدايات وصول عمليات التعريب لبلاد الزاب، وحتى في مختلف مجالات المغرب الإسلامي، إلا أننا نلاحظ تواصلا في الموروث الثقافي البربري في شقه اللغوي لفترات تجاوزت القرون الهجرية الخمسة الأولى حتى خارج مجالات الزاب، ومن بين الحجج على ذلك اتخاذ الأئمة الرستميين بمجالسهم من كان له علم بلغة البربر، ويسمونه ترجمانا[2]. كما يورد الدرجيني في طبقاته رواية أخرى لتواصل اللسان البربري خلال القرن الهجري الخامس/11م، على أيام المعز بن باديس بن منصور بن بُلُكين بن زيري بن مناد الصنهاجي[3].

وكان بمجالس الاباضية من يفسر الكلام بلغة البربر، حتى يفهمها غير العرب، وفي هذا يقول الدرجيني:" كان رجل عزّابي يقرأ آثار الربيع عن ضمام عن جابر رواية عبدالله بن صفرة، قلت وكنت أفسر بلسان البربرية ما يقرأه القارئ، فكنت كلما قرأ سند أثر من أثاره تجاوزت السند فلم أتكلم عليه وتركته إلى أن يصل الحديث، أو الأثر، فأتكلم عليه"[4].

بالإضافة إلى هذا، ما أورده صاحب الأنيس المطرب، بأن فقهاء الموحدين كانوا يتقنون اللغة البربرية، في صورة الفقيه أبي الحسن بن عطية[5]. ولما كان الفقيه الجوراوي، قليل التمكن من اللغة البربرية، فقد تصدى للإمامة، وأوكل الخطبة لمن له باع في اللغة البربرية[6]. مما يؤكد بحسب رأينا تواصل حفاظ الجماعات المحلية (البربر) على موروثهم اللغوي مازجين إياه باللغة العربية.

لكن هل أدى التعريب إلى اختفاء وطمس تام لمعالم الطوبونيما المحلية (البربرية)؟

وهل برز هذا الاختفاء في كل بلاد المغرب؟

---

[1] الإدريسي، المصدر السابق، مج1، ص 223.

[2] الدرجيني، المصدر السابق، ج2، ص 352.

[3] نفسه، ج2، ص 364 و 486.

[4] الدرجيني، المصدر السابق، ج2، ص 416.

[5] ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 42.

[6] ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 42؛ اميل فيليكس غوتيي، ماضي شمال إفريقيا، المرجع السابق، ص 39.

2- الطوبونيميا المحلية: شاهد على تواصل الموروث القديم

تتعدد النصوص التي تشير إلى احتفاظ مجالات الزاب [التي تمتد في الفترة الإسلامية الأولى من تبسة إلى غرب المسيلة أو المحمدية عند هاز/ أزية (*Auzia*)[1]، كما تمتد مجالات الزاب من سطيف - كتامة[2] إلى الجنوب الأوراسي عند بادس]، وغيرها من مجالات إفريقية، بلاد المغرب الأوسط، والمغرب الأقصى، بالعديد من الطوبونيمات ذات الأصول القديمة، دون أن يكون لذلك التواصل الطوبونيمي تفسير محدد، وهذا بالرغم من أن عملية التعريب قد مست الطوبونيمات، الإثنونيمات، وحتى الانثروبونيمات. لقد تم رصد العديد من الطبونيمات المحلية باختلاف دلالاتها، على طول هذا المجال الواسع:

أ- تاقربست:

ورد الموقع تحت إسم تاقربست، جاء ذكره عند صاحب نزهة المشتاق رابطا إياه بموقع القلعة وسورها، يذكر ذلك في قوله:" القلعة من أكبر البلاد قطرا...وهي في سند جبل سامي العلو صعب الارتقاء وقد استدار سورها بجميع الجبل ويسمى تاقربست وأعلى هذا الجبل متصل ببسيط من الأرض ومنه ملكت القلعة"[3].

كما جاء ذكر الموقع بشكل تركيبي آخر في نصوص ابن حماد الصنهاجي، رابطا الطوبونيم بحملات الجيش الفاطمي بقيادة إسماعيل المنصور بن أبي القاسم ضد الثائر أبي يزيد النكاري أيام تحصنه بالجبل وقلعته، فيقول:" وارتفع أبو يزيد ودخل قلعة كياتة وهي تاقربوست المطلة على قلعة حماد"[4].

- نلاحظ اختلافا بسيطا في إسم الموقع بين الروايتين، ولا يعدو التباين في حرف (الواو) المصحف في رواية صاحب نزهة المشتاق، وعليه يمكن تأكيد أن الطوبونيمين يمثلان موقعا واحدا هو جبل بأعالي المعاضيد تقع به قلعة كياتة أو كيانة. الموقع كانت له مكانة تاريخية هامة خلال العهدين: الفاطمي حيث مثلت مستقرا ودرعا للجماعات النكارية بقيادة صاحب الحمار من الجماعات الإسماعيلية[5]، ثم الحمادي أين شيدت بهذا الجبل العظيم قلعة ومدينة أبي طويل=الحمادية، وباقي قصورهم[6].

---

[1] علاوة عمارة، "بين جبل أوراس والواحات"، ترجمة: عبد القادر مباركية، ص 248.

[2] موسى لقبال، دور كتامة، ص 151.

[3] الإدريسي، المصدر السابق، مج1، ص 255.

[4] ابن حماد الصنهاجي، المصدر السابق، ص 72. وذكرت في تاريخ ابن خلدون بشكلين تركيبيين متباينين: تافربوست، تاقريوست في النسخة التونسية، في حين أوردها صاحب كتاب قبائل المغرب بالشكل تغريست.

[5] الداعي ادريس، المصدر السابق، ص 411 و 416.

[6] الاستبصار، ص 167-168.

التصنيف الطوبونيمي:

يندرج طوبونيم تاقربست أو تاقربوست ضمن الأورونيم لارتباطه بالتضاريس النوع :"جبل".

Toponyme arab : Djebel الطوبونيم المعرب: جبل[1]	*Toponyme Berbère : Adrar* الطوبونيم البربري: أدرار

تحديد الموقع:

بحسب المصادر الاسماعيلية والجغرافية، فجبل تاقرباست أو تاقربوست يطل على قلعة بني حماد، حيث يستدير جدار القلعة الحمادية بكامل الجبل، وعليه فهو يتموقع ضمن مجالات الحضنة، ويرى محققوا كتاب المجالس والمسايرات بأن كيانة[2]/كياتة (أخطاء النساخ) = تاقربست توجد بنواحي المعاضيد شمالي شط الحضنة ومدينة المسيلة[3]، وموقع المعاضيد الحالي هو الذي يحتوي بقايا القلعة الحمادية، وهو جبل سامي العلو، صعب الارتقاء. وقد أشار الغبريني إلى أن جبل تاقربست هو موضع قلعة بني حماد بين أكم و واقران، والتي تشبه في التحصن بقلعة أنطاكية[4].

أصل ومرجعية الطوبونيم:

المدلول اللغوي للتسمية في اللهجة أو اللسان الشاوي تعني أعلى المكان أي قمة الربوة مثل الكدية باللسان الدارج، كما أن مدلول قربوس في اللهجتين العربية[5] والأمازيغية مرتبط بسرج الحصان[6]. وقد يقارب معنى أكرباس أو ئكرباسن والتي وردت في المعجم الأمازيغي العربي وتعني الجُبَّة[7].

أما بخصوص أصله ومرجعه: فيرى محقق كتاب أخبار ملوك بني عبيد وسيرهم إلى أن تاقربوست هو إسم

---

[1] Jean Dresh, « Toponymie nord-africaine », *L'information géographique*, 15-1 (1951), p. 9.

[2] العزيزي الجوذري، المصدر السابق، ص 48؛ الداعي ادريس، المصدر السابق، ص 411. وجاء في كتاب الدولة الصنهاجية للهادي روجي إدريس، أن جبل كيانة يمثل الجزء الغربي من جبال المعاضيد الحالية. المرجع السابق، ج1، ص 55 (الهامش).

[3] القاضي النعمان، المجالس والمسايرات، تحقيق: محمد اليعلاوي، الحبيب الفقي، إبراهيم شبّوح، دار المنتظر، بيروت، 1996، ص 492.

[4] الغبريني، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق: عادل نويهض، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1979، ص 65 (الهامش).

[5] قربوس: السرج – حنوه، أي القسم الأمامي المرتفع. الرقيق، المصدر السابق، ص 29-30؛ المقريزي، المقفى الكبير، تحقيق: محمد اليعلاوي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1411هـ/1991م، ج2، ص 135 (الهامش). ورد في معجم المعاني الجامع: القَرَبوسُ : حِنْوُ السَّرْجِ، الجمع : قَرابِيسُ. قال الجوهري : القَرَبوس للسَّرْج ولا يخفَّف إلا في الشعر.

[6] تاقربست: كلمة بربرية تعني السرج. الطاهر طويل، المدينة الاسلامية وتطورها، ص 282 (الهامش).

[7] محمد شفيق، المعجم العربي الأمازيغي، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 1996م، ج1، ص 209.

بربري[1]، كما أن الخصائص الصوتية والتركيبية للطوبونيم ترجح بأنه محلي بربري الأصل، من جنس المؤنث لابتدائه بحرف "التاء"[2].

ب- أوسجيت:

ذكر الطوبونيم بإسم موحد في الروايتين الواردتين في كتابي صورة الأرض، وأخبار ملوك بني عبيد، فيورده ابن حوقل خلال عرضه للطريق من القيروان إلى المسيلة عبر بلاد كتامة:"ومنها إلى أوسجيت مرحلة، وهي قرية فيها بعض حوانيت لبربر كتامة، ولها مياه كثيرة يزرعون عليها، ومنها إلى المسيلة مرحلة خفيفة"[3].

ويشير ابن حماد الصنهاجي إلى الموقع في شكله الطوبونيمي" أوسجيت"، وهذا في معرض حديثه عن مختلف المواقع التي احتضنت صاحب الحمار النكاري في حركته الثورية-المذهبية ضد الجماعات الإسماعيلية، ومنها موقع أوسجيت، فيقول:" أوسجيت وهي بسفح جبل القلعة وهي من جهة الشمال مما يلي بلاد عجيسة"[4].

في المقابل، يظهر الشكل المحرف للطوبونيم عند صاحب نزهة المشتاق الموقع تحت إسم "أوسحنت"، فيقول:" ومنها إلى أوسحنت مرحلة وهي قرية للبربر وبها مياه جارية ومزارع حنطة وشعير، ومنها إلى المسيلة أقل من مرحلة".

- وبحسب رأينا، فهذه التسمية الأخيرة لا تعدو أن تكون تصحيفا للحرفين: الجيم والياء في الاسم الأول أوسجيت، ونرجح بشكل كبير أن يكون هذا الاختلاف مرده النسخ. كما نستبعد أن تكون التسميتان للدلالة على موقعين مختلفين تماما، لأن كل المؤشرات الجغرافية في المصادر الثلاثة تؤكد على أن الموقع واحد. وعليه فإسم الموقع يكون قد ورد بشكل صحيح تقريبا في كل رواية، وهو يطابق طوبونيم "أوسجيت".

التصنيف الطوبونيمي:

---

[1] ابن حماد الصنهاجي، المصدر السابق، ص 72 (الهامش).

[2] قاعدة عامة للاسم المؤنث: كل اسم يوضع بين تائين أي أوله " تاء" -"T" وآخره " تاء" -"T" فهو إسم مؤنث في البربرية. وهناك استثناء يكون فيه الاسم المؤنث من غير إسم المذكر. عثمان سعدي، معجم الجذور العربية للكلمات الامازيغية «البربرية»، منشورات مجمع اللغة العربية، طرابلس، 2007، ص 10.

[3] ابن حوقل، المصدر السابق، ص 77.

[4] ابن حماد الصنهاجي، المصدر السابق، ص 73.

يمكن إدراج الطوبونيم "أوسجيت" ضمن الميكرو طوبونيم لارتباطه بنوع من المواقع الجانبية أو الريفية المعمورة "القرية"[1].

Toponyme arabe : *Qarya* الطوبونيم المعرب: قرية	*Toponyme Berbère : Thagram/Aghram*[2] الطوبونيم البربري: تاغرام/ أغرام

بالمقابل، يظهر معنى آخر للفظة الفرنسية "Village" كما يوردها جين دراسك، فهي تطابق كذلك اللفظة البربرية "Taddert"، والتي تعني في المجالات الريفية الدشرة "Dechera"[3].

تحديد الموقع:

تتموقع أوسجيت ضمن مجالات كتامة البربرية، وبحسب صاحب صورة الأرض فهي تبعد عن المسيلة بمرحلة واحدة[4]، كما يضعها صاحب نزهة المشتاق ضمن محطات الطريق بين القيروان والمسيلة، ولا تبعد عن هذه الأخير إلا بمرحلة أو أقل[5]، ويذكر صاحب أخبار ملوك بني عبيد بأنها تقع إلى الشمال من جبل المعاضيد أو جبل قلعة بني حماد[6].

أصل ومرجعية الطوبونيم:

الخصائص الصوتية والتركيبية تشير إلى أن الطوبونيم من أصل بربري، ومن جنس المذكر لابتدائه بحرف "الألف"، الذي يشير في الغالب في اللغة البربرية إلى المذكر[7]. وقد ذكر صاحب كتاب الدولة الصنهاجية أن الاسم القديم لأوسجيت هو "إيكيزبينو"[8].

---

[1] حول مفهوم القرية، ونماذج خلال العصر الوسيط، يراجع:

Mohamed Meouak, « Le Hodna occidental entre régions méditerranéennes et plaines désertiques : organisation des terroirs, communautés rurales et productions agricoles au Moyen Âge », *Revue des mondes musulmans et de la Méditerranée*, 126, 2009, p. 123.

[2] القَّرية، القِرية، المِصْرُ = ثغرم، أغرم /ج/ ثغرمان (ر.ف). – القارِي، القَرَويُّ، ساكن القرية، في معناه العربي الأصلي= أنوغرم /ج/ ئنوغرام. محمد شفيق، المرجع السابق، ج2، ص 305.

[3] Dresch, *op. cit.,* p. 10.

[4] ابن حوقل، المصدر السابق، ص 87.

[5] الادريسي، المصدر السابق، مج2، ص 296.

[6] ابن حماد الصنهاجي، المصدر السابق، ص 73. ويراجع قراءة كومبيزا حول الموقع أوسجيت:

-Awsadjit :*Ibid*, vol.1, p. 204.

[7] قاعدة عامة للاسم المذكر: كل إسم يبتدئ صوته غالباً بـ أ (A) فهو إسم مذكر، كما يمكن أن يكون اسما مذكرا إذا ابتدئ بإحدى الانظمة الصوتية: أ، ؤ، ئ (a, u, i) [همزة : مفتوحة – أَ-، مكسورة – إِ-، مضمومة – أُ-]. عثمان سعدي، المرجع السابق، ص 10.

[8] الهادي روجي إدريس، المرجع السابق، ج2، ص 86.

ت- مادغِس - مادغوس:

يظهر تباين في رسم الطوبونيم في المصادر، مادغِس عند ابن حزم، ومادغوس لدى البكري، وأخيرا مادغيس في تاريخ ابن خلدون. لكن السؤال الذي يطرح هو: لماذا يغيب اسم هذا المعلم الجغرافي في مصادر القرون الثلاثة الأولى للهجرة، وهذا إذا ما اعتبرنا تم ذكره خلال القرن الهجري الرابع في النصوص المنسوخة عن الوراق؟

من الواضح أن الشكل الأول (مادغِس) والأخير (مادغيس) هو واحد، ولا يعدو الاختلاف إلا في المد الحاصل في تاريخ ابن خلدون، حيث نرجح أنه تم استبدال الكسرة بمدها إلى ياء. وعليه فالاسم الثاني هو تصحيف واضح لحرف (الياء) في الاسم الوارد في النص الأقدم لصاحب الجمهرة. وهي نفس الملاحظة المتعلقة بالشكل الثاني (مادغوس)، ونرجح أن يكون الاختلاف ناتج عن عملية تعريب لأصل للطوبوينم اللاتيني (*Madghus*) في حالة حرف متحرك طويل"Long Vowel" أو في حالة الضمة الطويلة والقصيرة، وهذا وفق النظام الصوتي المتعارف عليه للتحويلات[1].

التصنيف الطوبونيمي:

هناك فرضيتين للصنف الذي يمكن إدراج الطوبونيم "مادغوس - مادغِس - مادغيس" ضمنه:

1-يمكن تصنيفه ضمن الهيدرونيم، لارتباطه بنوع من الأنواع المتعلقة بالماء، وهذا بحسب ما ورد عند البكري (بحيرة مادغوس):" بحيرة مادغوس، وهي مجمع لكل طائر وتسير من هناك إلى بلزمة لمزاتة"[2].

2-كما يمكن إدراجه في صنف الإيبونيم، لارتباطها بالشخصية القبلية (مادغِس - مادغيس)[3].

تحديد الموقع:

يذكر البكري أن الموقع يوجد على الطريق القادم من باغاية، والذي يقطع مدينة قاساس:" ومن باغاية إلى مدينة قاساس: وهي مدينة قديمة على نهر، وفي غربيها جبل شامخ، ومنها إلى...مادغوس"[4]. ومن المرجح أن تكون مطابقة لطوبونيم هنشير قاساس الواقع في الشمال الأرواسي[5]، وبحسب شارل تيسو(Charles Tissot) فموقع قساس الذي يذكره البكري يمكن ربطه بالطوبونيم "*Ad Lali*" انطلاقا من قراءات كاربيشيا (Carbuccia)[6]؛ وموقع "*Ad Lali*" تم ذكره في ألواح بوتنغر كأحد المحطات ضمن

---

[1] Mohand Tilmatine, *op. cit.*, p. 91.

[2] البكري، المصدر السابق، ج2، ص 227.

[3] ابن حزم، المصدر السابق، ص 461.

[4] نفسه، ج2، نفس الصفحة.

[5] يوسف عيبش، المرجع السابق، ص 378.

[6] Tissot, *op. cit.*, t.2, p. 483.



الطريق القادم من تبسة (*Thevest*) باتجاه سطيف (*Sitifis*)[1] . أما صاحب الاستبصار فيضع الموقع قرب مدينة باغاية أسفل جبل أوراس" وبقرب باغاية...وهي تحت جبل أوراس...مادغوس"[2].

– وإذا رجحنا مطابقة الطوبونيم مادغس– مادغيس– مادغوس الذي تذكره المصادر الوسيطة لطوبونيم الضريح الملكي النوميدي امدغاسن، فهو يقابل الموقع الحالي ببلدية بومية، دائرة المعذر إلى الغرب من باتنة.

أصل ومرجعية الطوبونيم:

انطلقنا من الخصائص الصوتية والتركيبية للطوبونيم، فإننا نستبعد أن يكون إسم الموقع عربي الأصل، هذا من جهة، ومن جهة ثانية، وبالاعتماد على قراءات ابن حزم وابن خلدون كأبرز من درس شجرة الأنساب البربرية، فإننا يمكن أن نستأنس من خلالهما بأن الطوبونيم من أصل ومرجع بربري، وهذا إنطلاقا من:

–" فولد بر: مادغِس...وولد مادغس: زجيك...فولد أداس بن زجيك بن مادغس...فولد يحي بن ضري ابن زجيك بن مادغيس...". (عند صاحب جمهرة الأنساب يتأكد بأن الطوبونيم بربري، وهو يمثل الجد الأول للبتر، والتي تَنْسل منه القبيلة الكبرى زنانة من زانا ولد مادغِس)[3].

–"مادغيس الأبتر جد البرابرة البتر، وكان ابنه زجيك ومنه تشعبت بطونهم، فكان له من الولد فيما يذكر نسابة البربر أربعة...". (عند صاحب العبر تبرز محلية (بربري) الطوبونيم لأن تسمى جد البربر به يؤكد منطوقه البربري ومرجعيته الأصلية)[4].

ث – ترقا أنو ودي – ترقا ن ؤدي:

Targa n Ouadi – Targa n adi

التصنيف الطوبونيمي:

طوبونيم ترقا أنو ودى إسم مركب من ثلاث جذور:

- ترقا: وتعني السَاقْيَة.
- أنو أو أن أو نــــ: الإضافة بالنون[5]وهو حرف تدليل أو تخصيص، ويقابله الحرف (n) الذي

[1] MM. L. Marcus et Duesberg, *Géographie ancienne des états barbaresques*, La Librairie Encyclopédique de Roret, Paris, 1842. p. 688; E. Miller, Recueil des itinéraires anciens: comprenant l'Itinéraire d'Antonin, la Table de Peutinger et un choix des périples grecs, Imprimerie Royale, Paris, 1845, p. 298

[2] الاستبصار، ص 163.

[3] ابن حزم، المصدر السابق، ص 461 – 462.

[4] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 149.

[5] عثمان سعدي، المرجع السابق، ص 15.

يتوسط الجذرين. ومن النماذج التي نعرضها ببسكرة الزاب: قلعة تاجمنت = *Taqleit* ***n*** *Tajmint*[1].
نلاحظ أن الحرف n يتوسط الجذرين، وهو دال معلمي، أو دال لمكان القلعة أو انتمائها.

- ودي أو ؤدي أو ؤديتن: وتعني اَلسَّمْنُ.

-وعليه يمكن إدراج هذا الطوبونيم ضمن صنف الهيدرونيم، وهذا لارتباطه بفرع من فروع الري والماء وهي الساقية.

Targa n adi	سَاقْيَة اَلسَّمْنُ [2]	تارقاً أنو ؤدى

Toponyme Berbère : *Targa / Taria.* الطوبونيم البربري: تارقا/ تاريا	Toponyme arabe (*Seguia /Saqiya)* [3] الطوبونيم المعرب: سَاقْيَة
Toponyme Berbère : *Ada / Aditten* الطوبونيم المعرب: ؤدى/ؤديتن	Toponyme arab : *S'men* [4] الطوبونيم المعرب: اَلسَّمْنُ

تحديد الموقع:

جاء ذكر الطوبونيم في جغرافية البكري، يقول:" على مقربة منها[5] مدينة للأول خَرِبَةٌ يقال لها: بشليقة، فيها جدولان من ماء عذب جلبته الأول إليها [ساقية] يقال لها: **تارقاً أنو ودى**"[6]. ويحدد النص الموقع إلى القبلة أو الشرق من مدينة المسيلة. وباسقاط الموقع على الخريطة الطبوغرافية لمجالات الحضنة، يتحدد لنا الموقع الذي تصب فيه وترتبط به عند المدينة البيزنطية-الأثرية المسماة "زابي *Zabi*" أو بشيلقة الشعبية= بشيلقة الوسيط.

وعليه تتموقع ساقية السمن إلى الشرق من مدينة المسيلة، ونرجح أنها هي نفسها القناة المزدوجة بطولها الإجمالي وقدره 7كم انطلاقا من وادي المسيلة، والتي ذكرها غزال في دراسته[7] بأنها تمون زابي بالمياه، والتي بنيت بالحصى الملفوفة والاسمنت. هذه القناة المائية كانت تنطلق من وادي المسيلة، وعلى

---

[1] تقع القلعة بمنطقة جمينة / تاجموت بمزيرعة- ولاية بسكرة، وتشير الروايات إلى تشييد القلعة من قبل القائد بيداس . كما نجد بها ضريح الولي الصالح سيدي أحمد بن رحمون. وقد تم حصر طوبونيم تاجموت كذلك إلى الشمال الغربي من الاغواط.

[2] البكري، المصدر السابق، ج2، ص 239.

[3] Dresch, *op. cit.,* p. 9.

[4] اَلسَّمْنُ= ؤدي /ج/ ؤديتن. محمد شفيق، المرجع السابق، ج1، ص 548.

[5] يتحدث هنا عن المسيلة أو محمدية الجماعات الاسماعيلية.

[6] المصدر نفسه، ج2، ص 239.

[7] *Enquête administrative sur les travaux hydrauliques anciens en Algérie*, E. Leroux, Paris, 1902.

طول 2 كم تقطع الضفة اليسرى من الوادي، ثم ترتفع لتتجه إلى الجنوب الشرقي قبل أن تتصل بموقع زابي القديم أو بشيلقة الوسيط والحالية، قاطعة 5 كم أخرى[1].

وقد أشارت سعاد سليماني في دراستها الميدانية بخرائب زابي، إلى أن هذه المنشآت المائية استغلت لتزويد المدينة بالمياه الشروب والأراضي الزراعية التي حولها بمياه الري، لكن بمرور الوقت:" معظم هذه القناة قد أتلف وأزيح عن مساره الاصلي، ولم يبق منها إلا أجزاء متقطعة عند مدخل مدينة بشيلقة، وكثيرا ما نجد كتل حجرية متناثرة هنا وهناك وبأشكال مستقيمة أو ملتوية أو نصف أسطوانية وبأبعاد متقاربة نوعا ما"[2].

أصل ومرجعية الطوبونيم:

الشكل التركيبي للاسم يظهر بشكل لا يدع من شك بأن أصل الكلمة محلي (بربري)، وهي كلمة مؤنثة تبتدئ بـ (تاء) التأنيث الأمازيغية، كما أن منطوق الكلمة يبرز لكنة بربرية بحتة، تبتعد بشكل كبير عن اللهجة العربية، وهذا ما يؤكده البكري في قوله:" يقال لها تارقا أنو ودى [البربرية]، وتفسيره [العربية] ساقية السمن"[3].

جـ- تاجمونت:

التصنيف الطوبونيمي:

يمكن إدراج الطوبونيم جمونة ضمن الميكرو طوبونيم (المواقع الصغيرة)، لأنها قليلة الذكر في مصادر الوسيط، فباستثناء البكري، نلاحظ غيابا تاما لهذا الموقع في جل المصادر، دون أن نتمكن من تقديم تبرير منطقي لذلك. كما أن واقع الحال يشير إلى أن جمونة- جمينة -تاجمنت (مقاربة لسانية) ماهي إلا منطقة جبلية وعرة منسية تتموقع ضمن قرية تاجموت بنواحي مزيرعة- بسكرة، تشتهر بقلعتها البربرية[4]، والتي تدور حولها مجموعة من الأساطير والحقائق. وعليه يمكن تصنيفها ضمن الميكرو طوبونيم.

تحديد الموقع:

إنفرد البكري في مسالكه بذكر الموقع، مؤشرا عليه تسميته "جمونة"، ويضعها ضمن كورة بسكرة، فيقول:" وبسكرة: كورة فيها مدن كثيرة، وقاعدتها بسكرة...ومن مدنها: مدينة جمـــونة"[5]. وبالرجــوع

---

[1] « Sur la rive gauche de l'oued M'sila se trouvait le point de départ d'un chenal à double compartiment, construit en cailloux roulés et ciment, qui rasait le sol sur plus de 2 kilomètres vers l'est. Puis, élevé sur une série d'arches, ... avant d'arriver à Zabi Justiniana». Gsell, *op. cit.,* p. 75.

[2] سعاد سليماني، المرجع السابق، ص 66.

[3] البكري، المصدر السابق، ج2 ، ص 239.

[4] Louis Rinn, « Géographie ancienne de l'Algerie », *Revue Africaine*, 37 (1893), p. 326.

[5] البكري، المصدر السابق، ج2 ، ص 231.

إلى تاريخ الموقع، نجد له حضور في المصادر القديمة، على غرار كوريبيس، بطليموس، وبروكوبيوس، هذا الأخير يؤكد على وجود هذه القلعة خلال النصف الأول من القرن الميلادي السادس، وهذا ما تذكره أودات كون (Odette Keun) في دراستها الميدانية "في الأوراس المجهول"، حين ربطت الموقع بحروب القائد الموري أيبداس "*Iabdas*" مع البيزنطيين، ودور القلعة في هذه الثورة المحلية:" العام 539م، أيبداس، ملك الأوراس، بعدما هزم قونتريس، جنرال بيزنطي، هزم من قبل سولومون الذي حاول الحفاظ على بقايا الحضارة في أفريقيا ورفض في الجبال...في قلعة جمينة"[1].

ويحدد دانيال غوزن (Danièle Gouzon) موقع تاجمنت، والتي نرجح أنها من الأسماء ذات النطق البربري، فيقول:" في المجرى الفرعي لوادي مستاوة الرافد من وادي بيوض[2]، عدد من الدشر (من أمثال تاجمنت) [3].وباسقاط هذه المعلومات على الخريطة الطبوغرافية لبسكرة، يتحدد لنا موقع جمونة-جمينة-تاجمنت، حيث تتموقع في عاصمة الزيبان بسكرة، وبالضبط في تاجموت- بلدية مزيرعة[4].

أصل ومرجعية الطوبونيم:

إن ارتباط الموقع بالقائد البربري أيبداس، وكذا شكل الاسم "*Tajmint*"، وحتى النغمة الصوتية له تتقاطع مع اللهجة البربرية بشكل واضح، فهو اسم مؤنث، مبتدئه حرف (التاء)، مما يجعلنا نرجح بأن الاسم محلي (بربري) الأصل.

جمونة – جمينة

لم يتسنى لنا مراجعة إسم الموقع في مصادر عدة، لانفراد مصدر وحيد ممثل في كتاب المسالك والممالك للبكري في ذكر الطوبونيم تحت المسمى "جمونة"[5]، مما يطرح أكثر من سؤال حول تحديد الموقع الأكيد له؟ وهل يمكن فعلا مقاربته بالموقع جمينة المشهورة بقلعة أيبداس؟ أم أن التسميتان تؤشران على موقعين مختلفين؟

---

[1] Odette Keun, *Dans l'Aurés Inconnu* (Soleil, Pierres, et Guelaas), Bib. du Hérisson, paris, 1930, p. 193.

[2] وادي الأبيوض: هو مجرى مائي (وادي) يعبر كتلة جبال الأوراس، ويتدفق على طول محور شمال شرق / جنوب غرب ، ويصل صحراء بسكرة عند واحة مشونش. ويذكر صاحب أطلس الاسلام، أنه على وادي الأبيوض كانت موقعة تهودة إلى الجنوب من بسكرة. حسين مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام، دار الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، 1407هـ/1987م، ص 135.

[3] « Dans la vallée secondaire de l'Oued Mestaoua affluent de l'Oued Adiod, certaines Dechras (telle celle de tadjmint) ». Danièle Gouzon, *Villages de l'Aurés (Archives de Pierres)*, Ed. le Harmattan, Paris, 1989, p. 30.

[4] يراجع موقع تاجموت على الخريطة الطوبوغرافية مزيرعة / بسكرة على الموقع:

https://www.google.dz/maps/place/M'ziraa/@34.9017014,6.2655697,12z/data=!4m5!3m4!1s0x12f5dd97f71d2fed:0xb17eebbc2cb787ad!8m2!3d34.8328954!4d6.2800864.

[5] المصدر السابق، ج2، ص 230.

في مقاربة تاريخية، يحاول كومبيزا في دراسته[1]، أن يطابق الموقع "جمونة "بالموضع الذي يحدده غزال في أطلسه، حيث يرجح بأن تكون جمونة الواردة في جغرافية البكري، هي نفسها التي نقلها لنا غزال، والتي وردت في نصوص صاحب كتاب حرب الوندال بروكوب على شكل " *Geminine*". والتي يذكرها أيضا صاحب كتاب جوهانيد كوريبيوس تحت اسم"*Gemini Pertam*". فيما يستبعد غزال المقاربة بين جمونة وبين التسمية التي وردت في نصوص بطليموس، والتي يضع الموقع في الجنوب السطايفي ضمن موريطانيا القيصرية[2].

وقد حاول الهادي روجي إدريس مطابقة موقع جمونة بالموقع المذكور في نصوص صاحب العبر المسمى "تنومة" مع مدينة بادس كحد للزاب الشرقي، دون أن يقدم أي دلالات أو تفسيرات لهذه المقاربة، فيقول:" ولعل جمونة التي أشار إليها البكري هي تنومة ذاتها". ويضيف في موضع آخر:" ولعل جمونة التي ذكرها البكري هي تنومة الموجودة في منطقة الزاب الشرقية في العصر الحفصي"[3].

ومن جهته، يرى الطاهر طويل بأن موقع جمونة يتطابق مع جمورة، دون أن يعطي هو الآخر لذلك أي تفسير، جاعلا إياها ضمن المدن الحصينة المشكلة لواحات الزاب القبلي، فيقول:" جمونة: هي مدينة جمورة، واحة قديمة تعود للعهد الروماني، حيث عثر بها على بقايا لأسس المنازل، وحجرات معاصر الزيت"[4].

إن الشكل الذي يظهر في الاسم "جمينة" يرجح أنه الاسم المعرب من اللاتينية، والذي أورده كل من بروكوبيوس، وكوريبيس، وبالتالي الحديث عن: "*Geminine* أو *Gemini*"و"Djmina" يكاد يكون واحدا، وما يمثله الثاني هو الاسم المعرب للاسم اللاتيني أو الأصلي، هذا من جهة. ومن جهة ثانية، يمكن ترجيح صحة المقاربة بين الاسمين جمونة وجمينة، وتأكيد أن كلا الاسمين يمثلان موقعا واحدا لا غير، وهو موقع بنواحي مزيرعة بولاية بسكرة، وبالتالي تواصل هذا الطوبونيم البربري، وبقائه محافظا بشكل واضح على هويته المحلية. لكن لماذا هذا الاختلاف في النطق بين الاسمين؟

بالعودة إلى التباين الواضح في رسم شكل الإسم في المصادر اللاتينية القديمة، بين جمينين وجميني، وهنا نتساءل: كيف يحدث اختلاف في رسم الاسم في المصادر التي عاصرته، ولا يكون هذا لاختلاف موجود في نصوص بعيدة عنه. إن منطوق الاسمين " جمونة" و "جمينة" يكاد يكون متطابقا، ولا يكمن

---

[1] Cambuzat, *op. cit.,* vol. 2, p. 61.

[2] A.A.A, F° 38, N° 75 et 91.

[3] الهادي روجي ادريس، المرجع السابق، ج2، ص 87 و 89 (الهامش).

[4] الطاهر طويل، المدينة الاسلامية و تطورها، ص 107 (الهامش)؛ نفسه، " جغرافية العمران"، ص 57.

الاختلاف إلا في حرفي المنتصف في الاسمين " الياء و النون"، ولهذا تفسيرات عدة:

- أن يكون هذا الاختلاف بسبب تجنب الثقل في نصوص البكري فوردت "جمونة".
- أو أن "الياء" في "جمينة" اللاتينية قد تم تحويرها إلى "الواو" في النص العربي للبكري، ويكون بنقل (ترجمة) الياء إلى " وُ= ضمة واو".
- في مدلول الاسم، هناك طرح قد يكون منطقيا:

*في حالة أن الاسم يقصد به الحجر: يكتب "Tagmunt" (إسم مفرد)[1].

المقاربة: يمكن أن يقرئ تاجمونت تاڤمونت (الاسم المعرب). بمعنى: جمونة العربية يرجح مطابقتها لاسم تاجمونت المحلية البربرية أو اللاتينية المعربة.

*في حالة أن الاسم يقصد به المحتشد الصغير: الاسم يكتب "Tajemmunt" أو "Tagemmunt" [2].

المقاربة: يمكن أن يقرئ تاجمونت أو تاڤمونت (الاسم المعرب). بمعنى: تاجمونت المحلية البربرية أو اللاتينية المعربة يمكن أن تطابق جمونة أو جمينة.

ح- تامقرا - تامقرة:

رُسِم إسم الموقع بالشكل " تامقرا" في المصادر التي نقلت عن المصنفات الاسماعيلية، ومنها صاحب عيون الأخبار[3]، ولم يتسنى لنا تأكيد الشكل في باقي المصادر الأخرى، لعدم ذكر الموقع بها، دون أن نستوضح سبب ذلك. ويظهر رسم التسمية غير العربية بالشكل (Tamagra)، كما نرجح أن يكون الاسم القديم للموقع هو (*Tamacris*). ويمكن تحديد احتمالين لتعريب التسمية:

الاحتمال الأول:

تامكرا	⬅	Tamagra

هذا الاحتمال الأول مبني على أساس جدول" أبجدية التيفيناغ" الذي أورده محمد تيلماتين بحسب نسخة المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية بالرباط[4].

ك/ كَ ⬅ G

الاحتمال الثاني: نلاحظ أنه يمكن تقسيم الطوبونيم إلى شطرين:

الشطر الأول: (T A) والتي تقابل (ت ا) – تاء التأنيث البربرية-

---

[1] خديجة ساعد، المرجع السابق، ج1، ص 93.

[2] نفسه، ج1، ص 93.

[3] المصدر السابق، ص 476.

[4] « Toponymie et Idéologie: L'arabe et le berbère en Afrique du Nord », p. 2711.(version Institut Royal de la Culture Amazighe IRCAM).

الشطر الثاني: (M A G R A) والتي تقابل (م ق ر ا) أو (م ق ر ة)، وفي الشكل الثاني يتحول (G) إلى (ق) لأنه ينعدم وجود حرف (ڨ) في اللغة العربية، وهذا انطلاقا من التحوير الذي حدث على نفس الشطر في الطوبونيم المعرب من اللاتينية (*Macri*)، أين تحول إلى مقرة، مع ربطه بحسب بالمقاربات التي قدمها أحمد مشارك بجماعات مغراوة[1]:

Tamagra	←	تامقرا
Tamagra	←	تامقرة
Ta	←	تا
Magra	←	مقرا / مقرة

وخلال عملية ضبط شكل الطوبونيم في المصدر الاسماعيلي عيون الاخبار، يورد الداعي ادريس معلومة مهمة، ومفادها:" " تامقرا"، قصر الفاسق بشر بن منصور المكناسي بعمل الزاب"[2]. وذكر اسم صاحب القلعة والحصن يحيلنا على ما أورده صاحب نزهة المشتاق حيث يظهر مطابقة نفس تسمية الحصن، بمعنى "حصن بشر"، فيقول:" وأما حصن بشر فهو قلعة من أعمال بسكرة، وهو في ذاته حصن جميل ومعقل جميل وله عمارت هي الآن[3] في أيدي العرب"[4].

بتتبع محتوى الروايتين، من الراجح أن الذي يقصده صاحب نزهة المشتاق هو نفسه حصن بشر الواقع بسهل تامقرا الذي تحدث عنه الداعي ادريس. لكن كيف امتلكت مكناسة حصنا في مجالات الزاب، ومواطنها الأصلية مابعد وادي ملوية؟

لعل الاجابة قد تختصر في حراك قبلي طوعي، قد نجد لهذا الرأي حجة أخرى في جغرافية اليعقوبي، حين يؤكد استقرار قبيل من مكناسة بمجالات الزاب، على غرار الأوراس، ففي نقاوس مثـــلا استوطن البربر من مكناسة[5]. ويؤكده محمد حسن هذا الحراك القبلي في قوله:"كان مجالها في القرن الثاني هـ/الثامن م على وادي ملوية...ثم زاد امتداد القبيلة وانتشارها"[6].

لكن ماهو الشيء الذي يؤكد العداء بين الاسماعيلية وقبيل مكناسة؟

---

[1] M'charek, *op. cit.*, p. 467-468.

[2] الداعي ادريس، المصدر السابق، ص 477.

[3] يتحدث عن القرن السادس الهجري، أين من المرجح أن القصر والحصن قد اغتصبا من مالكيهم من البربر المحليين.

[4] الادريسي، المصدر السابق، مج1، ص 270.

[5] المصدر السابق، ص 141. ويذكر محمد حسن انتشار مكناسة في البسيط الغربي بالحضنة، وبالفضاء البسكري، بالأخص في القاعدة بسكرة. محمد حسن، الجغرافيا التاريخية لإفريقية، ص 11.

[6] الجغرافيا التاريخية لإفريقية، ص 11.



يذكر البكري أن بسكرة وهي كورة كبيرة، إمتزج فيها الكثير من النحل والملل، وقد دانت بحسبه مكناسة بالإباضية[1]. ونرجح أن يكونوا نكارية، ولخروجهم عن طوع الفاطميين بعد موت صاحب الحمار، كان لزاما تأديبهم، وكسر شوكة قوتهم بالمنطقة، وهو ما يؤكده صاحب عيون الاخبار، عندما يتحدث عن هدم قصور المناوئين لهم في قسطيلية والزاب.

التصنيف الطوبونيمي:

يمكن إدراج تامقرا ضمن صنفين من الطوبونيميا، وهذا انطلاقا من ذكره في مصادر التاريخ القديم على غرار بروكوب، وبعض الدراسات التاريخية والأثرية- الميدانية من شاكلة: فيسيار، موريزو، ماسكيراي، وغزال:

- وادي تامقرا:

-بروكوب: من المصدريين المتأخرين للعهد البيزنطي، وقد ورد إسم الموقع وماحوله في أحد نصوصه باسم *"Yoros Aspidos "*[2].

-موريزو:

« Lorsque l'on sort de la montagne (Aurés), on parvient au bord d'une rivière pérenne, l'oued Tamagra, branche occidentale de l'oued el Arab »[3].

وعليه يمكن إدراج تامقرا ضمن صنف الهيدرونيم (Hydronymie) لارتباطها بأحد فروع المياه، وهو الوادي (Oued).

- سهل تامقرا:

-ماسكوراي:

« Une autre descendait vers le sud-ouest, entre le Djaàfa isolé, aplani comme une table, et les hautes ondulations de l'àouràs, dans le sillon de Tadammit et de Djemri où l'on trouve quelques ruines, desservait la Plaine de Tamagra dont les mûriers datent des Romains ».[4]

-غزال:

« Elle devais passer entre le Djahfa et l'Aurés, puis par la Plaine de Tamagra et gagner Badias, à la lisière du Sahara, par la vallée de l'oued el Arab ».[5]

---

[1] المصدر السابق، ج2، ص 255.

[2] Morizot, « Solomon et l'Aurès », Bulletin de la Société nationale des Antiquaires de France Année 1994 1992, p. 331 ; Berthold Rubin, *Das Zeitalter Iustinians*, Walter de Gruyter, Berlin, New York, 1995, vol. 2, p. 36.

[3] Morizot, *op. cit.*, p. 330.

[4] Émile Masqueray, « Ruines Anciennes de Khenchela *(Mascula)* à Besseriani (*Ad Majores)*», Revue Africaine, 22 (1878), p. 448.

[5] A.A.A, F°28, N° 138 et F° 39, N° 11-14.

-فيسيار:

« La voie qui passait entre le Chettaya et le Djaffa logeait le versant sud de cette montagne, et se bifurquait à Feriana en deux embranchements se dirigeant l'un sur Tamagra et la vallée de l'Oued- el- Arab ».[1]

وعليه يمكن إدراج تامقرا ضمن صنف الأورونيم (Oronymie) لارتباطها بأحد فروع التضاريس، وهو السهل (Outa).

تحديد الموقع:

أورد صاحب عيون الأخبار الموقع في مجمل حديثه عن حملات عسكرية على عهد الخليفة الفاطمي المنصور في مجالات الزاب بعد 336هـ/948م، انتهت بهدم الكثير من الحصون، على غرار الحصن الموجود بسهل تامقرا، يذكر ذلك، فيقول:" فقدّم إليهم أمير المؤمنين الجيوش المؤيدة، وصمّدهم في طريقهم...وأنزلوا ما كان لهم بهما من الأموال والأثاث والأغنام والأنعام، وأضرموا خصومهم نارا، وهدموا الحصن المعروف بـ ((تامقرا))"[2].

وبحسب الداعي إدريس، فإن الموقع قريب من ماواس، التي أشار محقق عيون الاخبار محمد اليعلاوي إلى أنها مابين تهودة وشرق قفصة[3].

بالمقابل، يشير موريزو إلى أن الموقع "Tamagra" يوجد في مخرج جبل أوراس، عند الفرع الغربي لوادي العرب، وهي بالتالي تتموقع بين فمي وادي ملاقو ووادي العرب بمحاذة جبل شاشار[4].

أما ماسكيراي فيضعها في المسلك الجنوبي الغربي من خنشلة، بين الجحفة المعزولة ومرتفعات الأوراس، هذا المسلك الذي يؤمن المواصلات لسهل تامقرا[5]. وهو نفس الموقع الذي يحدده غزال لتامقرا، حيث يعتبرها نقطة عبور مهمة نحو موقع بادس (*Badias*)، والمجالات الصحراوية عبر وادي العرب، وتتموضع بحسبه تامقرا بين الأوراس والجحفة[6]. ويؤكد لامبان (Lambin) على وجود خرائب تقع تقريبا في نفس الموضع الذي توجد به تامقرا، ومن هذه الخرائب بقايا القلعة البربرية التي تحدث عنها

[1] A. Vaissiére, « Les Ouled – Rechaich », Revue Africaine, 37 (1893), p. 142.

[2] الداعي إدريس، المصدر السابق، ص 476.

[3] ينظر تعليق اليعلاوي حول الموقع في هامش ص 472.

[4] « Tamagra est en cet endroit dominé par un massif tabulaire qui a la forme ovale du bouclier romain, la Djatifa; j'y verrais volontiers Yoros Aspidos de Procope. E. Masqueray, qui l'a gravie, a vu au sommet les restes d'une forteresse berbère que l'on y discerne encore ». Morizot, *op. cit.*, p. 331.

[5] Masqueray, *op. cit.*, p. 448.

[6] A.A.A, F°28, N° 138 (voie n°03 vers le s.-s.-o).



موريزو في الجزء العلوي من الموضع، وذكر بأنه لازال يمكن تمييزها، كما يتحدث لامبان عن المجال الذي تقع فيه هذه الخرائب[1].

ماذا نستنتج من كل هذا؟ لا شك أن كل المعلومات قد توفرت لنا عن هذا الموقع، وعليه، تامقرا تتموقع بجوار جبل الجحفة، إلى الجنوب من خنشلة.

أصل ومرجعية الطوبونيم:

بالرجوع إلى مختلف فروع اللغة البربرية، فإننا نجد اللفظ يتقارب مدلوله في هذه اللغة مع العظيمة والكبيرة[2]. من جهة ثانية، يتضح بأن الاسم تامقرا هو من صنف المؤنث لابتدائه بحرف التاء الممدودة " تا"، وشكله التركيبي، يتطابق مع شكل الكلمات المحلية البربرية "من أصل لغوي محلي ومتشارك بين جميع الناطقين باللغة البربرية"، خاصة وأن له دلالة لغوية تقارب في شكلها ودلالتها الكلمات الأمازيغية، ويمكن ترجيح أن يكون مرجع الاسم وأصله محلي (بربري).

د- أروسن:

تحديد الموقع:

أظن أن موقع أورسن لا يمكن أن يخرج عن جبال المعاضيد، والتي تستقر بها خرائب القلعة الحمادية، وإذا ما أخذنا برأي محقق كتاب عيون الأخبار محمد اليعلاوي، والذي يرجح أن قصر الحجارة الذي جاء في نصوص الداعي إدريس هي الموضع الذي أورده ابن حماد بالناظور والمعروف بأروسن، فإن أروسن تقع على مسافة ستة أميال من موضع جبل كيانة، هذا الأخير يمثل القسم الغربي من جبال المعاضيد الحالية[3].

وأورد صاحب نزهة المشتاق في نصوصه تسمية "الناظور"، وهو موقع على الطريق بين بجاية والقلعة الحمادية، مابين السقائف وسوق الخميس[4]، وهو موقع بعيد عن موقع الاحداث التي تتحدث فيها المصادر الإسماعيلية عن موضع الناظور الذي دار فيه حصار صاحب الحمار بجبل المعاضيد، كما أن الخريطة الطبوغرافية للمسيلة، لا تربط بين بجاية و القلعة أو المعاضيد بشكل مباشر، إذ تفصل بينهما

---

[1] « Nous avons, en revanche, des ruines nouvelles à signaler dans la deuxième partie, entre Khenchela et Badès, dans le massif dominé par le Cheliah et le Cherchar et arrosé par l'Oued-el-Arab, grossi de l'Oued-Mellago ». . J. M. Lambin, « Note sur les ruines romaines de la région de l'Oued-Mellagou et de l'Oued el-Arab », *Bulletin archéologique du comité des travaux historiques et scientifiques*, Ernest Leroux, Paris, 1892, p. 136; A.A.A, F°38, N° 93.

[2] محمد شفيق، المرجع السابق، ج2، ص 124 و 369.

[3] الهادي روجي ادريس، المرجع السابق، ج1، ص 55 (الهامش).

[4] الادريسي، المصدر السابق، مج1، ص 262.



برج الغدير وباقي مدن ولاية برج بوعريريج، وعليه نستبعد أن تكون التسميتين لموقع واحد. من جهة أخرى، يوجد إلى الشمال الغربي من المعاضيد موقع ببلدية القصور هو وراسن (*Ourassen*)[1] يتطابق رسم شكل إسمه مع إسم الموقع أروسن الذي ذكر بأنه بالمعاضيد. وبالرغم من بعده الكبير عن هذه الأخيرة، إلا أننا نجهل إمكانية تطابق الموقعين، بالرغم من تطابق شبه تام للطوبوينم من حيث الشكل.

كما يظهر غزال تسمية أروسين (*Aroussine*) على الخريطة الأثرية في الورقة رقم 48 (بسكرة)، وتتعلق بجبل إلى الغرب من ليشانة، والشمال من الدوسن، ويقرب من خرائب سدوري (*Sadouri*)[2]. وعليه نستبعد أن يكون هذا الموقع مطابق لأروسن التي تذكرها المصادر الاسماعيلية، مع أنها تطابقه في الشكل التركيبي.

التصنيف الطوبونيمي:

يمكن إدراج أروسن ضمن صنف الأورونيم لارتباطها بأحد فروع التضاريس، وهو الفحص أو المرجة (Merdja). كما يورد ذلك ابن حماد الصنهاجي:" فنزل بموضع يعرف بالناظور وهو موضع معروف بـ أروسن من جنات القلعة"[3].

أصل ومرجعية الطوبونيم:

من خلال الشكل التركيبي، والصوتي (اللهجة) يتضح بأن طوبونيم أروسن من أصل بربري محلي، وانطلاقا من القاعدة البربرية المتعلقة بالأسماء المفردة، فإنه يتضح بأنه إسم مفرد بهمزة مفتوحة، هذا من جهة. ومن جهة أخرى، فنص ابن حماد الصنهاجي، يوضح أن الموقع يعرف بتسميتين الأولى هي الناظور، والثانية قال أنها تعرف بـ "أروسن"، وعليه نظن أن التسمية الأولى هي التسمية العربية، والثانية هي المحلية أو البربرية.

3- مواقع محلية أخرى بمجالات الزاب:

الطوبونيم المحلي	التصنيف	الموقع	المصدر/المرجع
كيانة/كتامة/عجيسة	الأورونيم Oronymie (جبل)	البسيط الغربي أو الحضنة- شمال المسيلة في الجزء الغربي من جبال المعاضيد	ابن حماد، أخبار ملوك، ص 71؛ ابن الاثير، الكامل، ج9، ص 373؛ ابن خلدون، العبر، ج6، 227؛ المقريزي، المقفى الكبير، ج2، ص 144؛ الدولة الصنهاجية، ج1، ص

[1] ينظر الخريطة الطوبوغرافية للموقع:

https://www.google.dz/maps/@35.9887599,4.5825933,14.58z

[2] A.A.A, F° 48, Carte Biskra.

[3] ابن حماد الصنهاجي، المصدر السابق، ص 72.



			.55
سالاّت/ بني برزال	الأورونيم Oronymie (جبل)	جنوب المسيلة بنواحي بوسعادة	اليعقوبي، البلدان، ص 141؛ ابن حماد، أخبار ملوك، ص 68؛ ابن خلدون، العبر، ج7، ص22 و 72؛ المقريزي، المقفى الكبير، ج2، ص 140.. A.A.A, F°36, Carte
تامسنت	ميكرو طوبونيم Micro-Toponymie (قرية)	بين تيجس وميلة	ابن حوقل، صورة الأرض، ص 87؛ البكري، المسالك، ج2، ص 232؛ الداعي ادريس، عيون الأخبار، ص 406 (الهامش).
أوبة	الهيدرونيم Hydronymie (وادي)	بين المسيلة و بوسعادة إلى الشرق من جبل سالات	الداعي ادريس، عيون الأخبار، ص 403 (الهامش).
تامديت	ميكرو طوبونيم Micro-Toponymie (مدينة صغيرة)	بين بادس ومدالة على الطريق من بسكرة إلى نفطة وقفصة (الجريد التونسي)	ابن حوقل، صورة الأرض، ص 87؛ البكري، ج2، ص 231؛ الادريسي، نزهة، مج1، ص 249؛ الداعي ادريس، عيون الأخبار، ص 472 (الهامش).
إزمرّين	الهيدرونيم Hydronymie (ساقية)	بين مفاوز مغراوة وبنطيوس، وهي أقرب إلى بنطيوس	البكري، المسالك، ج2، ص 254 (إزمرّين = ساقية بن خزر).
تاورست	ميكرو طوبونيم Micro-Toponymie (؟)	في غرب المسيلة بين هاز والمسيلة	البكري، المسالك، ج2، ص 327.
مخلّد	الهيدرونيم Hydronymie (عين)	بين الغدير والمسيلة (منبعث نهر سهر أو وادي المسيلة)	ابن عذارى، البيان، ج1، ص 24 (سهر =وادي المسيلة)؛ البكري، المسالك، ج2، ص 240.
أكة	الأورونيم Oronymie (جبل)	بالقرب من المسيلة	الداعي ادريس، عيون الأخبار، ص 406.
المرى	الأورونيم	شمال المسيلة في الجزء	ابن حماد الصنهاجي، أخبار ملوك،

	Oronymie (جبل)	الغربي من جبال المعاضيد	ص 73؛ الداعي ادريس، عيون الأخبار، ص 416.
بلى	الهيدرونيم Hydronymie (نهر- وادي)	بين مسكيانة وباغاي	الرقيق، تاريخ افريقية والمغرب ص 25 ورد بلى لسان البربر)؛ ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ج2، ص 200؛ المالكي، ج1، ص 58؛ الحميري، الروض، ص 65.
زيغيزي	الأورونيم Oronymie (جبل)	بسكرة	البكري، المسالك، ج2، ص231[1]؛ الورتيلاني، نزهة الأنظار، ص 105 (يورده بتسميتين: زينير/زنفير).
أفركان	ميكرو طوبونيم Micro-Toponymie (قرية)	غير بعيدة من نقرين، على مقربة من بسرياني. إلى الجنوب من مدالة أو مديلة	العدواني[2]، تاريخ العدواني[3]، ص 129. Meouak, Les Ziban, p. 306.
أربان	الهيدرونيم Hydronymie (عين)	بين غرب تبسة والشرق من بسكرة	البكري، المسالك، ج2، ص 231؛ Meouak, Les Ziban, p.308.
توغلانت/وغلانة	ميكرو طوبونيم Micro-Toponymie (؟)	وادي ريغ	الدرجيني، طبقات المشايخ، ج2، ص 473؛ العدواني، تاريخ العدواني، ص 275 (الهامش).
تامزكيدة/تامزكيدا/تامسڤيدة[4]	ميكرو وهيدرو Micro /Hydro (قرية و عين)	بين أشير زيري والمسيلة على بعد مرحلتين من المسيلة	ابن حوقل، صورة الأرض، ص 89؛ الإدريسي، نزهة، مج1، ص 254؛ الحموي، معجم البلدان، مج2، ص 7.

[1] بالمقابل جاء في نص محمد بن يوسف الوراق أن جبل زيغيزي يقع في إلى الشرق من عين تسمى أربان في تونس الحالية بين قرطاجنة وسبيبة.

[2] محمد بن محمد بن عمر العدواني (ت بعد 1065هـ /1655م).

[3] تحقيق: أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1996.

[4] يوجد طوبونيم مشابه بمدينة المدية حاليا يحمل تسمية (تمزقيدة).



ثالثا: التحولات الطوبونيمية ببلاد الزاب (1-9 هـ /7-15م):

1- المواقع الكبرى –الماكرو طوبونيم- ببلاد الزاب (1-3هـ/7-9م):

أ- بغاي:

تحديد الموقع الجغرافي:

تتموقع مدينة بغاي بالقرب من جبل أوراس[1]، في أسفل جبال العمامرة[2]، مابين الأوراس جنوبا وقرعة الطارف شمالا[3]، على بعد حوالي 10 إلى 12 كم عن خنشلة[4] (*Mascula*)[5]، ويغطي موقع باغاي السهول العليا من المنحدر الشمالي للأوراس على الطريق الروماني القديم من قرطاجة إلى جنوب نوميديا (بلاد الزاب) عبر تبسة ولامبيز[6]. واحتلت بذلك موقعا استراتيجيا مهما في شمال الأرواس، ومثلت بالإضافة إلى ما سبق أحد المعابر الأوراسية نحو الصحراء، عبر مجرى وادي العرب ووادي البيوض[7].

الموقع في التاريخ القديم:

Bagaï – Bagaia – Vagaia – Abigas ? - Bagaitanus - Bagaiensis

يرجع ذكره إلى القرن الميلادي الثالث، ويتواصل حضوره حتى القرن الخامس الميلادي، كما يلي:

- في حدود 256م، يظهر اسم الموقع من خلال مشاركة ممثل عن المدينة في المجمع الديني لقرطاجة خلال العهد الإمبراطوري المتأخر (Bas-Empire) أين كانت المدينة تمثل أحد المراكز الرئيسية للدوناتية[8].
- سنة 394م، جاء ذكرها من خلال اجتماع 310 من الأساقفة الدونات بباغاي[9].
- وفي سنة 404م، يظهر اسم الموقع في النصوص المسيحية، من خلال الصراع على ترميم واستعادة بازيليك (*fundus Calvaniensis*)، بين الكاثوليك والدونات[10].

---

[1] اليعقوبي، المصدر السابق، ص 140 (حولها قوم من البربر من هوارة بجبل جليل يقال له أوراس)؛ ابن حوقل، المصدر السابق، ص 84 (وجبل أوراس منها على أميال)؛ البكري، المصدر السابق، ج2، ص 227 (على مقربة منها جبل أرواس).

[2] العدواني، المصدر السابق، ص 333.

[3] Cambuzat, *op. cit.,* vol.2, p. 37.

[4] الهادي روجي إدريس، المرجع السابق، ج2، ص 82.

[5] « En avant de Bagai un peu plus au Sud et plus avant dans la montagne l'empereur Tibère II fit réoccuper le poste romain de Mascula, situé à 1300 mètres d'altitude, sur l'emplacement actuel Khenchela ». Diehl, *op. cit.,* p. 242.

[6] P. Trousset, « Bagaï (Bāghāya)», *Encyclopédie berbère*, 9 (1991), p. 1307.

[7] *Ibid*, p. 1307.

[8] A.A.A, F°28, N° 68.

[9] Trousset, *op. cit,* p. 1308; A.A.A, F°28, N° 68.

[10] Trousset, *op. cit,* p. 1308.



- وسنة 411م، جاء ذكر الموقع بحضور أحد ممثلي الأساقفة الدوناتية، وغياب نظيره من الكاثوليك في المجمع الديني لقرطاج[1].

- كما يظهر غزال شكلين لاسم الموقع، الأول يظهر في نصوص أوبتات بالشكل (باغايوسيس) أو (بغاينسيس) = (*Bagaiensis*). والثاني جاء في رسائل أوغسطين، ويظهر فيه الموقع بالشكل باغايتانوس أو بغايتنيس (*Bagaitanus*).[2]

- ويذهب بريزن لامارتينيار (Bruzen la Martinière) إلى أن المدينة نوميدية، وهذا انطلاقا من المرسوم القنصلي:" قواعد الحقوق النوميدية"[3]، الذي أورده القديس أوغسطين (S[t] Augustin) للمدينة، وجاء اسم الموقع فيها بالشكلين:(*Vagaia* / *Bagaia*)[4].

- وارتبط اسم المدينة بالتمسية التي أوردها المؤرخ البيزنطي المتأخر بروكوبيوس في نصوصه (Guerre des Vandales, II, 19) بالشكل (أبيغاس)= (*a-Biga (s) / Abigas*)، والتي تشير إلى وادي بورغال أو وادي باغاي[5].

ومن هذا، يمكن أن نستخلص بأن التسمية في كامل النصوص القديمة، تكاد تتطابق مع الاسم المترجم إلى العربية، والذي ينتهي عند المدينة الواقعة إلى الشمال من الاوراس، بالقرب من خنشلة، والمسماة باغاي/بغاي.

من الإسم الأصلي إلى المعرب:

باغاي- باغاية - باغية

Baghaï – Bāghāya- Baghïa

لا يظهر الاختلاف في المصادر القديمة عند رسم شكل التسمية فقط، بل نلاحظ هذا التباين في المصادر العربية كذلك، فقد أوردت الاسم المعرب في مواضع عدة بشكل متباين: (باغاي- باغاية- باغية)، مما يحيلنا إلى اشكالية الموقعية، وامكانية أن تمثل هذه التسميات المعربة مواقع مختلفة؟ أم هي مجرد تحريفات وتصحيف في الأحرف ناتجة عن النسخ؟

ورد الموقع بالتسمية " باغاي" في مواضع عديدة، نذكر منها:

---

[1] يوسف عييش، المرجع السابق، ص 393.

[2] A.A.A, F°28, N° 68.

[3] Règle du droit Numidique .

[4] Bruzen la Martinière, *Le grand dictionnaire géographique et critique*, T.2 (B&C), p.24.

[5] Camps, « Abigas », *op. cit.*, p. 77 ; Trousset, *op. cit,* p. 1308.



- في رياض النفوس خلال حملات عقبة بن نافع (63هـ/683م):" حتى إنتهى إلى باغاي والروم يهربون"[1].

- أحسن التقاسيم :"وأما إفريقية فقصبتها القيروان ومن مدنها...باغاي"[2].

- في رحلة ابن حوقل: " مسكيانة...ومنها إلى مدينة باغاي وهي كبيرة"[3].

- نزهة الإدريسي:" فأما مدينة باغاي فمدينة كبيرة "[4].

- تاريخ العدواني:" سكان جبال العمامرة من البربر وفي أسفل هذه الجبال ...باغاي"[5].

كما جاء ذكر الموقع "باغاية" في عدة مواضع، ومنها:

- الروايات الإخبارية المتعلقة بالفتح، جاء ذكر الطوبونيم "باغاية" عند كل من : الرقيق، ابن الأثير، النويري، ابن عذراي، ابن خلدون[6].

- المصنفات الاسماعيلية على غرار: صاحب الافتتاح، والتي نقلت عنها: الداعي ادريس، المقريزي، وجاء رسم الموقع فيهما بالشكل " باغاية"[7].

وأوردت نصوص محدودة تسمية الموقع بالشكل:" باغية"، منها:

- الرقيق القيرواني، الذي ظهر عليه اضطراب في ضبط التسمية، فأوردها باغاي، ثم عاد وأوردها "باغية"[8].

- مخالفا للمصنفات الاسماعيلية التي نقل عنها، أورد ابن حماد الصنهاجي الاسم بالشكل" باغية"[9].

- وفي المصادر الرحلاتية المتأخرة، يورد الورتيلاني تسمية الموقع "باغية"[10].

من الملاحظ أن الاسم الصحيح للموقع قد ورد في أغلب النصوص سواء الاخبارية، أو الجغرافية والرحلاتية، باستثناء رسم إسم الموقع بالشكل" باغية" الذي أورده: الرقيق، وابن حماد، والورتيلاني،

---

[1] المالكي، المصدر السابق، ج1، ص 35.

[2] المقدسي، المصدر السابق، ص 218.

[3] ابن حوقل، المصدر السابق، ص 84.

[4] الإدريسي، المصدر السابق، مج1، ص 276.

[5] العدواني، المصدر السابق، ص 333.

[6] الرقيق، ص 10؛ ابن الأثير، مج3، ص 451؛ النويري، ج24، ص 14؛ ابن عذارى، ج1، ص 24؛ ابن خلدون، ج4، ص 45 و 52.

[7] القاضي النعمان، ص 28؛ الداعي ادريس، ص 91 و 93؛ المقريزي، المقفى الكبير، ج2، ص 139.

[8] الرقيق، ص 25.

[9] ابن حماد، ص 64 و83.

[10] الورتيلاني، ص 95 و 101.

والذي نرجح أنه رسم خاطئ لاسم الموقع، وقد يكون ناتج عن تحريف غير مقصود للتسمية الصحيحة "باغاية".

أما فيما يخص التسميتين : باغاي و باغاية، فوجه الشبه ظاهر للعيان، والتي نرجح بأنهما تعريب للاسم الأصلي للموقع الوارد في المصادر القديمة:

- **باغاي**: نظن أنه ناتج عن التعريب التي طال اسم الموقع الأصلي الوارد بالمصادر القديمة بالشكل (*Bagai*):

Bagai -الأصل-	⬅ -تعريب-	باغاي

مع ترجيح تحول حرف G إلى "الغين" لعدم وجود حرف "ڤ" في اللغة العربية. وهو ما نجده في الطوبونيم Vaga الذي يتحول بالتعريب فيه حرف G اللاتين إلى جيم[1].

-**باغاية:** نرجح أن يكون هذا الاسم ناتج عن التعريب أيضا، للتسمية الاصلية *Bagaia* أو *Vagaia* كالآتي:

Bagaia -الأصل-	⬅ -تعريب-	باغاي(ة) باغايا

مع ترجيح أنه قد تم تحويل المد الظاهر في نهاية الاسم الأصلي خلال عملية التعريب إلى "تاء" غير منطوقة، ويمكن كذلك أن يتحول حرف a/ ā إلى ألف ممدودة " ا/آ"[2].

Vagaia -الأصل-	⬅ -تعريب-	باغاية

مع ترجيح أنه قد تم تحويل الاسم إلى اللاتينية، ثم تعريبه، وعليه تم تحويل حرف"V" إلى حرف "الباء" لأن ذلك في منطوق اللاتينية-الاسبانية[3]. ومن خلال الطوبونيم السابق Vaga نلاحظ أن تعريبه من اللاتينية إلى العربية يتحول بموجبه حرف "V" إلى باء ليصبح في شكله المعرب **باجة**[4].

باغاية = باجايه (زناتة):

Bāghāya- Bādjāyah

لقد خلصنا إلى أن التسمية باغاية وباغاي قد تكونان صحيحتان، ونتجتا من تعريب الأصل، لكن يبقى أن نؤكد أو ننفي التطابق بين باغاية وباجايه. لقد أورد صاحب صورة الأرض " باجايه" كإسم لقبيلة من قبائل زناتة[5]، ونظنها من فروع لواتة ومزاتة، ومن خلال مقاربة الاسمين نلاحظ

---

[1] Pellegrin, *op. cit,* p. 77.

[2] Brahim Atoui, Farid Benramdane, « Mondialisation et normalisation des toponymes et des écritures : le cas de l’Algérie », *CRASC*, Oran, 2005, p. 194.

[3] يقارن نموذج باغاي مع نماذج أخرى قدمها اغناثيو كوتيريث وآخرون حول حرف الباء وحروف أخرى، في دراستهم حول الصلة الثقافية بين اللغة العربية والاسبانية، مع بقاء عملية تحويل حرف v إلى حرف ب خلال عملية التعريب في التمسية "Vagaia" مجرد ترجيح. اللغة العربية في اسبانيا، دار وجوه للنشر والتوزيع، الرياض، 1436هـ/2015م، ص 82-85.

[4] Pellegrin, *op. cit,* p. 77.

[5] ابن حوقل، المصدر السابق، ص 102.



اختلاف بسيط في حرف الغين في الاسم الأول ويقابله حرف الجيم في الاسم الثاني، كما أنه بحسب بن خلدون، ففروع زناتة من قبيل لواتة مثلا كانوا بجبل أوراس ولازالوا على حد قوله (ويقصد هنا حتى القرن الثامن الهجري/14م) به، مما قد يرجح تطابق طوبونيمي بين الاسمين. وهو ما يقابل تحول اسم القبيلة إلى اسم موقع، والامثلة في ذلك كثيرة[1].

بغاية = بجاية (صنهاجة)[2]:

Baghaya- Badjaya

تظهر مقاربة جديدة، بين تسمية باغاية واسم عاصمة الحماديين الثانية بعد القلعة، وهي بجاية، والتي هي في الواقع اسم لقبيلة، وهذا ما نستشفه في قول صاحب العبر:" وتسمى باسم القبيلة وهي بجاية"[3]. إن مكمن المقاربة يظهر في النص الموالي لابن خلدون، حين يقول:" إلا أن الكاف فيهم بلغتهم ليست كافا بل هي بين الجيم و الكاف"[4]. ومعنى هذا أن الحرف الذي بين "الجيم" و "الكاف" يرجح أن يكون حرف "الغين"، وعليه يتحول اسم القبيلة من بجاية إلى بغاية وهو مطابق تماما للاسم المعرب من الأصل اللاتيني أو الفينيقي أو النوميدي الذي توصلنا إليه سلفا.

لكن يبقى الأمر مستبعدا نوعا ما، لأن المجالات الأوراسية كانت منطقة نفوذ تتقاسمها قبائل زناتة، وكتامة، مما يرجح عدم صحة هذا التطابق من الناحية الموضوعية، مع تطابقه الفعلي من الناحيتين الشكلية والصوتية. وقد أشار عبد الوهاب بن منصور إلى تشتت أوصال هذه القبيلة، ولم يعد لها ذكر بأوطانها الأصلية، وقدم مطابقة لبقاياها مقرونا بإثنونيم في القطر التونسي مطابق لبجاية المغرب الأوسط، متسائلا:" ولست أدري أقبيلة بجاوة المتوطنة بشمال القطر التونسي من بقايا بجاية أم لا"[5].

من العمق البربري ؟ الليبي – الفينيقي؟ إلى العربي:

Habegha-Tabegha- Tibagain

إن المقاربة التي نقلها لنا بيلغرن عن جورج مارسي، تؤكد بحسب جعيط تلاؤم اللغة العربية مع الأشكال الأصلية البربرية، وهذا من خلال عملية التعريب التي تنطلق من الأصل اللوبي- الفينيقي ثم

---

[1] محمد حسن، الجغرافيا التاريخية لإفريقية، ص 11-12. (من النماذج ببلاد الزاب مليلة أحد بطون هوارة التي ستأخذ اسم الموقع مليلى)

[2] " بجاية: اسم قبيلة صنهاجية كانت تسكن الجبال الواقعة غرب وادي سمام قريبا من البحر، كان بساحلها مرسى بني قربه الناصر بن علناس أحد ملوك بني حماد مدينة سماها الناصرية 470 لكنها بقيت تعرف بين الناس باسم القبيلة". عبد الوهاب بن منصور، قبائل المغرب، المطبعة الملكية، الرباط، 1388هـ/ 1968م، ج1، ص 330.

[3] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 232.

[4] نفسه، ج6، ص 231.

[5] المرجع السابق، ج1، ص 330.

اللاتيني ثم البيزنطي، فوصولا إلى العربية[1]. هذا التوجه يرى بيلغرن بأنه يوافق التعريب الظاهر في اسم الموقع باغاي/ باغاية [2]. ويشير هشام جعيط إلى أن باغاي تعود أصولها البربرية لمحور التسمية (*h.b gou* *t.b. g*)، وهي نفس التسمية التي اشتقت منها (*Vaga*)[3].

أما عن المدلول اللغوي لبغاي، فهو مرتبط بمعنى الحوض المائي أو الساقية العظيمة، كما تشير إلى نبتة الورد البري أو النسرين (Rosa canina)، وهذا انطلاقا من اشتقاقها من الاسم تابغا[4].

ب- تهودة:

تحديد الموقع الجغرافي:

تهودة أو مدينة السحر[5]، من بلاد الزاب بالقرب من بسكرة[6]، على بعد حوالي 16 [7]- 20 [8] كم أو 12 ميلا إلى الجنوب الشرقي منها[9]، وإلى الشمال من سيدي عقبة على بعد حوالي 4- 6 كم، في الطريق سيدي عقبة- سيدي خليل[10]. وتأخذ تهودة موقعها في أسفل سفوح جبال الأوراس إلى الجنوب، في مخرج مجرى وادي الأبيض، وعلى الطريق الروماني القديم الذي يقع بالقرب منها موقع بادس[11]، وتشكل أعظم مدائن المغرب، مستمدة شهرتها من المأثور المنسوب في نصوص أبي العرب إلى النبي (ﷺ)[12].

وعرفت تهودة بموقعها الاستراتيجي في العهد الروماني، حيث كانت تتحكم في سهل السعدة الزراعي جنوبا، وسهل شيشة ولوطاية في الشمال الغربي على طريق بسكرة – طبنة، كما ميزها موقعها

---

[1] هشام جعيط، المرجع السابق، ص 53.

[2] «D'après G. Marçais (Top. Ant, p. 255-256), le thème nominal habegha, tabegha, pl. tibagain 'ronces' et 'mure sauvage' qui driverait du touareg abegh 'plisser, être plissé' justifierait les noms Bagai, act. Baghai ».Pellegrin, *op. cit,* p. 77.

[3] هشام جعيط، المرجع السابق، ص 53.

[4] خديجة ساعد، المرجع السابق، ج1، ص 68-69.

[5] البكري، المصدر السابق، ج2، ص 255.

[6] الحميري، المصدر السابق، ص 142.

[7] الهادي روجي ادريس، المرجع السابق، ج2، ص 88.

[8] الطالبي، المرجع السابق، ص131 و 295.

[9] يوسف عيبش، المرجع السابق، ص 382.

[10] Pierre Morizot, « Regard sur les inscriptions de Thouda du XVIIIe siècle à nos jours », *Comptes rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres*, 154-2 (2010), p. 817 ; Yacine-Rabah Hadji, « Thouda, aperçu archéologique », *Revue Aoures, Société d'étude et de recherches sur l'Aurès antique*, Paris, 3 (2006), p. 323.

[11] A.A.A, F°49, N°1.

[12] أبو العرب، طبقات علماء إفريقية، ص 9- 10.

على خط الليمس كحصن من الحصون المهمة[1]، والتي حمت وحافظت على حدود جنوب الاوراس، النمامشة مع بسكرة وبادس.

واشتهرت المدينة بحصنها المنيع الذي جاء ذكره في فوستيوم باراداز[2]، كما حاول كومبيزا تحديد أبعاده[3]، في حين ساهم ياسين رابح حاجي، في تحديد مواصفات وأبعاده[4].

الموقع في التاريخ القديم:

Tabudium – Thabudeos – Dabousis – Babosis

– ورد اسم الموقع على ألواح بوتينغر بالشكل (*Thabudeos*) من خلال المسلك المتفرع الواصل من جهة بينها وبين موقع بادس (*Badensis*) في الجنوب الأرواسي، ومن جهة أخرى مع مليلى (*Gemellae*)[5].

– أوردها المؤرخ الروماني بلين القديم ضمن المدن الرومانية المحصنة بالشكل اللاتيني (*oppidum Tabudium*). وبحسب كاركوبينو، وغزال، فالاسم الوارد في " التاريخ الطبيعي" لبلين القديم، مخلدة للحملة العسكرية التي قادها كورنليوس بالبوس ضد قبائل الجرامنت (*Gramantes*) مابين 26 و20 ق.م[6]، وانتهت بامتلاك المدن الثلاثين الحرة، ومنها (*Tabudium*) سنة 19 ق.م[7].

– بحسب غزال، فبطليموس يذكرها في جغرافيته، ويضعها في مقاطعة نوميديا بعد لمبيز[8]، وجاءت بالشكل (*Thabudis*)، ويحدد موقعها إلى الشرق من بسكرة على بعد 12 ميل[9]، كما يذكرها في مقاطعة موريطانية القيصرية[10].

---

[1] محمد الصغير غانم، المظاهر الحضارية والتراثية، ج4، ص 508.

[2] « Ce Castrum n'aurait pu être dominé par la plate-forme supérieure portant le village actuel de Thouda, et qui le commande, si celle-ci n'avait été, elle aussi, puissamment fortifiée ». Baradez, *op. cit,* p. 285 et 287 .

[3] « Castrum en forme de trapèze mesurant 118 m. sur ses faces parallèles. Les latérales n'ont que 65 m. les quatre angles étaient pourvus de tout carrées ». Cambuzat, *op. cit,* vol.2, p. 204.

[4] « Les grands côtes nord et sud ont respectivement 115,80 m et 117,80m- les côtés ouest et est, 71m et 73m, tours d'angles comprises (celles-ci ont 6,20m de côté et non 5,50 m comme l'indique Baradez). La tour la mieux conservée est celle du nord-est, les autres sont partiellement rasées ». Yacine-Rabah hadji, *op. cit,* p. 330 et 331 (le Plan du fort- castrum-).

[5] Diehl, *op. cit*., p. 245; A.A.A, F°49, N°1 et 51.

[6] A.A.A, F°49, N°1; J. Carcopino, « Le limes de Numidie et sa garde syrienne d'après des inscriptions récemment découvertes », *Syria. Archéologie, Art et histoire*, 6-1 (1925), p. 37-38.

[7] زهير بخوش، التركيبة البشرية لمجتمع الريف الأرواسي أثناء الاحتلال الروماني، أطروحة دكتوراه علوم في الآثار القديمة، إشراف: محمد المصطفى فيلاح، معهد الآثار، جامعة الجزائر2، 2017/2016، ص 204.

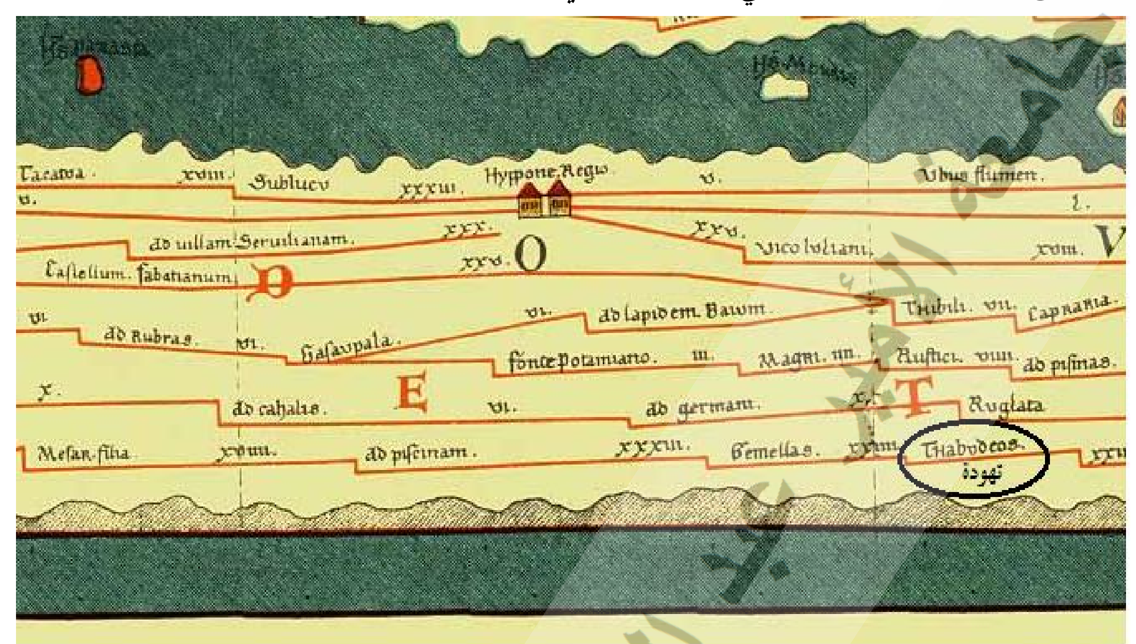
[8] A.A.A, F°49, N°1.

[9] زهير بخوش، المرجع السابق، ص 205.

[10] يوسف عيبش، المرجع السابق، ص 382.



- سنة 411م، يظهر إسم الموقع في المجمع القرطاجي بالشكل (*Tabudensis*)، من خلال مشاركة أسقفين عن المدينة: أحدهما كاثوليكي، والآخر دوناتي[1].



تهودة على ألواح بوتنغر

(المرجع: Tabula Peutingeriana, P a r s I V [2])

- بحسب غزال، فبطليموس يذكرها في جغرافيته، ويضعها بداية في مقاطعة نوميديا بعد لمبيز[3]، وجاءت بالشكل (*Thabudis*)، ويحدد موقعها إلى الشرق من بسكرة على بعد 12 ميل[4]، كما يذكرها في مقاطعة موريطانية القيصرية[5].

- سنة 411م، يظهر إسم الموقع في المجمع القرطاجي بالشكل (*Tabudensis*)، من خلال مشاركة أسقفين عن المدينة: أحدهما كاثوليكي، والآخر دوناتي[6].

- وفي سنة 484م، جاء ذكر الموقع (*Tabudensis*) في المجمع الديني لقرطاج، ومثل المدينة أسقف دوناتي[7].

---

[1] *Ibid*, F°49, N°1.

[2] Tabula Peutingeriana:
http://www.hs-augsburg.de/~harsch/Chronologia/Lspost03/Tabula/tab_pe04.html.

[3] A.A.A, F°49, N°1.

[4] زهير بخوش، المرجع السابق، ص 205.

[5] يوسف عيبش، المرجع السابق، ص 382.

[6] *Ibid*, F°49, N°1.

[7] *Ibid, F°49, N°1.*



- بحسب يوسف عيبش، فإن هناك تسمية أخرى وردت عند المؤرخ البيزنطي بروكوبيوس بالشكل (*Dabousis*)، حاول من خلالها تروسي مطابقتها مع الموقع، وقد رأى صعوبة هذه المقاربة في المطابقة بينهما، خاصة وأن بروكوب يأتي مرة أخرى ليضيف تسمية أخرى ممثلة في (*Babosis*)[1].

*مما سبق، يمكن أن نخلص إلى أن التسميات الواردة في كامل النصوص القديمة للموقع، تكاد تتطابق مع الاسم المعرب للموقع: تهودة أو تهوذة (ا)، وينتهي إلى تحديد نفس الموقع الجغرافي إلى الجنوب الشرقي من بسكرة، وعلى بعد 4-6 كم من الموقع الحالي سيدي عقبة. مع استثناء التسميتين (*Dabousis*) و(*Babosis*) لصعوبة تحقيق المقاربة الشكلية أو الصوتية مع باقي التسميات الواردة في المصادر القديمة.

من الإسم الأصلي إلى المعرب:

تهودة- تهوذا- تهوذة-تهودا-تهوده

T'houda-Tahoudha-Tahouda-Tahoudah

أوردت المصادر العربية رسم اسم الموقع، بشكل شبه متباين[2]، ويظهر في الثلاثية: تهوذة – تهودة – تهوذا، في النصوص، والمواضع الآتية:

ورد رسم التسمية على الشكل تهوذة في المواضع الآتية:

- في نصوص صاحب كتاب المحن، خلال تحديده للموضع المشهود بمقتل عقبة بن نافع:" فقتل عقبة وكثيرا ممن معه بقرب مدينة تهوذة"[3].

- في نصوص صاحب الرواية المصرية، فتوح مصر و المغرب:" فأخذ على مكان يقال له تَهُوذَة"[4].

- في معجم البلدان ذكر اسم مطابق للتسمية، لكن للتدليل على اسم قبيلة بأرض افريقية:" تَهُوذَة: بالفتح ثم الضم، وسكون الواو، والذال معجم: اسم قبيلة"[5].

وتظهر صورة اسم الموقع بالشكل تهودة في المواضع الآتية:

- في طبقات أبي العرب، للاستدلال على موضع استشهاد عقبة:" قتل رحمه الله هو وأصحابه بناحية تهودة".

- ويذكرها صاحب الاستبصار في مدن بلاد الزاب إلى الجنوب بالقرب من بسكرة و آخر حد له عند بادس:" مدينة تهودة: بالقرب من بسكرة...مدينة بادس"[6].

---

[1] يوسف عيبش، المرجع السابق، ص 383.

[2] يراجع الشكل المتباين للتسمية في مصادر ومراجع مختلفة من خلال دراسة:.Meouak, *Les Ziban*, p. 201-217

[3] المصدر السابق، ص 290.

[4] المصدر السابق، ج1، ص 267.

[5] الحموي، المصدر السابق، مج2، ص 64.

[6] الاستبصار، ص 174.

- سنة 124هـ/741م جاء ذكر شكل التسمية في الرواية القيروانية بممثلها الرقيق في معرض الحديث عن ثورة الاباضية-الصفرية ضد كلثوم بن عياض. كما ورد الشكل بصورة أخرى (تهوده) ونظنه تحريف غير مقصود، أو إشكالية في النسخ[1].

- ورد الموقع بالشكل تهودة في نصوص رياض النفوس، خلال ذكره لقاء كسيلة وعقبة:" فغشى كسيلة عقبة بقرب تهودة"[2].

- وجاءت في الروض المعطار بالشكل تهودة، محددا موضعها بين بسكرة وأوراس:" من بلاد الزاب بالقرب من بسكرة...ولها نهر كبير ينصب إليها من أرواس"[3].

وجاء رسم اسم الموقع بالشكل تهوذا في المواضع الآتية:

- أورد شكل التمسية صاحب الكامل في معرض حديثه عن فتوحات عقبة، وموضع استشهاده وأصحابه:" وسار إلى تهوذا لينظر إليها في نفر يسير"[4].

- في النصوص الجغرافية والرحلاتية، يظهر إتفاق في ذكر الشكل تهوذا، في أحسن التقاسيم، صورة الأرض، ومسالك ابن الوراق والبكري[5].

ويذكر اسم الموقع بالشكل تهودا في المواضع الآتية:

- بتحريف بسيط بين الذال والدال، جاء ذكر الموقع بالشكل تهودا في نصوص صاحب البيان المعرب:" وغشيه بهم كسيلة بقرب تهودا"[6].

- وهو نفس الشكل الذي يظهر في تاريخ ابن خلدون المسمى العبر:" وكان قتل عقبة بن نافع في البسيط قبلة جبل أوراس بإغرائها برابرة تهودا"[7].

نلاحظ مما سبق، أن التسمية المعربة تكاد تتشابه في أغلب المصادر العربية، مع تباين طفيف في الشكل والمنطوق:

- الشكلان (تهوذة) و(تهوذا): يكاد يكون واحد في النطق خصوصا، فالتاء المهموزة (ة) التي تنتهي بها التسمية الأولى تكتب ولا تكاد تنطق عند قراءة التسمية، وكذلك حال الألف الممدودة في الشكل الثاني

---

[1] المصدر السابق، ص 77 و 105.

[2] المالكي، المصدر السابق، ج1، ص 43.

[3] الحميري، المصدر السابق، ص 142.

[4] المصدر السابق، ج3، ص 452

[5] المقدسي، ص 218؛ ابن حوقل، ص 87؛ البكري، ج2، ص 255.

[6] ابن عذارى، ج1، ص 28.

[7] المصدر السابق، ج7، ص 13.



تهوذا، فهو غير منطوق كذلك بالرغم من أنها مكتوبة، وعليه نرجح أن يكون التباين مجرد تصحيف للتاء المهموزة (المربوطة) أو نسخ . مع ملاحظة بسيطة بين الاسمين تهوذا و تهودا، نرجح أن هناك تصحيف بسيط في الحرفين الدال و ذال.

- الشكلان (تهودة) و(تهوذة): مكمن الاختلاف هو بين دال التسمية الأولى وذال التسمية الثانية، وهنا نرجح أن عملية التعريب من الأصل قد تكون استندت على الحرف (D أو d/ð) البربر-لاتيني، والذي يقابله خلال عملية التعريب الحرفين (دال) أو (ذال)[1].

ونخلص في الأخير، إلى أن التسمية التي ذكرت في النصوص العربية تحيلنا كلها إلى الموقع الشهير، والذي يوافق استشهاد عقبة وأصحابه به، ثم يتحول إلى بؤرة صراع بين الجماعات الصفرية والحكام الأغالبة، قبل أن يغيب دوره بشكل محير في باقي تاريخ بلاد الزاب ما بعد القرن الهجري الثالث.

من العمق المحلي (البربري) ؟ إلى العربي:

يمكن أن يتطابق اسم الموقع تهودة مع مدلوله في البربرية، والذي يندرج ضمن التصنيف الطوبونيمي الفيتونيم (Phytonyme) المرتبط باشتقاق أسماء المواقع من أسماء النباتات، كما يورده المعجم الأمازيغي- العربي:

*تيف — "التِّيفَا"، عشبة تسمى عشبة البرك، وتسمى "البُوط" في مصر= أبودا، تابودا؛ le typhe؛ la massette؛ le jonc des marais.[2]

وانطلاقا من التسمية اللاتينية التي وردت في النصوص القديمة بالشكلين: (*Tabudium*) *Thabudeos)*، فإننا نرجح أن يكون الاسم المحلي (البربري) مطابقا للكلمة تبودة/ تبودا (*Tabuda)*، وهذا إعتمادا على المطابقة التي يقدمها توشار: (*Tehouda=Thabouda*)[3]. كما يمكن الاعتماد على مطابقة لتسميات تحمل نفس الشكل، على غرار تبودة الواقعة بسبدو- تلمسان، حيث تشير القراءات إلى أن (*Tabuda*) هي تسمية بربرية دالة على نبات الأسل الغدر أو سمار[4].

---

[1] Mohand Tilmatine, *op. cit.*, p. 92 ; Mohand Tilmatine, « Toponymie et Idéologie: L'arabe et le berbère en Afrique du Nord », Els noms en la vida quotidiana. Actes del XXIV Congrés Internacional d'ICOS sobre Ciències Onomàstiques. Annex. Secció 11, Biblioteca Tecnica de Politica linguistica, p. 2709.

[2] محمد شفيق، المرجع السابق، ج1، ص 195- 196.

[3] Touchard, « Note sur les fouilles faites à Tehouda », *Recueil des notices et mémoire de la société archéologique du département de Constantine*, 35 (1901), p. 151.

[4] فاطمة الزهراء نجراوي، المرجع السابق، ص 46.



المطابقة الثالثة، التي تتلائم مع التسمية المعربة، والتي أوردها كل من بيلغرن وبروفوتال، قد تكون التسمية المحلية المنتشرة في الجريد ذات الشكل (*Tabedit*)، والمشتقة من نفس الجذر (*Bedd*)، والمرتبطة بموضع بجوار مجرى مائي، أو المنبع المائي، والذي يمكن أن يستخرج منه تسميات بنفس الشكل تبودا، مثل (*Tebedde*) و(*Tibedd*).

ومن جهة أخرى، يلاحظ ذكر التسمية تبودا (*Tabuda*) في صورة الأرض، ضمن صنف الهيدرونيم، مرتبطة بمورد مائي هو العين:" عين تعرف بتبودا"[1]. مما قد يؤكد فرضية المطابقة الثانية بأن أصل التسمية محلية (بربرية) مشتقة من الجذر (*bed*)، وتعني التوطين بالقرب من المجرى المائي، ونموذجها هنا العين.

تهوذة = تهودا (أوربة)

إن الوجه الآخر للمقاربة، يتمثل في ربط اسم الموقع تهودة/تهوذة بفرع من فروع أوربة، وهي قبيلة تهوذة أو تهودا، وهذا انطلاقا من المعطيات الواردة في الرواية الإخبارية لصاحب الكامل المنقولة عن ابن شداد الصنهاجي، حين يقر بوجود قبيلة تحمل إسم تهوذة كانت تستوطن الموقع[2]. نفس الرواية نجدها عند صاحب معجم البلدان:" تهوذة: قبيلة من البربر بناحية إفريقية لهم أرض تعرف بهم"[3].

تأكيد آخر لهذه المقاربة جاء به صاحب مراصد الاطلاع عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي صفي الدين (ت 739هـ/1339م):"تهودة بالفتح، ثم الضم، وسكون الواو، والدال مهملة: أرض لقبيلة من البربر هم تهودة"[4]. كما ورد الاشارة إلى ذلك في نصوص العبر، حين يشير إلى بربر تهودا قبلة جبل أوراس، وعلاقتهم بمقتل عقبة وأصحابه على أرضهم[5].

ت- بادس:

تحديد الموقع الجغرافي:

آخر حدود مجال الزاب[6]، تقع إلى الشرق من بسكرة، وإلى الجنوب الشرقي من الأوراس إلى اليسار من وادي العرب[7]، عند مصب مجرى الوادي الأبيض – العرب بالمنحدرات الصحراوية لمنطقة

---

[1] ابن حوقل، المصدر السابق، ص 87.

[2] إيناس حسني البهجي، تاريخ الدولة الأموية، مركز الكتاب الاكاديمي، الأردن، 2016، ص 377 (الهامش).

[3] الحموي، المصدر السابق، مج2، ص 64.

[4] البغدادي، مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع، دار الجيل، بيروت، 1412هـ/1992م، مج1، ص 283.

[5] ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 13.

[6] البكري، المصدر السابق، ج2، ص 257؛ الاستبصار، ص 175.

[7] De Torcy, *op. cit.*, p. 17 ; A.A.A, F° 49, N° 51.



التخوم الجنوبية[1]. على مرحلة من تهودة[2] أو حوالي 70كم، على طول الطريق الروماني القديم[3]، الذي يتفرع في عدة اتجاهات، فيربطها بموقع تادارت (*Ad Medias*)، والذي يتواصل أسفل النمامشة باتجاه الجريد التونسي، كما يرجح ارتباطها بمسلك مع خنشلة عبر تامقرا، وترتبط كذلك مع تيمقاد عبر مجرى وادي ملاقو[4]. وتستقر المدينة الأثرية بادس في موقع استراتيجي، وتجاري حيوي، فهي على مقربة من أول بلاد سماطة قيطون بياضة، والتي منها تنفصل الطريق إلى بلاد السودان، إلى طرابلس، وإلى نفطة والقيروان من تونس[5].

ويتوافق الموقع الحالي مع قرية بادس الواقعة ضمن نطاق زريبة الوادي إلى الشرق من بسكرة، على بعد حوالي 95كم منها، ولازالت منطقة أثرية بامتياز، نظير بقايا قنوات الري الرومانية التي بقيت معالمها شاهدة على دورها الزراعي خلال فترات طويلة من تلك الحقبة، وكذلك معالم قصر بادس الذي تذكره مصادر التاريخ القديم، والشاهد على الامتداد البيزنطي في الجنوب، أين كانت أحد مراكز مراقبة سهول الجنوب الأوراسي، وحول وادي العرب[6]. ومثلت بادس على عهد الإمبراطور تراجان نقطة دعم واسناد للحدود العسكرية في الجنوب الأرواسي[7].

الموقع في التاريخ القديم:

Badias- Vadis - Ad Badias - Badiensium - Vadenses

- جاء ذكر الموقع بالشكل (*Ad Badias*) على النقيشة التي يرجح أنها مخلدة لمكان الحامية العسكرية المستقرة بالموضع، والتي عثر عليها بموقع القصبات[8].
- ورد الموقع في جغرافية بطليموس[9].
- وورد في الوثائق الادارية الرومانية بالشكل (*Badiensis*)[10].
- ذكر الموقع في ألواح بوتنغر بالشكل (*Badias*)[11].

---

[1] زهير بخوش، المرجع السابق، ص 202.

[2] ابن حوقل، المصدر السابق، ص 87؛ البكري، المصدر السابق، ج2، ص 257؛ الحميري، المصدر السابق، ص 75.

[3] Tissot, *op. cit.*, T.2, p. 528.

[4] A.A.A, F° 49, N° 1 et 51.

[5] الاستبصار، ص 175.

[6] يوسف عيبش، المرجع السابق، ص 386.

[7] A.A.A, F° 49, N° 1.

[8] *Ibid.* F° 49, N° 51.

[9] *Ibid.* F° 49, N° 51.

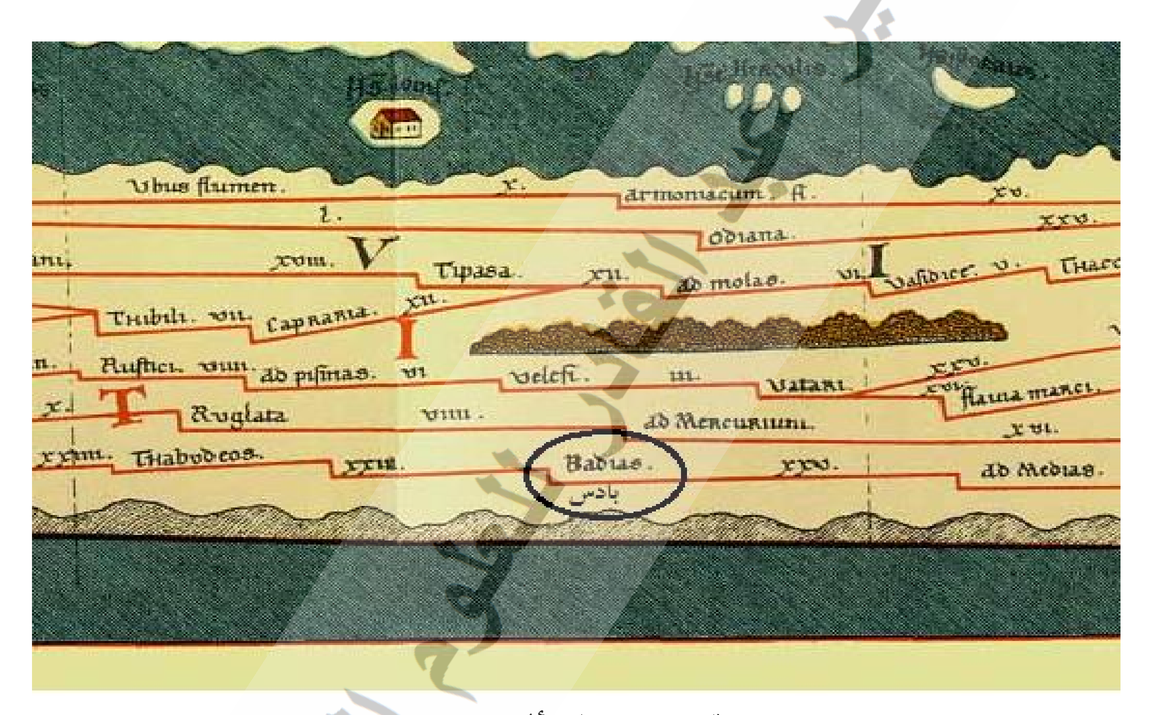
[10] *Ibid.* F° 49, N° 51.

[11] A.A.A, F° 49, N° 1.

- ويظهر خلال القرن الميلادي الثالث اسم الموقع مرة أخرى على نقيشة[1] عثر عليها بموقع زاوية بني باربار بنواحي خنشلة، والتي ورد فيها ارتقاء بادس إلى بلدية رومانية، وخلدت النقيشة أحد أعضاء مجلسها، وجاء رسم الموقع بالشكل (*Badiensium*)[2].

- سنة 411م، لم يختلف شكل الاسم عن الذي ورد في وثيقة الليمس نوتيتيا دينيتاتوم، وذكر من خلال بروز تمثيل أسقف دوناتي للمدينة في المجمع الديني لقرطاجة[3].

- وسنة 484م، يرجح تمثيل المدينة (*Vadenses*) بأحد الأساقفة دون تحديد أهو دوناتي أم كاثوليكي[4].



موقع بادس على ألواح بوتنغر

(المرجع: Tabula Peutingeriana, P a r s V)[5]

بادس – باديس

Badîs – Badès

أوردت المصادر العربية تسميتين متباينتين للموقع: بادس وباديس. وهذا يجعلنا نطرح باستمرار اشكالية

---

[1] C.I.L., 2451 = 17954.

[2] A.A.A, F°39 N°71 ET F°49, N°51.

[3] *Ibid*. F°49, N°51.

[4] A.A.A, F°49, N°51.

[5] Tabula Peutingeriana: http://www.hs-augsburg.de/~harsch/Chronologia/ /tab Lspost03/Tabula _pe05.html.

الموقعية، فهل هذا التباين يحيلنا إلى موقعين مختلفين؟ أم الأمر لا يتعدى تصحيف/تحريف، أم اشكالية نسخ؟

ورد الموقع تحت اسم بادس في المواضع الآتية:

-في نصوص الفتح التي أوردها النويري، وابن أبي دينار، وقد انفردا برواية ذكر عقبة لموقع بادس مقترنا بموضع استشهاده تهوذة.

في نهاية الأرب: " وسار يريد تهوذة لينظر إليها وإلى بادس، ويعرف ما يسدهما من الفرسان، فيترك فيهما بقدر الحاجة"[1].

في المؤنس:" فتقدمت جيوش عقبة وبقي في نفر يسير من أصحابه إلى أن بلغ تهودة وبادس، فغلقوا ابوابهم دونه وشتموه من أعلى أسوارهم"[2].

-ارتبطت تسمية الموقع بادس كغيرها من مدن الزاب باستقرار الجماعات الرياحية، وجاء ذكرها في تاريخ ابن خلدون، في قوله:" وعليهم رياح والذواودة فنزلوا بلاد الزاب، واتخذوا بها الآطام والمدن مثل الدوسن وغرييوا وتهدوه ونقموه وبادس"[3].

-وردت في المصادر الجغرافية والرحلاتية في شكل واحد (بادس)، كما في أحسن التقاسيم عند تفصيله مدن الزاب على عهده، ومنها مدينة بادس[4]؛ وفي صورة الارض لما يذكر المدن التي تجاور جبل أوراس من الجنوب:" جبل أوراس وعن يساره من المدن: بسكرة، تهوذا، باديس"[5]؛ ويذكر الموقع صاحب الاستبصار بالتفصيل:" مدينة بادس: وهي مدينة كبيرة، لها حصنان وأرباض واسعة وهي مدينة قديمة فيها آثار الأولين...وبالقرب منها قيطون بياضة وهي أول بلاد سماطة"[6]. وورد الموضع عند صاحب نزهة المشتاق مرتبطا بحصنه، وغصب العرب لأراضيه:" حصن بادس وهو أسفل طرف جبل أوراس ثلاث مراحل وهو حسن عامر بأهله و العرب تملك أرضه، وتمنع الخروج عنه إلا بخفارة رجل منهم"[7].

- وكذلك وردت الموقع بالشكل بادس في: معجم البلدان، الروض المعطار، وتاريخ العدواني[8].

[1] النويري، المصدر السابق، ج24، ص 15.

[2] إبن أبي دينار، المصدر السابق، ص 29.

[3] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 34.

[4] المقدسي، المصدر السابق، ص 221.

[5] ابن حوقل، المصدر السابق، ص 67 و 87.

[6] الاستبصار، ص 175.

[7] الادريسي، المصدر السابق، مج1، ص 264.

[8] الحميري، ص 75؛ الحموي، مج1، ص 317؛ العدواني، ص 82.

-وجاءت صورة الاسم بالشكل باديس، حيث ينفرد صاحب المسالك والممالك برسم الموقع بالشكل باديس، فيقول:" مدينة باديس حصنان فيهما جامع وأسواق وبسائط ومزارع جليلة يزرعون بها الشعير مرتين في العام على مياه سائحة كثيرة عندهم، ومن باديس إلى قيطون بياضة، وهو اول بلاد سماطة"[1] .

ماذا نستنتج مما سبق؟ نلاحظ أن اسم الموقع يظهر بشكل واحد في أغلب المصادر العربية المتقدمة والمتأخرة، وقد ورد بالشكل (بادس): بكسر الدال المهملة وسين غير معجمة. ولا يشذ عن المصادر العربية غير البكري الذي يظهر في نصوصه ذكر الاسم بشكل مختلف نوعا ما، حيث يظهر تتوسط الدال المهملة والسين غير معجمة ياء. ونرجح أن يكون هذا هو الاسم المعرب الصحيح من التسمية اللاتينية الأصلية، وأن الشكل الآخر ماهو إلا تصحيف لحرف الياء في الاسم الأول الوارد عند البكري.

- التسمية باديس:

Vadis -الأصل-	⬅ -تعريب-	باديس

نرجح أن الاصل اللاتيني يميل في شكله التركيبي إلى منطوق اللغة الايبيرية، وعلى الارجح الاسبانية، والتي لا تنطق في بداية الاسم حرف v أين يتحول إلى حرف B أو P وهو ما يقابل حرف الباء في العربية. وعليه يمكن أن نرجح نشوء التسمية باديس من تعريب حرفي للاسم اللاتيني مع نقل حرفه الأول إلى باء: V (فاء) - B (باء).

- التسمية بادس:

Badias -الأصل-	⬅ -تعريب-	بادس

يظهر اسم الموقع بادس من عملية تعريب الاصل اللاتيني (*Badias*) مع تخفيف الياء التي تقابل I في الأصل واهمال حرف A من الأصل لمنع الثقل في المنطوق، فيتحول من بادياس إلى بادس. وهذه العملية قد لا تكون منطقية، والأصح قد يكون بحذف الحرفين الأخيرين الذين نظن بأنهما يوافقان الكتابة اللاتينية في نهاية الأسماء.

من العمق المحلي إلى العربي:

Ubdis (sn.) – Ibadisen (pl.)

من الفرضيات التي طرحتها ساعد خديجة، والتي ترجح الأصل المحلي للتسمية المعربة بادس/باديس هي مطابقتها مع الكلمة البربرية (*Ubdis*) من الجذر(*BDS*)، والتي تشير في مدلولها إلى المكان المنبسط، وجمعها (*Ibadisen*)[2]. وهذا الترجيح قد نجد له تفسير في النصوص القديمة، أين يتم ذكر أهمية الموقع من الناحية الفلاحية، وانتشار منشآت الري به، وهو ما يؤكده تواصل هذه الوضعية خلال العصر الوسيط، من خلال ما يورده البكري: "بسائط ومزارع جليلة"[3]، كما يشتهر الحيز التي تشغله بادس بالانتاج

---

1 البكري، المصدر السابق، ج2، ص 257.

2 خديجة ساعد، المرجع السابق، ج1، ص 67.

3 البكري، المصدر السابق، ج2، ص 257.



الوافر للشعير:" يزرعون بها الشعير مرتين في العام"[1]. ومن الناحية العسكرية أين اشتهرت بقلعتها البيزنطية، وتواصل توطين الحصون بها خلال الفترة الوسيطة:" وبمدينة بادس حصنان"[2]. وعليه من الممكن أن يكون أصل التسمية المحلية للموقع يطابق التسمية إيبديس (*Ubdis*).

بادس ... الهومونيم:

إن خصوصيات أسماء المواقع ببلاد المغرب الاسلامي عموما، وببلاد الزاب تخصيصا، تطرح ميزة وحدة الأسماء الموقعية في مجالات مختلفة، مما يحيلنا على تواصل ووحدة الموروث الحضاري وبالخصوص الثقافي من وحدة لسان ولغة[3]، ورأينا أن هذه الوحدة التي تخص إسمين لموقعين متطابقين أو أكثر يقعان في رقعتين جغرافيتين مختلفتين، أو مجالات جغرافية متعددة، تنطبق مع التصنيف الطوبونيمي الهومونيم.ومن هذه النماذج، إسم الموقع بادس، والذي نجد له تطابق طوبونومي مع بادس- فاس المغرب الأقصى، من خلال ما أوردته النصوص العربية:

- وردت التسمية بادس- فاس في جغرافية الزهري:" الصقع الثاني: المغرب الأقصى...مدينة بادس"[4].
- جاء ذكر التطابق في معجم البلدان:" بادس: بكسر الدال المهملة، وسين معجمة: إسم لموضعين بالمغرب: بادس فاس...بادس الزاب، وبادس فاس على البحر قرب فاس"[5].
- أوردها ابن سعيد المغربي في كتابه الجغرافيا:" وأول ما يلقاك في بر العدوة بعد سبتة جبل غمارة...وبينه و بين سبتة ستة وعشرون ميلا، وإلى نهر لو النازل منه عشرة أميال وهو كبير تدخله المراكب وتسير فيه إلى مدينة بادس"[6].
- ويظهر اسم الموقع في حدود 557هـ/1162م في نصوص صاحب الأنيس المطرب مقترنا بتحضيرات عبد المؤمن بن علي الكومي لغزو الروم برا و بحرا، من خلال أمره بإنشاء أساطيل على طول المدن التي كانت تحت حكم الموحدين، ومنها:" طنجة، وسبتة، وباديس [بادس] ومراسي الريف مائة قطعة ومنها ببلاد إفريقية"[7].

---

[1] الاستبصار، ص 175.

[2] الحميري، المصدر السابق، ص 75.

[3] محمد حسن، الجغرافيا التاريخية لإفريقية، ص 10.

[4] الزهري، كتاب الجعرافية، تحقيق: محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ت، ص 113.

[5] الحموي، المصدر السابق، مج1، ص 317.

[6] ابن سعيد المغربي، المصدر السابق، ص 139.

[7] ابن أبي زرع، المصدر السابق، (باديس) في طبعة أوبسالة 1843م، ص 130، و(بادس) في طبعة الرباط، 1972م، ص 201 و 271 و 331. والراجح أن نفس التفسير الذي ذكرناه سلفا ينطبق على مثل هذا التباين في التسمية، والذي أرجعناه إلى النسخ.

ث- نقاوس:

تحديد الموقع الجغرافي:

من بلاد الزاب[1]، تقع إلى الشمال من جبل أرواس[2]، على مرحلة منه[3]، وهي في الجنوب الغربي من باتنة، وعلى مقربة منها مدينة طبنة[4] بحوالي 30 كم إلى الجنوب[5]، وعلى مرحلتين منها مدينة بسكرة[6]. وإلى الغرب منها الكتلة الجبلية لبلزمة[7]. تمتاز بموقعها الجغرافي المميز، فهي تتوسط المعابر بين السهول العليا السطايفية والقسنطينية من جهة، ومنخفض الحضنة من جهة أخرى[8]، فلا تبعد عنها المسيلة إلا أربع مراحل[9].

وتتموقع نقاوس في نقطة تتحول منها مسالك وطرق رومانية قديمة، فهي معبر للمسلك القادم من لماصبا (مروانة الحالية) نحو هنشير واد الرحابة (رأس العيون الحالية)، ويتواصل في اتجاهين إلى زراي و تاوريرت، ثم يعود ليرتبط بالطريق المتجه من أوزيا إلى سطيف عبر الحضنة. فسطيف على مرحلتين من المسيلة[10]، ونقاوس على ثمانين ميلٍ من المسيلة[11]؛ ومنها يسير مسلك باتجاه مدينة طبنة على طول مرحلتين[12]، ومنها إلى سفيان[13]. وتتصل كذلك نقاوس بمدينة بغاي عبر بلزمة، وهو طريق الغرب المتصل بالقيروان وينتهي عند تاهرت وفاس[14].

الموقع في التاريخ القديم:

Nicivibus- Nicivensis- Nicibensi

---

[1] اليعقوبي، المصدر السابق، ص 140؛ الحموي، المصدر السابق، ص 579.

[2] الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 102.

[3] الإدريسي، المصدر السابق، مج1، ص 264.

[4] بريكة حاليا.

[5] الداعي إدريس، المصدر السابق، ص 390 (الهامش).

[6] عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 287؛ الحموي، المصدر السابق، ص 579.

[7] اليعقوبي، المصدر السابق، ص 140؛ ابن حوقل، المصدر السابق، ص 85؛ البكري، المصدر السابق، ج2، ص227؛ الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 102؛ زهير بخوش، المرجع السابق، ص 194.

[8] Pflaum, *op. cit.*, p. 90.

[9] الإدريسي، المصدر السابق، مج1، ص 264.

[10] البكري، المصدر السابق، ج2، ص 258.

[11] البكري، المصدر السابق، ج2، ص 228 (الهامش)؛ الإدريسي، المصدر السابق، مج1، ص 264.

[12] نفسه، نفس الصفحة

[13] A.A.A, F°26, N°161.

[14] ابن حوقل، المصدر السابق، ص 84-85.

- خلدت الاسم نقيشة من العهد البيزنطي، جاء فيها شكل التسمية (*Nicivensis*)[1].

- وردت تسمية الموقع في نقيشة عثر عليها بموقع هنشير الخريب (خربة أولاد سيدي موسى)، وتحمل رسم الموقع بالشكل (*Nicivensis*)[2].

- سنة 411م، جاء ذكرها في المصادر المسيحية، من خلال قائمة المجمع الديني لقرطاجة أين يتأكد حضور أسقف عنها[3].

- سنة 484م، وردت بالشكل (*Nicibensis*) في قائمة المجمع الديني لقرطاجة، من خلال احتمال أن يكون اسم الأسقف في مجمع 484 من نفس الموقع[4].

- وردت كذلك بالشكل (*Nicivibus*) من خلال نصوص بلين القديم و بطليموس، وهو الطوبونيم المشتق من التسمية الإثنية الدالة على القبيلة (*Necives*)[5].

- يتواصل ورود اسم المدينة على العهد البيزنطي في حدود 581 أو 582م من خلال ارتباطها بالجانب الديني (أسقف) بالشكل (*Nicivensis*)[6].

من الإسم اللاتيني؟ إلى المعرب:

نقاوس– نَقَاوُس– نِقَاوُس – تقاوس– نكاوس – نْقَاوَس

Ngaous - Nagaous - Nigaous – Tgaous - Nkaous - N'gaous

- جاء ذكرها في كتاب البلدان ضمن مجالات الزاب خلال القرن الهجري الثالث/9م، ووردت بالشكل نَقَاوُس[7]. (فتح أوله وثانيه وضم واوه وسين مهملة).

- اتفق على رسم شكلها كل من صاحبي أحسن التقاسم، والاستبصار، وجاءت بالشكل نِقَاوُس[8].

- وردت في مسالك البكري بالشكل نْقَاوَس[9]. (نون ساكنة وفتح قافه و واوه وسين مهملة).

---

[1] A.A.A, F°26, N°161.

[2] *Ibid*.

[3] Pflaum, *op. cit.*, p. 90, Marge n°6 : (Serge Lancel, Actes de la conférence de Carthage en 411. t. 4, 1991, p. 1436).

[4] Tissot, *op. cit.*, T.2, p. 780; A.A.A, F°26, N°161; Pflaum, *op. cit.*, p. 90.

[5] زهير بخوش، المرجع السابق، ص 194.

[6] Pflaum, *op. cit.*, p. 90, Marge n°9; Tissot, *op. cit.*, T.2, p. 28; Poulle, « A Travers la Mauritanie Sétifienne », *Recueil des notices et mémoires de la Société archéologique de la province de Constantine*, 7 (1863), p. 6-7.

[7] اليعقوبي، المصدر السابق، ص 140.

[8] المقدسي، المصدر السابق، ص 220؛ الاستبصار، المصدر السابق، ص 172 (وتظهر في فهرس الأماكن عند صاحب الاستبصار نَقاوس).

[9] البكري، المصدر السابق، ج2، ص 228.

- في حدود 758هـ/1357م، يأتي ذكر الموقع في الرحلة العسكرية للنميري، ووردت بالشكل تقاوس[1]. (تحريف).

- وفي وصف إفريقيا جاءت بالشكل نكاوس[2]. (كاف منقوط).

- كما وردت من دون تشكيل للحروف في مواضع عديدة: في صورة الأرض، نزهة المشتاق، كتاب العبر، أخبار ملوك بني عبيد، وعيون الأخبار. (نقاوس).

- ورد الشكل التركيبي لاسم الموقع بشكل صحيح تقريبا في كل رواية من روايات المصادر العربية، مع تباين في لهجة نطقها بسبب تشكيل الحروف. هذا التباين قد يعود إلى تعريب التسمية من أصلها اللاتيني، كالآتي:

نِقَاوُس– نكاوس:

Nikaous/Nikaws - Nigaous

الشكلين هما الأقرب في نظري إلى المطابقة مع الاسم اللاتيني الوارد في النصوص القديمة نيكيويبوس (*Nicivibus*)، ونلاحظ أن عملية التعريب قد تتم، بطريقتين:

–بإرجاع التسمية إلى أصلها النوميدي أو البربري، وهي نيكيوس (*Nicives*) :

Nicives نيكيوس	⬅ —تعريب—	نِقَاوُس نكاوس

نلاحظ أن حرف (c) في الأصل النوميدي/البربري تقابل حرف (القاف) أو (الكاف)،وفي حالات أخرى قد يقابله حرف (الغين) في العربية لعدم وجود حرف "ڨ".

–تعريب الاسم اللاتيني (*Nicivibus*) المتفق على أنه الاسم القديم للموقع:

Nicivibus نيكيويبوس	⬅ —تعريب—	نِقَاوس نِكَاوس

نلاحظ أن نغمة وصوت الاسم اللاتيني تكاد تطابق التسمية الظاهرة في المصادر العربية، ماعدا اختلاف وحيد في حرف (b)، والذي نرجح أنه قد تم إهماله في التحويل.

–وقد أشار بفلوم (Pflaum) إلى تطابق الاسم المعرب الظاهر في الروايات المتعلقة بالقرن الخامس الهجري/11م، خلال مرحلة الهجرات الهلالية نكاوس/ نِقاوس (*Nikaws*)، مع التسمية اللاتينية، وحتى الفرنسية المنسوخة عنها[3].

تقاوس – تكاوس:

Tgaous – Tkaws

من المرجح أن التسمية الواردة من قبل محقق كتاب رحلة النميري "فيض العباب"، ماهي إلا تحـــريف غير مقصود من قبله، فلا شك أنه يجهل بالضبط الموقع الذي يتحدث عنه النميري، وإلا كيف يســايره

[1] النميري، المصدر السابق، ص 494.

[2] الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 102.

[3] « Nikaws: la forme arabe du toponyme est plus proche de la sonorité et de l'orthographe latine que sa transcription française ». Pflaum, *op. cit.*, p. 91, Marge n° 12.

خلال عرضه للرحلة ومراحلها قبل أن يدخل في تحقيقه للمخطوط من أصله؟ ونلاحظ أنه كذلك خاض مع صاحب الرحلة حين يورد في الصفحات 72، 75، 76 نفس شكل الطوبونيم الوارد في نصوص النميري، دون أن يتحقق من صحة التسمية او يشير إلى العجمة التي بها، وهو الذي يؤكد انتقال السلطان المريني من فرفر إلى نقاوس، ومرة أخرى انتقاله من نقاوس إلى قسنطينة في رحلة العودة عبر مدوكال وسفيان.

ويأتي التأكيد على أن الموقع المقصود هو نقاوس، في ذكر الرحيل من امدوكال إلى نقاوس، أين كانت ملكا بيد أولاد عساكر، وهو ما يطابق المعلومات التي يقدمها كذلك صاحب العبر، والذي يتوازى مع النميري في نفس الفترة من القرن الهجري الثامن/14م[1]. مما يرجح مرة أخرى عدم معرفة المحقق بالمواقع القديمة للأوراس. كما يأتي التأكيد مرة أخرى في النص الموالي حين يقول:" وكان سفيان من المواضع التي تضر بتقاوس أعظم الضرر"[2]. وبالرجوع إلى الخريطة الطوبوغرافية لباتنة التي تنتمي إليها إداريا (حاليا) امدوكال، نقاوس، وسفيان، نجد أن هذه الأخيرة تقع على المسلك امدوكال- نقاوس إلى اليمين، وعليه يتأكد مرة أخرى بأن الموقع المقصود في رواية النميري هو مدينة نقاوس.

-وعليه يكون الاسم الوارد في النسخة المحققة تسمية غير معجمة، والأصح هو نقاوس (دون تشكيل الأحرف)، وهذا بعد تصحيح التصحيف الوارد في النص المحقق، الواضح في حرف التاء الذي تتحول إلى نون، حتى يستقيم الاسم الصحيح للطوبونيم "نقاوس".

نكاوس/ نِقاوس – نيكيوس... الإثنونيم

لقد خلصنا إلى أن الاسم المعرب (نقاوس) الوارد في المصادر العربية بشتى أشكاله، يكون مصدره الأصل اللاتيني نيكيويبوس (*Nicivibus*)، هذا التطابق ليس الوحيد، فهناك مقاربة أخرى، تنطلق من الجانب الإثني- القبلي الواردة في نصوص بلين القديم، وبطليموس على السواء، وتضع نقاوس ضمن صنف الإثنونيم، حيث جاء ذكر إسم قبيلة واسعة المجال، وشكل اسمها يشابه إلى حد كبير اسم الطوبونيم المعرب نقاوس، وجاء بالشكل نِيكيوس (*Nicives*) [3].

ويمتد مجال قبيلة نِكيوس بحسب غزال إلى الشمال-الشرقي عند مروانة، وإلى الجنوب-الغربي من طبنة إلى حدود خربة اللبة على طول 17 ميل، في الجنوب سفيان، والشمال وادي الرحابة حتى هنشير

---

[1] النميري، المصدر السابق، ص 456 (الرحيل عن مدوكال/ أمدوكال) و 460 (نقاوس مواطن استقرار أولاد عساكر منذ زمن الموحدين). ويقارن مع: ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 46.

[2] النميري، المصدر السابق، ص 461.

[3] A.A.A , F° 26, N° 161.



ڤيڤبة[1]. وهي من بين القبائل العشرة التي كانت مجالاتها تمتد من الحدود الشرقية لنوميديا وتنتهي عند الجيتول، والذي يفصل بينها وبين إقليم إثيوبيا سوى وادي الجدي[2]. وبحسب غزال في تاريخ شمال إفريقيا، فالأثيوبيين ثلاث فروع، وهم: الفاروسيي؛ البررسي؛ النكريتاي، هذا الفرع الأخير يرتبط اسمه بوادي جدي بالتسمية القديمة (*Flumen Niger/Nigris*)، الذي كان مجراه من الغرب إلى الشرق، من ناحية الأغواط حتى الجنوب الشرقي لبسكرة [3].

وتظهر عملية التعريب تحويل حرف (C) إلى (ك)، في حين نشير إلى أن حرف (V) في الأصل هو حرف (U) في الفرنسية، ويقابله إما حرف ياء أو واو في العربية. سنتحصل في الأخير على التسمية المنسوخة إلى الفرنسية للموقع والتي تقابل: Nikaws = نِكاوس.

ئگاوس/ أگاوس

Akaws – Igaws

هناك مقاربة أوردتها ساعد خديجة، قد تحيلنا على الاسم المحلي للطوبونيم نكاوس/نقاوس، الذي جذره (GWS)، وله علاقة بالفعل فتش[4]، وقد انطلقت ساعد خديجة من معطيات محمد شفيق في معجمه:

- فتش — فَتَشَ، فَتَّشَ، الشيءَ = ئگّاوس؛...إلخ.
- المفَتِّش:= أمگّاوس/ج/ ئمگّيواس؛...إلخ.
- التَّفْتِيش، تَفْتِيش الشيء أو المكان = أكاوس /ج/ ئكاويسن؛...إلخ[5].

-نلاحظ أن هناك شبه تطابق في الشكل بين الفعل ئكاوس والتسمية المعربة (نكاوس) والتي انفرد بذكرها الحسن الوزان في وصف أفريقيا[6]، ونظن أن عملية التعريب قد حرّفت التسمية المحلية، أو أن التحريف حدث في المرحلة التي تسبق هذه، ونقصد عملية التحويل من الأصل البربري إلى اللاتيني هو من حدث به تحريف، وكل هذا يبقى مجرد قراءات وترجيحات.كما نلاحظ أن مدلول الكلمة المحلية المقابلة للمفتش، تطابق اللهجة الشعبية، حيث ينطق: مڤاوس (*M'gaws*) أو مقاوس (*M'kaws*)،

---

[1] A.A.A , F° 26, N° 78-80-157-161- 179 – 187.

[2] زهير بخوش، المرجع السابق، ص 194.

[3] اصطيفان غزال، تاريخ شمال أفريقيا القديم، ترجمة: محمد التازي سعود، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 2007، ج1، ص 244-245.

[4] ساعد خديجة، المرجع السابق، ج1، ص 179.

[5] محمد شفيق، المرجع السابق، ج2، ص 219.

[6] الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 53.



وقد يكون لعملية التعريب أو التحويل إلى اللاتينية دور في تحريف الاسم المحلي، فتحول من مقاوس إلى نقاوس.

ح- طبنة:

تحديد الموقع الجغرافي:

من أعظم مدن الزاب[1]، فليس من القيروان إلى مدينة سجلماسة مدينة أكبر منها[2]. استقرت في موقع استرتيجي مميز بمقاطعة نوميديا[3]، على الطريق الروماني العسكري القديم بين لمبيز وبسكرة[4]، وتتموقع بذلك بين جبال باتنة وشط الحضنة[5]، واستطاعت أن تصبح بفضل هذا الموقع قصبة أو مركزا مهما على الليمس الروماني[6]، وأن تتحكم شرقا بكل منطقة الحضنة الشرقية، وإلى الجنوب كل السهول المكشوفة على طول الطريق إلى مدوكال والتي تمثل نقطة عبور مهمة لكل ماهو قادم من الجنوب[7].

تتوسط طبنة بلاد الزاب[8]، وترتبط بفضل هذا الموقع مع مدن كثيرة، فنقاوس على مقربة منها[9] على مرحلتين[10]، وبيطام أقرب منها إليها، ونهر بيطام أحد موارد طبنة، إذا حمل سقى جميع بسائطها وفحوصها[11]. إلى الشرق منها تقع مدينة باتنة، وإلى الغرب منها البسيط الغربي (الحضنة)، ومقرة أقرب من المسيلة إلى طبنة، فهي على مرحلة منها، أما المسيلة فهي على مرحلتين من طبنة[12]. ومن الشمال تتقارب مع الهضاب العليا بعاصمتها سطيف، التي كانت حما العرب في حربهم مع المولّدين[13]. ومن الجنوب تستقر بسكرة ومنها وماحولها يستمد المـــولدون حمـــاهم، وبينها وبين طبنة مرحلتـــان، وترتبط

---

[1] اليعقوبي، المصدر السابق، ص 140؛ الحميري، المصدر السابق، ص 387.

[2] البكري، المصدر السابق، ج2، ص 228.

[3] A.A.A, F°37, N°10.

[4] Deihl, *op. cit.*, p. 249.

[5] J. Desanges, « Enipi », *Encyclopédie berbère,* 17 (1996), p. 2643.

[6] Blanchet, *op. cit.*, p. 289.

[7] Grange, *op. cit.*, p. 65.

[8] اليعقوبي، المصدر السابق، ص 141. ويرى صاحب معجم البلدان أنها على ضفة الزاب. معجم البلدان، ج4، ص 21.

[9] ابن حماد الصنهاجي، المصدر السابق، ص 64.

[10] الادريسي، المصدر السابق، مج1، ص 264.

[11] البكري، المصدر السابق، ج2، ص 228.

[12] ابن حوقل، المصدر السابق، ص 85؛ المقدسي، المصدر السابق، ص 247.

[13] البكري، المصدر السابق، ج2، ص 228.

معها بمسلك الزاب- إفريقية ومنطلقه قاعدة الزاب الفاطمي، ومنتهاه قفصة[1].

ثغر إفريقية[2]، ذكرت لأول عهد الفتح في حملات عقبة الثانية[3]، ثم مثلت الحد الغربي لإفريقية[4]، ومنطقة فتن للبربر أيام محمد بن الأشعث الخزاعي[5]، ونقطة تلامس وتنافس بين التحالف الصفري-الإباضي والأمويين في ولاية كلثوم بن عياض ومن بعده عبد الرحمن بن عقبة الفهري خلال ثورته مع عكاشة الفزاري[6]، ثم مطمعا للجماعات الصفرية خلال انتفاضتهم سنة 151هـ/768م أيام الوالي هزرمرد عمر بن حفص[7]، والذي بفضله تقوت المدينة بسور من طوب[8]. يرتفع شأنها مع وصول الأغالبة، لتتحول إلى قاعدة الزب، ومنزل ولاتهم[9]، ويستمر هذا النفوذ إلى حدود 313 أو 315 هـ، تاريخ تراجع نفوذها لصالح قاعدة الزاب الجديدة المحمدية (المسيلة) على العهد الفاطمي[10].

اشتهرت بارتقائها إلى مدينة محصنة (*Oppidum*) على العهد الروماني، واستمدت قيمة إضافية على العهد البيزنطي، بفضل قلعتها وحصنها القديم[11]، الذي يتواصل ذكره في نصوص ابن الوراق:" قصر طبنة قديم اولي كبير جليل، مبني بالصخر الضخم"[12]. الصخر الوارد في النصوص الوسيطة، وبحسب قرانج إنما هو صخر جبل متليلي القريب من طبنة، والذي نقلت منه لتشييد المدينة والحصن[13].

الموقع في التاريخ القديم:

Thubunae Tvbvnae – Tuben- Oppidum - Tubunensis –Tubunas – Tubunis

- يذكر قرانج أنه في سنة 258م، يأتي ذكر اسم الموقع من خلال مشاركة أسقف كممثل عن المدينة، ويظهر اسمها في قائمة المجمع الديني بقرطاج.

-وسنة 411م، جاء ذكر المدينة في قائمة المجمع الديني.

[1] ابن حوقل، المصدر السابق، ص 87.

[2] المالكي، المصدر السابق، ج1، ص 39 (الهامش).

[3] النويري، المصدر السابق، ج24، ص 15.

[4] علاوة عمارة، "التحولات المجالية و الطبونيمية"، ص 13.

[5] ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص 245.

[6] خليفة بن خياط، المصدر السابق، ص 356.

[7] الرقيق، المصدر السابق، ص 105.

[8] البكري، المصدر السابق، ج2، ص 228. ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص 246.

[9] اليعقوبي، المصدر السابق، ص 140.

[10] Cambuzat, *op. cit., vol.2,* p. 233.

[11] Deihl, *op. cit.*, p. 250; Grange, *op. cit.*, p. 66-68; Cambuzat, *op. cit., vol.2,* p. 234.

[12] البكري، المصدر السابق، ج2، ص 228؛ الاستبصار، ص 172.

[13] Grange, *op. cit.*, p. 24.



- بعد المجمع الديني لسنة 411م[1]، يحضر اسم الموقع في مجمع 484م، وقد أشار غزال إلى وجود تسمية مطابقة لطبنة في القيصرية في نفس قائمة المجمع الديني، دون التمكن من تحديد موقعها بالضبط[2]. وبحسب قرانج، فخلال هذه الفترة يظهر اسم الموقع مواكبا لانتفاضة بربر الأوراس والحضنة، نتيجة الاضطهاد الوندالي، وبسببه تم تخريب المدينة، وواكب الحدث بروز اسم أسقف من المدينة في المجمع الديني[3].

-يظهر إسم الموقع في ألواح بوتنغر[4].

-يذكره غزال في مواضع كثيرة، بالأشكال: *Tubunas - Tubunis - Tubunensis*[5].

-ذكرت بالتسمية اللاتينية الخاصة بالمدن المحصنة (*Tuben Oppidum*)، وبالكتابة اللاتينية القديمة (*Tvbvnae = Tubunae*)[6].

من الإسم اللاتيني إلى المعرب:

طبنة – طُبْنَه – طُبْنَة – طُبْنَةُ

Tobna- Tobnah

اتفقت المصادر العربية على الشكل التركيبي للاسم المعرب للطوبونيم، وحمل الشكل (ط ب ن ة)، ويظهر تباين بسيط في تشكيل الحروف في كل رواية، ومنهم من يذكر التمسية بدون تشكيل للأحرف، وجاء الموقع في المواضع، وبالأشكال الآتية:

ورد اسم الموقع بالشكل طُبْنَة (ضم أوله ثم السكون، ونون مفتوحة) في المواضع الآتية:

- في جغرافية اليعقوبي كأحد محطات المسلك القيروان- بلاد الزاب.
- في أحسن التقاسيم، ويضعها ضمن بلاد إفريقية، ومن مدن الزاب.
- في كتاب الاستبصار:" مدينة طُبْنَة: وهي مدينة كبيرة قديمة عليها سور من طوب ولها حصن قديم عليه سور من صخر جليل ضخم متقن البناء من عمل الأوائل".

-« En 258, l'évêque de Thubunae (la ville devait être alors élevée au rang de municipe) assiste au concile de Carthage, car son nom est porte sur la liste des évêques de cette époque ». Grange, *op. cit.*, p. 58.

[1] A.A.A, F°37, N°10.

[2] *Ibid.*

[3] « La destruction de Tubunae, par les vandales, est en tout cas, postérieure à 484, date à laquelle un de ses évêques siège a la réunion de Carthage avec ceux de Macri et de Cellac ». Grange, *op. cit.*, p. 64.

[4] يوسف عيبش، المرجع السابق، ص 353.

[5] A.A.A, F°37, N°10.

[6] زهير بخوش، المرجع السابق، ص 195.

- في نهاية الارب، خلال عمليات الفتح العقبي لبلاد الزاب، ومحاولة الانطلاق منها إلى الجنوب الأرواسي إلى حدود بادس/باديس.

ورد اسم الموقع بالشكل طُبْنَه (ضم أوله ثم السكون، ونون مفتوحة وهاء مخففة في آخرها) في المواضع الآتية:

- في رحلة ابن حوقل، خلال ذكره لمختلف الطرق القادمة من باغاي.
- ورد اسم الموقع بالشكل طُبْنَةُ (ضم أوله ثم السكون، وتاء مضمومة في آخرها) في المواضع الآتية:
- معجم البلدان:" طُبْنَةُ: بضم أوله ثم السكون، ونون مفتوحة، وهي فيما أحسب عجمية...بلدة في طرف إفريقية مما يلي المغرب على ضفة الزاب فتحها موسى بن نصير".

ورد اسم الموقع بالشكل طُبْنَةَ (ضم أوله ثم السكون، وتاء مفتوحة في آخرها) في المواضع الآتية:

- في مسالك البكري:" ومن طبنة إلى مقرة: وهو بلد كبير ذو ثمار وأنهار ومزارع، ومنها إلى قلعة أبي طويل" .

ورد اسم الموقع بالشكل طبنة (بدون تشكيل الأحرف) في المواضع الآتية:

- سنة 124هـ/742م، في تاريخ خليفة بن خياط في معرض حديثه عن انتفاضة الصفرية ضد الوالي الأموي.
- سنة 335هـ/ 947م، في أخبار ملوك بني عبيد وسيرهم، وقد مثلت أحد محطات حركة أبي يزيد صاحب الحمار، وأحد منازل الخليفة الفاطمي إسماعيل خلال عمليات الملاحقة.
- في نزهة المشتاق، والروض المعطار.
- سنة 151هـ إلى 154/ 771م، في تاريخ ابن خلدون، خلال عرضه لفترة حكم عمر بن حفص هزارمرد، ودوره في تأمين المدينة من التحالف الصفري- الإباضي، وكذا عملية تشييد جدار المدينة الثاني من طوب.

-نلاحظ أن الشكل التركيبي للاسم المعرب الموقع، يكاد يكون واحدا، ولا نجد الاستثناء إلا في رحلة النصيبي، حين يخالف باقي المصادر في نهاية الاسم، فيضعه هاء بدل تاء، ونظن ذلك تصحيفا لاغير. أما الملاحظ الثانية، فتظهر في تشكيل الاحرف في باقي الروايات المصدرية، وهي كذلك لا تختلف كثيرا، والاستثناء نجده في نهاية الاسم، عند البكري (ةَ)، والحموي (ةُ). ونظن أن الاسم المعرب ناتج عن تحويل الاسم اللاتيني الشائع للموقع القديم، والممثل في *Tvbvnae*، بالشكل الآتي:

1-الاسم المعرب ناتج عن التسمية اللاتينية (*Tvbvnae*):

Tvbvnae		طوبنا
	⬅	طيبنا
-الأصل اللاتيني-	تعريب	طوبنة
		طبنة

نلاحظ أن عملية التعريب تكاد تكون حرفية من أصل تسمية المدينة اللاتيني *Tvbvnae*، مع التأكيد على أن حرف v في الأصل اللاتيني لا يقصد به الفاء، بل يشير إلى u التي تتحول إلى واو في العربية. ونرجح أنه تم اهمال حرف v المكرر خلال عملية التعريب. مع التذكير بان الحرف المرتبط ae إذا في أصله IPA فهو يقابل في اللاتينية-البربرية A/a وفي العربية يتحول إلى ألف طويل[1]. ونظن أنه تم تخفيف نطق الاسم بتحوير ألفه إلى تاء في نهاية التسمية، وتأخذ التسمية المتعارف عليها في المصادر العربية طبنة.

- *Tvbvnae* = *Tubunae* = Tubnae = Tubna . (t = ط / v = u / ae = a = أ /ة)
- تيبيناي = تيبناي = تيبنا وأظن تقابل طبنة .
- *Tvbvnae* = *Tobonae* = Tobnae = Tobna . (t = ط / v = o / ae =a= أ /ة)
- توبوناي = توبناي = توبنا وأظن تقابل طبنة .

2- الاسم المعرب ناتج عن التسمية اللاتينية *Tubunis - Tubunas - Tubunensis* : نقوم بحذف اللاحقة اللاتينية[2] في التسميات الثلاثة، لنحصل في النهاية على التسمية المعربة المرجحة لاسم الموقع.

د- مقرة:

تحديد الموقع الجغرافي:

تستقر مقرة في البسيط الغربي (الحضنة)، وتقع إلى الشرق من المسيلة وهي على مرحلة منها[3]، وإلى الجنوب الشرقي منها طبنة، وهي كذلك على مرحلة منها[4] في الطريق الروماني القديم الذي من المرجح أنه يصل طبنة بموقع الصوالح، والذي أظنه الموقع الحالي الذي بقي محافظا على تسميته والقريب من مقرة (حوالي 10كم) ببلدية عين الخضراء التي تنتمي إداريا لدائرة مقرة، وهذا من خلال النقيشة التي عثر عليها بالموقع، حيث حاول غزال تأويلها على أنها تشير إلى البعد مع طبنة[5]. وإلى الشمال تستقر جبال بوطالب المطلة على سبلة بأعالي مقرة، وفي الشمال الشرقي منها مدينة سطيف[6].

---

[1] Mohand Tilmatine, *op. cit.,* p. 92. (Transcription usuelle du berbère sur base latine : Berber-Latin = Equivalent arabe = Equivalent IPA).

[2] يراجع نموذج الموقع طنباس، وكيفية حذف اللاحقة اللاتينية للحصول على التسمية المحلية. محمد حسن، الجغرافيا التاريخية لإفريقية، ص 103.

[3] بحسب المسلك الأنطونيني، تستقر مقرة (*Macri*) على بعد 30 ميلا من الموقع البيزنطي القديم زابي أو بشيلقة = بشليقة الوسيط والحالي. كما يحدد البعد بينها وبين سيلاص أو الخربة الزرقاء بـ 25 ميل. يراجع:

A.A.A, F°26, N°111

[4] ابن حوقل، المصدر السابق، ص 85؛ المقدسي، المصدر السابق، ص 247 (طبنة أو مقرة أو المسيلة مرحلة مرحلة).

[5] A.A.A, F°26, N°113.

[6] يراجع الخريطة الطبوغرافية لمقرة (5.0775301 طول/ 35.8112515 عرض) على الموقع:

https://www.google.com/maps/@35.8112515,5.0775301,10.75z?hl=ar

الموقع في التاريخ القديم:

Macri - Macri Oppidum- Macrenses – Macrensis

-تم الاشارة إلى اسم المدينة القديمة (*Macri*) في المسلك الانطونيني[1].

-حملت تسمية المدينة المحصنة (*Macri Oppidum*) عند جوليوس هونوريوس[2].

-سنة 411م، ورد اسم المدينة بالشكل (*Macrenses*) في المجمع الديني لقرطاج[3].

-وسنة 484م، يظهر إسم المدينة في قائمة المجمع المسيحي بقرطاجة[4].

- ويورد غزال تسمية المدينة جنبا إلى جنب مع طبنة، مخلدة بكتابة لاتينية، بالشكل:

Hugnericus··tubunis··macri··et nippis···aliisque heremi partibus catholicos··relegal.

-وذكر غرانج ورود تسمية أخرى بالشكل (*Macrensis*)[5].

نلاحظ إتفاق جل المصادر القديمة على شكل موحد لاسم المدينة، من خلال الجذر الرئيسي (*Macr*).

من الإسم اللاتيني إلى المعرب:

مَقَّرَة – مَقْرَّةُ– مَقْرَة– مقره– مقرة

Makkara-Maqrra- Maqrah-Maqra

-ذكرت لأول مرة في جغرافية اليعقوبي، مبينا توطينها البشري، ومقترنة في عظمتها ببلاد الزاب، مع القاعدة طبنة:" مدينة يقال لها مَقَّرَة لها حصون كثيرة والمدينة العظمى مَقَّرة أهلها قوم من بني ضبة وبها قوم من العجم وحولها قوم من البربر"[6]. (فتح الميم وتشديد القاف، وفتح الراء).

-وردت في صورة الأرض بالشكل مقره كأحد محطات المسلك القيروان – تاهرت:" ومن طبنه إلى مقره منزل فيه أيضا مرصد مرحلة، ومن مقره على المسيلة مرحلة"[7].(بدون تشكيل، وهاء بدل تاء في الأخير).

-جاءت بالشكل مَقَّرَة في أحسن التقاسيم متوسطة طبنة والمسيلة، وبين كل منهم مرحلة. (فتح الميم وتشديد القاف، وفتح الراء).

---

[1] A.A.A, F°26, N° 111.

[2] *Ibid*.

[3] *Ibid*.

[4] *Ibidem*.

[5] Grange, *op. cit.*, p. 64.

[6] المصدر السابق، ص 141.

[7] المصدر السابق، ص 85.

-أوردها البكري في مسالكه بالشكل مقرَّة. (شدة فوق الراء مفتوحة).
-اتفق كل من: الادريسي، ابن حماد، صاحب فيض العباب، وتاريخ ابن خلدون، على شكل موحد لاسم الموقع، بالشكل مقرة. (دون تشكيل الحروف).
-وردت عند الحموي بشكلين مختلفين: مَقْرَّةُ (فتح اوله وسكون القاف وشدة منصوبة فوق الراء، وضم آخره)؛ مَقْرَة(بالفتح ثم السكون وخفيف الراء).
-ذكرها الحميري بالشكل مقّرة (تشديد القاف).
-أوردها صاحب عيون الأخبار بالشكل مقّرة[1]. (تشديد القاف).
- ذكرت في درة الحجال مقترنة بترجمة لأحد علمائها المستقرين بتلمسان" محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر بن يحي القرشي التلمساني المقَّري= مقَّرة". (شدة منصوبة فوق القاف). كما وردت عند حفيده في الشذرات بالشكل مَقْرة. (فتح الميم وسكون القاف)[2].
نلاحظ اشتراك جميع المصادر في الشكل التركيب (م ق ر ة) للاسم المعرب للموقع مقرة، مع تباين واضح في الشكل الصوتي للتسمية، بسبب تمايز تشكيل الحروف على الاسم. مع أن هذه التسمية العربية نتجت عن التحويل من الأصل اللاتيني *Macri* = ماكري إلى Magra= مقرة[3]. ونرجح أن الطوبونيم المعرب حدث فيه بعض التحريفات حتى صار بهذا الشكل، للأن حرف c في الأصل اللاتيني تحول إلى ق وآخر الاسم اللاتيني حرف (i) وفي المعرب نجد حرف (ة) غير منطوقة.

أمقّار– أمقُّرا – أمغار:

إنطلاقا من وصف اليعقوبي للمدينة "المدينة العظمى أو الكبرى مقرة"، وبحثا عن الأصل المحلي للتسمية مقرة، نتوجه نحو مقاربة يقدمها بيلغرن، لأصل التسمية المحلية إنطلاقا من ربطها بمدلول الكلمة والذي يعني (الكبير) أو (الأكبر)، من خلال الاسمين المحليين: (*agur*) و(*eger*)[4].
وبالرجوع إلى مقابل التسمية في المعاجم الأمازيغية، نجد أن الكبير، والأكبر = أمقَّار. الأكبر = أمقُّرا، أمقّار. وإذا ارتبط بالقبيلة والقوم، فهو يقابل أمغار/ج/ ئمغارن[5].

---

[1] الداعي ادريس، المصدر السابق، ص 393.

[2] ابن القاضي، درّة الحجال في أسماء الرجال، تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور، مكتبة دار التراث، القاهرة، 1391هـ/1971م، ج2، ص 43 و الهامش.

[3] يراجع الطوبونيم اللاتيني والمعرب في خريطة المسالك والطرق بإقليم الاوراس في أطلس بارينغطون. زهير بخوش، المرجع السابق، ص 167. ويراجع الطوبونيمين في : -M'charek, « Continuité de l'ethnonyme », p. 467 .

[4] Pellegrin, *op. cit.*, p. 83.

[5] محمد شفيق، المرجع السابق، ج2، ص 369.



وانطلاقا من هذا، حاول بيلغرن ربط الاسم القديم لعدد من التسميات على غرار (*Iugurtha*)، (*Bagrada*)، (*Makara*)، هذه الأخيرة يقابلها المصطلح المحلي وادي مقرّة[1].

مقرة ... الإيبونيم/الاثنونيم:

مغراو– مغراوة

Maghrao/ Maghrawa

تظهر المقاربة الأخرى، والتي أشار إليها أحمد مشارك، محاولا إرجاع أصل التسمية المعربة للطوبونيم (مقرة) إلى أصلها القبلي، من خلال محاولة ربطها بفصيل من قبائل زناتة القوية ممثلة في جماعات مغراوة:

– بداية، بالرجوع إلى نصوص ابن حزم الذي يضع مغراوة ضمن بطون زناتة فيقول:"ولزناتة بطون عظيمة كبني برزال وبني دمر ومغراوة"[2].

– وبالرجوع إلى ابن خلدون، الذي يذكر هذا الفصيل، في قوله:" ولهم شعوب أكثر من أن تحصى مثل مغراوة وبني يفرن وجراوة" [3].

– وبحسب ابن خلدون دائما، فالقبيلة مغراوة نتجت: "من ولد زاكيا بنو مغراو وبنو يفرن وبنو واسين، قال: وأمهم واسين مملوكة لأم مغراو"[4]. ويؤشر قبله ابن حزم، على أن مغراو هو من زناتة، وإليه تنسب القبيلة مغراوة[5].

ينطلق مشارك في مقاربته من استقرار هذه القبيلة وبطونها بمجالات الزاب، بالأخص في طبنة والمسيلة، ثم يخوض في الانثروبونيم الذي ورد في ألواح ألبرتيني والتي ذكر بالشكل:(*Magariu/Magario*) وربطها بنطق اسم الموقع في النصوص الوسيطة (Maqarra) عوض (Maghra)، والتسمية العرقية (Maqarri) بدل (Maghri)، وهذا بحسبه لعدم وجود حرف (G) بين حروف اللغة العربية[6].

وانطلاقا من هذا، يمكن الترجيح بأن تكون تسمية الموقع مشتقة من القبيلة، وهي تندرج ضمن التصنيف الطوبونيمي الإثنونيم مغراوة الزناتية، المشتق من أصله من الإيبونيم مغراو.

---

[1] Pellegrin, *op. cit.*, p. 83.

[2] ابن حزم، المصدر السابق، ص 463.

[3] المصدر السابق، ج7، ص 11.

[4] نفسه، ج7، ص 8.

[5] المصدر السابق، ص 462.

[6] M'charek, *« Continuité de l'ethnonyme »*, p. 467-468.



مَقَّرَة – مَقَّر (هوارة).

هناك مقاربة أخرى، قد يكون لها وجه من الصحة كذلك، ومفادها ارتباط الطوبونيم مقرة بالقبيلة مرة أخرى، وهذه المرة في أبناء أَوريغ بن برنس، وفرعهم المتغلب والمشهور هوارة[1]. فإذا ما ربطنا هذه الأخيرة بمواطنها التي تقرب من مقرة على بعد مرحلة فقط، فيذكر البكري استقرارهم بالقرب من المسيلة، وقد كان لهم جبل يقابلها، وهي مِلْكًا لهم:" وبقرب منها جبل عجيسة وهوّارة وبني برزال، ولهم كانت أرض المسيلة"[2]. كما يأتي ذكر مواطنهم على مقربة من مقرة، وهم الذين كانوا بالغدير:" وبمدينة الغدير جامع وأسواق...وسكانها هوّارة يعتدون في ستين ألفا"[3]. ونفس الحال نجده بجبل أوراس، أين نجد لهوارة موطنا فيه[4].

-ورد الاسم بالشكل (مَقَّر)[5]، في نصوص ابن حزم:" وزعم قوم في أَوريغ انه بن خبوز بن المثّنى بن المسور، من السكاسك من كندةّ وذلك كله باطل. وولد أوريغ: هوار، وملد، و مقَّر، وفلدن؛ فولد فلد ملد بن أوريغ: ستات، وورفل، وواسنيل، ومسراتة؛ ويقال لهؤلاء لهانة. وولد مقَّر بن أوريغ: ماوس، وزمور، وكبا، ومسرات"[6].

-بالمقابل نجد التسمية بالشكل (مغر) في عبر ابن خلدون، لكن بتصحيف بسيط:" وأوريغ اشتهروا نسبة لشهرته وكبر سنه بينهم فانتسبوا جميعا اليه. وكان لأوريغ أربعة من الولد: هوار وهو أكبرهم، و مغر وقلدن ومندرن ولكل واحد منهم بطون كثيرة وكلهم ينسبون إلى هوار. فمن بطون مغر: ماوس وزمور وكياد وسواي"[7].

نلاحظ تباين في التسمية الواردة في الروايتين، ونظن أن الإسم الوارد في رواية ابن حزم هو الأصح بمعنى: (مقَّر) لتقاربه مع التسمية المعربة مقَّرة، وعليه، يظهر أولا: التصحيف في تشكيل حروف التسمية من خلال رفع الشدة عن الحرف الثاني في الكلمة، وثانيا: التصحيف بين الحرفين (القاف) في الاسم الأول و (الغين) في الاسم الثاني.

---

[1] موسى لقبال، دور كتامة، ص 75.

[2] البكري، المصدر السابق، ج2، ص 239؛ الاستبصار، ص 172.

[3] نفسه، ج2، ص 240.

[4] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص185؛ علاوة عمارة، "بين جبل الأوراس والواحات": ترجمة عبد القادر مباركية، ص 259.

[5] يذكر موسى لقبال بأن من آثار هذا البطن من هوارة، بقاء تسمية منطقة بين بريكة و نقاوس بقيت تحتفظ بإسم أبو مقر. دور كتامة، ص 78.

[6] المصدر السابق، ص 462- 463.

[7] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 182.



وانطلاقا من هذا، يمكن أن تكون المقاربة السالفة أيضا صحيحة، خاصة وأنه يمكن أن يتوافق الاسم المحلي للمدينة مع ما ينسب إليها من علماء على غرار (المقّري)، فنقول: [مدينة مقَّر، والمقّري من مقَّر]. يكون اسم الموقع مشتق من (مقَّر) الذي ينتهي إلى الصنف الطوبونيمي الاثنونيم، بصفتها أحد بطون القبيلة البرنسية أوريغ، ومن أحد أبرز بطونها هوارة.

2- المواقع الكبرى بالفضاء البسكري وواحاته (4-9هـ/10-15م):

بداية من القرن الهجري الرابع/العاشر الميلادي، يمكن حصر عدد من أسماء المواقع الكبرى القديمة بالفضاء البسكري والواحات، والتي يتواصل ذكرها من خلال عملية التعريب التي مست أصل هذه التسميات (نوميدية، محلية، لاتينية). في حين نلاحظ تواصل حضور جل الطوبونيمات المعربة التي أوردناها سلفا خلال القرون الهجرية الثلاثة الأولى. وفيما يلي أهم أسماء المواقع القديمة الكبرى، التي لاحظنا تواصلها خلال هذه الفترة، نبرزها في الآتي:

أ- بسكرة:

تحديد الموقع الجغرافي:

تتموقع بسكرة في الجنوب الأوراسي، وجبل أوراس إلى اليسار منها[1]، ومنه على أميال في الشمال الشرقي مدينة باغاي، والتي تبعد عن بسكرة مسيرة أربع أيام[2]، ومن جبل أوراس ينبعث نهر كبير ينحدر إلى بلد النخيل بسكرة، ومنه تسقى البساتين، النخيل، والزرع[3]. وإلى الجنوب الشرقي من بسكرة على مرحلة مدينة تهودة التي ستعرف لاحقا بسيدي عقبة[4]، ومدينة بادس/باديس التي ستندمج ضمن زريبة الوادي على مرحلتين منها[5]. وإلى الشمال نقاوس[6]، ومدينة طبنة على مرحلتين[7]. وفي الشمال الغربي، تتصل بسكرة بالبسيط الغربي (الحضنة)[8]، بداية بمدينة مقرة على ثلاث مراحل وفي الجنوب الغربي من بسكرة، نجد قصور: بنطيوس ، المخادمة، وأورلال، كما نجد المدن النوميدية القديمة- المعربة: طولقة، فرفر، وليشانة؛ وكل هذه المدن شكلت خلال القرنين الهجريين الرابع والخامس/11م

---

[1] الاستبصار، المصدر الساق، ص 67.

[2] البكري، المصدر السابق، ج2، ص 229.

[3] البكري، المصدر السابق، ج2، ص 231؛ الاستبصار، ص 173؛ ابن سعيد المغربي، المصدر السابق، ص 126.

[4] الاستبصار، ص 174.

[5] ابن حوقل، المصدر السابق، ص 87؛ الاستبصار، ص 175؛ النويري، المصدر السابق، ج24، ص 15(يراجع وقوع مدينة بسكرة في مسلك حملات الفتح لعقبة بن نافع الفهري، انطلاقا من المحطة طبنة إلى غاية بادس)؛ حساني مختار، المرجع السابق، ج5، ص 4.

[6] الادريسي، المصدر السابق، مج1، ص 264 (ومن مدينة نقاوس أيضا إلى حصن بسكرة مرحلتان).

[7] ابن حوقل، المصدر السابق، ص 87؛ الحموي، المصدر السابق، مج1، ص 422.

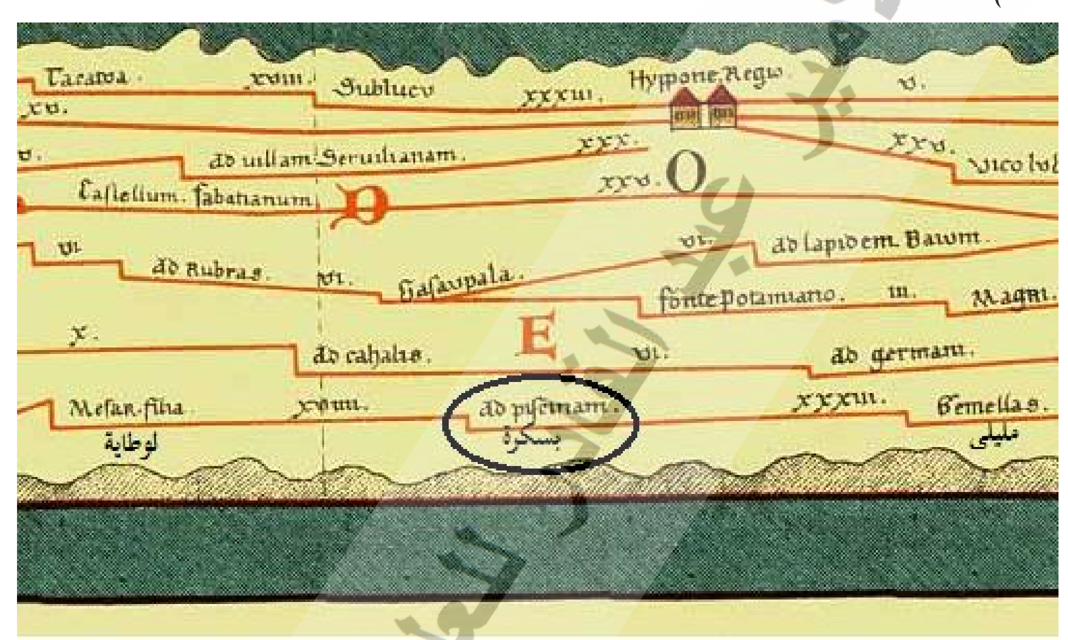
[8] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 46.

كورة بسكرة، متعددة المدن، القصور، الاجناس، والجماعات الدينية[1]. والمسيلة على أربع مراحل منها[2].

الموقع في التاريخ القديم:

Vescera - Vesceritanus - Vesceritanae- Vescether -Ad Piscinam

جرى الاتفاق بين الباحثين على غرار: تيسو، غزال، كوت، وكومبيزا، وغيرهم، إنطلاقا من المعطيات الواردة في المصادر القديمة بأن الإسم القديم للموقع جاء بالشكل الموحد (*Vescera*)، حيث مثلت المدينة أسقفية نوميديا[3]. في حين جاء ذكر تسمية الموقع ألواح بوتنغر بشكل تركيبي مختلف هو (*Ad Piscinam*)[4].



بسكرة على ألواح بوتنغر

(المرجع: Tabula Peutingeriana, P a r s I V[5])

لقد أشار كوت إنطلاقا من فوستيوم باراداز، ومسالك بيار سلامة، إلى أن المدينة قد مثلت مركزا للمسالك العسكرية والتجارية؛ كما يؤكد إلى دورها الديني سالف الذكر لكونها مثلت الأسقفية المسيحية

---

[1] البكري، المصدر السابق، ص 254-255؛ علاوة عمارة، " التحولات المجالية والطبونيمية"، ص 14-15.

[2] ابن حوقل، صورة الأرض، ص 85؛ أبو الفدا، المصدر السابق، ص 139. (عند أبي الفدا: بين طبنة والمسيلة 24 فرسخا، وفي الاستبصار: بين طبنة ومقرة مرحلة ، وبينها وبين المسيلة مرحلتين. معناه: بين بسكرة وطبنة 24 فرسخا، وبين بسكرة ومقرة 36 فرسخا، وبين بسكرة والمسيلة 48 فرسخا).

[3] Tissot, *op. cit.*, T.2, p. 513 ; A.A.A, F°48, N°9 ; Cote, *op. cit.*, p. 1520; Cambuzat, *op. cit.*, vol.2, p. 62.

[4] Tissot, *op. cit.*, T.2, p. 30, 513, 521-23 ; Ragot, *op. cit.*, p. 292; E. Cosson, *Répertoire alphabétique des principales Localités mentionnées dans le Compendium et le Conspectus florœ atlanticœ*, G. Masson, Libraire- Editeur, Paris, 1882, p. 31.

[5] http://www.hs-augsburg.de/~harsch/Chronologia/Lspost03/Tabula/tab_pe04.html.

في الفترة (5-7م)[1]، وقد كان حضور الموقع في المصادر المسيحية كالآتي:

- سنة 411م، تم ذكر الموقع في القائمة الدينية لمجمع قرطاجة، من خلال تمثيل المدينة الأسقفية من قبل أسقفين، الأول كاثوليكي، والآخر دوناتي: *(Vesceritanus / Vesceritanae)*[2].

- سنة 484م، من دون شك، مشاركة أسقف كممثل للمدينة ورد اسمه في قائمة المجمع المسيحي لقرطاجة[3].

- ورد إسم الموقع عند بطليموس بالشكل *(Vescether)*، لكنه يحدد موقعها ضمن موريطانيا القيصرية[4]، وهذا بعدما ضم الكثير من أسماء المواقع بأوراس لمقاطعة موريتانيا القيصرية، على غرار سدوري، أوزيا، طبنة، تهودة، هذه المواقع ستصبح فيما بعد ضمن مقاطعة نوميديا[5]. في حين، أشار راقو إلى أن هذه التسمية تبدو مرادفة لبسكرة، وأن الجغرافيين ابن سعيد المغربي وأبو الفدا قد أعطيا نفس المعطيات الجغرافية المتعلقة بالموقع بسكرة مطابقا للموقع المذكور عند بطليموس[6].

- وردت عند بلين القديم مرتبطة بالجانب العرقي أو الإثني (الجماعات التي استوطنت منطقة بسكرة الحالية)، والتي أشار إليها بالتسمية *(Vescera natio)*[7]= قوم أو شعب فيسيرا[8].

من الإسم اللاتيني إلى المعرب:

بسكره – بِسْكَرَة – بَسْكَرَة– بِسْكِرَة– بَسْكِرَة– بيسكرة

Baskarah-Bisrara- Baskara-Biskira-Baskira-Buskra

ورد الاسم المعرب للموقع في المصادر العربية، في مواضع عدة، وبأشكال متباينة في تشكيل حروف التمسية، ونذكر بعضها في الآتي:

ورد اسم الموقع بالشكل بَسْكِرَة *(Baskira)* في المواضع الآتية:

- في كتاب الاستبصار:" مدينة بَسْكِرَة: وهي مدينة كبيرة، وحواليها حصون كثيرة وهي قاعدتهم"[9].

---

[1] A.A.A, F°48, N°9

[2] *Ibid*.

[3] *Ibid*em.

[4] Cote, *op. cit.*, p. 1517; M. Mentelle, *Encyclopédie méthodique (Géographie ancienne),* Panckoucke, Imprimerie – Libraire, Paris, t. 3, p. 497.

[5] زهير بخوش، المرجع السابق، ص 111.

[6] W. Ragot, « Le Sahara de la Province de Constantine », *Recueil des notices et mémoire de la société archéologique du département de Constantine*, 4-16 (1873), p. 124.

[7] A.A.A, F°48, N°9.

[8] زهير بخوش، المرجع السابق، ص 111.

[9] الاستبصار، ص 173.



- في نهاية الأرب، خلال عرضه لاضطراب ثغر الزاب على أيام أبي الغرانيق الأغلبي[1]، ثم مع فصيل بني كملان من هوارة[2].

ورد اسم الموقع بالشكل بِسْكِرَة في المواضع الآتية:

- في كتاب المسالك والمالك للبكري:" بِسْكِرَة: كورة فيها مدن كثيرة". " ثم من بنطيوس إلى مدينة بِسْكِرَة"[3].

- جاءت في معجم البلدان:" بِسْكِرَة: بكسر الكاف، وراء: بلدة بالمغرب من نواحي الزاب"[4].

- سنة 804هـ/1402م، في الفارسية لابن القنفد القسنطيني، خلال الحملة التي قادها السلطان الحفصي أبو فارس عبد العزيز ضد معاقل بني مزني على أيام آخر عنقود العائلة أحمد بن يوسف بن مزني[5].

- في وصف افريقيا:" بِسْكِرَة: مدينة عريقة في القدم، أسست أيام كان الرومان يحكمون بلاد البربر"[6].

وورد الموقع بالشكل بِسْكَرَة في المواضع الآتية:

- في أحسن التقاسيم، " والزاب مدينتها المسيلة، ولها مقرة، طبنة، بِسْكَرَة..."[7].

- في أنساب السمعاني[8]:" بكسر الباء المنقوط بواحدة وسكون السين المهملة وفي آخرها الراء"[9].

ووردت التسمية بالشكل بَسْكَرَة في المواضع الآتية:

- في صبح الاعشى: "ومنها بَسْكَرَةُ / بِسْكَرَةُ قال في "اللباب" بكسر الباء الموحدة وقيل بفتحها وسكون السين المهملة وكاف وراء مهملة بعدها هاء"[10].

- عند مارمول كاربخال بالشكل: بيسكرة[11].

---

[1] محمد بن أحمد بن محمد بن الأغلب بن إبراهيم بن الاغلب، الشهير بأبي الغرانيق (250-261هـ / 864-875م). ابن وردان، المصدر السابق، ص 60؛ ياسر طالب الخزاعلة، الخلافة العباسية وموقفها من الدول المستقلة في المغرب بين القرنين الثاني والرابع الهجريين، دار الخليج، الأردن، 2017، ص 212-213.

[2] النويري، ج24، ص 68.

[3] البكري، ج2، ص 229-230 و 255.

[4] الحموي، مج1، ص 422

[5] ابن قنفد، المصدر السابق، ص 198.

[6] الوزان، ج2، ص 138.

[7] المقدسي، ص 221.

[8] الإمام أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السَّمعاني (ت 562هـ/1167م).

[9] السّمعاني، الأنساب، تقديم وتعليق: عبد الله عمر البارودي، دار الجنان، بيروت، 1408هـ/1988م، ج1، ص 354.

[10] القلقشندي، ج5، ص 107.

[11] المصدر السابق، ج3، ص 168.

وورد الموقع بالشكل بسكره في المواضع الآتية:

– في صورة الأرض، خلال وصفه الطريق من إفريقية الى المسيلة:" يأخذ من المسيلة الى مقره، ومنها إلى طبنه ومن طبنه الى بسكره مرحلتان"[1].

ورد اسم الموقع بالشكل بسكرة (بدون تشكيل الأحرف) في المواضع الآتية:

– نزهة المشتاق، فيض العباب، الروض المعطار، العبر، أخبار ملوك بني عبيد وسيرهم، تقويم البلدان، كتاب الجغرافية، تاريخ العدواني[2].

نلاحظ اتفاقا تاما حول الشكل التركيبي لاسم الموقع المعرب في جميع المصادر العربية. بالمقابل يظهر التباين في الشكل الصوتي، ، والراجح أنها ناتجة عن أخطاء النساخ، لأنها تقارب في النهاية إلى حد بعيد الأصل المتفق على أنه الاسم القديم للموقع (*Vescera*) :

Vescera –الأصل اللاتيني–	⬅ تعريب	بَسْكَرَة بِسْكِرَة

نظن أن التباين في الترجمة العربية من الأصل اللاتيني قد إرتبطت بحرفين فقط، هما v و e، بحيث: – تتحول v إلى b / ب، إعتمادا على النص اللاتيني الذي أورده تيسو[3].

–كما يمكن الاعتماد على عملية التعريب للطوبونيم اللاتيني (Sicca Vanéria) الذي أورده محقق رياض النفوس شقبناري (الكاف الحالية) تعريب لاسمها الروماني (*Sicca Vanéria*)[4]. ونلاحظ أن (v) تتحول إلى (باء) خلال عملية التعريب من الأصل اللاتيني، وهو ما ينطبق على الطوبونيم *Vescera* = *Bescera*.

– يتغير حرف e إما إلى ألف ممدودة أو ياء. وعليه نخلص إلى أن التباين في التعريب من الأصل اللاتيني ناتج عن تصحيف للحروف الأول– الثاني والخامس في الاسم الاصلي، مقابل تغيره بالتقابل في كل رواية عربية. في حين نجد باقي الروايات تعتمد التحويل الحرفي دون تغيير يذكر، من فيسكيرا إلى بسكرة. مع أن نهاية الحرف في عملية التعريب ختمت جلها بتاء.

بسكرة .... بيسكينام/ بيسينام ؟

Vescera … Ad Piscinam ?

من خلال التسمية الواردة في ألواح بوتنغر (*Ad Piscinam*)، والتي تؤشر في مقاربات كثيرة على الأصل القديم لاسم الموقعية بسكرة، حيث يذهب تيسو إلى تحديد الموقع في الشمال الغربي عند موقع المنبع الحراري أو حمام الصالحين[5]، وهو نفس الرأي الذي أورده باراداز. في حين يقدم لنا رينيي وصفا

---

[1] ابن حوقل، ص 87.

[2] الادريسي، مج1، ص 264؛ النميري، ص 430-431؛ الحميري، ص 113؛ ابن خلدون، ج6، ص 453؛ ابن حماد، ص 66؛ ابو الفدا، ص 139؛ ابن سعيد المغربي، ص 126؛ العدواني، ص 301.

[3] « Vescera sive Bescera, cujus episcopi inter Nuinidîcos recensentur ». Tissot, *op. cit*., T.2, p. 818.

[4] المالكي، المصدر السابق ج1، ص 47 (الهامش).

[5] « La synonymie d'Ad Piscinam et de Biskra n'est ni discutée ni discutable. A 6 kilomètres au nord-ouest de l'oasis jaillit une source sulfureuse très abondante que les indigènes désignent sous le nom d'Hammam Salahin, et dont le bassin, il y a quelques années encore, offrait les restes d'un revêtement antique en pierres de taille. Là était la piscine qui avait donné son nom… ». *Tissot, op. cit., t.2,* p. 523.

مفصلا لآثار الموقع[1]. وأصل الكلمة لاتيني، ويمكن ملاحظة أن جذرها الأساسي (piscin) متعلق بالماء[2].

وبربط المدلول مع ما أروده تروسي حول وجود آثار لمنبع كبريتي، وهو ما يحيلنا إلى أن المدلول اللغوي للتسمية التي تشير إلى منشأة حرارية أو منبع معدني[3]، ونجد لهذا حضور في النصوص الوسيطة، من خلال ما أروده البكري، بامتلاك بسكرة لحمامات دون الاشارة إلى أنها معدنية[4]، والحمام المعدني لبسكرة يتواجد حاليا إلى الشمال الغربي منها[5].

بسكرة ... الاثنونيم:

كغيرها من أسماء المواقع بالتخوم الجنوبية للأوراس، تشير القراءات إلى أن موقع بسكرة مشتق من التسمية العرقية (الإثنية) للجماعات والأقوام التي استقرت بالمنطقة، وهذا انطلاقا من نصوص بلين القديم، الذي أشار إلى ذلك من خلال الحملات العسكرية التي قادها سنة 20 م كورنليوس بالبوس لإعادة إخضاع الأقوام الثائرة بالتخوم الجنوبية للأوراس، على غرار قوم بسكرة (*Viscera ntio*)[6].

وقد ذهب غزال إلى تسميتهم بالشعوب أو الأقوام[7]، ونفس النتيجة توصل إليها زهير بخوش في قوله:" الملاحظ بالنص البليني أن جميع أسماء المدن المذكورة، مشتقة من التسميات الإيثنومية لأقوامها وقبائلها، التي وحسب تعبير بلينوس نفسه، نعتت بالشعوب"[8]. وهذا التجاوب مع نصوص بلين القديم، نجدها مشتركة، بالأخص في قراءة ساعد خديجة، والتي حاولت ربـــط المصطلح الاثني الممثل في

= « Piscina peut être confondu avec le Hammam es Salhine à 8 kilomètre au nord de Biskra, dont un établissement moderne utilise les eaux chaudes. Personnellement, je ne pense pas que piscina puisse être confondu avec hammam » Baradez, *op. cit.*, p. 320.

[1] « On y voit, dit M. L. Renier, les traces d'une grande ville, traces peu apparentes, il est vrai, et consistant seulement en longues lignes de moellons et de cailloux roulés qui forment saillie sur le sol nivelé par les alluvions et les atterrissements. Les édifices construits en pierres de taille ont dû être exploités comme carrière pour les besoins de la ville arabe, dans laquelle on rencontre, en effet, assez fréquemment de ces pierres ».*Tissot, op. cit., t.2, p. 523.*

[2] http://www.dicolatin.com/FR/LAK/0/PISCINAM/index.htm.

[3] حساني مختار، المرجع السابق، ج5، ص 3؛ عبد القادر بومعزة، المرجع السابق، ج1، ص 28.

[4] البكري، المصدر السابق، ج2، ص 230؛ الحموي، المصدر السابق، مج1، ص 422.

[5] يراجع موقع الحمام على الخريطة الطبوغرافية لبسكرة:

https://www.google.dz/maps/place/Hammam+Salihine/@34.8576176,5.7060775,17z/data=!3m1!4b1!4m5!3m4!1s0x12f509b5bc9d5f51:0x85859fc83875ec15!8m2!3d34.8576132!4d5.7082662.

[6] يراجع التسمية (*Viscera ntio*) الواردة في نصوص بلين القديم في: الأطلس الأثري للجزائر، الورقة 9/48.

[7] « Je ne sais s'il faut rapporter à Vescera la Viscera natio, que Pline l'Ancien (v, 37) mentionne parmi les peuples soumis, sous auguste, par Cornelius Balbus ». A.A.A, F°48, N°9.

[8] زهير بخوش، المرجع السابق، ص 111.

الأمازيغ بالقوم الذين استقروا ببسكرة، في قولها:" من ناحية أخرى يورد المؤرخ بلين الذي عاش في القرن الأول الميلادي بأن بسكرا هو إسم قبيلة"[1]. مع أن نص المؤرخ بلين القديم لم يشر مباشرة إلى اللفظ الجهوي (الأمازيغ)، بل تحدث بصفة عامة عن القوم أو الشعب في عبارته (*Natio*).

إن النص المتأخر الوارد في تاريخ العدواني، حول أصل بسكرة، والذي يشير إلى أنها نسبت إلى بسكر بن كاهل بن لوي بن قربص بن سالح، ويلحقه في النهاية بعائلة الخليل ابراهيم عليه السلام، يوحي بأن تسمية الموقع بسكرة اشتقت من أصل عرقي، استقروا بالمنطقة بعد نزولهم بها[2]. هذه القراءة، نجدها في أنساب السمعاني، حين يشير إلى مصطلح البسكري، وأرجعها إلى بسكرة من بلاد المغرب:" البسكري: بكسر الباء المنقوط بواحدة وسكون السين المهملة وفي آخرها الراء، هذه النسبة إلى بسكرة، وهي بلدة من بلاد المغرب". ثم يشير إلى النسب الأصلي أبي القاسم يوسف بن علي، والذي ينتهي عند بن كاهل البسكري ، وقال أنه من أهل بسكرة[3].

وعليه، قد تكون تسمية الموقع بسكرة مشتق من الاسم العرقي للجماعات التي استقرت بالموقع. مع أنني أستبعد أن تكون روايات النسابة والرحالة العرب بالإشارة إلى فصيل من لؤي أو لوا كمرجع للتسمية، مقارنة مع ما أروده بلين القديم، لأن الاطار بين الروايتين جد متباعد زمنيا.

ب- بنطيوس:

تحديد الموقع الجغرافي:

تتموقع الكورة الصغيرة بنطيوس، والمشكلة من ثلاث مدن أو قصور[4]، في الزاب الغربي إلى الغرب[5] أو الجنوب الغربي من بسكرة[6]، على طريق الجنوب القديم بسكرة-مليلي المستمر خلال العصر الاسلامي الوسيط[7]، والذي يذكره تيسو إنطلاقا من معطيات ألواح بوتنغر[8]. وهي بذلك تتوسط قصور: المخادمة ، أورلال، وجربانية، وبالقرب منها تستقر مفاوز بني خزر وساقيته وخرائب قصره، وإلى الغرب منها صحراء بنطيوس الذي ينحدر إليها وادي الجدي من الغرب لتسقى به غابات النخيل والزيتون،

[1] ساعد خديجة، المرجع السابق، ج1، ص 77. وتذهب إلى أن تسمية بسكرة من أصل فينيقي، دون أن تقدم أدلة وحجج لذلك.

[2] العدواني، المصدر السابق، ص 301.

[3] السمعاني، المصدر السابق، ج1، ص 354-355.

[4] البكري، المصدر السابق، ج2، ص 254.

[5] علاوة عمارة، "بين جبال الأرواس والواحات"، ص 259.

[6] Cambuzat, *op. cit.*, *vol.2*, p. 51.

[7] البكري، المصدر السابق، ج2، ص 255؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 52؛ العياشي، المصدر السابق، ج2، ص 542.

[8] Tissot, *op. cit.*, t.2, p. 524 et 528-529.



يذكره البكري:" وبغربيها نهر جار ينحدر إليها من ناحية الجوف وهذا النهر يسقي الثلاث مدن...صحراء بنطيوس، تسقى بثلث النهر المذكور"[1].

وقد مثل الموقع أحد المراكز التاريخية والأثرية القديمة[2]، ومجمعا خلال العصر الفاطمي لاستقرار الجماعات الإباضية النكارية، بينما كانت على أيام ثورة صاحب الحمار خلال القرن الهجري الرابع/10م سندا ومموِّنا له بعد حصاره من قبل الجيوش الفاطمية بجبل كيانة[3]. كما مثل موقع بنطيوس أحد معابر الحملات التي قادها المتصوفة سعادة الرحماني وأتباعه ضد العائلة المزنية بمليلي[4]. بالإضافة إلى كل هذا، فالموقع يعبر عن مركز ديني بامتياز، فبقربه يستقر مسجد الأخضري، وهو المسجد الذي ذكره ديلاتر في رحلته إلى الزاب الغربي سنة 1886م[5]، وكذلك زاوية الشيخ المتصوف عبد الرحمن الأخضري، والذي جاء ذكرها في رحلة العياشي:" ومررنا بقرية أمليلي ظهرا ثم بزاوية سيدي الشيخ عبد الرحمن الأخضري"[6]؛ وفي الرحلة الورثلانية:" وزرنا أيضا الشيخ المذكور والولي المشهور سيدي عبد الرحمن الأخضري في قريته المشهورة، فلما وصلته وجدته كأنه حي في قبره"[7].

الموقع في التاريخ القديم:

لم يتسنى لي الوصول إلى التسيمة الأصلية للموقع، أو مدلولها اللغوي، لكن هناك إشارة من قبل علاوة عمارة إلى أن طوبونيم بنطيوس الذي ورد في النصوص العربية هي تسمية معربة عن اللاتينية[8]. والأكيد أن الموقع يشير إلى العصر الروماني أو البيزنطي، حيث أشار زهير بخوش من خلال قرائته لما احتوت عليه الدراسة الميدانية والجوية لباراداز، أن ضريح المتصوف سيدي عبد الرحمن الذي اشتهرت به بنطيوس، كان قد شيد فوق آثار قلعة قديمة مربعة الشكل، بحسب زهير بخوش، فإنه يوجد حولها قلاع إلى الشرق، وإلى الغرب منها بحوالي ثمانية كليومتر في كلا

[1] البكري، المصدر السابق، ج2، ص 254. وحول موقع جربانية يراجع:

A.A.A, F°48, N° 40.

[2] Delattre, *op. cit.*, p. 269; Blanchet, « Rapport sur une mission accomplie au Haut-Sahara », *Bulletin archéologique du comité des travaux historiques et scientifiques*, Paris, Imprimerie nationale, 1899, p. 142.

[3] ابن حماد الصنهاجي، المصدر السابق، ص 71.

[4] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 52.

[5] Delattre, *op. cit.*, p. 269.

[6] العياشي، المصدر السابق، ج2، ص 542؛ أحمد بن داود الأخضري، المرجع السابق، ص 13؛ فوزي مصمودي، العلاّمة الموسوعي عبد الرحمن الأخضري (شخصيته ومواقفه)، موفم للنشر، 2008، الجزائر، ص 18-20.

[7] الورثيلاني، المصدر السابق، ص 6.

[8] علاوة عمارة، " التحولات المجالية والطبونيمية"، ص 14.

الإتجـــــــاهين[1]. وهو ما قد يرجح أن تكون التسمية الأصلية للموقع في شكلها المعرب بمختلف الروايات العربية، من أصل لاتيني، مع بقاء مدلولها اللغوي مبهم.

من الإسم اللاتيني إلى المعرب:

بَنْطِيُوس – بنطيوس– بطيوس

Bantiyus –Bintiyus- Batyus

لقد رأينا الاشكالية التي أحاطت بأصل الاسم، لعدم تمكننا من الوصول إلى تسمية الموقع في النصوص القديمة، وبالاعتماد على أن الاسم المعرب قد نتج من تحويله من أصله اللاتيني، غير أن المصادر العربية هي الأخرى لا تكاد تذكر الموقع، باستثناء مصادر قليلة كان آخرها مسالك البكري، فيما نلاحظ انقطاع ذكر الموقع مابعد القرن الهجري الخامس/11م، وحتى ابن حماد الذي عاش خلال القرنين الهجريين السادس والسابع/13م، فهو يعود بذكرها إلى حوادث النصف الأول من القرن الهجري الرابع/10م، ولا نكاد نجد لها حضور إلا مابعد القرن الهجري العاشر/15م، مقترنة بأحد المتصوفة ممثلا في الشيخ عبد الرحمن الأخضري، فمن ثلاث مدن أو قصور متقاربة، ستتحول إلى مجرد قرية صغيرة من قرى بسكرة[2]، وتندرج في النهاية ضمن بلدية مخادمة، والتي تتبع إداريا لدائرة أورلال[3].

يظهر توافق بين هذه المصادر في ذكرهم لتسمية الموقع، وقد جاءت في المواضع الآتية:

– خلال القرن الهجري الرابع/ العاشر الميلادي، ورد الموقع في أحسن التقاسيم، ضمن مدن الزاب، تحت اسم بَنْطِيُوس[4]. (فتح أوله، وسكون ثانيه، وكسر الطاء، وضم الياء).

– خلال القرن الهجري الخامس / الحادي عشر الميلادي، جاء ذكره في مسالك البكري كأحد المحطات الكبرى للطريق وهران — القيروان عبر قسطيلية، بصفته كورة صغيرة بثلاث مدن متقاربة، وكان أحد هذه المدن مستقرا للجماعات الإباضية، وورد بالاسم بنطيوس[5]. (دون تشكيل الحروف).

– أشار إلى الموقع ابن حماد الصنهاجي، ويعود بنا إلى كرونولوجيا الحملات التي قادها الخلفاء الفاطميون لإطفاء ثورة النكارية بقيادة صاحب الحمار، وذكرت تحت اسم بطيوس[6]. (تحريف)

[1] زهير بخوش، المرجع السابق، ص 156.

[2] الورثيلاني، المصدر السابق، ص 6 و 87؛ خير الدين الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، 2002، ج3، 331.

[3] فوزي مصمودي، المرجع السابق، ص 18 (الهامش). ويراجع الموقع الحالي للقرية، مسجد وزاوية الأخضري، على الخريطة بالموقع:
https://www.google.dz/maps/place/Mekhadma/@34.5636943,5.3092198,11z/data=!3m1!4b1!4m5!3m4!1s0x12f56ea9f4067bf1:0xf0eb1638c526714e!8m2!3d34.5533941!4d5.4463322.

[4] المقدسي، المصدر السابق، ص 221.

[5] البكري، المصدر السابق، ج2، ص 354.

[6] ابن حماد، المصدر السابق، ص 71.



- ذكرت في الروض المعطار الذي نسخها عن مسالك البكري مقترنة بموقع طولقة، والذي مثل هو الآخر كورة صغيرة من ثلاث مدن أو قصور، وجاءت تحت اسم بنطيوس: "طولقة: من بلاد الجريد بجوفيّ بنطيوس، وهي ثلاث مدن...ثم من بنطيوس إلى بسكرة"[1]. (بدون شكل)

- ورد اسم الموقع ضمنيا في الرحلة العياشية مرتبطا بزاوية ومسجد الأخضري[2]. (دون إسم).

-ذكر الموقع في نزهة الأنظار، أين نلاحظ تقلص حجم الكورة ذات الثلاث قصور متقاربة، إلى مجرد قرية صغيرة، بقيت محافظة على شهرتها من خلال اندماجها في الفلك التصوفي للشيخ الأخضري (الزاوية والمسجد)[3]. (قرية بنطيوس).

-جاءت في تاريخ العدواني بالشكل (بن طيوس)[4].

- وردت في أعلام الزركلي، مقترنة بقبر وزاوية الأخضري (918-983هـ/1512-1575م):" وهو من أهل بسكرة، في الجزائر، وقبره في زاوية بنطيوس (من قرى بسكرة)"[5]. (قرية بنطيوس).

الثنائية: بنطيوس – بطيوس

نلاحظ اتفاق تام بين المصادر العربية على الشكل التركيبي والصوتي لاسم الموقع بالشكل بنطيوس (ب ن ط ي و س)، باستثناء مصدر وحيد ممثل في أخبار ملوك بني عبيد لابن حماد الصنهاجي، والذي يرجع تأريخ روايته حول الموقع إلى ثورة صاحب الحمار في النصف الأول من القرن الهجري الرابع/10م، وتظهر الشكل التركيبي للتسمية فيه بالشكل بطيوس (ب ط ي و س). فهل الاسمان يدلان على موقعين مختلفين؟ أم هو مجرد أخطاء نساخ؟

-من خلال قراءة نص ابن حماد، نلاحظ أنه يدلنا على الموقع الجغرافي للموقع في قوله:" بطيوس وهي من بلاد بسكرة"[6]. وعليه يمكن التأكد من خلال ذلك، بأن الأمر لا يعدو تصحيفا للحرف الثاني في الاسم الأول بنطيوس، وقد يكون هذا تجنبا للثقل. كما أن التسميتين تحيلنا إلى موقع واحد، إلى الغرب على بعد حوالي 45كم من بسكرة[7].

---

[1] الحميري، المصدر السابق، ص 400-401.

[2] المصدر السابق، ج2، ص 542.

[3] الورثيلاني، المصدر السابق، ص 6.

[4] العدواني، المصدر السابق، ص 82.

[5] الزركلي، المصدر السابق، ج3، 331.

[6] المصدر السابق، ص 71.

[7] فوزي مصمودي، المرجع السابق، ص 18 (الهامش)؛ حساني مختار، المرجع السابق، ج5، ص 47.

ر- الدوسن:

تحديد الموقع الجغرافي:

واحة من واحات تخوم الصحراء، تقع إلى الجنوب الغربي[1] أو إلى الغرب على بعد حوالي 80كم من بسكرة[2]. وبحسب ديلاتر فقد كانت من بين المدن الرومانية المهمة في الزاب الغربي[3]، ومثّلت خلالها أحد نقاط توسع الليمس نحو الجنوب[4]. لقد أكد على أهمية موقعها تيسو حين أشار إلى أنها تعتبر من بين الثلاثة مواقع عسكرية (سدوري، طولقة، الدوسن)، والتي كان يرتبط بهم ليمس مليلي مع ليمس طبنة، ومن خلال الموقع سدوري مابين طولقة ووادي الشعير، كانت تحافظ بلاد الزاب على طريق مواصلاتها مع بوسعادة إلى الجنوب الغربي من المسيلة[5].

كما أبرز غزال أهمية موقعها الاستراتيجي، كأحد النقاط المهمة على الحدود العسكرية في الجنوب، مع سدوري أين كان يمتد خط الحماية الروماني انطلاقا من الخندق القديم المعروف بساقية بنت القراس[6]. وبالمقابل، اشتهر موقع الدوسن بأربع قلاع، تم الكشف عنها من قبل باراداز انطلاقا من التصوير الجوي، ومنها قلعتها القديمة مربعة الشكل[7]، والتي بحسب كاركوبينو تعود إلى سنة 242م، عهد الامبراطور غورديان الثالث، معتمدا على النقيشة التخليدية لبوابة القلعة[8].

الموقع في التاريخ القديم:

لم يتسنى للباحثين على غرار غزال من الوصول إلى تسمية الموقع أو مدلوله اللغوي في المصادر القديمة[9]. لكن بعض الاشارات من شاكلة ما أورده صاحب وصف إفريقيا حين يشير إلى أنها:" مدينة أزلية من بناء الرومـــــان في النقطة التي تتاخـــم فيها مملكة بجاية صحراء نوميديا، وقد خربت لما دخل

---

[1] ابن خلدون، رحلة ابن خلدون، ص 122 (الهامش).

[2] Meouak, Les Ziban, p. 221.

[3] «Doucen ruine considérables d'une ville romain importante ». Delattre, *op. cit*., p. 274.

[4] أحد صفر، المرجع السابق، ج1، ص 307.

[5] « Le camp retranché de Mlili était le centre de cette ligne de défense, reliée au limes Tabanensis (Tobna) par les trois places d'armes de Tolga [Mesar Filia), de Doucen et de Sadouri. Ce dernier poste, dont l'enceinte mesure 80 mètres sur 45, gardait le principal passage qui fait communiquer le Zibân avec Bou-Saâda ».Tissot, *op. cit*., T.2, p. 526.

[6] « Il est vraisemblable que le frontière militaire romaine venant de la séguia ben el Krass passait par Doucen, pour se diriger vers Sadouri ». A.A.A, F°48, N° 1-69-73.

[7] زهير بخوش، المرجع السابق، ص 156.

[8] Jerôme Carcopino, « Le Limes de Numidie et sa garde syrienne d'après des inscriptions récemment découvertes », p. 31 et 41.

[9] «On ignore le nom antique de Doucen». A.A.A, F°48, N° 73.

المسلمين إلى افريقيا، لأنه كان بداخلها كونت روماني"[1].

بالإضافة إلى الدراسات الميدانية والأثرية التي جاء فيها ذكر الكثير من النقائش اللاتينية والخرائب الرومانية والبيزنطية بالموقع: فدولاتر يذهب إلى أنها مدينة رومانية، ثم بيزنطية بها مباني قديمة[2]. في حين أشار كاركوبينو إلى وقوع الدوسن إلى الجنوب من بسكرة، ويشير إلى أن الموقع كان له حضور قبل وصول الرومان، حيث استطاعوا استعادته لملكهم[3]. الاشارة الأخرى أوردها غزال في أطلسه الأثري، أين يرى بأن الدوسن هو موقع روماني، كما يشير إلى خرائب قلعة أو حصن قديم بالموقع[4].

هذه المعطيات تحيلنا إلى ترجيحين: إما أن يكون أصل تسمية الموقع لاتينية، أو أنه أقدم من ذلك، وهو الترجيح الأقرب، وعليه فهي ذو أصول نوميدية.

من الإسم الفينيقي؟ النوميدي ؟ اللاتيني ؟ إلى المعرب:

دوسين– الدوس– الدَوْسَن– الدَّوْسَن – دُوسَّن

Doucine - al-Douse - al-Dawsan - al-Ddawsan - Doussan

لقد انتهيت إلى أن أصل التسمية نوميدي أو لاتيني، أدى تعريبها إلى الظهور في الروايات المصدرية بأشكال تركيبية، وصوتية مختلفة، نوردها كالآتي:

-ورد في رحلة النصيبي مرتبطة بالشكل العرقي (الإثني) للتمسية دوسين[5]. (دون تشكيل للأحرف).

-جاء ذكر الموقع بالشكل الدوس في الرحلة العسكرية لابن الحاج النميري، من خلال ربطه بحضور العرب والأعراب بمجالات الزاب:" وأوعز أيده الله لشيخ الدوس [الدوسن][6] أن يثقف جميع ما بتلك البلدان من خزين العربان"[7]. (دون تشكيل للأحرف).

---

[1] الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 140.

[2] « Ville romaine importante. Au centre, sur un mamelon tout couvert de construction antique…Castellum Byzantin ou Romain. Nous y copions plusieurs inscriptions ». Delattre, *op. cit.*, p. 274.

[3] « Au sud de Biskra, l'occupation militaire des Romains ne paraît pas s'être avancée plus loin que Doucen. Mais elle a tenu fortement ce mamelon, d'où s'échappe la source de l'Oued Doucen et qui constituait, jadis comme aujourd'hui, "une position stratégique excellente". Le bordj que nous y avons bâti en 1853 s'élève sur les substructions de la forteresse antique, et doit même, si l'on en croit M. Toussaint ». Jérôme Carcopino, « Les inscriptions de Doucen et l'occupation romaine dans le Sud-Algérien », Revue des Études Anciennes, 25-1 (1923) , p. 33-48.

[4] « Doucen. R.r. sur mamelon, dominant la source de Doucen. Le bordj a peut-être élevé sur l'emplacement d'une forteresse antique. Vestige de nombreuses constructions ». *Ibid*, F°48, N° 73.

[5] المصدر السابق، ص 103.

[6] قام علاوة عمارة بتصحيح الشكل التركيبي للطوبونيم في النص الأصلي من الدوس إلى الدوسن. يراجع: " التحولات المجالية والطبونيمية..."، ص 19؛ " الهجرة الهلالية وأثرها..."، ص83.

[7] النميري، المصدر السابق، ص 452.

-ذكرها صاحب روضة النسرين، في مجمل حديثه عن إمارة الأمير أبي حمو موسى بن يغمراسن الزياني خلال حروبه مع السلطان المريني عبد العزيز المريني:" قدم أمير المسلمين عبد العزيز المرين، فدخلها السلطان عبد العزيز واستوطنها وبعث وزيره أبا بكر بن غزاي بن الكاس إلى الدوس طرف بلاد الزاب فانهزم هناك ودخل الصحراء"[1]. وجاءت بالشكل الدوس. (دون تشكيل للأحرف).

-ذكر الموقع في كتاب العبر بموضع كثيرة، وجاء بالشكل الدَوْسَن[2]. (فتح الدال والسين المشددة).

- وجاءت في رحلة ابن خلدون غربا وشرقا، بالشكل الدَّوْسَن:" ولقيه على الدَّوْسَن وبات ليلته يعرض عليهم التحول من وطن أولاد سباع إلى وطنهم بشرقي الزّاب"[3]. (دال مفتوحة ومشددة، وتسكين الواو، وفتح السين).

-أورده الوزان في وصف إفريقيا بالشكل دُوسَّن[4]. (ضم الدال وفتح السين المشددة)

-ذكر في كتاب إفريقيا لمارمول كربخال بالشكل دوسَّنْ[5]. (فتح السين المشددة وتسكين النون)

- شكل تركيبي آخر جاء في الرحلة العياشية بالرسم الدويسة[6]، حين يسرد رحلته من بنطيوس بعد زيارته لزاوية الأخضري، ورحيله إلى ليوة، ثم إلى الدويسة:" ونزلنا بالمكان المسمى بالدويسة بينه وبين أولاد جلال نحو من فرسخ"[7]. ومن المرجح أن الموقع المذكور قد لا يكون المقصود به الدوسن الحالية، لأنه وبالعودة إلى الخريطة الطوبوغرافية لبسكرة، وقسنا المسافة بين الدوسن وأولاد جلال، سنجدها حوالي 26كم. وبحسب القياسات الاسلامية: فالفرسخ يعادل 5-6كم، وعليه يكون تباعد أولاد جلال والدوسن هو 4 فراسخ تقريبا أو يزيد، وهو ما ارتبك العياشي في تحديده، ونظنه يقصد "نحو من بريد"، الذي يعادل 4 فراسخ = 24كم[8].

نخلص مما سبق، إلى تباين واضح في الشكل التركيبي لتسمية الموقع بين الروايات، لكنها في الغالب تجيب على إشكالية الموقع الواحد، وهو المعروف بالتسمية الحالية الدوسن بالغرب من بسكرة.

[1] ابن الأحمر، روضة النّسرين في دولة بني مرين، المطبعة الملكية، الرباط، 1382هـ/1962م، ص 56.

[2] المصدر السابق، ج6، ص 585؛ نفسه، ج7، ص 65.

[3] ابن خلدون، رحلة ابن خلدون، ص 122.

[4] المصدر السابق، ج2، ص 140.

[5] المصدر السابق، ج3، ص 170.

[6] Meouak, Les Ziban, p. 222.

[7] العياشي، المصدر السابق، ج2، ص 544.

[8] حول المقاييس، يراجع: فالتر هنتس، المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة: كامل العسيلي، منشورات الجامعة الأردنية، الأردن، 1970، ص 82 و 94؛ محمد قويسم، "مفاهيم جغرافية عند المسلمين في العصر الوسيط"، دورية كان التاريخية، 13 (2011)، ص 55-62.

مع الترجيح بأن الاسم الصحيح للطوبونيم يتوافق مع أغلب الروايات، والذي يتشكل من (د و س ن) بعض النظر عن تعريفه أو عدمه. كما يرجح أن التسمية التي يوردها النميري، وحتى بن الأحمر لا تعدو أن تكون تصحيفا للحرف الأخير (النون)، ويمكن أن يكون ناتج عن أخطاء النساخ.

الدوسن... الإيبونيم/ الاثنونيم:

دوسين- داوس- داوسن

Doucin - Daws - Dawsin

من خلال النص الوارد في رحلة صورة الأرض لابن حوقل، والذي جاء فيه تطابق الشكل التركيبي للطوبونيم المعرب الوارد في أغلب الروايات العربية، والمتفق على أنها تنتهي عند الدوسن أو دوسن (بدون تعريف) مع أحد بطون قبيلة زناتة (بني دوسين)[1]. وعليه، نذهب إلى نفس القراءة التي أوردها محمد مواق، حين يضع إسم الموقع ضمن التصنيف الطوبونيمي: الإيبونيم (تلقب اسم الموقع باسم شخصية قبلية)، من خلال النموذج الذي أورده الشماخي، وصححه أحد المستشرقين المهتمين بالتاريخ الإباضي تاديوش لفيتشكي[2].

التسمية العرقية (الاثنية) تبرز مرة أخرى في نصوص ابن الحاج النميري، حين يذكر:" ونصب أفراج السعيد أمام روض ابن داوس [داوسن][3] الذي سكنه الخليفة، وشرفه التشريف الذي علت رتبته المنيفة"[4]. ونرجح أنها تسمية لبطن من بطون زناتة، قد تكون من مغراوة[5] أو سدراتة، وهي مطابقة إلى حد كبير الاسم الاثني الذي ورد في صورة الأرض، مع وجود تصحيف التسمية الثانية زيادة الالف، وإهمال الياء بين السين و النون).

كما يمكن إدراج التسمية ضمن التصنيف الطوبونيمي: الاثنونيم، باعتبار أن تسمية الموقع الحالية (الدوسن) قد تكون مشتقة من اسم القبيلة أو البطن الزناتي (دوسين)، والذي سبق في صورة الأرض بالجذر (بنو) للتدليل على الاسم العائلي، والتي يقابلها الجذر (أولاد). هذه الجذور برزت ما بعد

---

[1] ابن حوقل، المصدر السابق، ص 103.

[2] « A propos de l'origine du nom, Ibn Hawqal estime la famille des bnis dusin peut-être donné le nom éponyme au site de dawsan. Le savant ibadite al-Shammahi (ob. 928/1522) relevé dans son ouvrage historico-biographique le nom de sulayman b. Dustan». Meouak, Les Ziban, p. 221-222.

[3] انطلاقا من التصحيح الذي قام به علاوة عمارة على شكل الطوبونيم من الدوس إلى الدوسن، نظن أن الاسم العائلي يكون داوسن وليس داوس.

[4] النميري، المصدر السابق، ص 431.

[5] ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 65؛ صلاح الدين هدوش، "المدينة ببلاد الزاب من خلال المصادر العربية من القرن 5هـ/11م إلى القرن 8هـ/14م"، مجلة علوم الانسان والمجتمع، 14 (2015)، ص 108-109.

بالجذر (بنو) للتدليل على الاسم العائلي، والتي يقابلها الجذر (أولاد)[1]. هذه الجذور برزت مابعد الهجرات الهلالية للتدليل على انتقال إلى المجال الريفي العائلي الناتج في شكل مغتصبات[2].

-وعليه يكون الاسم دوسين (*Doucine*) بربري الأصل تم تحويله إلى اللاتينية (*Doucen*)، ثم إلى العربية بتحريف بسيط الدوسن.

ز- طولقة:

تحديد الموقع الجغرافي:

تقع إلى الشمال من بنطيوس[3] وإلى الغرب من بسكرة. وتستقر طولقة وسط واحات:

- فرفار إلى الشمال؛

-ليشانة إلى الشرق؛

- فوغالة إلى الغرب أو الشمال الغربي؛

-برج بن عزوز إلى الجنوب الغربي[4].

اشتهر موقعها بالقلعة البيزنطية، والتي يرجح غزال أنها قد تم تشييدها على أنقاض حصن روماني[5]، كما يظهر بها خرائب وكتابات جدارية لاتينية[6]، مما يؤكد فرضية تغلغل الرومان نحو الجنوب.

الموقع في التاريخ القديم:

تبقى تسمية طولقة في التاريخ القديم جد مبهمة، وهذا لعـــــدم ورودها لا في المصــادر المتعلقة بالتاريخ الروماني، أو بالتاريخين الوندالــي والبيـــزنطي، وكل ما وجدناه، يحيلنا على أن أصل التمسية إمـــا محلية (بربـــرية) تم تحويلها إلى اللاتينية، وبعدها تظهر بشكلها المعرب في المصادر العربية:

---

[1] « …à partir des noms de tribus ou de fractions de tribus, installées en tel endroit: douar, village…Banû, altéré en Béni, et Wuled (oualed / ouled): sont suivis d'un nom de personne, de chef de famille… " Béni", de l'arabe classique " banû " =" fils de …"». Farid Benramdane, « Microtoponymie de souche arabe: période médiévale - xxème siecle, Étude de cas : la région de Tiaret (Tihart / Tahart) », p. 135.

[2] علاوة عمارة، " الهجرة الهلالية وأثرها"، ص 84-85. ويقارن أسماء القبائل والبطون الواردة في مصادر القرنين الثالث والرابع الهجريين في كتاب: البلدان لليعقوبي، وصورة الأرض لابن حوقل، مع أسماء القبائل المتغلبة الواردة في نصوص الفترة (7-9هـ/13-16م)، على غرار: فيض الغباب، تاريخ الدولتين، والعبر.

[3] يذكر البكري أنها تقع بجوفي بنطيوس، ويضبطها كومبيزا إلى الشمال من بنطيوس. يراجع: البكري، المصدر الساق، ج2، ص 254؛ حساني مختار، المرجع السابق، ج5، ص 45 (بالقرب من بنطيوس). –Cambuzat, *op. cit.*, *vol.2*, p.213 .

[4] A.A.A, F°48, N°27.

[5] Delattre, *op. cit.*, p.276-277.

[6] توفيق المدني، المرجع السابق، ص 222.

- Delattre, *op. cit.*, p.276-277; A.A.A, F°48, N°27

-إن القراءة الواردة في دراسة تيسو، وكذلك غزال[1]، تشير إلى أن التسمية القديمة لطولقة هي التسمية الواردة بألواح بوتنغر بالقرب من بسكرة بالشكل ميسارفيلتا (*Mesar-Felta*).[2]

لكن هذه القراءة قد لا تكون صحيحة في ظل وجود اتفاق آخر بين الدارسين للتاريخ القديم على أن التسمية الواردة في ألواح بوتنغر بالشكل ميسارفيلتا تمثل الموقع لوطاية (*Loutaïa*)[3]. وقد أشار محمد مواق إلى هذه الاشكالية من خلال رحلة إيميل ماسكيراي إلى الجنوبي القسنطيني، والذي حاول بعد وصوله إلى طولقة التثبت من التسمية ميسيرفيلتا هل هي تعني طولقة أم لوطاية[4].

-يرى الوزان بأن:" طولقة مدينة بناها النوميديون"[5]، وهو ما يجعلنا نعتقد بأن الاسم من أصل نوميدي، وهو الأمر الذي ذهب إليه علاوة عمارة كذلك، حين يرجع أصلها إلى النوميديين، ثم حدث تحولات على التسمية:"طولقة ذات الأصول النوميدية تحولت إلى اللاتينة ثم إلى العربية بتحريفات مختلفة"[6].

وإذا صح الترجيح بأن الاسم الذي يقصده كربخال هو طولقة وليس دوقّة، وهي:" مدينة قديمة شيّدها البرابر على جانب نهر صغير ماؤه حار، تحيط بها أسوار قبيحة المنظر"[7]. هذه القراءة تحيلنا إلى أن التسمية من أصل لوبي وهو ما يقصده بمصطلح البرابر (*Barbarius*) الذي سيستمر حتى القرن الثالث الميلادي[8]، وقد تحولت التسمية القديمة إلى شكلها المعرب بتحريفات مختلفة.

من الإسم الأصلي النوميدي؟ اللاتيني؟ إلى المعرب:

طَوْلَقَا – طولقة – طَوْلَقَةُ – طواقة– طولْقَة – دوقّة – طولقه

Tawlaqâ - Toulqa - Tawlaqa – Tawaqa - Douqqa - Toulqah

-يضعها صاحب أحسن التقاسيم ضمن بلاد الزاب، ووردت بالشكل طَوْلَقَا.

-جاءت في وصف البكري، ويضعها ضمن كورة بسكرة، ولها ثلاث مدن أو ثلاث قصور متقاربة (طولقة–فرفار–ليشانة)، وبتركيبة بشرية متنوعة (المولدون–اليمنيون–القيسيون)، ووردت بالشكل طولقة[9]. (دون تشكيل الأحرف).

---

[1] A.A.A, F°48, N°27 et voir F°37, N°27.

[2] Tissot, *op. cit*., T.2, p. 520.

[3] A.A.A, F°37, N°64-70;. Baradez, *op. cit*., p. 320 et 324 et voir carte p.218; Salama, *op. cit*., p.129.

[4] Meouak, Les Ziban, p. 195.

[5] الوزان، لمصدر السابق، ج2، ص 140.

[6] علاوة عمارة، "التحولات المجالية والطبونيمية"، ص 15.

[7] كربخال، المصدر السابق، ج3، ص 169.

[8] علاوة عمارة، "التحولات المجالية والطبونيمية"، ص 15.

[9] البكري، المصدر السابق، ج2، ص 254.

- وردت في معجم البلدان:" طَوْلَقَةُ: مدينة بالمغرب من ناحية الزاب الكبير من صقع الجريد؛ ينسب إليها عبد الله بن كعب بن ربيعة". (فتح أولها ثالثها ورابعا، تسكين واوها، وضم آخرها).

-جاءت في رحلة النميري، خلال وصفه لقصبتها، التي حولتها جيوش أبي عنان إلى خراب كغيرها من قصور وحصون بني رياح:" طولقة من بلاد الزاب". (دون تشكيل الأحرف).

-يضعها صاحب العبر كقاعدة للزاب الغربي على عهده، وجاءت بالشكل طواقة، ثم يصححها المحقق من خلال نسخة أخرى بشكلها الصحيح طولقة[1]. ويوردها في موضع آخر مرتبطة بالحركة الثورية-الصوفية لسعادة الرحماني، وأتباعه السنيين، وقد مثلت أحد ركائز التمكين لدعوته السنية القائمة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بفضل زاويته التي أقامها بالقرب منها، ضد العائلة المزنية الممثل الرسمي للحفصيين في الفضاء البكري:" ونزل طولقة من بلاد الزاب، وأخذ بنفسه في تغيير المنكر...وأقام المرابط سعادة بزاويته من زاب طولقة"[2].

-وردت في الروض المعطار، بنفس الشكل الذي جاء به البكري، لأنه نقل عنه:" طولقة: من بلاد الجريد بجوفي بنطيوس، وهي ثلاث مدن"[3]. (دون تشكيل الأحرف).

- يذكرها صاحب وصف إفريقيا بالشكل طولْقَة[4]. (تسكين اللام، وفتح القاف).

- ذكر الموقع مارمول كاربخال بنفس مواصفاته التي أوردها الوزان، لكن بالشكل مغاير هو دوقّة[5].

-يذكرها الورثيلاني في الرحلة:" دخلت ﴿طولقة﴾ وهم أهل الجود والفضل أكال الله سعدهم خصوص أولاد بوزيان"[6]. (دون تشكيل الأحرف).

-جات بشكلين في تاريخ العدواني: طولقه (من مدن القيروان الغربي خلال فتوحات عقبة)؛ وطولقة. (قرية بالزاب)[7].

نلاحظ أن الشكل التركيبي للطوبونيم يكاد يكون واحدا بين مختلف المصادر، حتى التي تتجاوز المجال الزمني للدراسة (مابعد نهاية القرن التاسع الهجري/15م)، وينتهي إلى الشكل (ط و ل ق ة)، مع تمايز

---

[1] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 47.

[2] ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 394.

[3] الحميري، المصدر السابق، ص 400-401.

[4] المصدر السابق، ج2، ص 140.

[5] المصدر السابق، ج3، ص 169. (يقارن وصف الموقعين عند الوزان ومارمول، نفس الموصفات، مع تصحيف واضح في التسمية عند كربخال).

[6] الورثيلاني، المصدر السابق، ص 88.

[7] العدواني، المصدر السابق، ص 300 و 308.



بسيط في الشكل الصوتي للتسمية، ونرجح أنها ناتجة عن عملية التعريب من الأصل. أما المدلول اللغوي لطولقة فلم أتمكن من تحديده.

س- مليلي:

تحديد الموقع الجغرافي:

من مدن الزاب[1] وواحات كورة بسكرة[2]. تستقر في الجنوب الغربي من بسكرة[3]، وإلى الجنوب من مجرى وادي الجدي[4]، وإلى الجنوب الشرقي من الدوسن[5]. يضعها ديلاتر على بعد 28 كم من بسكرة[6]، بينما يحدد المسافة بينهما تروسي بحوالي 38كم، وقد مثلت أحد معسكرات خط الليمس في الجنوب النوميدي[7]، وهو الأقرب، لأن المسافة الحالية بينهما حوالي 38كم.

وتتموقع بين عدة واحات:

-أورلال، التي لا تبعد عنها سوى 4كم إلى الجنوب الغربي منها[8]؛

-المخادمة في الغرب[9]؛

-أوماش في الشرق، وواحات طولقة في الشمال الغربي[10].

الموقع في التاريخ القديم:

Gemellas – Gemella - Gemellae – Gemellensis

-جاء ذكر الموقع في ألواح بوتنغر بالشكل(*Gemellas*).

-بحسب تروسي، فقد برز الموقع على العهد الروماني في خرائط المسالك القديمة للجنوب النوميدي بالاسم (Gemelae)[11].

-يشير غزال إلى أنه خلال سنة 253م، تم تخليد اسم الموقع كأحد معسكرات الليمس الروماني على

[1] المقدسي، المصدر السابق، ص 221.

[2] البكري، المصدر السابق، ج2، ص 230.

[3] Trousset, Gemellae, *op. cit*., p. 3008.

[4] A.A.A, F°48, N° 65.

[5] *Ibid*.

[6] Delattre, *op. cit*., p. 262.

[7] *Ibid*.

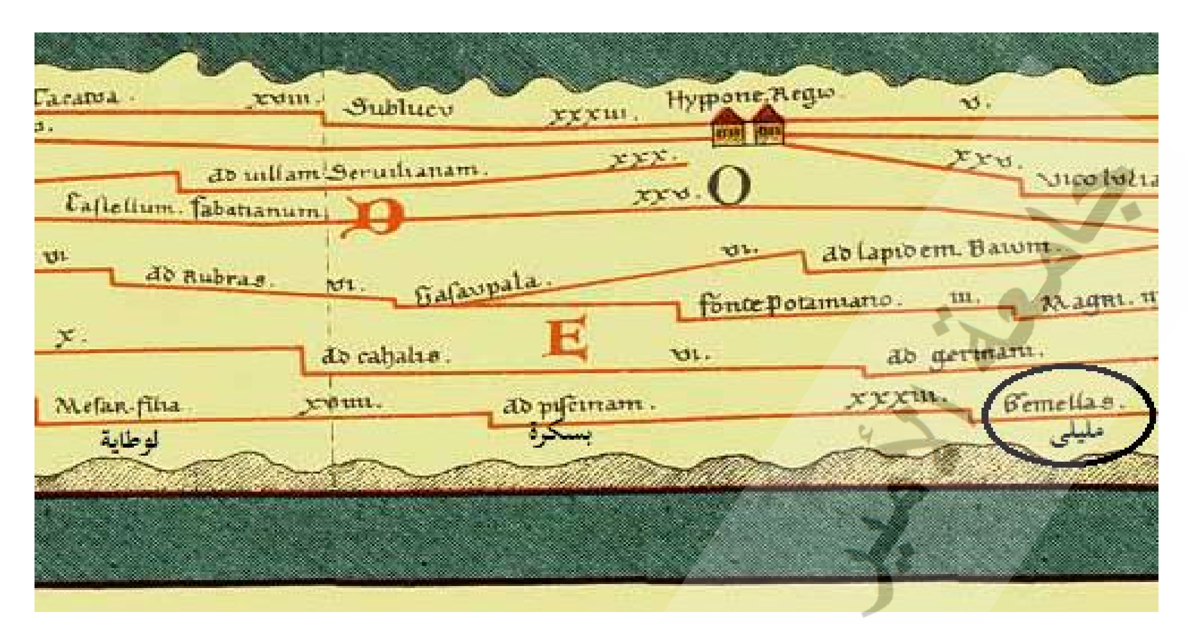
[8] Trousset, « Gemellae », *op. cit*., p. 3009.

[9] العياشي، المصدر السابق، ج2، ص 542.

[10] A.A.A, F°48, Catre Biskra.

[11] Trousset, « Gemellae », *op. cit*., p. 3009.





موقع مليلى على ألواح بوتنغر

(المرجع: Tabula Peutingeriana, P a r s I V)

نقيشة لاتينية عسكرية[1].

-جاء ذكر الموقع في الوثائق المدنية والعسكرية الرومانية، مرتبط بتنظيم الحدود الرومانية، وجاءت بالشكل: (*Gemellensis*)[2].

-بسبب تقارب التسميات، هناك اقتراح من قبل كاركوبينو بمقارنة الطوبونيم مع التسمية التي وردت في نصوص بلين القديم مرتبطة بالموقع المحصن[3]، بالشكل: (*oppidum Milgis Gemella*) من خلال الحملة التي قادها بالبوس كورنيليوس في أقصى حدود الجيتول[4].

من الإسم الأصلي إلى المعرب:

جميلا – مْلِيلَى– مليلة – أمليلي

Gemella –M'lila- Malila –Amlili

يظهر الإسم اللاتيني للموقع في النصوص القديمة، بشكله النهائي (*Gemellae*)، وقد ظهر الطوبونيم المعرب في المصادر العربية في المواضع الآتية:

- وردت في أحسن التقاسيم، بالشكل جميلا:" والزاب مدينتها المسيلة ولها...جميلا، بنطيوس"[5].

---

[1] A.A.A, F°48, N° 65: (C.I.L., 2482 = 17976).

[2] زهير بخوش، المرجع السابق، ص 206.

[3] Trousset, *Ibid*, p. 3008-3009.

[4] زهير بخوش، المرجع السابق، ص 206.

[5] المقدسي، المصدر السابق، ص 221.

- ذكرها البكري في مسالكه بالشكل مْلِيلَي:" وبسكرة كورة فيها مدن كثيرة...ومن مدنها:...مدينة مْلِيلَي، ومدينة بنطيوس"[1].

- ذكرتها النصوص الاباضية في صورة طبقات المشايخ في شكلها العرقي مليلة:" ولما قرب يزيد من حيز طرابلس خرج إليه أبو حاتم بمن معه من أصحابه، حين نزل موضعا يقال له جنى ومعه قبيلة من البربر يقال لها مليلة... ليس أحد من البربر إلا قبيلة واحدة من هوارة يقال لها مليلة"[2].

- وردت في تاريخ ابن خلدون كأحد المواقع التي حاصرها سعادة الرحماني واتباعه السنيون:" وجمع من كان إليه من المرابطين المتخلفين عن الناجعة، وغزا مليلي وحاصرها أياما"[3].

-كما ترد عند ابن خلدون في موضع آخر، وبشكل تركيبي مغاير هو مليلة، الذي يطابق الشكل العرقي للتسمية، وارتبطت ببلاد الزيبان، ومثلت زابا منها:" وهذا الزاب وطن كبير يشتمل على قرى متعددة متجاورة جمعا جمعا، ويعرف كل واحد منها بالزاب. وأولها زاب الدوسن، ثم زاب مليلة"[4].

- جاءت في رحلة العياشي بالشكل أمليلي:" كان ارتحالنا من بلاد بسكرة قاعدة بلاد الزاب يوم الخميس وسرنا على غاية من الوجل من عرب أولاد نصر لكثرة ما يخوفنا الناس منهم، واجتمع الركبان عند قطع الساقية وساروا جميعا، ومررنا بقرية أمليلي "[5].

نلاحظ إتفاق شبه تام بين الروايات على التسمية المعربة للموقع، والتي تنتهي كلها عند مليلي ومليلة، في حين نجد استثناء واحد في رواية المقدسي لاسم الموقع، والتي تقابل إلى حد كبير التسمية الواردة في نصوص بلين القديم بالشكل (*Gemella*)، ونرجح أن الطوبونيم الوارد عند المقدسي، ماهو إلا تعريب حرفي للتسمية اللاتينية.

مليلي- مليلة... الاثنونيم (هوارة):

هناك مقاربة لأصل تسمية الموقع، لباقي الروايات المصدرية: (مليلي أو مليلة)، وهي أنها مشتقة من البطن مليلة، والذي يمثل أحد بطون هوارة، وهو ما يؤكد صاحب جمهرة الأنساب:" ومن قبائل هوّارة: كملان، ومَلِيلة"[6]. كما يذكر ذلك صاحب طبقات المشايخ[7]:" قبيلة واحدة من هوارة يقال لها

[1] البكري، المصدر السابق، ج2، ص 230.

[2] الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص 39.

[3] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 52.

[4] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 585.

[5] العياشي، المصدر السابق، ج2، ص 542.

[6] ابن حزم، المصدر السابق، ص 461.

[7] الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص 39.

مليلة". وأوردها الفقيه أبي زكرياء يحي ابن خلدون مليلة في بغية الرواد ضمن البطون والقبائل[1]. ويذكرها كذلك صاحب العبر:" ومن بطون هوّارة بنو كملان. ويقال: إن مليلة من بطونهم"[2].

لقد أكد محمد حسن على هذه المقاربة، حين يقول:" والحقيقة إن أمثلة المواقع المشتقة من القبائل عديدة، ولا يمكن أن نستوفي ذكرها، فمليلة وهي بطن من هوارة أعطت اسمها لمدينة بالمغرب الأقصى، وأخرى وهي مليلي، بالزاب"[3].

الأكيد أن الطوبونيم الوارد بمجالات الزاب، لا يمثل النموذج الوحيد على الحراك القبلي لبطن هوارة مليلة، لكن نجد أسماء مشتركة أخرى، وقد ظهرت من خلال التسمية اللاتينية (*Gemellae*)، وهو ما يذكره تروسي، حين يشير إلى ثلاث مواقع لها نفس التسمية جيميلاي[4].

وقد أكد عبد الوهاب بن منصور على اشتقاق عدة مواضع من القبيلة مليلة، وهذا في قوله: "مليلة: من أكبر قبائل البلاد المغربية، ولها فروع في جميع الجهات مستقلة بنفسها أو مندمجة في غيرها، وينسب إليها عدة مواضع"[5]. ونفس الطرح نجده عند محمد مواق، وهذا انطلاقا من قراءة تاديوش لفيتشكي للنصوص الاباضية لأبي زكرياء الورجلاني[6].

جميلا – جِيمْلَة (كتامة):

من أسماء المواقع المطابقة للتسمية اللاتينة لمليلي الزاب، والتي عثرنا عليها كذلك، نذكر الطوبونيم "جيملة"، والتي تندرج ضمن التصنيف الطوبونيمي الاثنونيم، وهذا لاشتقاق اسم الموقع من بطن كتامة جيملة[7]. هذا الطوبونيم نلاحظ مطابقته للتسمية الواردة في أحسن التقاسيم "جميلا"[8]، والتي تأكدنا بأنها التسمية المعربة عن الأصل الوارد في نصوص بلين القديم "*Gemella*"[9]، وحتى يوافق التسمية التي

---

[1] يحي ابن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، مطبعة بيير فونطانا، الجزائر، 1321هـ/1903م، ص 94.

[2] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 181.

[3] محمد حسن، الجغرافيا التاريخية لإفريقية، ص 12.

[4] « Gemellae l'une se trouvait en Byzacène, entre Capsa (Gafsa) et Thelepte, à Sidi Aïch ; une seconde (Gemellas) se trouvait sur les confins numido-maurétaniens entre Lambèse et Sétif, à 25 milles de cette dernière ; une autre Gemellae située autour d'un camp du "limes" de Numidie, à 38 km au sud-ouest de Biskra, sur la rive droite de l'Oued Djedi ». Trousset, « Gemellae », *op. cit.*, p. 3008.

[5] عبد الوهاب بن منصور، المرجع السابق، ج1، ص 316.

[6] « En effet, d'après Tadeusz Lewicki, ce nom doit être mis en relation avec une branche de Huwwara qui prêta main forte à Abu Hatim al-Malzuzi, imam ibadite de la Tripolitaine ». Meouak, Les Ziban, p. 233.

[7] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 196.

[8] المقدسي، المصدر السابق، ص 221.

[9] زهير بخوش، المرجع السابق، ص 205.

عثرنا عليها في ألواح بوتنغر "*Gemellas*"[1]، مع إهمالنا لحرف (s) في نهاية التسمية باعتباره زائدة لاتينية.

وجيملة[2] تقع في الجنوب الغربي لجيجل، ويقرب منها الموقع الاسماعيلي الشهير" إيكجان/بني عزيز" مستقر بني سكتان بجبل إيكجان[3]، ومدينة ميلة تستقر منها في الجنوب الشرقي، وقد كانت من قبيل كتامة[4]. وقد تواصل حضور الموقع الكتامي الوسيط خلال عصرنا الحالي[5]، وهو الموقع الذي ذكر بشكل لافت في النصوص الاسماعيلة على غرار القاضي النعمان:" فإذا منعوه احتمى اليهم جميع جِيمْلَة ومن تقرب منها من قبائل كتامة"[6].

وانطلاقا من توسع مجالات القبيلة الكتامية (جيملة)، وتمدد مواطنها، يذهب موسى لقبال إلى أن مواطن قبيلة جيملة توغل إلى الداخل، وربما حتى المنطقة الرومانية القديمة جميلة، والتي تنتمي إداريا لولاية سطيف، ويرجح بأن يكون الأمر مجرد تحريف في النطق الشعبي للاسم الأصلي لقبيلة كتامة جيملة وليس جميلة [7].

أما بخصوص المدلول اللغوي، فيرجح محمد مواق بأن الطوبوينم الأصلي قد يقارب الاسم (*m(a)ll*) في اللغة البربرية، والتي تعني الأبيض أو البياض[8]. وبالعودة إلى القاموس العربي-الأمازيغي نجده يقابل: ؤمليل/ج/ ؤمليلن، والتي تعني الأبيض، كما نجده يقابل ئمّليل وئمليل، والتي تعني بيَّضَ و إبيضَّ[9].

3- المواقع الفرعية – الميكرو طوبونيم- ببلاد الزاب (1-9هـ/7-15م):

خلال عمليات البحث، والتقصي عن أسماء المواقع بمجالات الزاب في مختلف المصادر العربية ، لاحظت وجود عدد من الطوبونيمات، لم يكن لها أدوار أساسية ببلاد الزاب، لذا قمت بإدراجها ضمن صنف الطوبونيما الفرعية أو الميكرو طوبونيم، وقد لخصتها في الآتي:

أ-بشيلقة:

بِشِيلْقَة- بَشِلِيقَة

---

[1] Tabula Peutingeriana, P a r s I V.

[2] عبد الوهاب بن منصور، المرجع السابق، ج1، ص 319 (بكسر الجيم ومد وسكون الميم...ساكنة على عدوتي وادي جندين بين جيجل وسطيف من المغرب الأوسط).

[3] القاضي النعمان، المصدر السابق، ص 81 (الهامش)؛ موسى لقبال، دور كتامة، ص 107.

[4] نفسه، ص 88 (قريبا من ميلة غربيها) و 106 و 143.

[5] موسى لقبال، دور كتامة، ص 107.

[6] نفسه، ص 81 و 106

[7] موسى لقبال، دور كتامة، ص 106.

[8] Meouak, Les Ziban, p. 233.

[9] محمد شفيق، المرجع السابق، ج1، ص 186.

يظهر أول ذكر للطوبونيم بشيلقة في مسالك البكري، مرتبطا بالمدينة الفاطمية (المسيلة)، ومن خلال نصه، يتأكد استقرارها بالموقع البيزنطي القديم زابي جستنيانا، والذي يقع على بعد حوالي 4 كم إلى الجنوب الشرقي من المسيلة:" وعلى مقربة منها مدينة للأول خربة يقال لها: بشيلقة"[1].

أما أصل الكلمة فيرجح أنها اشتقت من اللفظ اللاتيني (*Basilica*)[2] لاحتواء الموقع الأثري على بقايا بازليكا[3]، وتحول الطوبونيم المرجح بتحريف بسيط إلى العربية، ليحمل إسم الطوبونيم الشكل "بشيلقة" أو التسمية "بشليقة" وهو الأقرب إلى التسمية اللاتينية. نلاحظ تواصل الطوبونيم خلال الفترة الحالية، فهي قرية بشيلقة التي تتبع إداريا لبلدية المطارفة ولاية المسيلة[4].

ب- ملشون:

مَلَشُون – مَلَسُون ؟ مشونش

جاء أول ذكر للطوبونيم ملشون مرتبطا بعالمين من علماء المالكية الواردة أسمائهم في طبقات أبي العرب:" أبو عبد الله الملشوني وابنه اسحاق...وملشون قرية للعجم بتهودة"[5]. ثم ترد بنفس الصيغة ومحتوى النص، خلال القرنين الهجريين الخامس والسادس، في مسالك البكري:" وقرية من قرى بسكرة، تسمى: مَلَشُون منها: أبو عبد الله المَلَشُوني، وابنه اسحاق"[6]. وكتاب الاستبصار:" ومن قرى بسكرة قرية تسمى مَلْسون، ومنها أبو عبيد الله الملسوني"[7].

ويذهب كومبيزا، إلى أن الطوبونيم ملشون الوارد في المصادر العربية، مطابق للموقع الحالي مشونش *(Maishun) = (M'chounéche)*[8]. هذه المقاربة عبر عنها كذلك محمد مواق مستندا إلى قراءة لفيتشكي[9]. وتستقر مشونش بين الأوراس والزاب على الطريق الجنوبي الرابط بينهما، فهي تقع إلى الشرق من بسكرة، والأقرب إليها: تهودة (سيدي عقبة)، شتمة، ومزيرعة؛ وإلى الجنوب من الأوراس، ويقرب منها موقعي: تكوت ومنعة.

---

[1] البكري، المصدر السابق، ج1، ص 239.

[2] Jean-Pierre Laporte, « De l'Antiquité au Moyen Age : Continuités et rupture dans quelques implantations urbaines », *Revue Athar*, 7 (2008), p. 62.

[3] سعاد سليماني، المرجع السابق، ص 57 و 65.

[4] المرجع نفسه، ص 55.

[5] أبو العرب، طبقات علماء إفريقية، ص 98.

[6] البكري، المصدر السابق، ج1، ص 231.

[7] الاستبصار، ص 173.

[8] Cambuzat, *op. cit*., vol.2, p. 61.

[9] Meouak, Les Ziban, p. 259.



ت- دوفانة:

من قرى الأوراس، يذكرها المقدسي بين باغاي وعين العصافير[1]. أما ابن حوقل فيضعها على بعد مرحلة واحدة من باغاي، على طول المسلك باغاي- المسيلة[2]. وتقع دوفانة في الشمال الشرقي من بسكرة، والأقرب إليها في الفضاء البسكري هي مزيرعة ومشونش؛ وفي الأوراس، يقرب منها تيمقاد إلى الغرب، وباغاي إلى الشرق. وهي الآن تمثل مستقر بلدية أولاد فاضل التابعة إلى ولاية باتنة.

ويذكر غزال في أطلسه الأثري، موقعا من الخرائب الرومانية يسمى هنشير توفانة، وضبط موقعه إلى الأعلى من وادي بوعطاب، وأشار إلى أن مدينة دوفانة تكون من هذه الجهة[3]. وقد حاول كومبيزا هو الآخر مطابقته مع الطوبونيم دوفانة: *Touffana* (*=Dufana*)، انطلاقا من المنبع المائي المسمى عين دوفانة الواقعة إلى الشرق من تيمقاد، والذي يكون فيه وادي دوفانة أحد المجاري الأوراسية الثلاثة التي تتوسطها عين دوفانة[4].

ث- بيطام:

ارتبط ذكرها بطبنة في نصوص البكري من خلال نهرها أو الأصح وادي بيطام:" اسم نهرها بيطام، وإذا حمل سقى جميع بسائطها وفحوصها"[5]. تستقر بيطام إلى الجنوب من طبنة (باريكا أو بريكة الحالية)، وإلى الشمال الغربي من بسكرة، ويقرب منها في الفضاء البسكري: جمورة، القنطرة، والوطاية. ويمكن ادراج بيطام ضمن البسيط الغربي للأوراس، وينتهي إلى الحضنة، التي منطلقها على ذكر ابن خلدون من نقاوس إلى المسيلة[6]، أين يستقر في الغرب من بيطام النطاق الجنوبي للمسيلة والأقرب إليها: الزرزور، بن سرور، أولاد سليمان الحوامد. وانطلاقا من البكري، فالمدلول اللغوي المحلي للتسمية بيطام هو بيت الطعام، وهذا لجودة زروعها.

يستمر ذكر الطوبونيم في عصرنا الحالي، لتبقي على ارتباط ببسكرة، وأحد محطات الطريق المنطلق من طبنة المندثرة، والذي حل محلها الطوبونيم باريكة أو بريكة.

ج- فرفر:

فرفر- فرفار

---

[1] المقدسي، المصدر السابق، 218.

[2] ابن حوقل، المصدر السابق، ص 85.(المسلك بغاي- المسيلة: مقطع من الطريق المتجه إلى غرب إفريقية: إفريقية- تيهرت- فاس).

[3] A.A.A, F°27, N°370.

[4] Cambuzat, *op. cit*., vol.2, p. 94.

[5] البكري، المصدر السابق، ج1، ص 229.

[6] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 46.

خلال القرن الثامن الهجري/14م يحضر طوبونيم فرفر على ساحة الأحداث بالمجال الغربي للفضاء البسكري، في الرحلة العسكرية لابن الحاج النميري، والملاحظ اقترانها بطولقة[1]، وهو ما يتأكد من خلال الخريطة الطبوغرافية الحالية لموقع فرفار التي أصبحت مجرد قرية تنتمي إداريا إلى طولقة. اشتهر الموقع خلال رحلة أبي عنان للزاب بتراجع نفوذ القبائل البربرية لصالح جماهر أولاد أحمد الذواودة، التي تحكمت في مجالاتها، وتمكن شيخهم يعقوب بن علي من تشييد أحد القصور الرياحية بالزاب الغربي[2].

هذا عن العمارة والعمران، أما عن الثروة ا ساعد خديجة، المرجع السابق، ج1، ص لزراعية، فقد ميزت الموقع انتشار غير محدود لغابات النخيل، وقد كان صاحب فيض العباب شاهدا على استئصال هذه الاعداد الهائلة من النخيل بفرفار، كما انتشر حول الموقع الكثير من بساتين الاشجار المثمرة، والتي لم تسلم هي الأخرى من عملية القطع والتخريب المريني[3].

في الفترة التي تلي المجال الزمني للدراسة (ما بعد القرن الهجري التاسع/15م)، نجد للطوبوينم حضور في تاريخ العدواني بالشكل فرفار، وهي تطابق التسمية المحلية للموقع، كما أن وصفها كقرية، فهي بالمثل خلال العصر الحالي. وبحسب العدواني، فإن مدلول التسمية يرجع إلى عين كانت بالموقع القديم، وبعد تشييد هذه العين، اشتق إسم الموقع منها، فأصبحت بالأصل فرفار[4].

وتستقر فرفر أو فرفار بالتسمية المحلية الحالية، في الغرب من بسكرة، وبالقرب منها تستقر خرائب الموقع القديم لليشانة. وإلى الجنوب والجنوب الشرقي نجد واحات مليلي، المخادمة، وأورلال. وإلى الغرب منها تستقر الدوسن.

أما أصل الطوبوينم، فنجد إشارة أولى لغزال تشير على وجود خرائب قلعة رومانية (*Castellum*) بالموقع[5]، مما قد يحيلنا على أن أصل التسمية لاتيني. كما نجد كذلك رأي آخر لعلاوة عمارة، يشير إلى أن الموقع من أصول نوميدية، تحول إلى اللاتينية، ثم تعريبه، أين يظهر بشكله المعرب في رحلة فيض العباب، وفي شكله الحالي[6].

ح- القنطرة:

[1] النميري، المصدر السابق، ص 443.
[2] المصدر نفسه، ص 445-446.
[3] نفسه، ص 446.
[4] العدواني، المصدر السابق، ص 308.
[5] A.A.A, F°48, N°25.
[6] علاوة عمارة، " التحولات المجالية والطبونيمية"، ص 15.

بالرغم من قدم الموقع، إلا أنه يغيب بشكل كلي في مصادر القرون الهجرية السبعة الأولى، ولا نجد له حضور إلا في رحلة فيض العباب، أين يضع النميري أحواز القنطرة دون حضيض جبل أوراس[1]، وارتبط الموقع بتحكم الجماعات الرياحية بمجالاته، حيث استطاع يعقوب بن علي الرياحي من تشييد قصره المنيع[2]، ولم يكن حاله بأحسن من باقي التحصينات الرياحية، حيث خرب خلال الحملة المرينية:" فلما نزع يده من طاعة الخليفة...أمر مولانا بهدم ذلك القصر المشيد، والحصن الذي ألقى إليه بالإقليد، فقطعت أواصر أسواره، وتناهت القبائل في محو آثاره"[3].

لقد ورد ذكر الموقع في ألواح بوتنغر تحت اسم (*Ad Calceum Herculis*)[4]، ثم تحول اسمها إلى القنطرة. من المرجح أن التسمية تكون قد اشتقت من معلم القنطرة الرومانية المشيدة بالموقع، وأهميتها في جانب المواصلات[5]. تستقر القنطرة في مخرج العنق الأوراسي، وفي الجنوب منها نجد بسكرة، ويقرب منها: جمورة، لوطاية، والبرانيس. وفي الشمال الشرقي لمبايسيس (لمبيز)، وهي أحد المراكز الحيوية العسكرية بالأوراس، والذي يعتبر أهم محطة تواصل مع القنطرة بالمسلك الروماني القديم[6]، والذي يمكنه أن يتمدد بعد الوصول إلى موقع الوطاية منها إلى بسكرة، ثم يتجه إلى الصحراء الشرقية على غرار وادي سوف ووادي ريغ[7].

خ- سفيان:

تقع سفيان في غرب الأوراس، إلى الشمال منها نقاوس، وموقع سفيان يستقر إلى اليمين من المسلك الجنوب الغربي: نقاوس- طبنة، والمتمدد باتجاه الجنوب ليؤمن على الأرجح حصن الدوكال، ويرجح غزال وجود طريق فرعي تربط نقاوس مع سفيان على طول المسلك السابق نقاوس-طبنة[8]. وإلى الغرب من سفيان نجد طبنة، وهذه الأخيرة ترتبط معها بمسلك روماني قديم على طول 16 ميل يتجه

---

[1] النميري، المصدر السابق، ص 420.

[2] المصدر نفسه، ص 422.

[3] نفسه، ص 423.

[4] A.A.A, F°37, N°52.

[5] حول القنطرة الرومانية، يراجع:

- Ch. A. Laurent, Mémoire sur le Sahara oriental: au point de vue de l'établissement des puits artésiens dans l'Oued-Souf, l'Oued-R'ir et les Zibans, Imprimerie de P.-A. Bourdier et C[ie], Paris, 1859, p. 4-5.

[6] P. Morizot, « Les voies romaines de Lambèse à Calceus Herculis (El Kantara, Algérie)», *Antiquités africaines*, 34 (1998), p. 149-155.

[7] Laurent, *op. cit.*, p. 4-5 et 7.

[8] Grange, *op. cit.*, p. 50-52 ; A.A.A, F°26,N°161.

إلى الشرق، وهو ما أكدته الشواهد الميلية التي عثر عليها على طول الطريق، وفي الشرق من باريكا[1]. وإلى الجنوب منها نجد بسكرة، ويقرب منها: القنطرة، جمورة، لوطاية، والبرانيس. وإلى الشرق منها تستقر لمبيز. ويتواصل ذكر الطوبونيم حتى وقتنا الحالي، فهي بلدية تتبع إداريا لدائرة نقاوس ولاية باتنة.

وجاء ذكر الطوبونيم سفيان في النصوص الرحلاتية لابن الحاج النميري، مرتبطا بنقاوس، وهذا لكثرة الاغارة عليها من قبل العرب القاطنين بسفيان:" وكان سفيان من المواضع التي تضر بنقاوس أعظم الضرر، ويخطر عليها المفسدون فيتأتى لهم منها ارتكاب الخطر"[2].

د- أوماش:

من مدن الفضاء البسكري، وردت في تاريخ ابن خلدون مرتبطة ببني مزني أيام غزاة القائد محمد بن الحكيم للقضاء على انتفاضة الجريد بقيادة بن يملول، وبلاد ريغ، ووردت بمسمى البلد[3]:" وارتحل إلى الزاب في جنوده ومعه العرب من سليم فأجفل بالزاب ونزل بلد أوماش من قراه، وفرّت العرب من الذواودة وسائر رياح أمامه، ودافعه يوسف بن مزني بهدية دفعها إليه وهو بمكانه من أوماش...ثم عقد له على الزاب وما وراءه من قرى"[4].

يتواصل ذكر الموقع في المصادر التي تلي فترة الدراسة (مابعد القرن الهجري التاسع/15م):

ففي القرن الهجري العاشر/16م، ترد في وصف إفريقيا للوزان، من خلال ترجيح مترجمي كتابه بأن المقصود بالموقع نفطة هو: "قرية أوماش البعيدة بحوالي 20 كم إلى الجنوب"[5]، دون أن نجد لهذه الإشارة حضور عند مترجم كتاب افريقيا، والذي يعتبر نسخة طبق الأصل لمؤلف الوزان، حيث يشير في هامش الترجمة إلى أنها نفطة التي تنتمي إلى بلاد الجريد[6]، وهو في رأيي تفسير حيد عن الصواب، لأن مجال الزاب حتى هذه المرحلة لا يتعدى الفضاء البسكري وواحاته.

قرن بعد ذلك، نجد للموقع حضور وتواصل بشكلين مختلفين في نصوص تاريخ العدواني "أماش" و"أوماش":"هذه القرية بالزاب". وبحسب هذه الرواية، يمكننا إدراج الطوبوينم أوماش ضمن تصنيف الإيبونيم، لارتباطه باسم شخصية، والذي أشار إليه العدواني:" هذا أوماش رجل

---

[1] A.A.A, F°37, N°10.

[2] النميري، المصدر السابق، ص 461.

[3] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 422؛ ج7، ص 209.

[4] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 592.

[5] الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 140 (الهامش).

[6] كربخال، المصدر السابق، ج3، ص 169 (الهامش).



يهودي"[1]. وتقع أوماش إلى الجنوب منها بسكرة، وإلى الشرق تهودة (سيدي عقبة)، وإلى الغرب واحات: مليلي، أورلال، والمخادمة[2]. ونجد للطوبونيم تواصل حتى الوقت الحالي، ويتبع الموقع إداريا إلى دائرة أورلال ولاية بسكرة.

ذ- حَيَّاس:

من قرى الزاب، جاء ذكرها في تاريخ ابن خلدون، مرتبطة ببدايات حضور قبيل بني مزني بالفضاء البسكري:" وكان أول نزوله بقرية من قرى بسكرة وكانت تعرف بقرية حيَّاس، ثم كثروا وتسايلوا وأخذوا من أهل بسكرة بحض وافر من تملك العقار والمياه، ثم انتقلوا إلى البلد واستمتعوا منها بالمنزل والظلال، وقاسموا أهلها في الحلو والمر، وانتظم كبارهم في أرباب الشورى من المشيخة"[3].

ر- ماشاش:

باشاش- ماشاش

قرية من قرى الزاب، ارتبط اسمها بأولاد حريز أحد فروع لطيف بطن الأثبج، ووردت عند ابن خلدون:" أولاد حريز من لطيف إحدى بطون الأثابج، كانوا نزلوا بقرية باشاش [ماشاش] لضيق المدينة حين عجزوا عن الظعن....وان يخربوا بيوتهم من قرية باشاش"[4].

ويرجح أن يكون الموقع على حواف بلاد ريغه، في المجالات الفاصلة بينها وبين الفضاء البسكري، وهذا انطلاقا من قول ابن خلدون، بعدما فقد أولاد حريز لأوطانهم لصالح بني زيان في حدود 683هـ/1284م:" تنكر لهم بنو زيان لحولين من دون الحلف، ونابذوهم العهد فخرجوا عن البلد وفقدوا مالهم بها من قريب، وتفرقوا في بلاد ريغه"[5].

رابعا: أصناف أخرى للطوبونيميا بمجالات الزاب (1-9هـ/15م):

1- المعالم الجغرافية المرتبطة بالماء: الهيدرونيم

عين- وادي- ساقية - بئر

تم حصر العديد من أسماء المواقع بمجالات الزاب خلال فترة الدراسة، تندرج ضمن التصنيف الطوبونيمي الهيدرونيم (*Hydronyme*)، حيث تسبق الجذور: (عين- وادي- ساقية - بئر) أول تسمية المعلم الجغرافي، ونلخصها في الآتي:

---

[1] العدواني، المصدر السابق، ص 308.

[2] A.A.A, F°37, Carte Biskra.

[3] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 586.

[4] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 587.

[5] نفسه، ج6، ص 587.



أ- عين السودان

جاء ذكر المعلم (عين السودان) في حدود 335هـ/946م، وارتبط اسمه بمعركة شهيرة بين صاحب الحمار والخليفة الفاطمي اسماعيل المنصور، ووردت في أخبار ملوك بني عبيد:" وكانت قبل ذلك على أبي يزيد هزيمة عظيمة بموضع يعرف بعين السودان بين جبل كياتة"[1].

كما جاء ذكرها في عيون الأخبار:" وقعة عين السودان: فكمن الدجال مع أصحابه بين تلك الجبال والأوعار، في موضع يعرف بعين السودان"[2]. ويظهر من الروايتين، أن موضع عين السودان بين جبل كياتة، في الجزء الغربي من سلسلة جبال المعاضيد، شرق المسيلة.

ب- بئر الكاهنة

المعلم يخلّد انتصار الفاتح حسّان بن النعمان، وموضع مقتل ملكة البربر الكاهنة. ورد اسم الموقع على أيام فتوحات حسان بن النعمان، في تاريخ إفريقية والمغرب:" فانهزمت الكاهنة، واتبعها حسان حتى قتلها، ونزل في الموقع الذي قتلت فيه، وهو بئرها، وعليه بقي رأسها، فسمي الناس هذا الموضع بئر الكاهنة إلى اليوم"[3].

ويتواصل حضور المعلم إلى حدود القرن الهجري التاسع/الخامس عشر الميلادي، أين يذكره صاحب الفارسية خلال حملة السلطان الحفصي أبي فارس عزيز على مواطن بني مزني ببسكرة:" وفي سنة أربع وثمانمائة تحرك أمير المؤمنين إلى بسكرة وأقام ببئر الكاهنة مدة حتى دبّر أمره، ثم ارتحل"[4].

من خلال الروايتين، يتضح أن المعلم يستقر جنوب تبسة، وهو بالقرب من بسكرة إلى الشرق منها، و حاليا يستقر ربما بمدينة بئر العاتر.

ت- غدير فرغان

يصب غدير فرغان في الجهة الشرقية من طبنة، ويذكره البكري:"طبنة...يشق سكك المدينة جداول الماء العذب، وبها اسواق كثيرة، غير السمّاط المذكور، ولها بساتين ملاصقة للربض، وقبرتها بشرقيها، وبقرب المقبرة غدير يعرف بغدير فرغان، وهو بجوفي مصلى العيد"[5].

ث- وادي مقرة

يمثّل المعلم شرايين الحيـــاة لمدينة مقرة، والتي اشتهرت بزيتها الذي لا يوجد أطيب منه، وعسلها الشهير،

---

[1] ابن حماد، المصدر السابق، ص 68

[2] الداعي إدريس، المصدر السابق، ص 394

[3] الرقيق المصدر السابق، ص 33؛ المالكي، المصدر السابق، ج1، ص 55.

[4] ابن قنفد، المصدر السابق، ص 55؛ الزركشي، المصدر السابق، ص 122.

[5] المصدر نفسه، ج2، ص 229.



وكتانها الذي يكثر زراعته بالمدينة[1]، ويقع وادي مقرة إلى الشرق من بشيلقة، وشيدت على أطرافه سبع قرى منها قرية يكسم[2].

وينبع هذا الوادي من أعالي المدينة، في مرتفعات سبلة إلى الشمال من مقرة، ويصب فيه الوديان المنبعثة من رأس إسلي، أولاد تبان، والوديان القريبة من الجبال المحيطة بسوبلة. كل هذه السيول تجتمع في مجرى وادي مقرة الذي يتخذ مجراه جنوبا، كما اشتهرت المنطقة بعيونها الجبلية، والتي كانت لا تجف طوال السنة. ولأهميته فقد تم إعادة هيكلته ليتحول في وقتنا الحالي إلى سد يحمل اسم "سد مقرة".

ج- وادي سهر

الوادي كان له وجود قبل أن يتسمى بسهر، وتذكر الروايات أن سر تسمية المعلم يعود إلى عهد فتوحات عقبة بن نافع الفهري في طريقه إلى أدنة أو بشيلقة الحالية، والتي مثلت خلال ذلك العهد من الفتح الاسلامي، وقبله مجمع ملوك الزاب:" فلقوه عند الوادي وقت المساء، فكره قتالهم ليلا، فوقف القوم ليلهم ساهرين، فسماه الناس إلى اليوم وادي سهر"[3]. وأشار صاحب البيان المغرب إلى أن الوادي المذكور هو وادي المسيلة[4].

يتواصل ذكر المعلم في مصادر القرن الهجري الرابع/10م، في صورة الأرض:" المسيلة...ولها واد يقال له وادي سهر فيه ماء عظيم"[5]. ثم نجد له حضور في القرن الهجري الخامس/11م، في مسلك البكري، ذاكرا منبع الوادي:" ونهر سهر الذي عليه المسيلة منبعثه من عيون داخل مدينة الغدير"[6]. وفي نصوص القرن الهجري السادس/12م، عند المراكشي صاحب الاستبصار[7].

ح- وادي بيطام

ورد المعلم وادي بيطـام في نصوص القرن 5هـ/11م، وكان له دور بارز في ري المناطق القــريبة منه، حيث اعتمدت عليه مدينة طبنــــة في سقي بساتينها، وجـــريان وادي بيطام، ينتهي إلى سقي جميع بسائط طبنة وفحوصها[8].

---

[1] الادريسي، المصدر السابق، مج1، ص 263.
[2] البكري، المصدر السابق، ج2، ص 328.
[3] الرقيق، المصدر السابق، ص 12؛ المالكي، المصدر السابق، ج1، ص 37.
[4] ابن عذاري، البيان، ج1، ص 24.
[5] ابن حوقل، المصدر السابق، ص 85.
[6] البكري، المصدر السابق، ص 240.
[7] الاستبصار، ص 171.
[8] البكري، المصدر السابق، ج2، ص 229.

خ- عين مخلّد

مجمع عيون مدينة الغدير، ومنها ينبع وادي سهر الذي تقع عليه مدينة المسيلة، وهي بذلك تستقر في الشرق، ومنه تجري:" مدينة غدير واروا وهي مدينة كبيرة اولية بين جبال فيها عين ثرة عذبة عليها الأرحاء وعين أخرى، وتحتهما عين خرارة يقال لها عين مخلّد تجتمع فيها، ومن هناك منبعث نهر سهر"[1].
ويذكر هذا المنبع صاحب الاستبصار:" مدينة الغدير وهي مدينة كبيرة أزلية بين جبال قد أحدقت بها، ولها نهر يجتمع من العيون في موضع دهس يخرج منه هذا النهر، ويسمى نهر سهر"[2].

د- وادي الغابة

يستقر هذا المعلم بجوار طبنة، يذكره البكري:" ومن أدنة إلى مدينة طبنة، وحواليها بنو زنداج[3]، ومنها إلى نهر الغابة"[4]. ونظن أنه هو نفسه الوادي الذي يشق غابة طبنة، وأخذ تسميته من هذه الغابة:" ويشق مدينة طبنة جداول الماء العذب ولها بساتين كثيرة النخل والثمار ولها نهر يشق غابتها"[5].

ذ- عين الغزال

من عيون المسيلة، وتقع بين عين الكتان الواقع على مرحلة من المسيلة، وأدنة أو بشيلقة الحالية، وتفصل بينهما عيون أخرى: نهر سهر، نهر النساء أو نهر هوارة الذي بينهما ثلاث مراحل، ونهر أبي طويل أو القلعة[6].

ر-بئر الجامع:

أحد الآبار التي تسقي مدينة بسكرة:" وداخل مدينة بسكرة آبار كثيرة عذبة، منها في الجامع بئر لا تنزف"[7].

ز-بئر تهودة:

ورد البئر في مسالك البكري:"مدينة تهوذا، وتعرف بمدينة السحر، وهي مدينة آهلة كثيرة الثمار والنخل والزرع...وفي المدينة بئر لا تنزح، اولية، وآبار كثيرة طيبة"[8].

---

[1] البكري، المصدر السابق، ج2، ص 240.
[2] الاستبصار، ص 167.
[3] بن زنداج: قبيل من زناتة، ونجد لهم مواطن في طبنة، وبالقرب منها حول مقرة. اليعقوبي، المصدر السابق، ص 141؛ ابن حوقل، المصدر السابق، ص 103.
[4] البكري، المصدر السابق، ج2، ص 328.
[5] الاستبصار، ص 172.
[6] البكري، المصدر السابق، ج2، ص 328.
[7] المصدر نفسه، ج2، ص 230.
[8] نفسه، ج2، ص 255.

2- المعالم الجغرافية المرتبطة بالتضاريس: الأورونيم

جبل- كدية – فحص- فج – خندق

تم حصر العديد من أسماء المواقع بمجالات الزاب خلال فترة الدراسة (1-9هـ/7-15م)، تندرج ضمن التصنيف الطوبونيمي الأورونيم (Oronymie)، حيث تسبق الجذور: (جبل- كدية - فحص- فج – خندق) أول تسيمة المعلم الجغرافي، ونلخصها في الآتي:

أ- جبل أَوْرَاس:

أول الاشارات لهذا المعلم جاءت مقتضبة مع حملات عقبة بن نافع الفهري، فذكر الوصول مدينة بغاي[1]، وهذا يعني بالقرب من جبل أرواس، وهذا الأخير مطل عليها، وبه:" قوم من البربر من هوارة"[2]. ومثّل الجبل مستقرا لملكة البربر:" امرأة بجبل أوراس يقال لها الكاهنة"[3]. ومنه انطلقت انتفاضة النكارية بقيادة صاحب الحمار أبي يزيد مخلد ضد الجماعات الاسماعيلية[4].

وحول أصل التسمية (*Aurés*)، برزت العديد من الدراسات التي تناقش هذه الاشكالية، انطلاقا من بعض التسميات القديمة (*Avaritana / Abaritana / Maurousioi / Aurasius*)[5]. ومن النتائج التي خلص إليها أحمد مشارك مثلا: أن المجال *Avaritana/Abaritana* الوارد في نصوص كودوولتديوس خلال القرن الميلادي الخامس، هو نفسه بلاد هوارة، والتي تحولت إليه في العصر الوسيط[6].

ويذكر ابن حوقل أن طول جبل أوراس:" مسيرة اثني عشر يوما"، وكذلك ذكر الادريسي في النزهة؛ بالمقابل يرى البكري أن طوله:" مسيرة سبع أيام"[7]. وبالجبل المياه الغزيرة، ومنه ينحدر وديان وأنهار، للشرب والري نحو مدن الزاب، فهو يطل على بسكرة، وإلى الجنوب منه بادس وتهودة:" وشرب

---

[1] المالكي، المصدر السابق، ج1، ص 35.

[2] اليعقوبي، المصدر السابق، ص 140؛ البكري، المصدر السابق، ج2، ص 328.

[3] الرقيق، المصدر السابق، ص 23؛ البكري، المصدر السابق، ج2، ص 328؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص 35.

[4] ابن حماد، ص 54؛ ابن عذاري، ج1، ص 35.

[5] A. Papier, « De l'étymologie des mots employés par les Grecs, les Romains, les Arabes et les Français pour désigner le Djebel-Aurès », *Bulletin de l'académie d'Hippone*, 22 (1886), p. 239-242 ; « Abaritana ou Avaritana Provinvia », *Encyclopédie berbère,* I (1984), p. 57-58 ; Vattioni Francesco. « Abaritanus ». *Antiquités africaines*, 32 (1996) p. 9-12; E.B., Ph. Leveau, P. Morizot, J. Morizot, M.-C. Chamla, F. Demoulin, S. Adjali et S.Chaker, « Aurès », *Encyclopédie berbère,* VIII (1990), p. 1097-1169; A. M'Charek, «Continuité de L'Ethnonymie », *op. cit.*, p. 445-446.

[6] « Le territoire traditionnel appelé «Avaritana/Abaritana provincia» au V^{e} siècle par Quodvultdeus de Carthage dans son Liber promissionum (III, 45) est devenu au Moyen Âge « bilād Haouara » : pays des Haouara (des Aurès) ». M'Charek*, Ibid,* p. 446.

[7] ابن حوقل، المصدر السابق، ص 85؛ البكري، المصدر السابق، ج2، ص 328؛ الادريسي، المصدر السابق، مج1، ص 264.

بسكرة من نهر يجري في جوفيها منحدر من جبل أوراس"[1]؛ "تهودة لها نهر كبير ينصب إليها من جبل أوراس"[2].

وجبل أرواس من الجبال المشهورة بإفريقية، والمغرب، وهو جبل خصيب، وبه المراعي الكثيرة[3]، وإلى جانب هوارة، سكن به أقوام من مكناسة، وكانوا على رأي الجماعات الإباضية[4]. وخلال الهجرات الهلالية، زحف إليهم كرفة الأثبج من عرب رياح بني هلال، فتملكوا كثيرا من مجالات جبل أوراس، وقد كان على هذا العهد دون مجالات بلاد الزاب:" نزل كرفة هؤلاء بجبل أرواس حيث اقطاعاتهم وسكنوه حللا متفرقة واتخذوه وكنا، وربما يضغن بعضهم إلى تخوم الزاب"[5]. ويتواصل إلى وقتنا هذا ذكر الطوبونيم "جبل أوراس"، مع تحوله إلى الجمع: "جبال الأوراس".

ب- جبل الملح (لوطاية)

ورد المعلم في مسالك البكري، وقد حدد موضعه ببسكرة:" جبل ملح، يقطع منه الملح كالصخر الجليل، ومنه كان عبيد الله الشيعي وبنوه يستعملونه في أطعمتهم"[6]. ويرى محقق كتاب تاريخ العدواني، بأن جبل الملح يوجد بالقرب من لوطاية إلى الشمال من بسكرة[7].

ت- جبل عجيسة

عجيسة من بطون البرانس من ولد عجيسة بن برنس[8]، وجبلهم الذي اقترن باسم القبيلة المذكور يستقر بجوار القلعة بالقرب من المسيلة[9]، كما كان لهم مواطن بالمسيلة ذاتها، وهذا في إشارة صاحب عيون الأخبار:" وأمر ببناء مدينة المسيلة وأقام علي بن حمدون لبنائها، وأمره أن يتخذها دارا وينزلها مع عجيسة".

[1] البكري، المصدر السابق، ج2، ص 231؛ الاستبصار، ص 173.

[2] الاستبصار، ص 174.

[3] ابن حوقل، المصدر السابق، ص 84؛ الاستبصار، ص 164؛ الإدريسي، المصدر السابق، مج1، ص 264.

[4] البكري، المصدر السابق، ج2، ص 328.

[5] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 31.

[6] البكري، ج2، ص 230.

[7] العدواني، المصدر السابق، ص 80 (الهامش)؛ حفناوي بعلي، صحراء الجزائر الكبرى: في الرحلات وظلال اللوحة وفي الكتابات الغربية، دروب للنشر والتوزيع، 2016، ص 154. وحول مدلول تسمية جبل الملح في الكتابات الغربية، يراجع:
-Meouak, Les Ziban, p. 279-282.

[8] ابن حزم، المصدر السابق، ص 461؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 192.

[9] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 192

ولعل نص البكري، الذي يشير إلى أن جبل عجيسة بالقرب من المسيلة، يدل على أن مواطنهم في الجبال القريبة منها، ولا نجد إلا جبال المعاضيد موطنا لهم، ويؤكد ذلك ابن خلدون:" وكانت منهم يسكنون جبل القلعة". كما نجد إشارة أخرى لصاحب الاستبصار، بأن بلاد عجيسة بالقرب من برج الغدير[1]. مما يجعلنا نحصر مجالات عجيسة بين برج الغدير والمسيلة. وحتى القرن الهجري الثامن/14م كانت آثارهم في:" الجبال المطلة على المسيلة"[2]. وتفرقت عجيسة بعدما تغلب عليهم صاحب القلعة، فتشردوا في الاقطار، وما بقي منهم طمس بوصول قبيل عياض الهلالية[3].

وكانت مواطنهم التي دون سطيف بالقرب من زواوة، قد استمروا في شغلها، فنجد بقاياهم في الجنوب الغربي على بعد 26 كم من بجاية[4]. ونلاحظ تواصل حضور تسمية البطن عجيسة في: آيت عجيسة ببلدية بني معوش في الجنوب الغربي من بجاية، وعجيسة ببلدية الجزار إلى الشمال الغربي من باتنة، وعجيسة في بني تليلان بين القل وقسنطينة[5].

ومثّل جبل عجيسة أحد مراكز الحماية للنكاري صاحب الحمار، واتباعه من بني كملان لما نزلوا به بين قبيل عجيسة لحصانته، من تتبع جيوش الاسماعلية له؛ كما كانت منعته أحد مقومات تأسيس قلعة حماد بن بلكين به:" وكان لهم في فتنة أبي يزيد أثر، ولما هزمه المنصور لجأ إليهم واعتصم بقلعة كتامة من حصونهم حتى اقتحم عليه. ثم بادر حماد بن بلكين من بعد ذلك مكانا لبناء مدينة فاختطها بينهم"[6].

ث- جبل القلعة

ارتبط اسم الجبل بالقلعة الحمادية التي شيدها حماد بن بلكين على أرض عجيسة، وجاء ذكر الموقع في مواضع كثيرة: يذكر جبل القلعة صاحب الاستبصار:" قلعة حماد...في جبل عظيم"[7]؛ كما يذكرها صاحب النزهة:" جبل سامي العلو صعب الارتقاء"[8]؛ وجاءت في أخبار ابن حماد:" جبل القلعة، وجبل

---

[1] الاستبصار، المصدر السابق، ص 167.

[2] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 192.

[3] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 33 و 192؛ الدراجي بوزياني، القبائل، ج2، ص 129.

[4] الدراجي بوزياني، القبائل، ج2، ص 129.

[5] موسى لقبال، دور كتامة، ص 70؛ الدراجي بوزياني، القبائل، ج2، ص 129. كما نجد للبطن عجيسة حضور بالشمال الغربي لسطيف: عجيسة ببلدية ذراع قبيلة.

[6] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 192؛ ابن حماد، المصدر السابق، ص 72؛ الداعي ادريس، المصدر السابق، ص 415-416.

[7] الاستبصار، المصدر السابق، ص 167.

[8] الادريسي، المصدر السابق، مج1، ص 255.

القلعة معروف، وهذا الاسم له كالعلم الموقوف"[1]؛ وأيضا في تاريخ ابن خلدون:" جبل القلعة، قلعة بني حماد"[2]. ويستقر الجبل في الجزء الغربي من سلسلة جبال المعاضيد، إلى الشرق من المسيلة.

ج -فحص طاقة

انفرد صاحب أخبار ملوك بني عبيد بذكر الموقع، وهذا خلال رحلة الخليفة المنصور لتتبع أثر صاحب الحمار أبي يزيد، وفي طريقه، يكون قد مر بالمحطات: باغاية أبو حميل، ثم فحص طاقة، ومنها واصل طريقه إلى بلزمة، نقاوس، وغيرهما[3]. ونظن أن فحص طاقة هذا، لا يعدو أن يكون أحد فحوص وادي الطاقة أو المعروف محليا ببوحمار، والتي تنتمي إداريا لثنية العابد ولاية باتنة.

ح- فحص طبنة

فحص طبنة هي المساحة التي شيد عليها عمر بن حفص هزارمرد السور الخارجي لمدينة طبنة، وهو سور من طوب مساحته ثلثي مدينة طبنة، أعد في حدود 151هـ/768م لحماية المدينة من ثورة الجماعات الصفرية[4].

خ- فحص بلزمة

الموقع يمثل البسيط الواسع الذي أسس عليه حصن بلزمة:" حصن لطيف وفي أهله عزة ومنعة ولها ربض وسوق وبها آبار طيبة وماؤها أيضا غدق وهو وسط فحص أفيح وبناؤه الحجارة الكبار القديمة"[5]. وهو حصن أولي في بساط من الأرض[6]، تم تشييده من قبل القائد البيزنطي سولومون في حدود (536-544م)، وهذا بحسب أحد النقائش المكتشفة، وتعادل مساحة الفحص متوسط مساحة الحصن، والمقدرة بحوالي 1,4 هكتار[7]. وأورد ديهل مخطط الحصن الذي يأخذ شكله المربع، وهو بذلك يشبه حصن طبنة[8]، واعتمد لبناء جدران الحصن الذي بلغ سمكه 2م، على وضع الحجارة الكبيرة في واجهتي السور، وبالوسط تم تصفيف الحجارة الصغيرة[9].

---

[1] ابن حماد، المصدر السابق، ص 73.

[2] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 33.

[3] ابن حماد، المصدر السابق، ص 64؛ الداعي ادريس، المصدر السابق، ص 390-391.

[4] الرقيق، المصدر السابق، ص 105؛ ابن الأثير، المصدر السابق، مج5، ص 195؛ النويري، المصدر السابق، ج24، ص 42؛ البكري، المصدر السابق، ج2، ص 228.

[5] الادريسي، المصدر السابق، مج1، ص 270.

[6] البكري، المصدر السابق، ج2، ص 227.

[7] عييش، المرجع السابق، ص 358. (125م x 112م).

[8] Diehl, *op. cit*., p. 216 (Tobna), 251 (Belzma); Blanchet, *op. cit*., p. 289 (Tobna).

[9] عييش، المرجع السابق، ص 358.

د- فحص عجيسة

أورده صاحب الاستبصار:" وبقرب مدينة الغدير فحص عجيسة، وهو فحص مديد، كثير الزرع والضرع إلا أنه شديد البرد والثلج". وقد رأينا مستقر قبيل عجيسة كانت بجبال القلعة بنواحي المعاضيد، ونعلم أن هذه الأخيرة لا تفصل بينها وبين الغدير حوالي 45كم عبر الجبال.

وعليه أرجح أن فحص عجيسة هو أحد جنات القلعة، ومستقره بمرتفعات المعاضيد، كما يمكن أن يكون لعجيسة مضارب بالغدير بجوار هوارة[1]، وهذا الفحص يقع فيها.

ذ-فج العافية

ذكر معلم فج العافية خلال الحملة الفاطمية لحصار النكاري أبي يزيد بجبل أوراس، بعدما تفاقم أمره وعظم شأنه[2]. والحملة قادها كبون بن تصولا انطلاقا من طبنة، ويذكر صاحب عيون الاخبار، الموقع:" فزحف كبون إلى الجبل يريد أبا يزيد، فلما بلغ كبون إلى موضع يعرف بـ "فج العافية"، وجد أبا يزيد قد كمن له كمينا على ما عاقد عليه القوم"[3]. والفج يقع في طريق بغاي، وبالقرب منها، وهذا لأن كبون لما ارتد عن المكيدة وقفل إلى مدينة باغاي، مما يرجح قرب موضع فج العافية منها.

ر-فج العرعار

ورد الطوبوينم فج العرعار مقترنا بالحملة التي قادتها جيوش الداعي أبو عبدالله، لرد هجوم ابن الاغلب على باغاية:" فلما قربوا من باغاية خرج إليهم من بها فمشوا كذلك تعبئتهم نحو مناخ بن أبي الأغلب فأصابوه قد رحل في الليل ووجدوا بقايا العسكر وأمتعة قتلوا من وجدوه، وانتبهوا ما أصابوه، واتبعوا العسكر حتى انتهوا إلى فج العرعار"[4]. وورد عند ابن خلدون" العرعر"[5]. ويذكر محقق افتتاح الدعوة أن فج العرعر يوجد بالقرب من باغاية[6].

وبحسب رأيي فالموقع قد يكون إلى الشرق من باغاي، مابين باغاي ومسكيانة، وهذا لأن صاحب الافتتاح يشير إلى أن فج العرعار كان محطة للطريق القيروان-باغاي:" فوافيا بفج العرعار رفقة

---

[1] أشار ابن حماد على وجود قبيل هوارة بالغدير:" ونزل اسماعيل المسيلة فأقام بها أياما...وكتب إلى هوارة الذين كانوا بالغدير". المصدر السابق، ص 67.

[2] ابن الاثير، المصدر السابق، مج7، ص 193؛ ابن حماد، المصدر السابق، ص 55؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص 52؛ الداعي ادريس، المصدر السابق، ص 268؛ ابن عميرة، دور زناتة، ص 201.

[3] الداعي ادريس، المصدر السابق، ص 268.

[4] القاضي النعمان، المصدر السابق، ص 205-206.

[5] ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص 46.

[6] القاضي النعمان، المصدر السابق، ص 389 (الفهارس).

قدمت من القيروان إلى باغاية وفيهم فرانق معه كتب من زيادة الله ليلا"[1]؛ كما يشير إلى الطريق الذي سلكه الداعي لفتح الأربس انطلاقا من باغاي:" وسار أبو عبد الله من باغاية، حتى انتهى الى مسكيانة فاخذ مع الوادي حتى خرج إلى وادي مجانة، ثم خرج على مرماجنة إلى وادي الرمل"[2].

كما أن ابن أبي الأغلب لما رحل هاربا ليلا من حصار باغاية، كان قد اتجه إلى الأربس، وتذكر المصادر أن الجيش الفاطمي اتبعه على طريقه التي سلكها حتى بلغوا موقع فج العرعر ورجعوا عنه[3]. مما يعطي لنا صورة بأن الموقع قد يكون إلى الشرق من باغاية أو مابين باغاية ومسكيانة على المسلك: باغاي – سبيبة[4]، الذي يستدير عند مرماجنة (تالة الحالية) شرقا باتجاه الأربس التي اندثرت حاليا[5].

والجبل حمل اسم نبات، وهو العرعار أو العرعر (Arar/Arhar) أو (Juniperus)[6]، وهو من فصيلة السرويات[7]. وارتبط نبات العرعر بتسمية بعض المواقع من غير بلاد الزاب، على غرار تلسمان، أين نجد قرية تحمل الاسم "عراعرة"، وتتبع إداريا ببلدية سواني[8].

ز – فج زيدان

ورد الطوبونيم في مسالك البكري:" فج زيدان يطل على مدينة طبنة، وإياه عنى أبو عبد الله الشيعي في قوله: سل عن جيوشي إذا طلعت بها يوم الخميس ضحى من الفج"[9]. كما ذكره صاحب معجم البلدان:" فَجّ زَيْدَان: بلد مطل على مدينة طبنة بإفريقية"[10]. ومن خلال النصين يتضح أن الفج يقع بالقرب من طبنة.

ش– كدية بسكرة يشير المعلم إلى موضع تشييد حصن بسكرة، يذكره الإدريسي:" من مدينة نقاوس إلى حصن بسكرة مرحلتان وهو حصن منيع في كدية تراب عال "[11].

---

[1] القاضي النعمان، المصدر السابق، ص 183.

[2] نفسه، ص 228.

[3] ابن الاثير، مج7، ص 457؛ ابن خلدون، ج4، ص 46؛ الداعي ادريس، ص 131.

[4] ابن حوقل، المصدر السابق، ص 84؛ البكري، المصدر السابق، ج2، ص 227؛ محمد حسن، الجغرافيا التاريخية لافريقية، ص 94.

[5] Cambuzat, *op. cit., vol.2,* p. 294-295 (Carte).

[6] L. Trabut, *des Noms indigènes des Plantes spontanées*, cultivées et utilisées dans le Nord de l'Afrique, Imprimeries "LA Typo- Litho" et Jules Carbonel réunies, Alger, 1935, p. 140.

[7] https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B9%D8%B1%D8%B9%D8%B1_(%D8%B4%D8%AC%D8%B1);archive.alchourouk.com/240390/681/1/-فوائد-نبات-العرعار-الطبية.

[8] فاطمة الزهراء بحراوي، المرجع السابق، ص 47-48.

[9] البكري، المصدر السابق، ج2، ص 229.

[10] الحموي، المصدر السابق، مج4، ص 236.

[11] الادريسي، المصدر السابق، مج1، ص 264.

3- التصوف والطوبونيميا: الهجيونيم

سيدي – مرابط – مقام – زاوية

أ- زاوية سعادة:

ارتبط الموقع بالحركة الصوفية للشيخ المرابط سعادة الرحماني المسلمي الرياحي، خلال الفترة (703-705هـ/1303-1305م)، وكان مبتدئ عهده رحلته العلمية إلى المغرب الاقصى، وبتازة لزم شيخه أبي إسحاق التسولي، فأخذ عنه العلم الوفير، حتى مكن له:" بفقه صحيح، وورع وافر"، ثم رجع قافلا إلى طولقة، أين ابتنى زاويته، وحمل موقعها اسمه:" وأقام المرابط سعادة بزاويته من زاب طولقة...وبقي من عقب سعادة في زاويته بنون وحفدة"[1].

ب- رباط عثمان الرياحي

بالرغم من أن الأوراس قد أصبحت خارج مجالات الزاب خلال القرن الهجري الثامن/14م، إلا أن هذا لا يمنعنا من ربط العائلة الرياحية بالشبكة الصوفية، ويظهر ذلك في رباط عثمان بن علي بن أحمد الرياحي الذي اقترن بقصره الذي ابتناه بتجمانين، وجاء ذكره في نصوص رحلة فيض العباب لابن الحاج النميري، دون أن يفصل بين الزاب والأوراس:" القصر الذي بناه عثمان بن علي بن أحمد الرياحي فرأينا قصرا بديعا...منفسح الساحة، منخرق المساحة، قد ارتفعت حيطانه من جهاته الاربعة بالحجر المنجور المعروف بالعيسوي...وارتفع على بابه برج خامس ناهر اللمح"[2].

ويبرز ابن الحاج النميري صورة المرابط، وأتباعه المرابطين في قوله:" متظاهرا بالرباط، نازعا فيما يزعم على الهياط والمياط...واجتمعوا إليه أفاريق من الناس...دخلوا في مصاف المرابطين...مع ما كان المرابط عثمان"[3]. وتختفي معالم الرباط والقصر بعد عمليات التخريب التي قادها السلطان المريني على كل قصور بني رياح بالزاب والأوراس[4].

ويظهر موقع رباط عثمان الرياحي إلى الشمال الشرقي من باتنة، على الطريق قسنيطنة- باتنة، وهذا لأن الرحلة انطلقت من قسنطينة، ويذكر النميري نزول السلطان المريني بباتنة ورحيله إلى لمبيز التي تستقر منها في أدنى الشرق[5]. ونرجح أن يكون الموقع بالقرب من جرمة المعروفة محليا وشعبيا بعين القصر، وهي التي اشتهرت بكثرة مياهها، وهو ما يؤكد عليه النميري، حين يشير إلى أن موقع القصر

---

[1] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 52-53.

[2] النميري، المصدر السابق، ص 413.

[3] المصدر نفسه، ص 415.

[4] نفسه، ص 416.

[5] نفسه، ص 411.

يكثر فيه المياه والأنهار[1]؛ كما أن النميري يتحدث عن مبيت الركب السلطاني في جبل لواتة ثم رحيلهم منه الى باتنة[2]، ونظن أنه يتحدث عن جبل بوعريف القريب من باتنة، وقد نستدل هنا بنصوص ابن خلدون، الذي يتحدث فيها عن بطن من لواتة يسمى جرمانة، وكانت لهم مواطن بالأوراس[3]، وقد ذهبت خديجة ساعد إلى ترجيح أن يكون الطوبونيم جرمة مشتق من هذا البطن اللواتي[4]. وعليه، نذهب إلى المقاربة بأن يكون قصر عثمان الرياحي قد شيد بجرمة أو على الطريق منها إلى جبل بوعريف.

ت- سيدي عقبة:

وعقبة المقصود هنا هو الفاتح العربي عقبة بن نافع الفهري، وتسمية الموقع نتجت من تجدر الفكر الروحاني الصوفي لضريح عقبة بالموقع، وانطلاقا من الكرامات الواردة عن الشخصية في النصوص المصدرية[5]، انتهى الأمر إلى تحويل موقع الضريح إلى اسم مدينة، وهو ما حصل فعلا، حيث أصبحت سيدي عقبة تمثل أحد بلديات بسكرة.

موقع الضريح نجد له حضور في معالم الايمان:" وقبر عقبة ظاهر بالزاب يتبرك به"[6]. في حين تسمية الموقع سيدي عقبة تغيب في مصادر الفترة المدروسة ونقصد (1-9هـ/7-15م)، مما اضطرنا الى الاستئناس بالمصادر التي عاصرت التسمية مابعد القرن الهجري التاسع/15م، على غرار العياشي، الذي يذكر "الهجيونيم: بلد سيدي عقبة"[7]، ويربط موقعه بضريح عقبة، وقد بني عليه مسجد، وهو إلى الآن يحمل اسمه:" سيدي عقبة المنسوب إليه البلد فهو عقبة بن نافع التابعي، وهو الذي افتتح بلاد إفريقية وبنى مدينة القيروان...وقبره الآن مشهور ويزار، وعليه مسجد عجيب وحوله قرية كبيرة في وسط هذا البسيط"[8].

ويظهر كذلك اسم الطوبوينم في رحلة اليوسي:" رحلنا ومررنا بمقام سيدنا عقبة بن نافع...وهو الذي افتتح افريقية وبنى القيروان...وغدا بلغنا عمارات يقال لها الزرايب...زريبة الواد وبتنا بزريبة

[1] نفسه، ص 414.
[2] نفسه، ص 416.
[3] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 153.
[4] خديجة ساعد، المرجع السابق، ج1، ص 97.
[5] البكري، المصدر السابق، ج2، ص 257؛ ابن الأثير، المصدر السابق، مج3، ص 320؛ النويري، المصدر السابق، ج24، ص 12.
[6] الدباغ، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1388هـ/1968م، ج1، ص 166.
[7] العياشي، المصدر السابق، ج2، ص 538؛ الورثيلاني، المصدر السابق، ص 105.
[8] العياشي، المصدر السابق، ج2، ص 538.

حامد"[1]. وتشير المصادر إلى أن القبر بالقرب من تهودة[2]، مما يؤكد على أن موقع سيدي عقبة الذي بني على بعد 4كم من تهودة، هو الموضع الحالي لسيدي عقبة. وهذه الأخيرة تستقر إلى الجنوب الشرقي من بسكرة على بعد حوالي 18كم، وإلى الشمال منها شتمة وبسكرة، وإلى الشرق مزيرعة، وفي الغرب أوماش. وأؤكد هنا على التحول الطوبونيمي الذي طرأ على تسمية تهودة، وأدى إلى انقطاع هذا الموقع من معجم المواقع بفضاء وواحات بسكرة، ليحل محله الطوبوينم الصوفي الحالي سيدي عقبة[3].

ث- سيدي خالد:

من المواقع التي تندرج ضمن التصنيف الطوبونيمي الهجيونيم: سيدي خالد الواقعة إلى الجنوب الغربي من بسكرة، وهي أحد مدن الزاب الغربي. وأخذ الموقع صفته انطلاقا من القبر الشهير لخالد، وإنما هو خالد بن سنان، والذي تذكره الأسطورة على أنه نبي، وقد ذكر العياشي قبره، ومسجده الذي تسمى عليه:" وهذا القبر الآن من المزارات الشهيرة في تلك البلاد تقصده الأركاب للزيارة من نواحي إفريقية كلها، واشتهر أمره عند الخاص والعام، والبدو والحضر، وعليه مسجد عظيم وحوله مدرسة، والناس يؤثرون عن ذلك المشهد كرامات"[4].

وحول أسطورة نبوته، يتحدث صاحب نزهة الأنظار:" وزرت قبر النبي سيدي خالد فقيل إنه نبي مرسل إلى جبل أوراس وقيل لي والذي شهره سيدي عبد الرحمن أنه نبي رسول وكذا حكى فيه الخلاف الخفاجي شارح الشفاء بأن قال على القول برسالته فإنه ارسل الى جبل أوراس"[5]. ويستبعد العياشي أن القبر المقصود هو للنبي خالد العبسي:" وغاية ما سمعت من بعضهم أن سيدي عبد الرحمن الأخضري أخبرهم أنه شاهد النور صاعدا من تلك البقعة إلى السماء ثلاث ليال أو نحوها، وأخبر أنه قبر نبي الله خالد...ويبعد عني كل البعد ان يكون خالد بن سنان العبسي مدفونا في هذا المكان"[6].

ح- سيدي زرزور:

هو الشيخ الفقيه أبو عبد الله محمد بن زرزور (ت 291هـ/904م)، وقد جاء ذكره في مصادر الطبقات والتراجم على غرار: معالم الأيمان للدباغ (ت 696هـ/1296م) ، ورياض النفوس لأبي بكر المالكي ، وأبوه هو عبد الرحمن بن سلم بن أراي بن سهيل الفارسي، وارتبط اسم سهيل بصحبته

[1] اليوسي، المصدر السابق، ص 6.
[2] الملكي، ج1، ص 42.
[3] محمد الصغير غانم، المظاهر الحضارية والتراثية، ج4، ص 476-482.
[4] العياشي، المصدر السابق، ج2، ص 542.
[5] الورثيلاني، المصدر السابق، ص 87.
[6] العياشي، المصدر السابق، ج2، ص 542-543.

للخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه[1]. وإذا صح هذا، فمقامه يوجد بوسط وادي بسكرة، وتدور حوله أسطورة أن الوادي إذا فاض وبلغ مقامه انشق إلى قسمين.

وورد المعلم سيدي زرزور في رحلة الورثيلاني:"ببسكرة فإننا قد بقينا فيها يومين في شراء الرواحل وما يختص من جهاز النواقل ومع ذلك نحن منشغلون بزيارة الأفاضل الاحياء والأموات مثل...الشيخ سيدي زرزور مع من فيها من الأولياء"[2].

[1] المالكي، المصدر السابق، ج1، ص 514-516؛ الدباغ، المصدر السابق، ج2، ص 247-249.

[2] الورثيلاني، المصدر السابق، ص 109.



خاتمة

خاتمة:

معتمدا على مجموعة من المصادر والدراسات، والتي كان لها الدور في تحديد تقسيمة الدراسة في أربع فصول مترابطة، انتهيت من خلالها إلى الإجابة بشكل شبه دقيق على إشكاليات الدراسة التي طرحتها في أول البحث، فبعد هذه المعالجة المفصلة، توصلت في النهاية إلى حصر جملة من النتائج ألخصها كالآتي:

خلال الفترة الاسلامية الأولى وحتى القرن الهجري الثالث/التاسع الميلادي من الفصل الأول المتعلق بالتحولات المجالية لبلاد الزاب، أنه قد بلغ أقصى تمدد له، والمحصور عرضيا من بغاي (نواحي خنشلة) إلى الغرب من الحضنة عند أزية أو خرائب هاز (سور الغزلان). وطوليا من نقاوس وما حولها إلى أقصى جنوب أوراس عند بادس أو باديس وواحات بسكرة. رافق التمدد المجالي تحول في مركز ثقل الزاب، حيث تم التخلي عن أدنة كقاعدة إدارية لتحل محلها طبنة: ثغر إفريقية، وأول عاصمة لمقاطعة الزاب الاسلامية على العهدين العباسي والأغلبي.

تصنيف مقاطعة الزاب كأحد أهم الكور العسكرية الأربع الممثلة لإفريقية الأغلبية بمركزها طبنة، ليتواصل بذلك دورها الاستراتيجي، وأهميتها في تعيين ولاة إفريقية، وحصر نفوذ الجماعات الإباضية والزناتية على السواء من التمدد من الأرياف باتجاه الحواضر بأضلاعها الستة: بغاي، بلزمة، ميلة، نقاوس، سطيف، ومقرة.

بداية من القرن الهجري الرابع/10م، حدوث انقطاع سياسي مع الماضي الأغلبي، والتمكين للجماعات الاسماعيلية والكتامية من الاستحواذ على السلطة بمجال الزاب، مع تأسيس مدن جديدة على غرار: مدينة المسيلة، مدينة أشير زيري، مدينة قلعة بني حماد، وهو ما كان له تأثير في المجال، المسالك والتوطين البشري. فمن الناحية المجالية، كانت نتيجته انكماش وتقلص مجالي بانقطاع المجالات الكتامية عنه، ونخص هنا سطيف وميلة. كما أدى إلى تحول جديد في مركز الثقل وعاصمة الزاب، أين تحولت بعد تشييد مدينة الفاطميين المحمدية، من قاعدته الأولى ثغر إفريقية طبنة إلى مدينة المسيلة.

بعدها بقرن، حدث تطور إقليمي هام لبلاد الزاب، بعد التمكين للعائلة الحمادية، فعلى عهد الأمير الناصر بن علناس بن حماد (454-481هـ/1062-1088م) تم استحداث مقاطعتين جديدتين، هذا بالإضافة إلى زاب الحضنة بقاعدته القلعة الحمادية، الذي سينقطع تدريجيا عن بلاد الزاب، بعدما تتحول مملكة الحماديين عنها إلى الناصرية بجاية عقب الهجرات الهلالية. فبالإضافة إلى زاب القلعة، الذي يمكن حصره ضمن الزاب الأعلى أو تحييده عنه، تحول الزاب الى مقاطعة ثلاثية



التقسيم، حدّها الأعلى قاعدته نقاوس مشكلة من عدة مدن، والزاب الأسفل مركزه بسكرة بمدنها وواحاتها.

وفي نفس المنحى، وبداية من القرن الهجري السادس/12م، طرأ انقطاع مجال الحضنة أو البسيط الغربي عن بلاد الزاب، مشكلة كيانا جغرافيا وبشريا هلاليا منفصلا، لتنحصر بذلك مقاطعة الزاب في زابين أعلى وأسفل هذا الأخير ستتداول على سلطته عائلات نافذة، وسيمتد حكم آخر عائلة عليه إلى حدود 804هـ/1402م. غياب الزاب بعدها في مصادر القرن الهجري السابع/13م، جعل تحولات المجالية للفترة غامضة، مما حال دون دراستها.

انحصر في نهاية المطاف مجال الزاب بعدما انفصل عنه المجال المسمى زاب نقاوس، في الفضاء البسكري وواحاته في أقصى تقلص له خلال القرن الهجري الثامن/ الرابع عشر الميلادي، لتظهر صورته مشكلة من ثلاث زوابي: زاب غربي بمركزه طولقة وواحاتها، زاب أوسط بقاعدته بسكرة، وزاب شرقي بعاصمته بادس. سرعان ما تراجع مصطلح الزاب الذي ظهر منذ العهد الأموي كمقاطعة مترامية، لصالح تسمية جديدة تجمع في طياتها كور صغيرة أو زوابي، مشكلة ما يطلق عليه حتى وقتنا الحالي لفظ الزيبان: زاب الدوسن، وزاب طولقة، وزاب مليلة، وزاب بسكرة، وزاب تهودة، وزاب بادس.

حدثت تغيرات مست الخريطة البشرية (1-9هـ/7-15م)، بداية بتجذر الجماعات المحلية (البربر) كأحد مركبات الاثنية ببلاد الزاب، جنبا إلى جنب مع بقايا الموروث اللاتينو بيزنطي خلال مرحلة الفتح الاسلامي. مع اندماج واضح لقبائل الجند في صورة العرب والفرس القادمين إلى بلاد الزاب خلال الحملات العسكرية الأولى، أو بعد الحركات الثورية المذهبية، مما أدى في النهاية إلى سيطرة الوافدين الجدد على حواضر كانت تحت نفوذ محلي، وتنزاح بذلك هذه الأخيرة إلى الأرياف بعدما خسرت قواعدها القديمة لصالح الوافدين الجدد.

تواصل فئة الأفارقة والروم بمدن طبنة، بغاي، وغيرهما كعنصرين ضمن البنية الاجتماعية للزاب، مما يجعل صورة الخريطة البشرية تظهر بتعدد كبير للعناصر والجاليات المستقرة بمقاطعة الزاب، فبالإضافة لبقايا الموروث القديم، يستمر حضور قبائل الجند، والجماعات المحلية في نصوص القرن الهجري الثالث/ التاسع الميلادي في الكورة العسكري الأغلبية، لكن صورة التوطين تغيرت بعدما صبغت بالطابع المذهبي، فالمدن والحواضر متعددة المذاهب السنية (حنفي، مالكي)، في مواجهة ريف زابي بربري طغى عليه إسلام إباضي. ثم تراجع واختفاء هذه البقايا لصالح تسميات محصورة في المولدين وبرقجانة بعد اعتناقهم لإسلام مالكي.

ثم وصول الجماعات الهلالية، وتأثير هذا الوافد الجديد على الخريطة البشرية للزاب، حيث أدى في النهاية إلى تراجع نفوذ الجماعات المحلية زناتة تخصيصا بشكل رهيب، واستحواذ الرياحيين على مجال الزاب، بعدما تم تقسيمه في شكل اقطاعات مغصوبة من أصحابها، تبرز صورها بشكل واضح في النوازل الفقهية المعاصرة للفترة.

الجدير بالذكر هو أن الدراسة في ختام فصلها الثاني قد أشارت إلى سيطرت عائلة بني مزني على مجال الزاب الذي حصر تقديرا بداية من القرن الهجري السابع في الفضاء البسكري وواحاته، تحت رعاية من رياح ومساندة منهم مقابل جمع المغارم لهم وللسلطة الجديدة، وانقسام ولائهم بين المرينيين من جهة، والحفصيين أحيانا أخرى، انتهى بهم الأمر في طيات التاريخ على عهد السلطان الحفصي أبي فارس عزوز، بعدما أنهى حكمهم على الزاب، ودمجه ضمن قسنطينة الحفصية.

خلال هذه المراحل المتباينة من التغيرات على الخريطتين المجالية، والبشرية، كانت صلات الزاب بين مدنها وخارجها مقرونة بالكثير من المسالك والطرق الداخلية منها، والخارجية، تخللتها الكثير من المحطات والمواقف، حددت لنا المصادر الجغرافية والرحلاتية أطوالها بدقة. وخلصت خلال هذا الفصل المتعلق بالمسالك وتحولاتها، إلى تواصل تام لمختلف المسالك القديمة انطلاقا من الخرائط الأثرية التي ساعدتنا بشكل كبير في هذا البحث في دراسة وتحديد المدن المشكلة للمجال الزاب في ظل غموضها في المصادر الوسيطية. وكذا تحديد وحصر المسالك القديمة ومقارنتها بالمذكورة خلال فترة الدراسة، والتي بقيت تستخدم خلال الفتوحات الاسلامية وما بعدها حتى نهاية القرن الهجري التاسع/الخامس عشر الميلادي، أدى في النهاية إلى ربط مستمر لمختلف الحواضر وأريافها.

ولم يقتصر ارتباط الزاب بمجالاته الداخلية، بل كانت علاقاته متميزة عابرة لحدوده الجغرافية، لتتشكل مجموعة روابطه مع بلدان: المغرب الأوسط، الأقصى، السودان، وحتى إفريقية، محصورة بمسالك خارجية كان لها أدوار مختلفة: في نشر الاسلام واللغة العربية خلال الفترة الاسلامية الأولى، ثم تجذر الملل والنحل، والجماعات البشرية بهذه المجالات التي تتوسطها بلاد الزاب. تواصل حضاري وعلمي انطلاقا من رحلات علمية كثيرة؛ رحلات الحج التي كانت تخترق مجال الزاب من وإلى المغرب الأقصى؛ وأخيرا دورها التجاري الجذاب، خاصة وأن بلاد الزاب كانت معبرا مهما إلى الصحراء عبر بوابات عدة، مما أسهم في تنشيط حركة التجارة من وإلى الصحراء.

وشكلت الدراسة الطبونيمية أحد محاور هذا البحث، وهي التي أنهت غموضا وعقما كبيرا في مجال تصنيف المعالم الجغرافية، وتحديد مرجعية وأصل أسماء المواقع ومدلولاتها اللغوية. وقد أدت على استمرارية واضحة للكثير من أسماء المواقع المحلية (البربرية)، وهو ما يحيلنا إلى طرح التساؤل حول دور



مراكز التعريب وربط الماضي البربري مع الحاضر الاسلامي، ويبرز جليا في استمرار تسميات طوبونيمية محلية خلال الفترة الوسيطة دون أن يكون لمراكز التعريب والأسلمة تأثير مباشر فيها.

في حين، تم التأكيد في نفس السياق على استمرارية ملحوظة لأغلب الطوبونيميا الكبرى القديمة أو ما يصطلح عليه بـ: (الماكرو طوبونيمي) ببلاد الزاب، مع اختلاف بسيط خلال عملية تعريب التسمية من الأصل، أدى في النهاية إلى تغيير نسبي أو انعدام التغيير في أصل الكلمة (فينيقية، لوبية، لاتينية، يونانية...)، يظهر بموجبها شكل تركيبي واحد، وشكل منطوقي شبه واحد، ومن الأمثلة: بسكرة، تهودة، بادس، مليلي، نقاوس، مقرة... . ولم تقتصر الدراسة على تواصل أو انقطاع التسميات القديمة، بل تعدتها إلى تحديد أصولها ومرجعتيها من خلال استنطاق الكثير من المصادر المتعلقة بالتاريخ القديم، بالإضافة إلى كل هذا، استطعت التوصل إلى تحديد تقريبي، وأحيانا مضبوط للمدلول اللغوي للمواقع، دون الميول إلى إعادتها بشكل كلي إلى محليتها كأصل لها.

في ختام الدراسة، لا أدعي استفائي لكل جوانب الموضوع، أو تمكني الكلي من حصر كل التطورات التي حصلت ببلاد الزاب متعلقة بجوانبها الأربعة (المجال، التوطين، المسالك، الطوبونيميا)، إلا أنني قد أكون أحطت بشكل كبير بالموضوع، وتوصلت لنتائج كثيرة حول فترة الدراسة (1-9هـ/7-15م).

ومع كل هذا، يبقى مجال البحث فيه مفتوحا على مصرعيه، فالبحث لا يمثل إلا نقطة انطلاق نحو التعمق في هذا المجال المميز، لكي يستطيع من خلالها باحثين آخرين من بعدي أو إلى جنبي من استكمال ما بدأته، أو كأضعف الإيمان القيام بأبحاث مكملة قد تصوب ما وقعت فيه من زلل وسهو إن وجد. أما الآفاق المستقبلية التي أحث عليها في نهاية الدراسة، ألخصها في الآتي:

- استكمال البحث في مجال الجغرافية التاريخية لبلاد الزاب وتوسيعه في مجالات جغرافية أخرى؛
- فتح تخصصات متعلقة بهذا التوجه البحثي وتدريسه كمقياس للطلبة في الأطوار الثلاثة؛
- إبرام اتفاقيات بين التخصصات القديمة والوسيطة بمختلف الجامعات لتبادل المعلومات وإعداد بحوث في هذا الجانب؛
- إنشاء مخابر، وفرق بحث متخصصة في هذا التوجه البحثي؛
- عقد ملتقيات وطنية ودولية بمشاركة مختصين أجانب وعرب للاستفادة من خبراتهم في هذا الميدان؛
- فتح مشاريع دكتوراه تحمل عناوين متعلقة بالجغرافية التاريخية.

وفوق كل ذي علم عليم

الملاحق





اللوحة رقم 01: الموقع الأثري طبنة

(تصوير نوفمبر 2018)







اللوحة رقم 02: الموقع الأثري قلعة بني حماد

(تصوير الباحث 02-01-2019)





اللوحة رقم 03: جبل قلعة بني حماد

(تصوير الباحث 02-01-2019)



اللوحة رقم 04: جبل الملح (لوطاية)

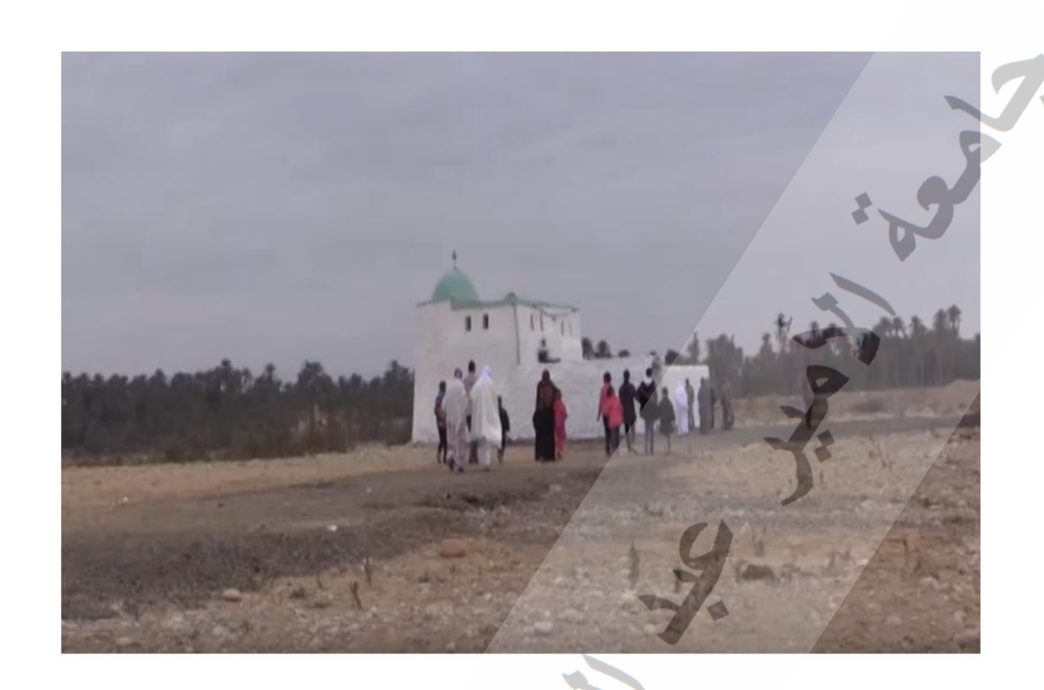


اللوحة رقم 05: الموقع الأثري أشير زيري



اللوحة رقم 06: الموقع الأثري تهودة







اللوحة رقم 07: ضريح سيدي زرزور

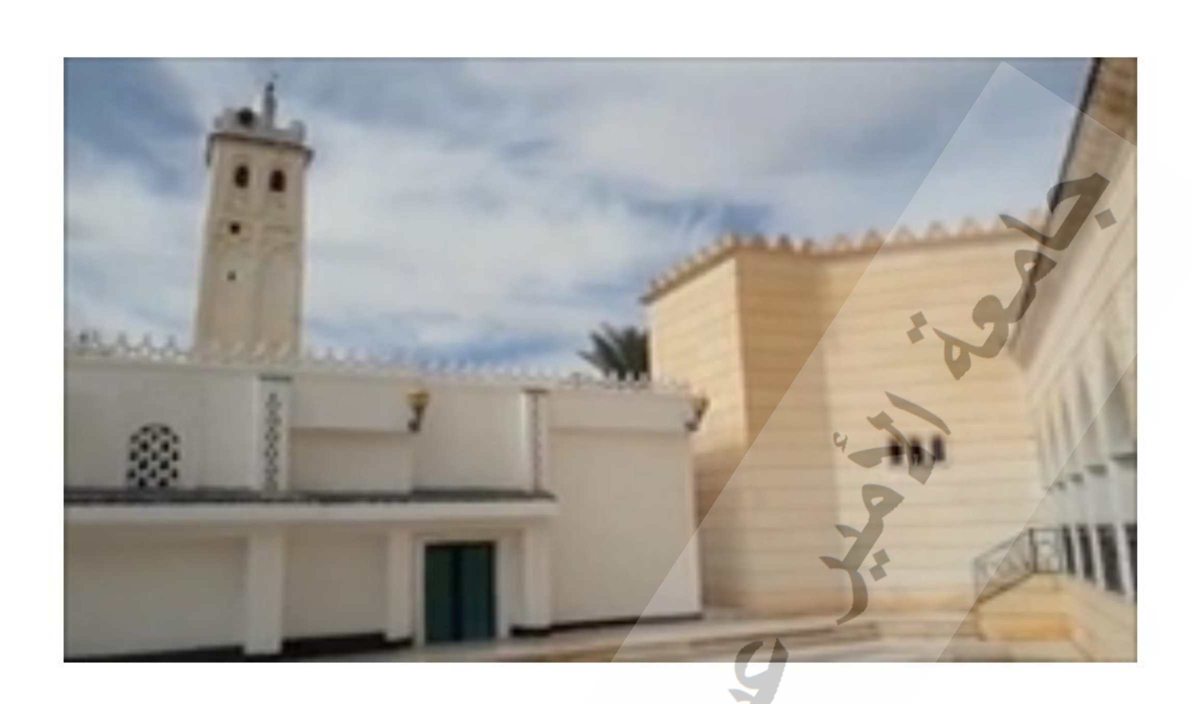




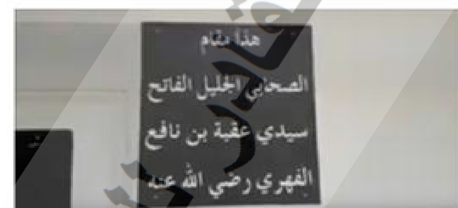
اللوحة رقم 08: وادي مقرة

(تصوير الباحث بتاريخ 2019/01/21)





اللوحة رقم 09:مسجد سيدي عقبة بن نافع الفهري





اللوحة رقم 10:ضريح عقبة بن نافع الفهري

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: المصادر

1-المخطوطات:

- اليوسي، أبو علي الحسن بن مسعود بن محمد نور الدين المغربي (ت 1102هـ/1691م)، مخطوط رحلة اليوسي، مركز وَدود للمخطوطات، رقم 3128. http://wadod.com/bookshelf/book/694

2-المصادر المطبوعة:

1) ابن أبي دينار، أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم الرعيني (ت. حوالي 1111هـ/1699م)، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، مطبعة الدولة التونسية، تونس، 1286هـ/1869م.

2) ابن أبي زرع، أبو الحسن علي بن عبد الله الفاسي (ت 726هـ/1326م)، الأنيس المطرب في روض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، تصحيح وترجمة: كارل يوجن تورنبورغ، دار الطباعة المدرسية، أوسبالة، 1259هـ/ 1843م.

3) ابن الأبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر بن عبد الله بن عبد الرحمن القضاعي البلنسي (ت 658هـ/1260م)، الحُلَّة السِّيَراء، تحقيق: حسن مؤنس، دار المعارف، القاهرة، 1405هـ/1985م، ج2.

4) ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن محمد بن محمد بن عبد الكريم الجزري (ت 630هـ/1233م)، الكامل في التاريخ، تحقيق: أبي الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1407هـ/1987م، مج (3-4-5-7-8-9).

5) ابن الأحمر، أبو الوليد إسماعيل بن فرج بن محمد (ت 807هـ/1404م)، روضة النّسرين في دولة بني مرين، المطبعة الملكية، الرباط، 1382هـ/1962م.

6) ابن الحاج، أبو القاسم إبراهيم بن عبد الله بن إبراهيم النميري، (ت 768هـ/1367 أو بعد 774هـ/1372م)، فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب، دراسة وإعداد: محمد ابن شقرون، دار الغرب الاسلامي، بيروت،1410هـ/1990م.

7) ابن الخطيب، أبو عبد الله محمد لسان الدين (ت 776هـ/1374م)، أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلال من ملوك الإسلام وما يتعلق بذلك من الكلام، تحقيق: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، 1424هـ/2003م، ج1-2.

8) ابن الشماع، أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت بعد 861هـ/1457م)، الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تحقيق: الطاهر بن محمد المعموري، الدار العربية للكتاب،1404هـ/1984م.

9) ابن الصغير، أخبار الأئمة الرستميين، تحقيق: محمد ناصر وابراهيم بحاز، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1406هـ/1986م

10) ابن القاضي، أبو العباس أحمد بن محمد المكناسي (ت 1025هـ/1616م)، درّة الحجال في أسماء الرجال (ذيل وفيات الأعيان)، تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور، مكتبة دار التراث، القاهرة، 1391هـ/1971م، ج2.

11) ابن الكلبي، أبو المنذر هشام بن محمد بن السّائب (ت 204هـ/820م)، جمهرة النسب، تحقيق: ناجي حسن، مكتبة النهضة العربية، بيروت، 1407هـ/1986م.

12) ابن بسام، أبو الحسن علي الشنتريني (ت 542هـ/1148م)، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، دار الثقافة، بيروت، 1417هـ/1997م، مج1/ق1.

13) ابن ثغري بردي، جمال الدين يوسف أبو المحاسن (ت 874هـ/1470م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب، د.ت، ج1-2.

14) ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني (ت 852هـ/1448م)، الاصابة في تمييز الصحابة، دراسة وتحقيق وتعليق: عادل احمد عبد الموجود و علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ/1995م، ج6.

15) ابن حزم، أبو محمد علي بن سعيد الأندلسي (ت 456هـ/1064م)، جمهرة أنساب العرب، تحقيق: ليفي بروفنسال، دار المعارف، القاهرة،1367هـ/1948م.

16) ابن حماد، أبو عبد الله محمد بن علي الصنهاجي (ت 628هـ/1231م)، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تحقيق ودراسة: التهامي نقرة و عبد الحليم عويس، دار الصحوة للنشر، القاهرة، 1401هـ/1981م.

17) ابن حوقل، أبو القاسم محمد النصيبي (ت 367هـ/977م)، كتاب صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت،1412هـ/1992م.

18) ابن حيان، أبو مروان القرطبي (ت 469هـ/ 1077م)، المقتبس في أخبار بلد الاندلس، تحقيق: عبد الرحمن علي الحجي، دار الثقافة، بيروت،1384هـ/1965م.

19) ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت. نحو 280هـ/894م)، المسالك والممالك ويليه كتاب الخراج، ليدن، مطبعة بريل، 1306هـ/1889م.

20) ابن خلدون، أبو زكرياء يحي ابن أبي بكر محمد (780هـ/1378م)، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، مطبعة بيير فونطانا، الجزائر، 1321هـ/1903م.

21) ابن خلدون، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت 808هـ/1406م)، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ضبط المتن والحواشي والفهارس: خليل شحادة، مراجعة: سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1431هـ/2001م، ج (3-4-6-7).

22) (ـــــــ)، رحلة ابن خلدون، نشر وتعليق: محمد بن تاويت الطنجي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1425هـ/2004م.

23) ابن خلكان، أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت 681هـ/1283م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د.ت، ج4.

24) ابن سعيد، أبو الحسن علي بن موسى المغربي (ت 658هـ/1260م)، كتاب الجغرافيا، تحقيق: إسماعيل العربي، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1390هـ/1970م.

25) ابن عبد الحكم، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله (ت 257هـ/871م)، فتوح مصر والمغرب، تحقيق: عبد المنعم عامر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 1380هـ/ 1961م، ج1.

26) (ـــــــ)، فتوح إفريقيا والأندلس، تحقيق: عبد الله أنيس الطباع، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، 1383هـ/1964م.

27) ابن عبد المنعم، أبو عبد الله محمد الحميري الصنهاجي (ت 900هـ/1495م) الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، 1404هـ/1984م.

28) ابن عذاري، أبو العباس أحمد بن محمد المراكشي (ت. بعد 712هـ/1312م)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة: ج. س. كولان و إ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، 1403هـ/1983م، ج1.

29) ابن غلبون، أبو عبد الله محمد بن خليل، التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من أخبار، تصحيح وتعليق: الطاهر أحمد الزاوي، دار المدار الاسلامي،1425هـ/2004م.

30) ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت 276هـ/889م)، كتاب المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، دار المعارف، القاهرة، 1401هـ/1981م.

31) ابن قنفد، أبو العباس أحمد بن حسين بن علي بن الخطيب القسنطيني (ت 810 هـ/ 1407م)، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تقديم وتحقيق: محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، تونس،1387هـ/1968م.

32) ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل ابن عمر الدمشقي (ت 774هـ/1373م)، البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، القاهرة، 1419هـ/1998م، ج16.

33) ابن وردان، تاريخ مملكة الأغالبة، تحقيق: محمد زينهم محمد عزب، مكتبة مدبولي، 1408هـ/ 1988م.

34) أبو العرب، محمد بن أحمد بن تميم التميمي (ت 333هـ/944م)، طبقات علماء إفريقية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، د.ت.

35) (ـــــــ)، كتاب المحن، تحقيق: عمر سليمان العقيلي، دار العلوم، الرياض، 1404هـ / 1984م.

36) أبو الفداء، عماد الدين اسماعيل بن محمد بن عمر (ت 732هـ/1332م)، تقويم البلدان، دار صادر، بيروت، د.ت.

37) إدريس الداعي، عماد الدين ابن الحسن بن حاتم القرشي (ت على الأرجح 872هـ/1467م)، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب "القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار"، تحقيق: محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1405هـ/1985م.

38) الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبدالله (ت. على الأرجح 560هـ/1160م) نزهة المشتاق في اختراق الآفاق أو كتاب روجر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1422هـ/2002م، مج1.

39) الإصطخري، أبو اسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الكرخي (ت. على الأرجح 346هـ/957م)، مسالك الممالك، مطبعة بريل، ليدن، 1325هـ/1927م.

40) الباجي، أبو مروان عبد الملك بن محمد بن أحمد بن إبراهيم الباجي الشهير بابن صاحب الصلاة (ت 594هـ/1197م)، المن بالإمامة (تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين)، تحقيق عبد الهادي التازي، دار الغرب الاسلامي، بيروت،1407هـ/1987م.

41) البغدادي، صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق (ت 739هـ/1338م)، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، دار الجيل، بيروت، 1412هـ/1992م، مج1.

42) البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد (ت 487هـ/1094م)، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق وضبط: مصطفى السقا، دار عالم الكتب، بيروت، 1364هـ/1945م، ج1.

43) (ـــــــ)، المسالك والممالك، تحقيق: جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت، 1424هـ/ 2003م، ج2.

44) البلاذري، أبو الحسن أحمد بن يحي بن جابر بن داوود البغدادي (ت 279هـ/893م)، فتوح البلدان، تحقيق: عبد الله أنيس الطباع، المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، 1407هـ/1987م.

45) (ـــــــ)، أبو الحسن أحمد بن يحي بن جابر بن داوود البغدادي (ت 279هـ/893م)، أنساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكار و رياض زركلي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت،1416هـ/1996م، ج 13.

46) البيدق، أبو بكر بن علي الصنهاجي (ت حوالي 559هـ/1164م)، أخبار المهدي ابن تومرت وبداية دولة الموحدين، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1391هـ/1971م.

47) التّجاني، أبو محمد عبد الله بن أحمد (ت 717هـ/1317م) رحلة التجاني، تقديم: حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، ليبيا-تونس،1401هـ/1981م.

48) الحسن الوزان، بن محمد الفاسي الشهير بليون إفريقيا (ت بعد 957هـ/1550م)، وصف إفريقيا، ترجمة: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت،1403هـ/1983م، ج2.

49) خليفة بن خياط، شباب أبو عمرو بن أبو هبيرة الليثي العصفري (ت 240هـ/855م)، تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: أكرم ضياء العمري، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، 1405هـ/1985م.

50) الدباغ، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الانصاري (ت 696هـ/1297م)، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1388هـ/1968م، ج1-ج2.

51) الدرجيني، أبو العباس أحمد بن سعيد (ت 670هـ/1272م)، طبقات المشايخ بالمغرب، تحقيق: إبراهيم طلاي، مطبعة البعث، قسنطينة-الجزائر، 1394هـ/1974م، ج1-2.

52) الدواداري، أبو بكر بن عبد الله بن أبيك (ت بعد 736هـ/1432م)، كنز الدرر وجامع الغرر، تحقيق: صلاح الدين المنجد، القاهرة، 1370هـ/1961م، ج6.

53) الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز (ت 748هـ/ 1348م)، العبر في خبر من غبر، تحقيق وضبط: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، 1405هـ/1985م، ج1.

54) (ــــــ)، سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، 1422هـ/2001م، ج8.

55) رسائل موحدية: مجموعة جديدة، تحقيق ودراسة أحمد عزاوي، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية، القنيطرة-الرباط، 1422هـ/2001م، ج1-2.

56) الرقيق، أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم القيرواني (ت 420هـ/1029م)، تاريخ إفريقية والمغرب، تحقيق: عبد الله العلي زيدان وعزالدين عمر موسى، دار الغرب الاسلامي، بيروت،1410هـ/1990م.

57) الزركشي، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم اللؤلؤ (ت بعد 894هـ/1489م)، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق: محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، د.ت.

58) الزهري، أبو عبد الله محمد بن أبوي بكر (المتوفى أواسط القرن الهجري السادس)، كتاب الجعرافية، تحقيق: محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ت.

59) السّخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت 902هـ/1497م)، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار الجيل، بيروت، د.ت، ج10.

60) السَّمعاني، أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي (ت 562هـ/1167م)، الأنساب، تقديم وتعليق: عيد الله عمر البارودي، دار الجنان، بيروت، 1408هـ/1988م، ج1.

61) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت 310هـ/923م)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، 1399هـ/1979م، ج7.

62) عبد الواحد المراكشي، محي الدين بن علي (ت 647هـ/1249م)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، القاهرة، 1415هـ/1994م.

63) العدواني، محمد بن محمد بن عمر (ت على الأرجح بعد 1065هـ /1655م)، تاريخ العدواني، تحقيق: أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الاسلامي، بيروت،1416هـ/1996م.

64) العزيزي، أبو علي منصور الجوذري (ت 390هـ/1000م)، سيرة الأستاذ جوذر وبه توقيعات الأئمة الفاطميين، تحقيق: محمد كامل حسين و محمد عبد الهادي شعيرة، مطبعة الاعتماد، القاهرة، د.ت.

65) العياشي، عبد الله بن محمد (ت 1071هـ/1661م أو 1073هـ/1663م) الرحلة العياشية، تحقيق: سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، دار السويدي للنشر والتوزيع، الإمارات العربية المتحدة،1427هـ/ 2006م، ج2.

66) الغبريني، أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله (ت 714هـ/1314م)، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق: عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة، بيروت،1399هـ/1979م.

67) القاضي النعمان، أبو حنيفة بن محمد بن منصور بن أحمد بن حيون التميمي (ت 363 هـ/973م)، كتاب افتتاح الدعوة، تحقيق: فرحات الدشراوي، الشركة التونسية للتوزيع، تونس،1406هـ/1986م.

68) (ـــــــ)، المجالس والمسايرات، تحقيق: محمد اليعلاوي، الحبيب الفقي، إبراهيم شبّوح، دار المنتظر، بيروت،1416هـ/1996م.

69) القلقشندي، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن علي بن أحمد الفزاري (ت 821هـ /1418م)، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1333هـ/1915م، ج5.

70) مارمول كربخال (ت بعد 979هـ/1571م)، إفريقيا، ترجمة: محمد حجي وآخرين، دار النشر المعرفة، الرباط، 1408-1409/1988-1989م، ج3.

71) المالكي، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الله (ت حوالي 474هـ/1081م)، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، تحقيق: بشير البكوش، مراجعة: محمد العروسي المطوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت،1403هـ/1983م، ج1.

72) مجهول (القرن السادس الهجري/12م)، الاستبصار في عجائب الأمصار "وصف مكة والمدينة، ومصر، وبلاد المغرب"، نشر وتعليق: سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء-الرباط،1405هـ/1985م.

73) مجهول، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تصحيح: البشير الفوربي، مطبعة التقدم الاسلامية، تونس، 1329هـ/1911م.

74) مجهول، حدود العالم من المشرق إلى المغرب، تحقيق: يوسف الهادي، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، 1419هـ/1999م.

75) المقدسي، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن أبي بكر البناء البشاري (ت 374هـ/984م أو 380هـ/990م)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مطبعة بريل، ليدن، 1324هـ/1906م.

76) المقريزي، أبو العباس تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر، (ت 845هـ/1441م)، اتعاظ الحنفا بأخبار الائمة الفاطميين الخلفا، تحقيق: جمال الدين الشيال، مطابع الإسكندرية، القاهرة،1416هـ/1996م، ج1.

77) (ــــــ)، المقفى الكبير، تحقيق: محمد اليعلاوي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1411هـ/1991م، ج2.

78) النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت 733هـ/1333م)، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: عبد المجيد ترحيني، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ج 24-28.

79) الهَجَرِيُّ، أبو علي هارون بن زكريا (ت نحو 300هـ/913م)، التّعليقات والنّوادر، ترتيب: حمد الجاسر، د.م، د.ت، مج4.

80) الورثيلاني، الحسين بن محمد السعيد (ت 1193هـ/1779م)، نزهة الانظار في فضل علم التاريخ والأخبار المشهورة بالرحلة الورثيلانية، مطبعة بيير فونتانا، الجزائر،1326هـ/1908م.

81) الونشريسي، أبو العباس أحمد بن يحي (ت 914هـ/1509م)، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل افريقية والأندلس والمغرب، تحقيق: محمد حجي وآخرون، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1401هـ/1981م، ج5-9.

82) ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله الرومي البغدادي (ت 626هـ/1299م)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1397هـ/1977م، مج (1-3-4-5).

83) اليعقوبي، أحمد بن يعقوب بن واضح الكاتب (ت نحو 284هـ/897م أو بعد 292هـ/905م)، كتاب البلدان، مطبعة بريل، مدينة ليدن،1309هـ/1892م.

ثانيا: المراجع

1- باللغة العربية:

أ-الكتب:

1) ابن عميرة محمد، دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1403هـ/1983م.

2) ابن منصور عبد الوهاب، قبائل المغرب، المطبعة الملكية، الرباط، 1388هـ/ 1968م، ج1.

3) الأحمد محمد علي، مراحل الفتح الإسلامي في بلاد المغرب العربي، الأكاديميون للنشر والتوزيع، الأردن، 1435هـ/2014م.

4) الأخضري أحمد بن داود ، العقد الجوهري بالتعريف بالقطب الشيخ سيدي عبد الرحمن الأخضري ويليه شرح البراهين للشيخ عبد الرحمن الأخضري، ويليه أزهر المطالب للشيخ عبد الرحمن الأخضري ، تقديم وتحقيق: لحسن بن علجية، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

5) إدريس روجي الهادي، الدولة الصنهاجية (تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12م)، ترجمة: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1412هـ/1992م، ج1-2.

6) الباروني سليمان، مختصر تاريخ الإباضية، دار تاولت، د.ت.

7) برنشفيك روبار، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي (من القرن 13 إلى نهاية القرن 15)، ترجمة: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1408هـ/1988م، ج1.

8) بروكلمان كارل، تاريخ الشعوب الاسلامية، ترجمة: أمين بنيه فارس ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت،1388هـ/1968م.

9) البهجي إيناس حسني، تاريخ الدولة الأموية، مركز الكتاب الاكاديمي، الأردن، 1437هـ/2016م.

10) بورويبة رشيد، الدولة الحمادية" تاريخها وحضارتها"، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1397هـ/1977م.

11) بوزياني الدراجي، دول الخوارج والعلويين في بلاد المغرب والأندلس، دار الكتاب العربي، الجزائر، 1428هـ/2007م.

12) (ـــــــــ)، القبائل الأمازيغية (أدوارها مواطنها وأعيانها)، دار الكتاب العربي، الجزائر،1428هـ/ 2007م، ج1-2.

13) الثعالبي عبد العزيز، تاريخ شمال إفريقيا من الفتح الاسلامي إلى نهاية الدولة الأغلبية، جمع وتحقيق: أحمد بن ميلاد ومحمد إدريس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1407هـ/1978م

14) جعيط هشام، تأسيس الغرب الإسلامي القرن الأول والثاني هـ/ السابع والثامن م، دار الطليعة، بيروت،1425هـ/2004م.

15) جودت عبد الكريم يوسف، العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1404هـ/ 1984م.

16) (ـــــــــ)، الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين/9-10م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1412هـ/1992م.

17) الحريري محمد عيسى، الدولة الرستمية بالمغرب الاسلامي (حضارتها وعلاقاتها الخارجية بالمغرب والاندلس 160هـ 296هـ)، دار القلم، الكويت، د.ت.

18) حساني مختار، الحواضر والأمصار الاسلامية الجزائرية، دار الهدى للطباعة و النشر والتوزيع، الجزائر،1432هـ/2011م، ج5.

19) حسن أحمد محمود، الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا، دار النهضة العربية، مصر- القاهرة، 1382هـ/1963م، ج1.

20) حسن محمد، المدينة والبادية بإفريقية في العهد الحفصي، منشورات كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة تونس1420،1هـ/1999م، ج1.

21) (ـــــــــــ)، الجغرافيا التاريخية لإفريقية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 1425هـ/ 2004م.

22) حفناوي بعلي، صحراء الجزائر الكبرى: في الرحلات وظلال اللوحة وفي الكتابات الغربية، دروب للنشر والتوزيع، 2016.

23) حمدي عبد المنعم، دراسات في التاريخ الأندلسي (دولة بني برزال في قرمونة 404-459هـ/1013-1067م)، مؤسسة شباب الجامعة، القاهرة، 1411هـ/1990م.

24) الخزاعلة ياسر طالب، الخلافة العباسية وموقفها من الدول المستقلة في المغرب بين القرنين الثاني والرابع الهجريين، دار الخليج، الأردن،1438هـ/2017م.

25) ذنون طه عبد الواحد، الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال إفريقيا والأندلس، دار المدار الإسلامي، بيروت،1425هـ/2004م.

26) الزركلي خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت،1423هـ/2002م، ج3.

27) ساعد خديجة، الطبونيميا الأمازيغية (أسماء وأماكن من الأوراس)، دار النشر آنزار، بسكرة-الجزائر، 1438هـ/2017م، ج1.

28) سعدي عثمان، معجم الجذور العربية للكلمات الامازيغية «البربرية»، منشورات مجمع اللغة العربية، طرابلس، 1428هـ/2007م.

29) السيد أحمد خليل، الليث بن سعد، فقيه مصر، دار المعارف، القاهرة، 1389هـ/1969م.

30) شفيق محمد، المعجم العربي الأمازيغي، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط،1416هـ/1996م، ج1.

31) شنيتي محمد البشير، أضواء على تاريخ الجزائر القديم-بحوث و دراسات، دار الحكمة، الجزائر، 1424هـ/2003م.

32) صفر أحمد، مدنية المغرب العربي في التاريخ (عشرون قرنا من تاريخ إفريقية من عصور ما قبل التاريخ إلى آخر العهد البيزنطي)، دار النشر بوسلامة، تونس، 1378هـ/1959م، ج1.

33) الطالبي محمد، الدولة الأغلبية التاريخ السياسي (184-296 هـ/800-909م)، ترجمة: الصيادي المنجي، مراجعة وتدقيق: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان،1405هـ/1985م.

34) الطمار محمد، المغرب الأوسط في ظل صنهاجة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2010.

35) طويل الطاهر، المدينة الاسلامية وتطورها في المغرب الأوسط (من النصف الثاني 1 هـ إلى 5هـ)، المتصدر للترقية الثقافية والعلمية والإعلامية، الجزائر،1432هـ/2011م.

36) عقون محمد العربي، الاقتصاد والمجتمع في الشمال الافريقي القديم، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1429هـ/2008م.

37) (ـــــــــــ)، الأمازيغ عبر التاريخ: نظرة موجزة في الأصول والهوية، التنوخي للطباعة والنشر والتوزيع، الرباط،1431هـ/2010م.

38) علي يحي عمر، الإباضية في موكب التاريخ، مكتبة وهبة، القاهرة، د.ت، ج2.

39) عمر أحمد مختار وآخرون، معجم اللغة العربية المعاصرة، دار عالم الكتب، القاهرة، 1429هـ/2008م، مج1.

40) عمر رضا كحالة، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1418هـ/1997م، ج4.

41) عويس عبد الحليم، دولة بني حماد "صفحة رائعة من التاريخ الجزائري"، مكتبة الاسكندرية، القاهرة، 1411هـ/1991م

42) غانم محمد الصغير، المظاهر الحضارية والتراثية لتاريخ الجزائر القديم، دار الهدى للطباعة و النشر والتوزيع، الجزائر، 1432هـ/2011م، ج1.

43) غزال اصطيفان، تاريخ شمال أفريقيا القديم، ترجمة: محمد التازي سعود، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط،1428هـ/2007م، ج1.

44) غوتييه إيميل فليكس، ماضي شمال إفريقيا، ترجمة: هاشم الحسيني، مؤسسة توالات الثقافية،1431هـ/2010م.

45) فيلالي بلقاسم، تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط- من الفتح إلى قيام الدولة الموحدية- مطبوعات كلية الآداب والحضارة الاسلامية، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة-الجزائر،1436هـ/ 2015م.

46) فيلالي عبد العزيز، العلاقات السياسية بين الدولة الأموية، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، 1420هـ/1999م.

47) كوتيريرث إغناثيو وآخرون، اللغة العربية في اسبانيا، دار وجوه للنشر والتوزيع، الرياض، 1436هـ/2015م.

48) مارسي جورج، بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق الاسلامي في العصور الوسطى، ترجمة: محمود عبد الصمد هيكل، منشأة المعارف، القاهرة،1411هـ/1991م.

49) محمود اسماعيل، الأدارسة (172-375): حقائق جديدة، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1411هـ/1991م.

50) (ـــــــ)، الأغالبة (184-296) سياستهم الخارجية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية، القاهرة،1421هـ/2000م.

51) المدني أحمد توفيق، جغرافية القطر الجزائري، تونس، 1367هـ/1948م.

52) مرمول محمد الصالح، السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الاسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1403هـ/1983م.

53) مصمودي فوزي، العلاّمة الموسوعي عبد الرحمن الأخضري (شخصيته ومواقفه)، موفم للنشر، الجزائر، 1429هـ/2008م.

54) المطوي محمد العروسي، السلطنة الحفصية (تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1406هـ/1986م.

55) مقديش محمود، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والاخبار، تحقيق: علي الزواوي ومحمد محفوظ، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1408هـ/1988م، مج1.

56) مؤنس حسين، أطلس تاريخ الإسلام، دار الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، 1407هـ/1987م.

57) (ـــــــ)، فتح العرب للمغرب، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ت.

58) الميلي مبارك، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، د.ت، ج2.

الناصري أبو العباس أحمد بن خالد الشهير بالسلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق: جعفر ومحمد الناصري، دار الكتاب، المغرب، 1417هـ/1997م، ج1.

59) الهنتاتي نجم الدين، المذهب المالكي بالغرب الإسلامي-إلى منتصف للقرن 5هـ/11م، دار تبر الزمان، تونس، 1425هـ/2004م.

60) هنتس فالتر، المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة: كامل العسيلي، منشورات الجامعة الأردنية، الأردن، 1390هـ/1970م.

ب- المقالات:

1) البركة محمد، "الطوبونيميا والبحث التاريخي: محاولة في تجديد آليات البحث"، دورية كان التاريخية، 24 (2014)، ص 121-125.

2) بوخالفة نور الهدى، "استقرار العرب وانشاء المدن والقرى في المغرب الوسيط"، أعمال الملتقى الدولي (التغيرات الاجتماعية في البلدان المغاربية عبر العصور 23-24 أفريل 2001- مخبر الدراسات التاريخية-جامعة منتوري قسنطينة)، دار الهدى للطباعة والنشر، الجزائر، د.ت، ص 51-68.

3) بوكثير مسطاري، "الماء والتوطين بالقرى الجبلية بالجنوب التونسي - ملاحظات وإضاءات حول قرية السند-"، مجلة الأندلس مغرب (Al-Andalus Magreb)، 19 (2012)، ص 31-69.

4) بونابي الطاهر، "ظاهرة الاندماج الهلالي في المنظومة الصوفية بالمغرب الأوسط خلال القرن 8هـ/14م"، مجلة الآداب والعلوم الانسانية، 12 (2011)، ص 141-170.

5) (ــــــــــ)، "حركة المرابطين السنة في الزاب بين التصوف والرباط"، المجلة الخلدونية، 09 (2011)، ص 56-73.

6) حفناوي بعلي، "عبد الرحمن بن خلدون... في ضيافة إمارة بني مزني"، المجلة الخلدونية، 09 (2011).

7) السقا سميرة، "دولة بني مزني ببسكرة"، المجلة الخلدونية، 09 (2011)، ص 34-45.

8) سليماني سعاد، "الملف الأثري لموقع زابي-معطيات جديدة-"، مجلة آثار، الجزائر، 11 (2014)، ص 55-73.

9) طويل الطاهر، "جغرافية العمران بالمغرب الأوسط خلال القرون الهجرية الأربعة الأولى": مغرب أوسطيات (دراسات في تاريخ وحضارة الجزائر في العصر الاسلامي الوسيط)، مكتبة إقرأ، قسنطينة-الجزائر، 2013، ص 39-74.

10) عشي علي، "الجيش الرستمي-دعوى الغياب ومقتضى الحضور-"، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، 12 (2011)، ص 103-125.

11) عمارة علاوة، "ابن شداد الصنهاجي جامع تاريخ المغرب الوسيط"، مجلة التاريخ العربي، 21 (2002)، ص 67-96.

12) (ـــــــــ)، "الهجرة الهلالية وإشكالية انحطاط حضارة الغرب الإسلامي الوسيط: قراءة في نقاش تاريخي"، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، دورية لكلية الآداب والحضارة الإسلامية، 4 (2004)، ص 31-75.

13) (ـــــــــ)، "النشاط التجاري للساحل الشرقي للجزائر(2-6هـ/8-12م)"، مجلة المعالم، جمعية التاريخ والمعالم الأثرية- قالمة، الجزائر، 9 (2008)، ص 61-68.

14) (ـــــــــ)، "انتشار المذهب المالكي ببلاد المغرب الأوسط (الجزائر)-قراءة سوسيو-تاريخية-": دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والغرب الإسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1429هـ/ 2008م، ص 127-136.

15) (ـــــــــ)، "من القائد العسكري إلى القائد الأسطوري: صورة عقبة بن نافع في الدراسات الغربية": دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والغرب الاسلامي، 2008، ص 45-60 .

16) (ـــــــــ)، " أبو المهاجر دينار بين الروايات العربية والقراءات الغربية صور وأبعاد"، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، 11 (2010)، ص 31-41.

17) (ـــــــــ)، " الهجرة الهلالية وأثرها في تغيير الاجتماعية لبلاد الزاب"، المجلة الخلدونية، أعمال الملتقى الوطني السابع بسكرة عبر التاريخ-دولة بني مزني -، بسكرة-الجزائر، 9 (2011)، ص 74-86.

18) (ـــــــــ)، "موقع تلمسان من كرونولوجيا انتشار الاسلام في بلاد المغرب (ق2-6 هـ/8-12م)": مغرب أوسطيات (دراسات في تاريخ وحضارة الجزائر في العصر الإسلامي الوسيط)، 2013، ص 9-38.

19) (ـــــــــ)، "التحولات المجالية والطبونيمية لبلاد الزاب من الفتح الاسلامي إلى نهاية القرن الهجري الثامن/الرابع عشر الميلادي"، مجلة تراث الزيبان، أعمال الملتقى الوطني الأول حول التراث في منطقة الزيبان، بسكرة-الجزائر، 2016، ص 12-21.

20) (ـــــــــ)، "بين جبل أوراس والواحات: ظهور وانتشار واختفاء الجماعات الإباضية بالزاب (ق2-3 هـ/ 8-9م)، ترجمة: عبد القادر مباركية، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، 9 (2017)، ص 244-281.

21) غانم محمد الصغير، "المقبرة الميجاليتية ببونوارة (الشرق الجزائري)"، مجلة العلوم الانسانية، 15 (2001)، ص 159-169.

22) قويسم محمد، "مفاهيم جغرافية عند المسلمين في العصر الوسيط"، دورية كان التاريخية، 13 (2011)، ص 55-61.

23) لقبال موسى، "طبنة مدينة الزاب والأوراس في العصور الوسطى"، مجلة الأصالة، 60-61 (1978)، ص 83-102.

24) (ـــــــــ)، " قاعدة طبنة والشرعية الخلافية في بلاد المغرب الإسلامي"، ص 91-102. https://www.asjp.cerist.dz/en/article/42548

25) (ـــــــــ)، "طبنة في مجال العلاقة بين زناتة والفاطميين حتى نهاية عهد المنصور الفاطمي"، ص 41-54. https://www.asjp.cerist.dz/en/article/47125

26) (ـــــــــ)، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية (من تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس الهجري/11م)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1399هـ/1979م.

27) هدوش صلاح الدين، "المدينة ببلاد الزاب من خلال المصادر العربية من القرن 5هـ/11م إلى القرن 8هـ/14م"، مجلة علوم الانسان والمجتمع، 14 (2015)، ص 103-135.

28) الهطاي علي، " الجغرافية التاريخية لبلاد الزاب من الفتح إلى منتصف القرن الخامس الهجري/الحادي عشر ميلادي: دراسة في تطور المجالات والمواقع"، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، 12 (2017)، ص 9-30.

ت-الأطروحات والمذكرات:

1) بخوش زهير، التركيبة البشرية لمجتمع الريف الأرواسي أثناء الاحتلال الروماني، أطروحة دكتوراه علوم في الآثار القديمة (منشورة)، تحت إشراف: محمد المصطفى فيلاح، معهد الآثار، جامعة الجزائر2، 2016/2017.

2) خنيش عبد الفتاح، التوسع الزراعي في افريقيا القديمة خلال الفترة الرومانية، مذكرة ماجستير في تاريخ الريف والبادية (منشورة)، تحت إشراف: عقون محمد العربي، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة قسنطينة 2-الجزائر، 2012/2013.

3) رحلي صليحة، المسيلة وجهتها في العصر الوسيط، رسالة ماجستير (منشورة)، تحت إشراف: علاوة عمارة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الاسلامية، جامعة باتنة-الجزائر، 2013/2014م.

4) شقطمي هناء، الخطاب الفقهي والريف في المغرب الأوسط من خلال الدرر المكنونة في نوازل مازونة، مذكرة ماجستير في تاريخ الريف والبادية (غير منشورة)، تحت إشراف: علاوة عمارة، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة قسنطينة 2، 2013/2012.

5) عيبش يوسف، الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية لبلاد المغرب، أثناء الاحتلال البيزنطي، أطروحة دكتوراه دولة في آثار وتاريخ المغرب القديم (منشورة)، تحت إشراف: محمد البشير شنيتي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة-الجزائر، 2007/2006.

6) نجراوي فاطمة الزهراء، الدراسة الإيتيمولوجية لأسماء الأماكن المأهولة -مقاربة لغوية تطورية منطقة تلمسان أنموذجا- (منشورة)، أطروحة دكتوراه علوم، قسم التاريخ، جامعة تلمسان، 2017/2016.

7) نوارة عمار، الخريطة الأثرية لمنطقة ميلة وضواحيها في العهد الروماني، مذكرة ماجستير في التراث والدراسات الأثرية (منشورة)، تحت إشراف: يوسف عيبش، كلية العلوم الإنسانية، قسم التاريخ والآثار، جامعة قسنطينة، الجزائر، 2012/2011.

2- باللغة الأجنبية:

1) Achille Robert, « Ruines Berbères Hammadites: La Kalâa et Tihamamine», *Recueil des notices et mémoires de la société archéologique, historique et géographique du département de Constantine*, 37 (1903). p. 217-268.
2) Albertini Eugène, «Le réseau routier de la Numidie méridionale», *Comptes rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres-CRAI-*, 75-4 (1931), p. 363-370.
3) Amara Allaoua, « l'islamisation du Maghreb Central (VIIe-XIe Siècle) » : Islamisation et arabisation de l'Occident musulman médiéval, éd. Dominique Valérian, publications de la Sorbonne, Paris, 2011, p. 103-130.
4) (_____), « Entre le massif de l'Aurès et les oasis : apparition, évolution et disparition des communautés ibâḍites du Zâb (vIII^{e}-xIv^{e} siècle) », *Revue des mondes musulmans et de Méditerranée*, 132 (2012), p. 115-135.
5) (_____), « Les Fatimides et le Maghreb central : littoralisation de la dynastie et modes de contrôle des territoires », *Revue des mondes musulmans et de la Méditerranée*, 139 (2016), p. 107-126.
6) Atoui Brahim, Toponymie et espace en Algérie, Thèse de Doctorat, sous la direction de Marc Cote, Université de Provence - Aix-Marseille I, France, 1996.

7) (_____), Benramdane Farid, « Mondialisation et normalisation des toponymes et des écritures : le cas de l'Algérie », *CRASC*, Oran, 2005, p. 187-197.
8) Baradez Jean, *Fossatum Africae. Recherches aériennes sur l'organisation des confins sahariens à l'époque romaine*, Arts et Métiers graphiques, Paris, 1949.
9) Benkada Saddek, «Quelques toponymes espagnols d'Oran et de sa région à travers le rapport de Joseph de Aramburu (1741) », *CRASC*, Oran, 2005, p. 159-165.
10) Berbrugger Adrien, « Remarques sur les inscriptions découvertes à Markouna et copiées par M. Barnéond », *Revue Africaine*, 7 (1863), p. 473-478.
11) (_____), «Envoi, par M. le Baron Accapitaine, de la photographie d'une inscription romaine découverte à Touta », *Revue Africaine*, 9 (1865), p. 145-160.
12) Berchem Denis van, *L'armée de dioclétien et le reforme Constantinienne*, institut Française D'Archéologie de Beyrouth, Imprimerie Nationale, Paris, 1952.
13) Berthold Rubin, *Das Zeitalter Iustinians*, Walter de Gruyter, Berlin, New York, 1995, vol. 2.
14) Blanchet Paul, « Rapport sur une mission accomplie au haut-Sahara », Bulletin archéologique du comité des travaux historiques et scientifiques, Paris, Imprimerie nationale, 1899, p. 137-145.
15) (_____), « Excursion Archéologique dans le Hodna et le Sahara », *Recueil des notices et mémoires de la société archéologique du département*, 33 (1900), p. 285-319.
16) Bruzen la Martinière, *Le grand dictionnaire géographique et critique*, t.2 (B&C).
17) Cambuzat Paul-Louis, *L'évolution des cités du Tell en Ifrikiya du VII^e au XI^e siecle,* O.P.U, Algerie, 1986, vol. 1 et 2.
18) Carcopino Jerôme, « Les inscriptions de Doucen et l'occupation Romaine dans le Sud-Algérien », Revue des Études Anciennes, 25-1 (1923), p. 33-48.
19) (_____), « Le Limes de Numidie et sa garde Syrienne d'après des inscriptions récemment découvertes», Syria. Archéologie, Art et histoire, Paris, 6-1 (1925), p. 30-57.

20) Chaker Salem, « Arabisation », *Encyclopédie berbère*, 6 (1989), p. 834-843.
21) Cosson Ernest, *Répertoire alphabétique des principales localités mentionnées dans le compendium et le conspectus floræ atlanticæ*, G. Masson, Libraire- Editeur, Paris, 1882.
22) Cote. M, « Biskra », *Encyclopédie Berbère,* 10 (1991), p. 1517-1522.
23) Daumas Eugène، *Le Sahara Algérien: études géographiques, statistiques et historiques*, Langlois et Leclercq, Paris, 1845.
24) Dauzat Albert, Les noms de lieux: (Origine et évolution, villes et villages, Pays, cours d'eau, montagnes), Lieux-dits, Bibliothèque des chercheurs et des curieux, Librairie delagrave, 27eme Édition, 1963.
25) De Boysson. Col, « Les tombeaux mégalithiques des Madid », *Recueil des notices et mémoires de la Société archéologique, historique et géographique du département de Constantine*, 13/3-2 (1869).
26) De Torcy, « Note sur la route de Tébessa à Biskra par Négrine », *Recueil des notices et mémoires de la société archéologique du département de Constantine*, 44 (1911), p. 1-27.
27) Delattre Alfred Louis, « Excursion dans le Zab occidental », *Recueil des notices et mémoires de la société archéologique du département de Constantine*, 25/4-3 (1888), p. 262-278.
28) Desanges Jehan, « Enipi », *Encyclopédie Berbère,* 17 (1996), p. 2643.
29) Diehl Charles, *Rapport sur deux missions archéologiques dans l'Afrique du nord (Avril-juin 1892 et mars-mais 1893)*, Ernest Leroux, éditeur, Paris, 1894.
30) (_____), *L'Afrique Byzantine (histoire de la domination Byzantine en Afrique 533-709)*, Ernest Leraux, éditeur, Paris, 1896.
31) *Digital Atlas of the Roman Empire*: http://dare.ht.lu.se/places/22167.html.
32) Djait Hichem, « L'Afrique Arabe au VIIIe siècle (86-184 H./705-800) », *Annales. économies, sociétés, civilisations*, 28-3 (1973), p. 601-621.
33) Dresh Jean, « Toponymie nord-Africaine », *L'information géographique*, 15-1 (1951), p. 8-10.
34) Duval Noël, « La Basilique de Zana (Diana veteranorum [Une nouvelle église à deux absides ou un monument à auges ?] », *Mélanges de l'école Française de Rome*, 89-2 (1977), p. 847-873.

35) Miller Emmanuel, Lapie Pierre, Fortia d'Urban et autres, *Recueil des itinéraires anciens: comprenant l'Itinéraire d'Antonin, la table de Peutinger et un choix des périples grecs*, Imprimerie Royale, Paris, 1845.
36) Fantar Mhamed Hassine, « La Kahina, Reine des Berbères », *Revue du Centre d'études de la civilisation phénicienne-punique et des antiquités libyques* (*REPPAL)*, Institut national d'archéologie et d'art, Tunis, 3 (1987), p. 169-184.
37) Fentress Elizabet, «Map 34 Numidia », 1995, p. 520-528. http://assets.press.princeton.edu/B_ATLAS/BATL034_.pdf.
38) Feraud Charles, *Histoire des villes de la province de Constantine: Setif-Bordj-Bou-Areridj-Mesila-Bousaada,* L. Arnolet libraire-éditeur, Constantine, 1872.
39) Filah Mohamed El Mostefa, « Diana Veteranorum (Ain Zana) »:http://filah.over-blog.org/article-diana-veteranorum-ain-zana-par-mohamed-el-mostefa-filah-72296333.html.
40) Francesco Vattioni, « Abaritanus », *Antiquités Africaines*, 32 (1996), p. 9-12.
41) Gascou Jacques, « L'emploi du terme respublica dans l'épigraphie latine d'Afrique », *Mélanges de l'école Française de Rome*, 91-1 (1979), p. 383-398.
42) Gautier Émile Félix*, L'Islamisation de L'Afrique du Nord : Les siècles obscurs du Maghreb* (Avec 12 illustrations hors texte et 16 figures dans le texte), Paris, Bibliothèque historique, Bayot, 1927.
43) Gsel Stéphane, Pasteur: un village en Algérie, Typographie Adolphe Jourdan, Alger, 1894.
44) (_____), Enquête administrative sur les travaux hydrauliques anciens en Algérie, E. Leroux, Paris, 1902.
45) (_____), Les Monuments antiques de l'Algérie, Paris, 1901, vol. II.
46) (_____), *Atlas archéologique de l'Algérie*, textes – cartes, impr-libr Adolphe Jourdan, Alger, 1911, t.1 et 2.
47) Hadji Yacine-Rabah, « Thouda, aperçu archéologique », *Revue Aoures, Société d'étude et de recherches sur l'Aurès antique*, Paris, 3 (2006), p. 323-339.
48) Jema-Gouzon Danièle, *Villages de l'Aurés (Archives de pierres)*, Editions Harmattan, Paris, 1989.

49) Lambin. J. M, « Note sur les ruines Romaines de la région de l'Oued-Mellagou et de l'Oued el-Arab », *Bulletin archéologique du comité des travaux historiques et scientifiques -BCTH-*, 1892, p. 136-139.

50) Laporte Jean-Pierre, « De l'Antiquité au Moyen Age : Continuités et rupture dans quelques implantations urbaines », *Revue Athar*, 7 (2008), p. 49-72.

51) Laurent Charles Auguste, *Mémoire sur le Sahara oriental: au point de vue de l'établissement des puits artésiens dans l'Oued-Souf, l'Oued-R'ir et les Zibans*, Imprimerie de P.-A. Bourdier et C[ie], Paris, 1859.

52) Leschi Louis, « Découvertes épigraphiques dans le camp de Gemellae (El-Kasbat, Algérie) », *Comptes rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres*, 93-3 (1949), p. 220-226.

53) Lewicki Tadeusz, « Une langue Romaine oubliée de l'Afrique du nord. observations d'un Arabisant », *Rocznik Orientalistyczny*, 17 (1951-1952), p. 415–480.

54) M'charek Ahmed, « Continuité de l'Ethnonymie, continuité du peuplement au Maghreb de l'antiquité à nos jours », Académie des inscriptions & belles-lettres, Paris, 2015, 445-477.

55) Marçais Georges, « La berbérie au IX e Siècle D'après el- Ya'qoubi», Revue Africaine, 85 (1941).

56) (_____), *La Berberie musulmane et l'orient au moyen age*, Aubier, éditeur. Montaigne, Paris, 1946.

57) Marcus Louis et Duesberg Joseph, *Géographie ancienne des états Barbaresques*, La Librairie Encyclopédique de Roret, Paris, 1842.

58) Masqueray Émile, « Ruines Anciennes de Khenchela *(Mascula)* à Besseriani (*Ad Majores)»*, *Revue Africaine*, 22 (1878), p. 444-472.

59) Mentelle Edme, *Encyclopédie méthodique (Géographie ancienne),* Panckoucke, Imprimerie – Libraire, Paris, T.3.

60) Meouak Mohamed, « Le Hodna occidental entre régions méditerranéennes et plaines désertiques : organisation des terroirs, communautés rurales et productions agricoles au Moyen Âge », *Revue des mondes musulmans et de la Méditerranée*, 126 (2009), p. 117-140.

61) (_____), Les Ziban entre Aurès et Sahara, Accadimia scientiarum Fennica, Helsinki, 2017.

62) Modéran Yves, Les Maures et l'Afrique Romaine (IVe-VIIe siècles), Publications de l'École française de Rome, 2003.

63) (_____), « Kahena », *Encyclopédie berbère*, 2005 (27), p. 4102-4111.

64) Morizot Pierre, « Les voies Romaines de Lambèse à Calceus Herculis (El Kantara, Algérie)», *Antiquités Africaines*, 34 (1998), p. 149-155.
65) Morizot Pierre, « Solomon et l'Aurès », Bulletin de la société nationale des antiquaires de France, 1992 (1994), p. 325-337.
66) (_____), Archéologie aérienne de l'Aurès, Comité des travaux historiques et scientifiques, Paris, 1997.
67) (_____), « Regard sur les inscriptions de Thouda du XVIIIe siècle à nos jours », *Comptes rendus des séances de l'académie des inscriptions et belles-lettres*, 154-2 (2010), p. 817-841.
68) Niox Gustave Léon, *Algérie: Géographie physique*, Librairie militaire de L. Baudoin et C[e], Paris, 1884.
69) Nissabouri Abdelfattah, «Toponymes Maghrébins de l'enracinement à l'internationalisation », *Cahiers de sociolinguistique,* Presses universitaires de Rennes, 11/1 (2006/1), p. 117-143.
70) Odette Keun, *Dans l'Aurés inconnu* (*Soleil, Pierres, et Guelaas*), Bibliothèque du hérisson, paris, 1930.
71) Papier. A, « De l'étymologie des mots employés par les Grecs, les Romains, les Arabes et les Français pour désigner le Djebel-Aurès », *Bulletin de l'académie d'Hippone*, 22 (1886), p. 239-242.
72) Payen De Chavoy, « Lettre sur les tombeaux circulaires de la province de Constantine », *Recueil des notices et mémoires de la société archéologique de Constantine*, 7 (1863), p. 159-169.
73) Pellegrin Arthur, *Essai sur les noms des lieux d'Algérie et de Tunisie (Etymologie, Signification)*, Edition S. A. P. I, Tunis, 1949.
74) Poulle Alexandre, « A travers la Mauritanie Sétifienne », *Recueil des notices et mémoires de la société archéologique de la province de Constantine*, 7 (1863), p. 1-158.
75) Poulle Alexandre, « Ruines de Bouchilga, (ancienne Zabi)», *Revue Africaine*, 5 (1861), p. 195-209.
76) Ragot. W, « Le Sahara de la province de Constantine », *Recueil des notices et mémoire de la société archéologique du département de Constantine*, 4-16 (1873), p. 91-299.
77) Rinn Louis, « Géographie ancienne de l'Algerie », *Revue Africaine*, 37 (1893), p. 297-329.
78) Rostaing Charles, *Les noms de lieux (Que Sais-je)*, Paris, presses universitaires de France, 8[eme] Édition, 1974.

79) Salama Pierre, *Les voies romaines de l'Afrique du nord*, imprimerie officielle du gouvernement général de l'Algérie, Alger, 1951.
80) Tabula Peutingeriana, P a r s V: http://www.hsaugsburg.de/~harsch/Chronologia/Lspost03/Tabula/tab_pe05.html.
81) Talbi Mohamed, «Un nouveau fragment de l'histoire de l'Occident musulman (62-196/682-812). L'épopée de la Kâhina», *Cahiers de la Tunisie*, 73-74 (1971), p. 19-52.
82) Tilmatine Mohand, «Toponymie et aménagement linguistique : vers une terminologie amazighe?, Acte du colloque international aménagement linguistique : bilan et perspectives 12-13 et 14 mars 2012», *Revue Iles D Imesli*, Univ-Tizi Ouzou, Algérie, 4 (2012), p. 81-116.
83) Tissot Charles, *Géographie comparée de la province Romaine d'Afrique*, Imprimerie nationale, Paris, 1884, T.2.
84) Touchard Joseph Léon, « Note sur les fouilles faites à Tehouda », *Recueil des notices et mémoire de la société archéologique du département de Constantine*, 35 (1901), p. 151-155.
85) Trabut Louis, *des Noms indigènes des Plantes spontanées*, cultivées et utilisées dans le nord de l'Afrique, Imprimeries "La Typo- Litho" et Jules carbonel réunies, Alger, 1935.
86) Trousset Pol, « Badias (Badîs, Badès)», *Encyclopédie Berbère*, 9 (1991), 1299-1302.
87) (_____), « Bagaï (Bāghāya)», *Encyclopédie Berbère*, 9 (1991), p. 1307-1312.
88) Vaissiére Albert, « Les Ouled – Rechaich », *Revue Africaine*, 37 (1893), p. 137-150.
89) Vars Charles, « Constantine (Cirta) », *Recueil des notices et mémoires de la Société archéologique, historique et géographique du département de Constantine*, 33 (1899), p. 319-431.
90) Virginie Prévost, « Les dernières communautés chrétiennes autochtones d'Afrique du nord », *Revue de l'histoire des religions*, 4 (2007), p. 461-483.

الفهارس

فهرس الأعلام

فهرس القبائل والشعوب

فهرس الأماكن والبلدان



فهرس الخرائط







أطروحة دكتوراه

الجغرافية التاريخية لبلاد الزاب

من نهاية الفتح الاسلامي إلى نهاية القرن 9 هـ / 15م

الطالب: الصادق زياني

تخصص: تاريخ المغرب الأوسط وحضارته في العصر الوسيط

ملخص:

تندرج الدراسة ضمن البحوث المتخصصة في ميدان "الجغرافية التاريخية"، وتسلط الضوء على التحولات والتغيرات التي طرأت على "بلاد الزاب" في الأضلاع الأربعة: (المجالات–الطوبونيميا–المسالك– الجماعات)، وهذا منذ بروز هذا الحيز الجغرافي كمقاطعة أموية تتبع بلاد إفريقية إلى نهاية القرن الهجري التاسع/15م. لقد عرفت الخريطة المجالية لبلاد الزاب مراحل متباينة بين الامتداد والتقلص، قبل انحصارها بداية من القرن الهجري الثامن/14م في الفضاء البسكري وواحاته، والذي اصطلح عليه: "الزيبان". وعرفت شبكة المسالك والطرق ضمن هذه المجالات استمرارا وتواصلا مقارنة بمعطيات الخرائط الأثرية القديمة، أين كانت همزة وصل داخليا وخارجيا في شقي المواصلات والتجارة.

شكلت الطوبونيميا أحد مظاهر التحول بفضل تأثيرات التعريب، أدى إلى تبلور صورة أسماء المواقع من شكلها الأصلي (لوبي– فينيقي– نوميدي– لاتيني) إلى حالتها المعربة، مع تواصل أغلب الطوبونيمات القديمة. وارتبطت هذه التحولات بتغيرات جذرية في البنية الاجتماعية نتيجة الوفود التدريجي لجماعات جديدة على مجالات الزاب، لينتهي بوصول الجماعات الهلالية، التي نجحت في تكوين اقطاعات مغتصبة، بعد تجاذب مع الجماعات المحلية (البربر)، أدى في النهاية إلى انزياحها عن مضاربها، أو الرضوخ والعيش تحت سلطة الوافد الجديد.

الكلمات المفتاحية: نوميديا، الزاب، التعريب، الاثنية، الروم، الأفارقة، البربر، رياح، الطوبونيميا، الجماعات، المسالك، الخريطة الأثرية، المجال.

Résumé:

Le sujet de l'étude inscrit dans la Géographie historique, et traite les changements et les transformations qui ont eu lieu du Zab (I^e-IX^e H / VII^e -XV^e AD), lies à son passé antique, dans les quatre côtés: (Toponymie-Territoire-Communauté-Voies). La carte géographique du Zab présente différentes étapes entre l'extension et la contraction, avant la fixé au début du VIII^e H/XIV^e AD dans l'espace du Biskra et de son oasis "Ziban".

La toponymie était l'une des manifestations de la transformation, avec la continuation des anciens toponymes, due aux effets de l'arabisation a conduit à la

cristallisation de l'image des noms des Lieus de la forme originale (Libyque-Phénicien - Numide - Latin) à l'état de l'arabe.

Ces transformations ont été liées à la structure sociale du Zab, où des changements radicaux ont eu lieu après les délégations et la stabilisation progressive de nouveaux Communautés, le dernier étant les Communauté "Riah", qui ont réussi à créer des colonies après avoir des conflits avec des Communautés locaux (Berbères), finissant par les déplacer ou vivant sous le pouvoir de nouvel arrivant.

Mots clés: *Numidie, Zab, Arabisation, Ethnique, Rum, Afarique, berbère, Riah, Territoire, Toponymie, Communautés, Voies, Carte archéologique.*

Summary:

The subject of the study inscribed in Historical Géography, and deals with the changes and transformations which took place of the Zab (1st-9th H / 7th-15th AD), related to its ancient past, in the four sides: (Toponymy -Territoire-Community-Way). The geographical map of the Zab presents different stages between the extension and the contraction, before the set at the beginning of the 8th H / 14th AD in the space of Biskra and its oasis "Ziban".

The toponymy was one of the manifestations of the transformation, with the continuation of the ancient toponyms, due to the effects of Arabization led to the crystallization of the image of the names of the Locations of the original form (Libyan-Phoenician - Numidian - Latin) in the state of Arabic.

These transformations were linked to the social structure of the Zab, where radical changes took place after the delegations and the gradual stabilization of new communities, the last being the "Riah" community, which managed to create settlements after having conflicts. with local communities (Berbérs), eventually moving them or living under the power of newcomer.

Key Words*: Numidie, Zab, Arabisation, Ethnic, Rum, Afaric, Berbèrs, Riah, Territory, Toponymy, Communities, Paths, Archaeological maps.*



People's Democratic Républic of Algéria

Ministry of Higher Education and Scientific Research

Emir Abd Elkader University For Islamic Sciences – Constantine-



Arts and Islamic Civilization Faculty

Département of History

Serial Number ………………..

Registration Number ………..

The historical géography of the country of Zab

From the end of the Islamic conquest to the end of the 9th H

Thesis Doctorat LMD in History

Speciality : History of the Maghreb médiéval and its Civilization in the Médiéval age

Branch : Power and society in Maghreb médiéval at Médiéval age

Présented by the student :

Saddek Ziani

Supervision Professor :

Allaoua Amara

Membre of the Discussion committée

Name & Surname	Rank	Original University	Character
Dr/ Brahim Ben Mehia	M.D –A-	Emir Abd Elkader University – Constantine-	Président
Pr/ Allaoua Amara	Professor	Emir Abd Elkader University – Constantine-	Super & Rappt
Pr/ Tahar Bounabi	Professor	Mohamed Boudiaf University - M'sila-	Discussant
Dr/ Nasira Azroudi	M.D –A-	Emir Abd Elkader University – Constantine-	Discussant
Dr/ Abdeldjalil Keriane	M.D –A-	08 mai 1945 University - Guelma-	Discussant
Dr/ Samir El-Aidani	M.D –A-	Mohamed Boudiaf University - M'sila-	Discussant

University year : 1439-1440 H / 2018-2019 AD